المرجع في

الحرب النفسية

العقيد مصطفى الدباغ





المرجع
في الحرب النفسية

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ -٢٠٠٧ م

دار الفاروق للنشر والتوزيع

عمّان – العبدلي – عمارة جوهرة القدس

تلفاكس: ٤٦٤٠٠٦٤

E-mail: daralfarouq @ yahoo.com

المرجع في
الحرب النفسية

العقيد مصطفى الدباغ



عمان - الأردن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾

صدق الله العظيم

فهرس الكتاب

مقدمة الطبعة الاولى

لّما كانت الحرب ضرورة لأبّد منها ، ولما كانت بالنسبة لنا ـ نحن العرب ـ في هذا الوقت وتحت ظل الظروف الراهنة بالذات ضرورة أكيدة كان لابد من عرض مادّة تُعتبر هامة للغاية في هذا المجال ، مجال الصراع ، حيث تعتبر الحرب النفسية ، آخر الأمر ، مكمّلة للقتال المسلح ، وهي شطر الحرب عامة ، فإذّا ما تمثلت القوة المادية المستخّدمة في المعارك بالرجال والسلاح فإن الحرب النفسية تُمثّل تسخير سائر القوى غير المادية ، أو لِنَقُلْ القوى المعنوية ؛ في الصراع الموجه نحو الاعداء . وان العلم العسكري والعلوم الحديثة ـ كما هي خبرة الحروب كذلك ـ تُجمع على ان الحرب النفسية هي سلاح فعاّل وشديد التأثير في المعركة ، وهي تساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر في الارواح والمعدات .

وان الآية الكريمة المباركة التي صدّرنا بها هذا الكتاب لتُعتبر الموجّه والمرشد للأخذ بالاسباب المادية والاسباب المعنوية جنباً إلى جنب وعلى حدٍّ سواء . فمنطوق الآية ، والآيات القرآنية الكثيرة مع التوجيه النبوي في السنة المطهرة ، هو توجيه صريح في ضرورة حشد واستخدام القوى غير المادية إلى جانب القوى المادية بقصد تدمير معنويات العدو وتحطيم ارادة القتال لديه .

وعليه فقد كان هذا الكتاب الذي يتناول جوانب هذا المجال من الصراع وقد جاء في سبعة فصول مرتبة على النحو التالي :

مدخل عام للحرب النفسية

اساليب الحرب النفسية

وسائل الحرب النفسية

الحرب النفسية الغربية في حرب الخليج الثانية

الحرب النفسية الاسرائيلية واساليب مقاومتها

الحرب النفسية في الاسلام

الحرب النفسية المُضادَّة

وإذ أرجو ان تُغطي هذه المواد موضوع الكتاب ، لأسأل الله تعالى أن يكون فيه النفع المرجو والأثر الطيب وأن يُسَدد على طريق الحق والخير خطانا .

والله من وراء القصد .

المؤلف

عمان ١٩٩٨

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحرب النفسية إلى الغزو الثقافي الألكتروني

ما بين صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبل حوالي ثماني سنوات وصدور هذه الطبعة الجديدة . فقد عايش العالم (انقلاباً) حقيقياً في مجالات وأدوات وأساليب الحرب النفسية .

فلقد شهد العالم العربي والإسلامي في حقبة الاستعمار القديم ألواناً من الغزو الفكري والحرب النفسية بالأدوات والوسائل المتاحة آنذاك ، ومع حقبة الاستعمار الجديد وما يواكبها من تفجّر المعرفة والثورة التكنولوجية وثورة الاتصالات وثورة المعلومات المرافقة فإن أشكال الغزو الفكري والثقافي أخذت أنماطاً وأساليباً حديثة سخّرت لها جميع وسائل الاتصال الالكترونية . فإذا أضيف إلى ذلك أن الغرب وخاصة أميركا هي المُصنّع الأكبر للمعلومات والأخبار والمواد المعرفية المختلفة وفي شتى المجالات وأنه المُصنّع الأكبر لوسائط الاتصال الالكترونية والذي يتحكّم بتدفق الرسائل عبر العالم لأمكننا وصف العملية الموجهة للعالم العربي والإسلامي بالغزو الالكتروني وبكل ما تحمله كلمة الغزو من معانٍ وأبعاد .

كان تفجّر ثورة المعلومات بأدواتها الالكترونية العديدة بما فيها قنوات البث الفضائية عبر التلفزيون ، وشبكات الانترنت والصحافة الالكترونية : وشبكات الاتصال عبر الأقمار الصناعية ، وأجهزة الكمبيوتر المحمول والفاكس والهاتف النقال (الموبايل) . . كان لتفجّر هذه الثورة المعلوماتية الهائلة أثرها في التغيّر الكمي والنوعي . أما التغيّر الكمي فيتمثل بقضايا الاحتكار والإغراق والتبعية . أما الاحتكار فقد نشأ بسبب استغلال الدول المتقدمة امتلاكها لأدوات ووسائط الاتصال المتطورة وقدرتها على الانتاج في مجال المعرفة والمعلومات والأخبار ممّا يؤهلها لتحقيق الأهداف النهائية من الغزو الإعلامي والالكتروني . وأمّا الإغراق الإعلامي فهو النتيجة الطبيعية للتحكم بأدوات ومواد التدفق الإعلامي اللامحدود والموجّه .

أمّا التبعية فهي النتيجة الحتمية لعدم امتلاك الدول المُتلّقية الأدوات والمنتج المعلوماتي والمعرفي والإخباري وبالتالي عدم قدرتها على مواجهة هذا الفيض الهائل من المعلومات والأخبار وكافة أشكال المواد المعرفية اللامحدودة مما يعمل بشكلٍ كبير على إدامة حالة التبعية الإعلامية ومن ثم التبعية الثقافية .

برز التغيّر النوعي لتفجّر ثورة المعلومات في مجالات خطيرة أولها الصبغة الدعائية الموجِّهة لمضمون الرسائل ومحتوى المواد المعرفية ، فالبث الفوري الشامل ذو الصفة الإغراقية الجائحة لم يعد يحصر نفسه بالنقل الموضوعي الحر المحايد بل أصبح محتوى الرسائل كما قلنا ذا صبغة دعائية وسياسية وتربوية واجتماعية . وسمح ذلك تلقائياً بأن يلعب هنا الإعلام دور الموجّه وذلك بهدف إحداث التغيير في الأفكار والآراء والاتجاهات والسلوك وبالتالي إعادة التربية والتثقيف الجماعي كما هو الفردي وفقاً لأهداف الغزو الالكتروني الذي ساعدت تطورات الأحداث السياسية على تحديدها وخاصة انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك الكتلة الشرقية بسقوط جدار برلين في التاسع من تشرين الأول ١٩٨٩ ، وتفجيرات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن وهي ما أسبغت على الإعلام الغربي الطابع السياسي الموجّه وهو ما يمثل تماماً عمليات (الغزو الالكتروني) . والذي تجلّى فيما عُرف بالحرب العالمية الثالثة ضد الإرهاب والتي انصبت فعالياتها على العالم العربي والإسلامي تحت مسميّات عمليات الاصلاح وهو ما أعلنته أميركا على لسان وزير خارجيتها كولن باول في أواخر كانون الأول ٢٠٠٢ تحت مفهوم (البرنامج الأميركي للإصلاحات في العالم العربي) وباسم (مبادرة من أجل شراكة أميركية - شرق أوسطية) ويشمل البرنامج الإصلاحي ثلاثة محاور هي الإصلاح السياسي ويهدف لنشر الديمقراطية ، والإصلاح الاجتماعي ويهدف لنشر الليبرالية العلمانية في مجالات التعليم والثقافة وأنماط الحياة ، والإصلاح الاقتصادي وأدواته العولمة وتحرير الرأسمال ، والخصخصة وبالتالي فبرامج الإصلاحات هي المرادف لفرض النظم والقيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الغربية وهو ما أعلنته كوندوليزا رايس في أيلول ٢٠٠٢ (بأن أميركا تريد أن تصبح قوة مُحَرِّرة ومكرسة للديمقراطية ومُسَيِّرة للحرية في العالم الإسلامي) وتمادى نائب وزير الدفاع بول وولفوفيتز آنذاك ليقول في مطلع شباط ٢٠٠٣ (أن

أميركا بحاجة حقيقية لإصلاح الإسلام)!! وذلك بعد أن عملت الحملات الإعلامية على اتهام الإسلام بأنه الحاضنة المُولِّدة للإرهاب في العالم!

وكان للغزو الثقافي دوره الخطير في تقويض الانتماءات الثقافية والاجتماعية وحتى الدينية من خلال الهيمنة الاتصالية الطاغية وتسخير التكنولوجيا ووسائل الاتصال الجماهيري والتدفق الإعلامي والمعلوماتي وإمطار المجتمعات المستهدفة برسائل إعلامية موجهة ، حيث تهدف عمليات تقويض تلك الانتماءات لصالح الانتماء للقيم الغربية وأنماط السلوك الغربي والثقافة الغربية ، أي إحلال قيم واتجاهات ومواقف شاملة لكافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الغربية المغايرة تماماً لما هو سائد لدى الدول المستهدفة من عمليات الغزو وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية . وهذا كلّه مجتمعاً يعيد التأكيد على خطورة الحرب النفسية وعملياتها المختلفة وأهميتها القصوى للمواطن العربي وبالتالي الاطلاع على أدواتها وأساليبها .

والحمد لله رب العالمين

المؤلف ، عمّان ٢٠٠٧

الفصل الاول

مدخل عام إلى الحرب النفسية

* لمحة تاريخية عن الحرب النفسية
* تعريف الحرب النفسية
* أهمية الحرب النفسية
* صلة الحرب النفسية بالعلوم الأخرى
* صلة الحرب النفسية بعلم النفس العسكري
* صلة الحرب النفسية بالحروب الاخرى
* أنواع الحرب النفسية
* أهداف الحرب النفسية
* مبادىء الحرب النفسية

الفصل الاول

مدخل عام إلى الحرب النفسية

لمحة تاريخية عن الحرب النفسية

اذا كانت الحرب النفسية هي الاستخدام المقصود لسائر الاساليب غير القتالية التي تؤثر على النتائج النهائية للمعارك فإن هذا الاستخدام قديم ، ويمكن التعرف على ملامح الحرب النفسية الاولى في المدونات التاريخية عن المعارك والحروب فيما استخدمه القدماء من اساليب لتدمير معنويات الاعداء وشل قدرتها القتالية .

وقد مرت الحرب النفسية بأطوار فمن العهود القديمة إلى عهد الفراعنة ، فاليونان ، فالرومان ، فالعهد الاسلامي ، فالعهد الحديث .

استخدم الفراعنة الصحافة والدعاية منذ سبعة وثلاثين قرناً كما اهتم اليونانيون بالخطابة حتى قال سقراط «كانت الخطابة هي صاحبة الشأن في الجمهوريات القديمة فقد كان كل شيء في يد الشعب وكان الشعب في أيدي الخطباء» ، وكذلك اهتم الرومانيون بالصحافة حتى كانت تصدر في بعض عهودهم صحيفة للحوادث اليومية . والصحافة ـ كما هو معلوم ـ وسيلة من وسائل الدعاية والحرب النفسية .

اما المدونات الصينية فتظهر اهتمامهم الكبير بالحرب النفسية ويتضح ذلك فيما كتبه قائدهم العسكري صن تزو في كتابه (فن الحرب Ping - Fa) في القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد اسهب في وصف استخدامات الاساليب النفسية والقوة المعنوية في الحروب والمعارك[١] .

اما تاريخ الحرب النفسية في العهد الاسلامي فهو بَيّنٌ واضح حيث جاء الاسلام محدثاً ثورة هائلة في شتى المجالات ، وقد اولى في مجال العسكرية الجانب المعنوي عنايته القصوى . ومن كتاب الله والسنة المطهرة والمؤلفات الاسلامية في تلك الاوقات يخرج المعني بالحرب النفسية بنظرية متكاملة في هذا المجال ، ومن تلك المؤلفات (عيون الاخبار)[٢] لابن قتيبة

---

(١) مجلة استراتيجيا ، العدد ٥٢ أذار ١٩٨٤ . مقالة (صن تزو : أبو الاستراتيجية) حسن حسن .

(٢) ابن قتيبة الدينوري . عيون الاخبار .

الدينوري حيث أفرد بابا من كتاب الحرب للاساليب النفسية والمعنوية عنوانه (مكايد الحروب وحيلها) مما يجعلنا نؤكد على ان المفكرين المسلمين كانوا اكثر تخطيطاً وتنظيما في مجال الحرب النفسية ممن سبقوهم او عاصروهم حيث دون المسلمون العمليات العسكرية والنفسية وطوروا الاساليب القتالية ومعها الاساليب النفسية . وقد اهتدى المسلمون في ذلك بالتوجيه الالهي في القرآن الكريم ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ . وقد استخدم الرسول ﷺ الاساليب النفسية كما تم في فتح مكة حيث أمر الرسول باشعال عشرة الاف شعلة من النار حتى يراها المشركون فتخور عزائمهم كما أمر الرسول ان تمر السرايا المدججة من أمام أبي سفيان حيث رجع الى قريش يخبرهم بما رأى وان الرسول ﷺ قد جاءهم بجيش لا قبل لهم به فانهارت المعنويات وتم الفتح .

استعمل التتار في وقت لاحق اسلوب الارهاب وبث الرعب كجزء اساسي من اساليب القتال التقليدية السائدة آنذاك في القرن الثالث عشر الميلادي ، حيث كان جنكيز خان يعد حملته النفسية وهو يجهز جيوشه للغزو .

اما في العهد الحديث فقد كانت الحرب العالمية الاولى والثانية مجالا تجريبياً ضخماً أثرى الحرب النفسية بالاساليب والوسائل . حيث رافق تطور اساليب الحرب التقليدية تطوراً في مجالات هامة أثرت على تطوير الحرب النفسية كتقدم الاتصالات ووسائل الاعلام والعلوم التقنية وازدهار علم النفس والعلوم الاخرى ذات الصلة كذلك . ومع بداية الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص بدأ استخدام الحرب النفسية على نطاق مبرمج وواسع جداً وعلى نحو علمي مدروس لتخرج الدول من الحرب بمفاهيم متكاملة في هذا المجال تعتبر الاساس لتطور مدارس خاصة بكل منها حيث يعرف ما يمكن تسميته بالحرب النفسية الامريكية ، والحرب النفسية الالمانية ، والروسية وغيرها مما تتبناه اليوم دول الشرق والغرب لتستخدمه في مجال القوة المعنوية إلى جانب القوة العسكرية .

تعريف الحرب النفسية

يعرف لينبارجر الحرب النفسية انطلاقا من مفهومين : ضيق وواسع فهي في المفهوم الضيق : «استخدام الدعاية ضد العدو مع اجراءات عملية ذات طبيعة عسكرية او اقتصادية او سياسية مما تتطلبه الدعاية» . اما في المفهوم الواسع فهي «تطبيق لبعض اجزاء علم النفس

لمعاونة المجهودات التي تبذل في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية»[1] .

ويورد الدكتور احمد نوفل في كتابه الحرب النفسية تعريف الموسوعة العسكرية كما ورد في الجزء الاول باعتبارها : (مجموعة الاعمال التي تستهدف التأثير على افراد العدو بما في ذلك القادة السياسين والافراد غير المقاتلين بهدف خدمة اغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب)[2] .

ويعرفها الدكتور احمد بدر بقوله : (انها حرب هجومية يخوضها جيش باسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم قوة المقاومة المعنوية في جيش العدو وفي السكان المدنيين ، وتخاض هذه الحرب للتقليل من نفوذ العدو في اعين الدول المحايدة) .

ويعرفها الدكتور فخري الدباغ في كتابه الحرب النفسية بتعريف مشابه إلى حد ما مع التعريف الذي يجمع عليه المهتمون والعاملون في هذا المجال . فالحرب النفسية هي **(الاستخدام المخطط المدروس للدعاية وسائر الاساليب الاعلامية المصممة للتأثير على الاراء والاتجاهات وسلوك الجموعات العدوة والصديقة والمحايدة وفرض ارادتنا عليها لتحقيق اهداف الدولة)** .

ومطابق لهذا التعريف ما ورد في قاموس المصطلحات الحربية لوزارة الحرب الامريكية عام ١٩٥٥ . وكذلك لما ورد في قاموس المصطلحات العسكرية تأليف محمد فتحي أمين حيث عرفها بقوله : (انها الاستخدام المدبر للدعاية أولأيّة تأثيرات نفسية اخرى والمعدة لاسناد السياسة السائدة بتأثيرات على آراء وعواطف وموقف وسلوك العدو والفئات المحايدة والصديقة في وقت الطوارىء او الحرب بحيث يتم دعم الوصول للاهداف القومية)[3] .

---

(١) احمد نوفل . الحرب النفسية (الكتاب الاول) دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٥ .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) قاموس المصطلحات العسكرية . الفريق الركن محمد فتحي أمين .

صلة الحرب النفسية بالعلوم المختلفة [1].

هذا الموضوع لحيوتيه يتصل نسبه بعدد من المعارف والعلوم ترفده وتوسع دائرته ، وتنفع المتصل بموضوع الحرب النفسية دارساً أو ممارساً . وكما يقول الدكتور أحمد بدر : «فإن الحرب النفسية تعتبر جزءاً من النشاطات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي تتم خلال الحرب الفعلية أو الحرب الباردة[2]» ، فالحرب النفسية تتصل بعلم السياسة ، من حيث إن الحرب النفسية في النهاية تقوم بخدمة سياسة الدولة المصدرة لها والقائمة عليها ، ولا تنكر الوظيفة السياسية للحرب النفسية ، ولا ريب كذلك أن سياسة الدولة المصدرة للحرب النفسية هي التي تضع الإطار والضوابط للحرب النفسية .

«وتتضمن الحرب النفسية بعيدة المدى نشر الأخبار بطريقة مستمرة وبوسائل شتى بغرض مساعدة السياسة الخارجية للدولة ، ورفع سمعتها والحصول على العطف والتأييد»[3] .

ويمكن أن تكون الحرب النفسية بحثاً متصلاً بالعلوم العسكرية ، وهذا ظاهر ، فصلة الحرب النفسية بالثقل العسكري للدولة ولاستراتيجيتها وتكتيكها أمر لا مرية فيه ، بل أكثر من هذا أن الحرب النفسية جزء متمم للحرب العسكرية ، والذين بالغوا في تقدير الحرب النفسية جعلوا الحرب المادية والقوة العسكرية وسيلة رافدة للحرب النفسية ، والفريق الآخر على العكس جعل جهاز الحرب النفسية تابعاً للقيادة العسكرية ، والحرب النفسية نفسها جزءٌ من الحرب ، وهي تخدم في النهاية الاستراتيجية العسكرية للأمة .

«والحرب النفسية تعتمد على معرفتها بأن فرص نجاح العمليات العسكرية تزيد مع تحطم الروح المعنوية للعدو»[4] .

ويمكن أن نستشهد في حربنا النفسية بشواهد من التاريخ ، ويمكن أن نستخلص من

---

(١) د . أحمد نوفل ، الحرب النفسية ، الكتاب الأول ، دار الفرقان ١٩٨٥ عمان ، وارجع ايضاً الى د . محمد حجار ، مجلة الدفاع العربي ، العدد أذار ١٩٨٥ (مجالات إسهام العلوم السلوكية والاجتماعية في الحروب) .

(٢) د . أحمد بدر : الاتصال بالجماهير ص ٢٠٥ .

(٣) الحرب النفسية جـ ١ ص ٩٢ .

(٤) د . أحمد بدر : الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ، ص ٢٠٦ .

التاريخ نظرية للحرب النفسية وأساليبها . فهي إذن متصلة بقوة بموضوع التاريخ ، منه تستمد الشواهد وتستفيد الخبرة والتجارب ، وتستعين به أيضاً في معرفة جذور الأمة التي توجه لها الحرب النفسية وتشن عليها . وحتى تكون النتائج مضمونة إيجابية كان لا بد من معرفة مكونات شخصية الأمة التي نحاربها ، وهذا يتأتى لنا بدراسة التاريخ .

«وإذا كانت أحداث التاريخ تستطيع أن تقدم ما حققته تلك الحرب في شتى الظروف والعصور فإنه يظهر جدوى البحث في الماضي كي نعرف الجانب التاريخي من هذه الحرب ، ويكون هذا عاملاً من عوامل فهمها وبالتالي مقاومتها»[1] .

والحرب النفسية تكاد تكون إعلاماً ، فلا غرو أن تكون على صلة وثقى بالإعلام والدعاية وفنون الاتصال ، وأساليب الإقناع ، والتأثير على الجماهير .

والإعلام غدا علماً تنشأ له كلياته ، وكلما زاد خبير الحرب النفسية صلة بموضوع الإعلام ووعياً عليه وعلى الأدوات والوسائل والتكتيكات المتبعة فيه كان أقدر على ممارسة الحرب النفسية وأكفأ في مغالبة الخصوم في هذا الميدان .

«والحرب النفسية عملية اتصال أكبر من الدعاية ، فهي دعاية مربوطة بالاستراتيجية العسكرية والسياسية والاقتصادية . . .»[2] .

وأما عن التكنولوجيا والوسائل المتطورة ، فهذه هي الأجنحة والأذرع التي تحمل الحرب وتحلق بها في سماء الناس ، وتوصلها وتطلع عليها أكبر عدد ممكن ، ومن غاب عن تكتيكات وابتكارات التكنولوجيا الحديثة في علم النشر والتأثير والتوصيل والإيحاء وحفظ المعلومات ، كان كداع إلى الهيجاء بغير سلاح .

إن الحرب المادية الآن والنفسية على حد سواء تعتمد إلى حد كبير على التكنولوجيا الحديثة والأجهزة المتطورة السلكية واللاسلكية والوسائل السمعية والبصرية .

ولعل أمسَّ العلوم رحماً وأمتنها صلة بالحرب النفسية ، علم النفس بفروعه المختلفة ، وخاصة علم النفس العسكري أو الحربي ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس التربوي ، وعلم الاجتماع العسكري . «والحرب النفسية هي استخدام علم النفس بصفة عامة وعلم

---

(١) الحرب النفسية لصلاح نصر ، جـ ١ ، ص ٧ .

(٢) د . أحمد بدر : الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ، ص ٢٠٦ .

النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر»[1] . و «إن شن أية حرب نفسية ضد عدو ما يعني وجوب معرفة الخصم ، أي دراسة الجانب النفساني ، لأنه يمثل المدخل الذي يحكم السلوك لدى الطرف الآخر ، وهنا تبرز أهمية علم النفس والمدرسة السلوكية كإحدى الأسس المهمة لفهم وشن الحرب النفسية الحديثة»[2] .

بل إن الدكتور مصطفى زيور يذهب بعيداً حين يقول : «فعلم النفس وحده ، بما يدرس من حوافز السلوك الإنساني بوجه عام ، وما يضع من أساليب دقيقة لقياس مقدرات الأفراد واستعداداتهم وما يتوصل إليه من فهم لروح الجماعات ، هو الذي يستطيع أن يسدد الخطى نحو الوفاء بمطالب الحرب والحياة العسكرية في العصر الحديث . وهذا ما فطن إليه أولو الأمر في أوربا وأمريكا ، فعنوا بالبحوث النفسية يجرونها على الأفراد والجماعات ، واهتموا باستيفاء حاجة الجيوش من الأخصائيين النفسيين اهتمامهم بتوفير ما تحتاج اليه هذه الجيوش من عسكريين فنيين ، ومن هنا جاءت الأهمية التي اكتسبها علم النفس العسكري أبان الحربين العالميتين الأخيرتين وما بعدهما»[3] .

أما علم النفس الاجتماعي فمهم لموضوع الحرب النفسية لأن «لدراسة السلوك الاجتماعي أهمية كبيرة في دراسة الحرب النفسية ، فهي تحل كثيراً من المشكلات ، وتمكن من تفهم أصول الموضوع»[4] .

ثم يذكر صلاح نصر بعد قوله السابق : أن هناك عوامل رئيسة تحدد سلوك الإنسان بصفته عضواً في الجماعة التي يعيش فيها والتي تعتبر هدفاً للحرب النفسية .

ثم يذكر بعد ذلك : أن علم الاجتماع يهتم بدراسة تركيب التنظيمات الاجتماعية ، ووظيفتها ، والأنواع المختلفة لسلوك الناس داخل منظمات محددة .

أما علم النفس الاجتماعي فيختص بكل مظهر من مظاهر سلوك الفرد في المجتمع . ثم يشير إلى أن العلاقات البشرية الآن وعلى أي مستوى مشحونة ومفعمة بالاضطراب والخوف ،

---

(١) د . حامد زهران : علم النفس الاجتماعي ، ص ٣٣٥ .
(٢) د . رفيق سكري ، من دراسته في جريدة القبس سنة ١٤٠٣ ، عدد ١ رمضان .
(٣) د . مصطفى زيور ، من مقدمة كتاب : فصول في علم النفس العسكري لمؤلفه : محمد عاطف السعيد ، من سلسلة : مكتبة الدراسات النفسية والاجتماعية التي يشرف عليها مصطفى زيور ، كتاب رقم ٤ ، القاهر ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط ١ ، سنة ١٩٥٩ .
(٤) صلاح نصر : الحرب النفسية ، جـ ١ ، ص ١٦ .

ونتيجة لذلك ازداد عدد الناس الذين يتجهون إلى علم النفس الاجتماعي طالبين إمدادهم بحل ما . كما ارتفع مركز هذا العلم في هذا العصر ، وأصبح موضوعه يجتذب عدداً متزايداً من الطلبة في كل أنحاء العالم ، ويعتبر العدد الكبير من المراجع والكتب العامة التي تتعلق بالنواحي المختلفة للموضوع والمنتشرة الآن شهادة أخرى على شعبيته المتزايدة»(١) .

«والواقع أن الفرد يستطيع أن يعتمد على الثقافة كموجه لسلوكه كما أن لها تأثيراً كبيراً على السلوك الاجتماعي . والتعلم هو الوسيلة التي عن طريقها يتشرب المرء عناصر ثقافته ، والتعلم من أكثر موضوعات علم النفس التي أجريت بشأنها التجارب»(٢) .

أما علم النفس الحربي فيعنى «بتطبيق مبادىء علم النفس في الجيش لزيادة كفاية القوات المحاربة ، وهو يستخدم الاختبارات السيكولوجية لاختيار أصلح الجنود والضباط ، وتوزيعهم على الوحدات المختلفة بما يتناسب مع قدراتهم واستعدادتهم .

وهو يطبق أيضاً مبادىء التعلم على برامج التدريب العسكري ليضمن نجاح هذه البرامج وتحقيق أهدافها ، وهو يبحث كثيراً من المشكلات السيكولوجية المتعلقة باستخدام الحواس في ميدان القتال حتى يستطيع المقاتلون أن يستخدموا حواسهم في ميدان القتال على أحسن وجه ، وهو يدرس أيضاً سيكولوجية القيادة ، والروح المعنوية ، والدعاية ، والحرب السيكولوجية ، ويعنى علم النفس الحربي أيضاً بعلاج المصابين بالصدمات النفسية الناشئة عن أهوال القتال ، وبتوجيه العائدين من القتال وخاصة المشوهين منهم ، وبتأهيلهم للحياة المدنية»(٣) .

ويلخص محمد عاطف السعيدمؤلف كتاب «فصول في علم النفس العسكري» تطور البحث في علم النفس الحربي فيقول : «انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر ١٩١٨ ، وكان علم النفس الحربي قد خطا خطوات طيبة في الجيش الأمريكي إلا أنه لم يكن قد ثبت أقدامه بعد كما أنه لم يدخل مجال العمل في القوات البحرية . وتوقف البحث النفسي بانتهاء الحرب ، وعاد السيكولوجيون إلى جامعاتهم ، وكأنما أحس أحدهم بما سيحدث نتيجة لذلك التوقف فكتب يقول :

«إن الخطر الحربي في سنوات السلام القليلة القادمة يكمن في تناقص عدد الضباط

---

(١) الحرب النفسية ، جـ ١ ، ص ١٦ ـ ١٧ .
(٢) السابق جـ ١ ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
(٣) د . محمد عثمان نجاتي : علم النفس في حياتنا ، ص ٢٤ ، القاهرة ، ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٦١ .

القادرين على القيام بأعباء الأبحاث النفسية من بعد مرور الأزمة الحالية ، وأخشى أن تبدأ أمة إقامة علم نفس حربي سليم يكون أشد فتكاً من أضخم المدافع ذلك لأن مجهوداتنا مهما كانت قيمتها وامتيازها إنما هي البدايات الأولى الفجة لهذا العلم» .

وقد حدث فعلاً ما توقعه ؛ إذ اتخذ الألمان الوسائل العلمية النفسية لا لإقامة جيش قوي فقط ولكن لتعبئة الأمة الألمانية كلها للحرب العالمية الثانية .

كانت النازية تعد ألمانيا إعداداً شاملاً للحرب . فنشأ الاهتمام بعلم النفس الحربي كجزء من خطة عامة أقامها النازيون لتعبئة الدولة كلها تعبئة نفسية للقتال ، وبذلك اتجهت أبحاث الألمان إلى دراسة عميقة لكثير من الظواهر النفسية الاجتماعية وخاصة ما تعلق منها بفن القيادة (السياسية والعسكرية) والروح المعنوية (المدنية والعسكرية أيضاً) وسيكولوجية القتال والدعاية (جهاز الدعاية الألماني المشهور تحت إشراف جوبلز)(١) .

وبينما قل الاهتمام في بريطانيا والولايات المتحدة بالأبحاث النفسية العسكرية استطاعت ألمانيا أن تستفيد من نشاط علم النفس المهني على أوسع نطاق في بناء قواتها المسلحة فكان لكل فرع من هذه القوات قسم للخدمة النفسية ، وكان البحث النفسي يتناول موضوعات شتى ، وعملت هذه الأقسام تحت إشراف هيئة عامة للشؤون السيكولوجية تتبع وزارة الدعاية ، ووضعت هذه الهيئة سياسة عامة للبحث شملت المسائل الأساسية الآتية :

أ ـ الاختبارات النفسية للانتقاء .

ب ـ الروح المعنوية الدفاعية .

جـ ـ الروح المعنوية الهجومية . وتتعلق بالتأثير على الروح المعنوية للعدو بقصد إضعافها .

وشمل البحث أبحاثاً كثيرة مثل شؤون التعبئة ، وسيكولوجية الحياة العسكرية ، وسيكولوجية القتال وما يتعلق به من ظواهر نفسية (كالخوف ، والإشاعات ، المفاجأة ، انتظار الهجوم ، الرعب . . .)(٢) .

---

(١) راجع لمعرفة هذه الشخصية الدعائية كتاب : الدكتور غوبلز : وزير دعاية هتلر ، من سلسلة قادة الحرب ، ترجمة : كمال عبدالله ، بيروت : المكتبة الحديثة ، ويصفه الكتاب بأنه أكبر دعائي في القرن العشرين ، وعندما سقطت ألمانيا أمر غوبلز طبيبه الخاص أن يقتل أطفاله الستة وأن يقتله وزوجه ثم يحرقهما بالنار ، راجع الكتاب المذكور ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢) فصول في علم النفس العسكري ، ص ٢٤ ـ ٢٧ .

«إن علم النفس أقرب العلوم كلها إلى عمل رجل الدعاية، بالرغم من أنه لا يعدم الصلة بكثير من العلوم الأخرى، فالحرب النفسية لا يمكن فصلها عن علم الأنثروبولوجي الذي يبحث في نواحي الإنسان الفسيولوجية، والتاريخية، والتقسيمات الجغرافية، والأجناس المختلفة، ولا عن علم الاجتماع الذي يبحث في دراسة الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً له أوجه نشاط مختلفة.

كذلك فإن علم الاقتصاد وثيق الصلة برجل الدعاية، فهو لا يستطيع أن يعزل نفسه عن الفاعليات الاجتماعية التي لها صلة بالإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك، والرخاء. إن جميع الأخصائيين في هذه العلوم يسهمون بشيء كبير في الحرب النفسية، ولكننا نستطيع أن نقول: إن علم النفس هو الذي يشير إلى ما يحتاج إليه رجل الدعاية من هذه العلوم الأخرى، وفي هذا المجال يجب ألا ننسى الدور الكبير الذي ساهم به علم النفس حديثاً فيما يسمى عملية غسيل المخ..[1]

خلاصة القول: أن «التطور الهائل في جميع فروع المعرفة أثر في إدارة الحرب النفسية»[2].

* * *

وحيث تعرفنا على صلة الحرب النفسية بالعلوم المختلفة، لابد من وِقْفةٍ خاصة مع علم النفس العسكري للتعرف على صلة الحرب النفسية بهذا العلم الذي هو فرعٌ من علم النفس والتي - أي الحرب النفسية - هي فرعٌ من علم النفس العسكري.

---

(١) الحرب النفسية، صلاح نصر، جـ ١، ص ١١٨ - ١١٩.
(٢) السابق جـ ١، المقدمة.

صلة الحرب النفسية بعلم النفس العسكري

للتعرف على موقع الحرب النفسية من علم النفس العسكري لا بد من استعراض علم النفس العسكري تاريخياً أولاً ثم من حيث اهتماماته وتطبيقاته العملية ثانياً [١] .

تاريخ علم النفس العسكري

الحرب وعلم النفس قديمان قدم المجتمعات البشرية نفسها ، الاّ أن تاريخ الحرب يعتبر أقدم من تاريخ علم النفس اذا أخذنا في الاعتبار عوامل مثل البحث المقصود والدراسة والاستخدام والتجديد والتدوين وغيرها من العوامل ، حيث أن ما نعرفه اليوم في علم النفس قد عرف بعضه تحت اسماء وعناوين اخرى ، كما تناولته دراسات مختلفة كالفلسفة والدين وعلم الاخلاق والآداب والسياسة والطب وغيرها ولم ينفصل علم النفس عن الفلسفة ، وهي بمثابة الأم لهذا العلم إلاّحديثاً ، فقد شهد البداية العملية في اواخر القرن الماضي ليقفز قفزاته الواسعة في مضمار التطور في اواخر النصف الاول وبداية النصف الثاني من هذا القرن .

إن تاريخ علم النفس العسكري هو تاريخ علم النفس الحديث في مجال القوات المسلحة . فقد كان للجيوش دور كبير في تطور علم النفس من حيث الدراسة والبحث ومن حيث التوصل إلى نتائج ومعطيات جديدة في مجالات عديدة فقد ظهرت لدى الجيوش الاوروبية والامريكية خاصة ، الحاجة إلى تطبيقات واستخدامات معينة في المجال النفسي وذلك للوصول بقواتها إلى أعلى مستوى ممكن من حيث اللياقة والكفاءة ، فكان أن عمدت إلى علماء النفس ليضعوا الاختبارات ويصمموا المقاييس ويباشروا العمل بالكثير من الامور التي تدخل ضمن اختصاصاتهم وحدهم ، وقد نتج عن هذا عدة أمور :

أ - فمن جهة كان أن طورت أساليب وابتكرت وسائل وفتحت أمام هؤلاء الاختصاصيين آفاق جديدة للعمل والبحث والدراسة .

---

(١) لهذا الفصل تم الرجوع إلى عشرات المقالات من مجلة الدفاع العربي وبشكل خاص مقالات د . محمد حجار من سوريا . وكذلك مقالات مجلة الحرس الوطني السعودية ، واستراتيجيا ، وغيرها من المجلات العسكرية المتخصصة .

ب ـ ومن جهة أخرى فقد تم التوصل إلى الكثير من النتائج والحقائق العلمية في المجال النفسي ما كان أن يتوصّل اليها من غير هذا التوجه العام في القوات المسلحة ، فقد كانت الاخيرة حقلاً خصباً للدراسة والبحث والانتاج .

جـ ـ ومن جهة ثالثة فقد انعكس هذا التطور على كلا الحقلين : على علم النفس من جهة حيث تولّد عنه فرع هام وأساسي هو علم النفس العسكري ، فبدأ يحبو كالوليد ثم مالبث أن شبّ على قدميه في بداية الربع الاخير من القرن الحالي . كما انعكس التطور على القوات المسلحة نفسها حيث تم ابتكار الاساليب وتطوير الادوات النفسية في جميع المرافق والحقول العسكرية ، كالإنتقاء والتصنيف المهني ، والتدريب والتعليم ، والتكيف والانضباط وسائر المجالات والميادين الأخرى .

من هنا فإنه يمكننا القول أن تاريخ علم النفس العسكري هو تاريخ علم النفس الحديث من حيث التطبيق والممارسة ومن حيث الوصول إلى الحقائق والنتائج العلمية الجديدة في مجال القوات المسلحة . ومن هنا أيضاً كان استعراضنا التالي لتاريخ علم النفس العسكري هو في كثير من جوانبه استعراض لاستخدامات وتطورات علم النفس في الميدان العسكري :-

١ ـ فترة الحرب العالمية الأولى

تطورت الاسلحة التقليدية كما برزت إلى حيز الوجود في الحرب العالمية الاولى أسلحة جديدة كالطائرات والدبابات والغواصات ، مما فرض على القادة اللجوء إلى علماء النفس لاختيار وتوزيع الافراد (الانتقاء والتصنيف المهني) ، بحيث يوضع الشخص المناسب في المهنة المناسبة لقدراته وقابلياته العقلية . فبدأ هؤلاء العلماء في كل من بريطانيا والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة بوضع الاختبارات لبعض المهن العسكرية ، وشكلت في الولايات المتحدة لأغراض الانتقاء والتصنيف سبع عشرة لجنة للابحاث النفسية ، وقد طبقت الولايات المتحدة عام ١٩١٧ اختباراً عقلياً على حوالي مليوني جندي وكان على نوعين : ألفا وبيتا ، وطبق الاول على الذين يتقنون القراءة والكتابة وطبق الثاني على الأميين . وقد أثبت الاختبار نجاحه في التمييز بين مستويات ثلاثة في الذكاء المستوى الممتاز والمستوى المتوسط والمستوى المنخفض . مما حقّق الاتزان في التوزيع على الوحدات المختلفة وتعيين افراد المستوى الواحد مع بعضهم البعض مما أوجد جماعات متجانسة يسهل تدريبها .

٢ ـ فترة ما بين الحرب العالمية الاولى والثانية

مع توقف الحرب توقف الاهتمام بالابحاث النفسية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة حتى قال أحد الباحثين : «أن الخطر الحربي في سنوات السلام القليلة القادمة يكمن في تناقص عدد الضباط القادرين على القيام بأعباء الأبحاث النفسية من بعد مرور الأزمة الحالية . وأخشى أن تبدأ أمة أخرى في الأبحاث النفسية من حيث توقفنا بعدما انقضت الأزمة ، وقد تستطيع هذه الأمة اقامة علم نفس عسكري سليم يكون أشد فتكاً من أضخم المدافع ، ذلك لأن مجهوداتنا مهما كانت قيمتها وامتيازها انما هي البدايات الاولى لهذا العلم» . وقد صدق ظن هذا الباحث وان ما توقعه وكان يخشاه قد حدث عندما أدارت ألمانيا دفة الابحاث النفسية لتستخدمها في بناء الجيش والدولة على حدّ سواء ، فبعد ان انتهى الالمان من بحث أسباب هزيمتهم في الحرب العالمية الاولى اتجهت سياستهم إلى تنشئة جيل يعتمد عليه في الحرب قوة وتكاملاً واخلاصاً ، واتخذت المانيا من الوسائل العلمية النفسية طريقة لاقامة جيش قوي كجزء من الخطة العامة لتعبئة الأمة كلها تعبئة نفسية للقتال . وقد انتظمت النشاطات النفسية الالمانية في مجالين :

أ ـ مجال الحرب النفسية

واتجهت الابحاث النفسية في هذا المجال إلى دراسة عميقة للظواهر النفسية الاجتماعية وما يتعلق منها بفن القيادة (السياسية والعسكرية) ، وسيكولوجية الدعاية ، والروح المعنوية الدفاعية (هي التي تتعلق برفع الروح المعنوية للالمان) والهجومية (وتهدف إلى إضعاف وتحطيم معنويات الاعداء) ، وأساليب الحرب النفسية الاخرى كالاشاعة .

ب ـ مجال الحرب التقليدية :

استفادت المانيا من نشاط علماء النفس المهني في بناء قواتها المسلحة حيث كان لكل فرقة من قواتها قسم للخدمة النفسية ، وعملت هذه الاقسام تحت اشراف هيئة عامة للشؤون النفسية حيث شملت أعمالها ونشاطاتها الاختبارات النفسية للاختيار والتصنيف المهني ، وانصب الاهتمام في هذه الاختبارات النفسية لانتقاء الصفات الشخصية العسكرية الصلبة والمزاج القوى . كما شملت هذه النشاطات دراسة شؤون التعبئة وتحليل اعمال الجيش وخدماته ، وسيكولوجية القتال وما يتعلق به من ظواهر نفسية كالخوف والمفاجأة والترقّب ،

وسيكولوجية الحياة العسكرية بما تتضمنه من مظاهر كالعلاقات بين الضباط والجنود ، والحنين إلى المنزل .

٣ ـ فترة الحرب العالمية الثانية

ان التطور الاكبر الذي شهده علم النفس العسكري في الحرب العالمية الثانية حدث في مجال الحرب النفسية والدعاية السياسية ، وذلك في كلا الجانبين المتصارعين (دول المحور والحلفاء) . ففي ألمانيا كانت نتائج الابحاث السابقة قد أرست أسساً قوية للعمليات النفسية ، واضطلع الدكتور غوبلز وزير الدعاية بهذه المهمة . اما في الجانب الآخر فقد انتظمت معالم الاستراتيجية النفسية الامريكية خلال الحرب حيث تمحورت حول تدمير معنويات الاعداء ودفعهم إلى الاستسلام ، وذلك بقيام الولايات المتحدة بحملاتها النفسية دعماً ومساندة للمجهود القتالي العسكري . فقد تخطى علماء النفس تقنيات الاختيار والتصنيف المهني إلى الدراسات الخاصة لمعرفة افضل التقنيات النفسية للتأثير على مواقف واتجاهات وسلوك الاعداء والحايدين والاصدقاء ، لاعداد البرامج الدعائية التي توجه إلى كل فئة منها ، ولاعداد الخطط التضليلية العسكرية بالتعاون ما بين الاختصاصيين النفسيين والعسكريين .

٤ ـ فترة الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣)

حظي علم النفس العسكري بطفرة جديدة وكبيرة في مجالات البحث والدراسة في شتى الميادين وذلك في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، والتي تعتبر فترة ترعرع هذا العلم وفتوته ، حيث ظهرت من جديد الجهود الجماعية للإختصاصيين النفسيين ، والتي برزت في مجالات عدة . ففي مجال الحرب النفسية تعتبر الحرب الكورية البيئة الخصبة التي نما وازدهر فيها ما سمي بغسل الدماغ عندما تعرض الاسرى الامريكيون لهذه العملية من الإقناع القسري المقنن ، والتي اصبحت تمتلك تقنياتها الخاصة ،وفي مجال الاختيار والتصنيف المهني فقد ظهرت الحاجة مجدداً لذلك وعلى نحو اكثر تخصصاً ودقة كما حدث في اختبارات انتقاء الطيارين المقاتلين وغيرها من المهن الدقيقة . وفي مجال الحياة العسكرية وسيكولوجية القتال فقد عاد علم النفس العسكري أشد تركيزاً وأعمق بحثاً في مواضيع وظواهر مثل الضغوط

---

(١) مقالات د . محمد حجار . مجلة الدفاع العربي اعداد ايلول ، تشرين اول ، تشرين ثاني ١٩٨٩ (القصة التاريخية لعلم النفس العسكري في القوات المسلحة الامريكية) .

النفسية ، وآثار القتال على سلوك المحارب واتزانه النفسي ، وإعياء أو انهاك المعركة ، وعصاب الحرب (الامراض النفسية الناتجة عن الحرب) وغيرها من المواضيع .

٥ ـ فترة الحرب الفيتنامية [١] (١٩٦٥ ـ ١٩٧٥)

كان الاهتمام بالدراسات والبحوث النفسية في المجال العسكري قد نما في اوروبا ، الاّ أنه ترعرع وازدهر في الولايات المتحدة ، ولكن عقب الحرب الكورية بدأت البحوث والدراسات النفسية تتضاءل وتنكمش فيها بسبب التناحر والتضارب ما بين القوى السياسية والعسكرية الامريكية ، حيث انعكس ازاءها أثر التخبط والصراع سلبياً على الابحاث العسكرية في المجالات النفسية ، وتضاءلت المخصصات المالية لهذا الغرض على المستويات الرسمية (وزارة الدفاع) والاكاديمية (الجامعات) . وهكذا دخل علم النفس العسكري في أكبر أزمة عانتها القوات المسلحة الامريكية إلى أن نشبت الحرب الفيتنامية ، فبعثت معها الدراسات النفسية حيث كان للعمليات النفسية (الدعاية والحرب النفسية) ودراساتها النصيب الاكبر ، وكان لوكالة الاعلام الامريكية الباع الطويل في ما نفذ من عمليات نفسية في فيتنام آنذاك ، وكانت تلك الوكالة قد شكلت عام ١٩٥٣ واسند اليها واجب اعداد البرامج الثقافية والاعلامية التي تهدف إلى كسب الدعم للسياسات الامريكية في البلدان الواقعة فيما وراء البحار ، حيث اضيفت الدعاية السياسية إلى الحرب النفسية التقليدية . وكانت أمريكا قد استفادت من الخبرات النفسية الدعائية البريطانية ـ عندما تصدت الاخيرة للثورة الشعبية في الملايو ١٩٥١ ـ ١٩٥٦ ، ومن خبرات الحكومة الفلبينية عند تصديها للحركة الثورية ١٩٤٦ ـ ١٩٥٤ . وقد أفرزت الحرب الفيتنامية قضايا جديدة للمهتمين والاختصاصيين في علم النفس العسكري كظاهرة اللاجئين والفارين إلى فيتنام الجنوبية مما تمخض عنه ما عرف بمعسكرات الاستقبال وظاهرة الاسرى الامريكيين مما تمخض عنها دراسات نفسية لأسرى الحرب ، حيث استمرت هذه الدراسات إلى ما بعد الحرب واعتبرت أروع انجاز علمي في الحرب الفيتنامية . كما شهدت هذه الفترة تطورات ذات قيمة عالية . فكما ورد في كتاب حرب الدماغ (لبيتر واتسون) فقد ظهرت اهتمامات جديدة لعلم النفس العسكري بالاضافة إلى ما كان من قبل حيث جرى بحث التأثيرات النفسية للاسلحة ، واختيار الرجال للعمل خلف خطوط العدو ،

---

(١) د . محمد حجار مجلة الدفاع العربي أيار ، حزيران ، تموز / ١٩٨٥ مقالات (من ارشيف البنتاغون عن الحرب السيكولوجية في فيتنام) .

والوسائل المساعدة لاثارة نزعة الهروب لدى الاعداء والوساءل المتعلقة بالسيطرة على الخوف في المعارك وغيرها . وبشكل عام فانه ومع انتهاء الحرب الفيتنامية فقد ظهرت اتجاهات جديدة في علم النفس العسكري : المجال الاول برز في اعادة دراسة وتقييم العمليات النفسية (الحرب النفسية والدعاية) على اثر النكوص الذي أصابها في تلك الحرب . والمجال الثاني برز في دراسة ظاهرة الادمان على المخدرات التي ظهرت في الحرب واستمرت بعدها ، وكذلك مجال اعادة تأهيل العائدين من ميادين القتال ، وغيرها من الابحاث والدراسات .

٦ ـ الفترة الحالية

هنالك عدة اعتبارات تدفع بعلم النفس العسكري إلى المزيد من التفرد والتميز ، والى المزيد في التخصص والبحث ، والاهم من كل ذلك تدفعه إلى المزيد من التطبيق والعمل في مختلف الجوانب العسكرية مما سنطالعه في صفحات قادمة ، ومن هذه الاعتبارات مايلي :

أ ـ التطور السريع في الاسلحة والمعدات المترافق مع التطور التكنولوجي المذهل ودخوله مرحلة الكمبيوتر ، حيث أصبحت أسلحة الخمسينات مع هذا التطور تقليدية جداً .

ب ـ تطور المتطلبات البشرية والاحتياجات الفنية من المقاتل ، حيث لم يعد العلم وحده كافياً وانما أصبح التخصص الدقيق الذي يفترض كفاءات عالية المستوى في تلك التخصصات هو المطلوب .

جـ ـ اتساع رقعة الحرب وميادين القتال لتشمل كل ما تصل اليه الاسلحة حتى أن هذا العصر يصح أن يسمى بعصر حرب النجوم ، إذا قصدنا وصف أساليب وأسلحة وميادين الصراع في الربع الاخير من القرن العشرين .

د ـ التطور الذي أصاب علم النفس وميادينه المختلفة ، وهو تطور متزامن مع تطور العلوم الاخرى المتسارع والذي شهده أيضاً هذا الربع الاخير من القرن حتى سمّي بعصّر تفجر المعرفة .

كل هذه الاعتبارات وكثير غيرها دفعت بعلم النفس العسكري لأن يطور من أساليبه ومجالات بحثه وقد اتسعت رقعة الاهتمام به لتشمل معظم دول العالم مما سيقفز معه قفزات

---

(١) مقالات د . محمد حجار . مجلة الدفاع العربي اعداد ايلول ، تشرين اول ، تشرين ثاني ١٩٨٩ (القصة التاريخية لعلم العسكري في القوى المسلحة الامريكية) .

متسارعة ليلحق بجميع مجالات التطور المذكورة ، وليستطيع أن يخدم المتطلبات المستجدة في المجال العسكري .

تعريف علم النفس العسكري

يُعرف الدكتور أحمد نوفل في كتابه الحرب النفسية (الكتاب الاول) ، علم النفس العسكري بما يلي : «هو العلم الذي يعني بتطبيق مبادىء علم النفس في الجيش لزيادة كفاية القوات المحاربة ، وهو يستخدم الاختبارات السيكولوجية لاختيار أفضل الجنود والضباط ، وتوزيعهم على الوحدات المختلفة بما يتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم ، وهو يطّبق أيضاً مبادىء التعلم على برامج التدريب العسكري ليضمن نجاح هذه البرامج وتحقيق اهدافها ، وهو يبحث كثيراً من المشكلات السيكولوجية المتعلقة باستخدام الحواس في ميدان القتال حتى يستطيع المقاتلون ان يستخدموا حواسهم في ميدان القتال على أحسن وجه ، وهو يدرس أيضاً سيكولوجية القيادة ، والروح المعنوية ، والدعاية والحرب النفسية ، ويعني علم النفس الحربي أيضاً بعلاج المصابين بالصدمات النفسية الناشئة عن أهوال القتال ، وبتوجيه العائدين من القتال وخاصة المشوهين منهم ، وبتأهيلهم للحياة المدنية[١]» .

أما موسوعة علم النفس للدكتور أسعد رزوق فهي تعرف علم النفس العسكري بمايلي : هو حقل من حقول علم النفس يتناول المشكلات النفسية داخل القوات المسلحة أو لدى الافراد .

ويعرفه الدكتور فخري الدباغ على النحو التالي : (يقصد بعلم النفس العسكري تطبيقات فروع علم النفس والاجتماع والفسيولوجيا والانثروبولوجيا لخدمة الاغراض العسكرية والمحاربين والروح المعنوية . فهو علم نفس (تطبيقي) بالحقيقه وهو علم نفس (تجريبي) أيضاً لانه يتولى احياناً القيام بابحاث وتجارب لاثبات نظريات واستنباط حقائق جديدة . ونجد في علم النفس العسكري الاختصاص بالمجال العسكري وبالقياده والجماعة والحرب النفسية وكيفية اختيار الكفوئين وسبل المقاومة والصمود والكفاح ، وتصعيد المعنويات وكيفية دحر العدو وتعجيل استسلامه واساليب الإستجواب والاقناع وكسب المرتدين . . . الخ) .

كما يعرفّه بقوله «هو العلم الذي يطبق بحوث علم النفس على تحسين الكفاءة النفسية

---

(١) د . أحمد نوفل . الحرب النفسية . دار الفرقان ، عمان ١٩٨٥

للمقاتل وروحه المعنوية وكيفية خذل العدو وإضعاف معنوياته ودحره»[1] .

ويعرفه الدكتور حلمي المليجي بانه (فرع من فروع علم النفس التطبيقي يبحث في المشكلات السيكولوجيه الخاصة بالقوات المسلحه (فهو يتناول مشكلات الاختبار ، التدريب ، الدوافع ، الروح المعنويه ، والحرب النفسية وغيرها) . . . وانه يتناول الاتجاهات المميزه وانماط التفكير والاتصال في المؤسسات العسكرية) .

بينما يعرفه محمد عاطف السعيد صاحب كتاب فصول في علم النفس العسكري بأنه (علم يبحث في السلوك الاجتماعي والفني للافراد العسكريين ، وما يقوم بينهم من ظواهر نفسيه اجتماعية كالقيادة والروح المعنوية وما يتعلق بهم من شؤون صحية ونفسية وعقلية . . . الخ) .

ويعرفه الدكتور عبد المنعم الشناوي زيدان بمايلي (علم النفس العسكري هو الدراسة العلمية لسلوك أفراد القوات المسلحة ، ولتوافقهم مع البيئة العسكرية التي يعيشون فيها) .

بناء على كل ما تقدم فانه يمكن وضع التعريف التالي لعلم النفس العسكري **(هو العلم الذي يعمل على دراسة واستخدام ما توصل اليه علم النفس لخدمة الاغراض العسكرية . كما يقوم بدراسة المشكلات والعوامل النفسية والقضايا الاساسية الضرورية في المجال العسكري كالقيادة ، والمعنويات ، والحرب النفسية ، والتكيف العسكري والصحة النفسية والانضباط وغيرها مما يساعد على تحقيق الاهداف العسكرية بكفاءة قصوى) .**

أهمية علم النفس العسكري

تتضح الاهمية العلمية والعملية لعلم النفس العسكري في مجال دراسة السلوك الفردي والاجتماعي للافراد في الوحدات والتشكيلات ، بما في ذلك عوامل السلوك كالدوافع والادراك ، وكذلك التفاعل بين الافراد والجماعات في الوحدات العسكرية في أوقات السلم والحرب ، وكذلك في تعميم المواقف التدريبيه وما يستخدمه من اساليب دقيقة لقياس قدرات الافراد واستعداداتهم وكذلك في مجال العلاج النفسي للحالات المرضيه التي تصيبهم في العمليات الحقيقة أو أثناء التدريب ، وغير ذلك مما يساعد على الوفاء بمطالب الحياة العسكرية المتطورة في العصر الحديث .

---

(١) د . فخري الدباغ مقدمة في علم النفس . مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر وجامعة الموصل ، الموصل ١٩٨٢ .

تبرز أهمية علم النفس العسكري كذلك في حاجة القادة والمسؤولين إلى تفهم الطبيعة والنفس الانسانية والعوامل المختلفة التي تشكل السلوك وتؤثر عليه ، مما يمكن هؤلاء القادة من فهم جنودهم فهماً عميقاً ويساعدهم في قيادتهم وتوجيههم على نحو افضل واكمل .

كما تبرز أهمية علم النفس العسكري في حاجة الجنود إلى فهم انفسهم وفهم الاخرين على نحو أعمق مما يساعدهم على التكيف مع الحياة العسكرية ، ويساعدهم هذا الفهم على التعرف على الاحتياجات البشرية والدوافع والانفعالات وغيرها مما يعتمل في النفس ويثير السلوك فعلى سبيل المثال لا الحصر اذا ما أحسَّ الجندي بالخوف يكون قد عرف كيف يتصرف ازاء ما يعتريه من ذلك ، ويكون قد عرف متى يكون الغضب نافعاً ومتى يسبب له المتاعب ، كما يكون قد عرف اسباب القلق والشعور بعدم الطمأنينة وافتقار الامن وكيف يتصرف مع تلك المشاعر والحالات ، كما يكون قد ألم باسباب واثر انفعالات الغيظ والحقد ضد العدو ، وكذلك الانفعال والتهيج من الزملاء وغير ذلك مما يمكنه كما قلنا من التصرف السليم في المواقف المختلفة ومما يؤدي إلى حسن التكيف ومن ثم حسن الاداء .

تتضح كذلك أهمية على النفس العسكري في مجال دراسه العمليات المختلفة التي تؤدي إلى اكتساب افراد القوات المسلحة الاساليب السلوكية الجديدة التي يتوجب عليهم الالتزام بها في الحياة العسكرية ، وهو ما يسمى بالانضباط او الضبط والربط العسكري وهي أساليب سلوكيه تختلف اختلافاً كبيراً عن اساليب السلوك في الحياة المدنية .

ان معرفة العدو معرفة عملية دقيقة أمر ضروري في صراعنا ضده ، فبالإضافة إلى القتال التقليدي فاننا نحتاج إلى شن حرب نفسيه ضده مما يتطلب معرفة الجانب النفسي لهذا العدو معرفة تامة ، وذلك يمثل المدخل الذي يحكم السلوك لدى العدو . وهنا تبرز أهمية علم النفس كاحدى الاسس المهمة لفهمه وشن الحرب النفسية عليه .

مجالات (وظائف واستخدامات) علم النفس العسكري

يعتمد علم النفس العسكري على معطيات ونتائج علم النفس دراسة واستخداماً عندما يتعرض لمجالات خاصة في الحياة العسكرية ، كالانضباط (الضبط والربط) والتكيف العسكري والصحة النفسية في القوات المسلحة وغيرها مما سنتناوله في بحثنا حول استخدامات علم النفس العسكري ووظائفه في القوات المسلحة ، وذلك للافادة من ثمرات هذا العلم للوصول

بها إلى أعلى المراتب كفاية وانتاجاً ، بل ان الامر يتعدى مجرد اعتماد نتائج ما توصل اليه علم النفس في مختلف مدارسه وفي شتى مجالاته وميادنيه ، فقد تجاوز ذلك إلى البحث الخاص والدراسة المقصودة لاستنباط حقائق وطرح نتائج جديدة فيما يتناوله من قضايا ومشاكل خاصة به وما يبحثه من امور تهم القوات المسلحة وحدها ، وهذا ما يجعل من علم النفس العسكري علماً وهو فرع من فروع علم النفس ذلك انه له اتجاهاته واهتماماته الخاصة ، كما يبحث قضايا ومشاكل خاصة به وحده على الرغم من أنه يستخدم وسائل علم النفس ذاتها .
أما مجالاته واستخداماته فهي :

أ ـ الاختيار والتوزيع (الانتقاء والتصنيف) [١] .

تستخدم في هذا المجال مقاييس مختلفة واختبارات شتى : مقاييس الذكاء والاستعدادات والقدرات ، مقاييس الشخصية والاتجاهات والميول ، مقاييس التحصيل والكفاية ، وكذلك مقاييس خاصه تحدد درجة اللياقة النفسية للخدمة . كل هذه المقاييس أو بعضها تستخدم من أجل انتقاء اللائق والافضل لافراد القوات المسلحة . ثم من أجل توزيعهم او تصنيفهم حسب القدرات والاستعدادات والميول بحيث يوضع الفرد الملائم في العمل الملائم مما يحقق التوافق ما بين مطالب العمل ومقتضياته وبين قدرات الفرد الذي يؤديه . وبعبارة اخرى تستخدم هذه المقاييس بحيث يكون العسكري ضابطاً كان أو فرداً ـ متمتعاً بمستوى جيد أو عال من الذكاء ، كما يوجه حسب نتائج هذه المقاييس إلى العمل الذي يتناسب مع قدراته واستعداداته وميوله حتى يحقق الكفاية المطلوبة والنجاح في عمله ، كما توفر هذه المقاييس افراداً ذوي شخصيات مرنة سلوكياً وقادرة على التكيف مع المحيط العسكري في السلم والحرب . كما تستبعد الاختبارات اولئك الاشخاص ذوي الشخصيات التي لديها الاستعداد والقابلية للانهيار النفسي او العصبي في القتال وتحت الضغوط الشديدة التي تحملها ظروف الحرب عادة بين طياتها .

ب ـ التدريب والتعليم

هنالك انواع عديدة من المهارات التي يتحتم علي الجندي اكتسابها ، كما ان ثمة انواع مختلفة من التدريبات والمساقات العملية والدورات ، وعلم النفس العسكري يوفر القاعدة

---

(١) محمد عاطف السعيد . فصول في علم النفس العسكري . وكذلك . د . محمد حجار في مجلة الدفاع العربي أيلول ١٩٨٤ مقال (الفرز والاصطفا ، السيكاتري في مراكز السوق والتطويع) .

العملية السليمة لكل ذلك حيث يستفاد من مبادىء وقوانين التعلم ونظرياته واساليبه ، كالتعزيز والتعميم والتمييز والثواب والعقاب والاشراط (او الفعل المنعكس الشرطي) وغيرها . وقد تجاوزت القوات المسلحة المهارات الروتينية القديمة مع تعقد فنون القتال وتعقد السلاح الحديث ومجالات الحرب ، مما صاحبه تعقد في المهارات المطلوب اتقانها واكتسابها مما استلزم ان يوضع لكل صنفٍ منها قواعده النفسية الخاصة به بعد إذْ اصبحت القواعد العامة للتدريب والتحصيل معروفة ومتاحة ، كما هو الحال بالنسبة لاكتساب المهارات الخاصة للتعامل مع الصعاب ، وهي مهارات تحتاجها القوات الخاصة وغيرها من القوات ذات المهام المشابهة .

جـ ـ الصحة النفسية (1) .

كما ان للقوات المسلحة اقسامها النفسية الخاصة بالتشخيص والعلاج النفسي والتي تتعامل مع حالات الامراض العقلية والنفسية والعصبية ، واضطرابات السلوك والشخصيات السيكوْباتيه (الاجرامية) ، وحالات الادمان والانحراف وغيرها من المشكلات ذات الطابع النفسي ، فان للقوات المسلحة كذلك مراكزها للصحة النفسية الخاصة المؤهلة عادة للقيام بدور حيوي في مجال تقديم العون والمساعدة والتسهيلات الخاصة بالصحة النفسية ، وذلك في مواجهة مشكلات محددة كظاهرة سوء التكيف في الحياة العسكرية ، ومن ثم القيام باجراءات وقائية تستهدف ازالة او التقليل من آثار عدم التكيف والعوامل التي قد تسبب الانهيار العصبي او النفسي ومعالجة مشكلات اخرى كالضعف في مختلف المجالات او التحصيل ، ومشكلات كالاعياء ، او الملل وغيرها . كما تضطلع المراكز باعادة تدريب وتأهيل العائدين من الميادين أو المصابين في الحروب وتحيل المشاكل المستعصية للاقسام النفسية في المستشفيات لتشخيصها ومعالجتها .

د ـ التكيف العسكري

وهذا الدور لعلم النفس يتصل بموضوع الصحة النفسية اتصالاً وثيقاً ، كما يرتبط بمواضيع كالضبط والربط وبالقيادة والمعنويات ولتحقيق هذه الوظيفة (التكيف العسكري) فإن علم النفس العسكري يهتم بدراسات منها .

---

(1) د . محمد حجار . مجلة الدفاع العربي الاعداد نيسان ١٩٨٥ ، تشرين الثاني ١٩٨٦ ، كانون الثاني ١٩٨٧ ،حزيران ١٩٨٩ ، كانون اول ١٩٨٩ ، آذار ١٩٩٠ ، ايلول ١٩٩١ .

وما يتعلق به من ظواهر نفسية كالعدوان والروح المعنوية والخوف والمفاجأة والذعر (الرعب) ، والاعياء .

ب ـ سيكولوجية الحياة العسكرية

كالعلاقات بين الضباط والجنود ، وكالحنين إلى الاسرة وظواهر مثل الانتحار او الجبن ، وكذلك قضايا بناء الشخصية العسكرية التي تتطلبها الحياة العسكرية ، والتي تتميز بالطاعة للمنظمة وبالتمايز الشديد في الرتب ووجود التقاليد والانظمة .

جـ ـ سيكولوجيه التكيف

فالمنظمة العسكرية تستقبل الافراد الجدد لينصهروا في بوتقتها الواحدة ، فتعمل على اخضاعهم لمؤثرات اجتماعية واحدة ترمي إلى صياغتهم صياغة عسكرية تنتهي إلى تطوير شخصياتهم نحو صورة موحدة هي الشخصية العسكرية فطالما ان المجتمع المدني هو الذي يغذي المجتمع العسكري بالافراد من جميع الرتب ، وهم يأتون إلى الحياة العسكرية محملة شخصياتهم بتطور اجتماعي يختلف باختلاف الجماعات الاجتماعية المحلية التي جاءوا منها ، فلابد من صياغتهم عسكرياً ، وحينئذ تتناول الصياغة العسكرية شخصياتهم بتطوير جديد يهدف إلى استبعاد الفروق المدنية من بينها وإحداث تماثل اجتماعي جديد يضمها جميعاً في نمط واحد ، وهذا يقتضي الاستعانة بالدراسات النفسية والمعتقدات والسمات الحضارية لدى المجتمع باسره من جهة ، والجماعات المحلية من جهة اخرى مما يساعد في وضع الاسس السليمة لقيام صياغة اجتماعية عسكرية ناجحة للشخصيات التي تأتي من مختلف هذه الجماعات .

هـ ـ الضبط والربط (الانضباط)

يرتبط هذا الموضوع بالتكيف العسكري ارتباطاً وثيقاً كما يرتبط بمواضيع القيادة والمعنويات فاقامة النظام معناه دفع السلطة للفرد بما تفرضه من اوامر وقوانين وتعليمات نحو الانتظام في عمله والسلوك وفق المعيار الاجتماعي . وهكذا نجد انفسنا مرة اخرى امام مفهوم الصياغة العسكرية للفرد حيث يتحول هذا الفرد من شخص مدني إلى عسكري أي إلى أنسان منضبط تلقائياً ينصاع للاوامر عن رضى واقتناع ، ويطيع القادة والتعليمات طاعة تامة ، وهذا

ما يميز المجتمع العسكري عن غيره ، فهو جماعة اجتماعية محلية تحمل طابعاً خاصاً وتعمل على طبع افرادها به وتعلمهم نوعاً معيناً من السلوك ـ هو السلوك العسكري ـ ولها في ذلك وسائلها الخاصة للتدريب والتعليم . وهي تطلق على قواعد هذا السلوك واسسه اصطلاح الضبط نسبة إلى النظام الذي هو اهم صفة يتميز بها السلوك العسكري . وطالما أن الافراد يختلفون في مواقفهم ازاء النظام العسكري الذي يتناولهم بالصياغة العسكرية ، ويتناول شخصياتهم بالتعديل والتغيير فمنهم من يرحب به ومنهم من يقبله خضوعاً واستكانة ومهم من يثور عليه . وفي غمار هذا الاختلاف تبرز مشاكل الضبط والربط وهي خرق الفرد للنظام العسكري . وهنا نجد ان علم النفس العسكري يهتم بظواهر ومشكلات خاصة تقع تحت هذا العنوان وفي هذا المجال حيث تبرز اهم مشكلات القوات المسلحة عموما كمشكلات الفرار والتغيب والتجاوز والتمارض . كما تتداخل هنا بعض الظواهر والقضايا كظاهرة الجنوح والادمان والشخصية السيكوباتية (تتميز بانحرافات سلوكية وذات مضمون خلقي واجتماعي) والشخصية المضطربة انفعالياً أو المختلفة في نموها الإجتماعي . ورغم تداخل بعض هذه المشكلات مع اختصاصات الاقسام النفسية أو مراكز الصحة النفسية التي تعمل كلها في مجال التشخيص والعلاج او مجال الوقاية والارشاد لاعادة التكيف ، فإن مجال الضبط والربط يتناول هذه المشكلات ضمن اساليب التقويم بما فيها الثواب والعقاب وذلك بهدف إدامة مسار الشخصية الإيجابية بالثواب كالترفيع الاستثنائي والاوسمة والاثابة المادية وغيرها او بهدف تصحيح مسار الشخصية المنحرفة بالعقاب كالعقوبات الخفيفة كالحجز داخل الوحدة وحرمان الاجازة ، او التوبيخ والعقوبات الشديدة التي تنزلها به المحاكم العسكرية .

و ـ القيـــــادة

يهتم علم النفس العسكري بدراسة سيكولوجية القيادة او ما يعرف بالشخصية القيادية ويستخدم في دراساته اختبارات ومقاييس مختلفة كالاختبارات الشخصية ، واختبارات البعد الاجتماعي . ومثل هذه الدراسات ضرورية للغاية في الحياة العسكرية ، فمعرفة الصفات القيادية واساليب كشفها وتنميتها ضرورية لان الجيش يختلف عن غيره من حيث حاجته إلى القيادة في كل مجالاته وحيث تعتبر القيادة دوراً من أبرز الادوار الاجتماعية في القوات المسلحة . فالضابط باعتباره قائداً عليه ان يعرف مبادىء القيادة وانواعها ونظرياتها وان يعرف دوره في الجماعة ووظائفه القيادية ، وذلك أمر لا ينتظر اكتشاف المواهب القيادية ، وانما يحتاج باستمرار إلى كشف الصفات القيادية لدى الاشخاص العاديين ثم تنميتها والتسامي بها .

وبكلمات اخرى خلق الشخصية القيادية لدى الاشخاص العاديين التي تتطلب التدريب المستمر ضمن اساليب نفسية وعلمية محددة فالكثير من نواحي الشخصية القيادية ـ اذا ما توفر الاستعداد والموهبة ـ هي امور يمكن تعليمها والتدريب عليها وفي المواقف الاجتماعية المختلفة حتى يمكن تمثلها واتقانها ثم تنميتها وصقلها . كما أن علم النفس العسكري يُعنى بالقيادة ويُفرّق بين نوع القيادة ونوع الجماعة واختيار القيادة ووسائل الاختيار واعداد وتدريب القادة ولاشك ان القيادة العسكرية الجيدة سوف توفر اموراً كثيره اخرى كالانضباط والمعنويات .

ز ـ المعنويات

الروح المعنوية العالية شرط اساسي لكي تؤدي اية منظمة اجتماعية وظيفتها التي تكونت من اجلها ، ووجود المعنويات العالية يعني ان هذه الجماعة تؤدي عملها على الوجه الاكمل حيث ان كل فرد فيها يقوم بواجبه المنوط به من جهة ، وان كل الافراد الذين يكونون هذه الجماعة يتعاونون على اداء الواجب الكلي لها من جهة اخرى . المعنويات للقوات المسلحة ذات أهمية عظمى ، فالقوة المادية بدونها لا تساوي شيئاً فهي شطر الاعداد وهي عامل النصر الحاسم والرئيسي ، ونظراً لهذه الاهمية فقد عُني علم النفس العسكري بها ، فعمل على قياسها ومعرفة عواملها وما يؤثر عليها واتخاذ الاساليب الكفيلة برفعها مستعيناً على ذلك بالمقاييس الاجتماعية السوسيومترية والمقاييس التي تعد وتقنن خصيصاً لهذا الغرض .

حـ ـ الحرب النفسية

يضطلع علم النفس العسكري بدراسة وبحث الحرب النفسية بوسائلها المختلفة ، حيث يتطلب هذا الدور اجهزة متخصصة تعمل على تعبئة ورفع الروح المعنوية في صفوف الجيش والأمة علي حد سواء ، وبالمقابل تعمل على تحطيم روح العدو المعنوية وجعله يقع فريسة اليأس الذي يؤدي به إلى الانهيار . وهذه المهمة تتطلب دراسات في نواح كثيرة لمعرفة سيكولوجية الجماعات ومبادئها ودينا ميات الجماعة ، وسيكولوجية الاتصال والدعاية ، ولمعرفة عوامل السلوك المختلفة كالدوافع والاحباط والادراك والاتجاهات ثم لمعرفة اساليب التاثير في انفعالات الجماهير وافكارها واتجاهاتها ، وغيرها من المعارف التي تشكل الاساس المتكامل للعمل النفسي الاستراتيجي والتعبوي في جانبنا او في جانب الاعداء ولزمني السلم والحرب على حد سواء . ومما يساعد في تحديد الوسائل الفعالة الممكن استخدامها في الحرب النفسية حيث يستطيع المختصون تحديد الوسيلة المناسبة والاكثر فعالية في الوقت المناسب .

صلة الحرب النفسية بأنواع الحروب الأخرى[1]

الصراع سمة ملازمة للبشرية أفراداً وجماعات، وكيانات اجتماعية بدائية بسيطة أو كيانات سياسية متطورة معقدة، وهو الذي ينشأ من تضارب المصالح الحقيقية الواقعية أو الاطماع الوهمية الافتراضية. وهذا الصراع القائم أو المتوقع يتطلب الاعداد المادي والمعنوي على حد سواء الذي بدوره يوفر الجاهزية للقتال كما يمكن أن يحقق الردع للخصم بدون قتال، والذي يفضي جميعه إلى قهر إرادة الخصم وفرض الارادة عليه ويحقق أهدافنا الوطنية وسياساتنا الاستراتيجية؛ أي يحقق لنا الانتصار.

إعداد الدولة للحرب

في خصم الصراع لا بد من إعداد الدولة للحرب، وقد أخذ شكل الإعداد توفير كافة المستلزمات وجميع المتطلبات التي تحتاجها الدولة لخوض الحرب ومباشرة الصراع. ولاشك أن التوجيه الالهي للأمة الاسلامية يعتبر النوذج المثالي الأبلغ كما جاء في محكم التنزيل: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدّو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ [٦٠/الأنفال] وهو توجيه للأخذ بمجمل أسباب القوة المادية والمعنوية عموماً وتلك التي تهيأ عادة للحروب خصوصاً وذلك بتسخير كافة قدرات وموارد الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية. والشكل رقم (١) المرفق يظهر النواحي المختلفة لهذه المجالات الأربعة الرئيسية في الدولة التي يؤدي تنفيذ خططها وسياساتها الخاصة إلى تحقيق السياسات العامة الاستراتيجية ومن ثم إلى تحقيق الاهداف الوطنية العليا التي تسعى عبر حزمة من الاهداف المادية والمعنوية إلى سعادة المواطن وإلى سعادة البشرية وذلك من خلال حمل وإيصال رسالتها استكمالاً لدورها الحضاري واسهاماً منها عبر المشاركة الفاعلة عالمياً بالحضارة الانسانية.

أنماط المعارك

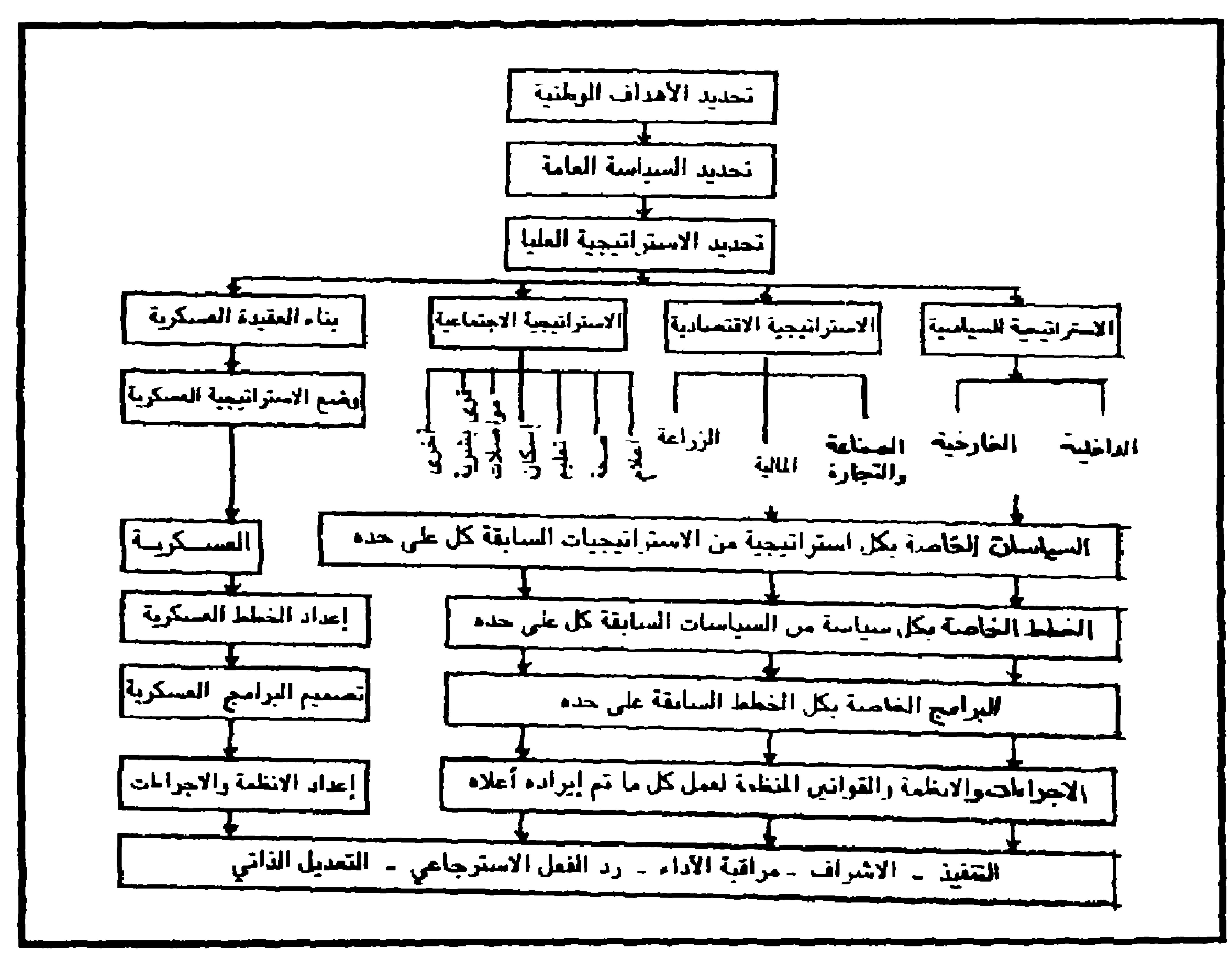
وفي مجال اعداد الدولة للحرب الذي عبرنا عنه بالصراع القائم أو المتوقع واستغلال كافة مكامن القوة فيها فإن الدولة إنما تقوم بذلك كله لاضطرارها إلى شن جميع أنماط المعارك على

---

(١) الحرس الوطني السعودية. مارس ١٩٩٦. مقال للمؤلف ص ٥٨ ـ ٦١.

عدوها ولا تغفل شيئاً منها لأنها إن فعلت فإن خصمها لها بالمرصاد ولن يوفر بدوره استخدام أي منها وهي :-

- المعركة العسكرية التي تقع فيها وتقترن بأعمال الابادة والتدمير .
- المعركة الاقتصادية التي تقع فيها وتقترن بأعمال الحصار والتجويع .
- المعركة السياسية التي تقع فيها وتقترن بأعمال التضليل والتمويه .
- المعركة الدبلوماسية التي تقع فيها وتقترن بأعمال الخديعة والوقيعة .
- المعركة الاستخبارية التي تقع فيها وتقترن بأعمال العملاء والجاسوسية .
- المعركة الجماهيرية التي تقع فيها وتقترن بأعمال الدهماء والغوغاء .
- المعركة الاعلامية التي تقع فيها وتقترن بأعمال التعتيم والخداع .
- المعركة النفسية التي تقع فيها وتقترن بأعمال تحطيم المعنويات والارادة .
- المعركة الفكرية الايديولوجية التي تقع فيه وتقترن بأعمال زرع الافكار وبثها وتشويهها .



الشكل رقم (١) : دور المجالات الاربعة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية في بناء الدولة

ولا شك ان مصطلح الحرب الباردة يشمل فيما يشمل بعد أن يستثني المعركة العسكرية جميع أنماط هذه المعارك التي تكون محتدمة على أشدها والتي تستمر في معظمها عند نشوب القتال أو الصراع المسلح وتتحول الحرب الباردة منذ تلك اللحظة إلى الحرب الساخنة حيث يبدأ هدير الدبابات وقصف المدافع وزمجرة النفاثات .

الحرب السياسية

وإذا شئنا أن نكون أكثر موضوعية وعلمية واكثر تنظيماً فإننا نضع هذه الحروب او المعارك الانفة الذكر تحت عنوان الحرب السياسية ـ وهذا سيساعدنا في التعرف على موقع الحرب النفسية ـ ضمن سياق الحرب السياسية ـ وسنجد أنفسنا عندها نقف وجهاً لوجه أمام ستة أنماط رئيسية من الحروب ـ منها الحرب النفسية ـ وهي :-

* الحرب الفكرية (الايديولوجية ـ العقائدية)
* الحرب الاستراتيجية الخداعية
* الحرب التنظيمية
* الحرب النفسية
* الحرب الاستخبارية
* الحرب الجماهيرية

والحرب السياسية وإن استخدمت قديماً إلا أنها أصبحت في القرن العشرين أحد مظاهر العلوم العسكرية الاستراتيجية المتقدمة والمبنية على نظريات ومهارات وفنون خاصة ووسائل ومعدات وأساليب عملية تواكب متطلبات العصر وتلائم قابلية التطور والتغيير والتجديد التي يمتاز بها وتحتاج اليها طبيعة الصراع مع العدو .

والحرب السياسية بمجملها هي حرب العقل والحكمة وحرب المنطق والاقناع وحرب الشجاعة والارادة وحرب العلم والمعرفة وحرب الفكر والعقيدة وحرب الاتجاهات والرأي العام وهي أخيراً حرب الروح ، روح الأمة الحية .

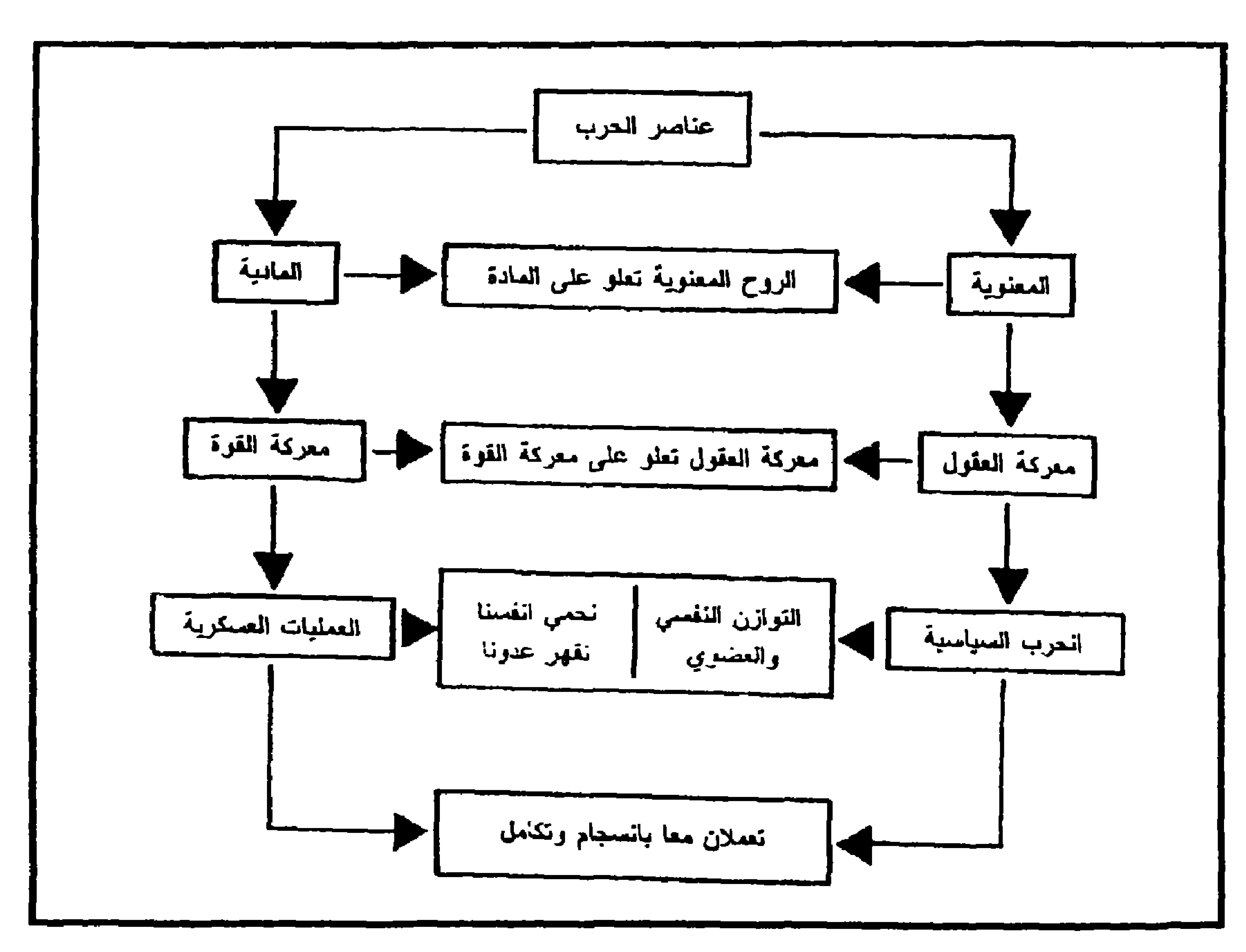
ومن المعروف أن عناصر الحرب الرئيسة هي عناصر القوة المادية والقوة المعنوية Tangible and Intangible Power ، والقوة المعنوية تتفوق على القوة المادية وتتقدم عليها يقول أفلاطون في وصفه للدور الذي تحتله الروح المعنوية بالنسبة إلى القدرة المادية : «الرجال وليس الاحجار

يصنعون سور المدينة» أي إن معركة العقل تتفوق على معركة القوة المادية ، فالارادة هي التي تصنع النصر وليس السلاح لأن السلاح بيد الجبان لا يعمل! وعليه فإن الحرب السياسية تتقدم على العمليات العسكرية ولكنها جميعاً ومجتمعة معاً : الروح المعنوية والقوة المادية ، معركة العقل ومعركة المادة ، الحرب السياسية والمعارك المسلحة كلها تعمل بانسجام تام بهدف تحقيق الانتصار على الخصم في الصراع الدائر بين الطرفين ، والشكل رقم (٢) يوضح لنا هذه المعادلة .

والآن يمكننا التعرف على معارك الحرب السياسية المختلفة بشيء من التفصيل وهي أنماط الحروب الستة التي ذكرناها آنفاً :

الحرب الفكرية (الأيديولوجية - العقائدية)

والحرب الفكرية العقائدية هي الأساس في الحرب السياسية ، وهي الأصل الملهم للأهداف العليا التي عليها تقوم ومنها تنشأ وتتبلور ، ثم هي التي تصبغ هياكل الدولة وسياساتها وخططها بصبغتها ؛ فهي المعين الذي تصدر عنه كافة نشاطات الدولة ، وهي العامل



الشكل رقم (٢) : عناصر الحرب المادية والمعنوية وتفرعاتها

الموجه في كل المراحل وهي التي تقترح الوسائل والاساليب وهي الدافع المحرك ، وهي في مستويات عملها المختلفة تهدف إلى بذر البذور وزرع الأفكار والقيام ببذل الجهد لعمليات البث والنشر والاعلام وتفعيل الافراد والمجتمع .

وفي الحرب العقائدية يظهر الصراع على شكل حرب عقيدة ضد عقيدة وصراع بين فكر صحيح يقف مع الحقيقة وفكر باطل يقف ضدها وينتهي الأمر ببعض الباحثين الاستراتيجيين والمفكرين السياسيين إلى وصفها في تصعيد لمفهومها بأنها تشير إلى الصراع الحضاري بين الأمم .

والحرب العقائدية تظهر ما يبنيه الايمان من ارادة قتال حديدية وروح معنوية عالية . وفي الرجوع إلى عوامل هذه الجوانب الرئيسية تجد في المعنويات وفي الارادة أن هنالك أربعة أسس رئيسية : العقيدة والقيادة والادارة والتدريب وتتشعب هذه إلى شعب كثيرة لتجمع العديد من العناصر الفرعية التي تشكل بمجملها المعنويات والارادة لتظهر على الافراد والمجتمع سلوكاً أيجابياً فاعلاً . ولمثل هذا أشار «مونتجمري» عندما وصف أثر معنويات المسلمين التي هي وليدة عقيدتهم الدينية في سرعة الفتوحات الاسلامية المبكرة في أن العقيدة هي التي تزود الفرد بالمعتقدات والقيم والمفاهيم والاتجاهات والأفكار ومن ثم فهي تعمل على توجيهها الوجهة الصحيحة وعلى تفعيلها ومن ثم فإنها تولد السلوكيات المطلوبة التي تسير بالاتجاة القويم مع مسار الاهداف العليا للأمة النابعة بوحي من عقيدتها ومبادئها . وأخيراً فهي تمنح الفرد والأمة الحصن الذي يحميها من أساليب العدو الفكرية والنفسية ، ولا يخفى علينا أهمية الاسلام في هذه المجالات : معرفة العدو وأساليبه ، كشف محاولات التخذيل والتخويف والتفرقة ، مقاومة *الاشاعة والدعايات المغرضة ، ثم في مجال إعطاء الأمة جرعات العداء المطلوبة نحو العدو* ورفع درجات التوتر ضده ، وزرع الثقة بالنصر عليه ، ثم في توفير الاسلام المفاهيم الراسخة في مجال حتميات النصر وشروطه ، وحتميات النصر هي السنن الالهية التي لا تتبدل في نصرته لعباده وجنوده المؤمنين ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ [٢١/المجادلة] وبالمقابل تدميره للمكذبين والمفسدين في الارض . وأما شروط النصر فهي الايمان بالله وتطبيق المنهاج الرباني مما يوفر سيادة الدين والأمن وكذلك حسن التوكل على الله ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [٥١/التوبة] والاعداد غاية الاستطاعة ثم الوحدة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [١٠٣/آل عمران] وهكذا فإن مجمل هذه العناصر إنما تندرج تحت عنوان (إعداد الأمة إيمانياً) وهو جانب رئيس في عمل الحرب العقائدية الفكرية .

وبعد هذا الاستعراض المستفيض للحرب العقائدية يمكننا التعرف على الأنماط الاخرى من الحرب السياسية .

الحرب الاستراتيجية الخداعية

وهي مجموعة النشاطات والاعمال والاجراءات التي يتم اتخاذها وتنسيقها على المستوى الاستراتيجي العسكري والوطني في المدى القريب والبعيد ، والمتضمنة استغلال كافة عوامل القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للدولة في زمن السلم والحرب لتحقيق الاهداف الوطنية العليا التي توضع سياستها العامة عادة من قبل صانعي القرار السياسي .

وفي محاولة لتشريح وظائفها فإن الحرب الخداعية تسعى لاستخدام الذكاء لفحص وتطوير وتوجيه كامل الموقف بهدف تصعيد الفرصة الملائمة في الحرب ولكشف مواطن ضعف العدو حيث تسعى إلى استخدام أساليب التضليل والخداع الذي يربك العدو ويدفعه إلى اتخاذ سياسات وطنية خاطئة ومدمرة وبعبارات أخرى فإن هذا النمط من الحروب يسعى بشكل واضح إلى إخفاء محاولات التماس مع تفكير الخصم وتضليله حتى يقترف الاخطاء ويخسر الحرب .

الحـرب التنظيمية

وهي مجموعة الاجراءات والنشاطات التي يتم اتخاذها بهدف توحيد الجهود وحشد الطاقات والامكانيات البشرية المتوفرة ودفعها باتجاه خدمة المجهود الحربي ، فهي تسعى إلى استغلال قوى التنظيم في الدولة : *من تنظيم الافراد والجماعات ، وتنظيم الدوائر والمؤسسات* الوطنية ضمن قواعد وأسس متينة ، ثم العمل على توظيف ما تم تنظيمه من قوى الأمة المتاحة واستغلاله الى ابعد الحدود لتحقيق الاهداف العليا للامة .

الحرب النفسية

وتعرف الحرب النفسية بأنها الاستخدام المخطط والمدروس للدعاية وسائر الأساليب الاعلامية الاخرى المصممة للتأثير على آراء وأفكار ومشاعر واتجاهات وسلوك المجموعات العدوّة والصديقة والمحايدة بهدف فرض ارادتنا عليها تحقيقاً لاهداف الدولة .

والحرب النفسية تعمل باتجاهين : داخلي تجاه الافراد وجموع الأمة عموماً ، وخارجي تجاه العدو ، ففي الاول تسعى إلى ايجاد وصيانة وتعزيز الروح المعنوية وارادة القتال ، وفي الثاني

تسعى إلى تحطيم معنويات الخصم وكسر إرادته وبث عوامل الاحباط والقنوط واليأس لديه .

ذلك كله ضمن ادوات الاعلام المعروفة وضمن أساليبه ومن خلال جملة من وسائل الحرب النفسية كالدعاية والاشاعة والتضليل الاعلامي وما صح تسميته بالغزو الفكري الثقافي وغسيل الدماغ الجماعي . وإن أبرز أساليب الحرب النفسية الاستراتيجية تشويه صورة الخصم أمام أعين الآخرين ذلك من خلال بناء تراكمي لاتجاهات الأفراد التي بتفاعلها تنتج رأياً عاماً يقتنع بأفكارنا ويتبناها ومن ثم تتشكل اتجاهات افراده ويتشكل رأيه العام فيسلك بطريقة تخدم أغراضنا النهائية وتحقق أهدافنا العليا .

الحرب الاستخبارية

وهي حرب المعلومات ، تلك الحرب التي تحشد قواها وطاقاتها ضمن سلسلة من الاجراءات والنشاطات التي تتعلق بنواحي الأمن والمكتومية والحماية والسرية والتي يجري تطبيقها على الأفراد والمواطنين بهدف زيادة الحذر والحيطة وخدمة الجهود الحربي ، وجمع المعلومات المتعلقة بالعدو ونقاط ضعفه للعمل على دحره وتحقيق النصر عليه .

وهي بالاضافة إلى عمليات البحث والتحري والاستقصاء وجمع المعلومات لتقييمها وتحليلها ؛ ومن ثم تفسير حالة العدو الراهن في جميع المجالات مما يساعد صانعي القرارات السياسية والعسكرية ، إنها حرب العملاء والجواسيس لأنهم في النهاية هم الأدوات الفاعلة في هذا المجال الخطير ، الذين يمكن تصعيد دورهم إلى مستويات يصبحون فيها عوناً عظيماً للدولة وعبئاً خطيراً للعدو ، فهم لا يصبحون مجرد عيون على أسراره وإنما رموزاً عاملة وموجهة لسياسة الدولة إذا ما خدمتهم الظروف كما يظهر لنا في صراع الأمم حيث تسعى بعض الدول لزرع العملاء في المواقع الحساسة ليقوموا بأداء مهامهم في الأوقات الحرجة مما يخدم أهداف تلك الدول بشكل عظيم .

الحرب الجاهيرية

وتشير هذه الحرب إلى تلك الأعمال والاجراءات والنشاطات التي يتم اتخاذها من أجل بناء القاعدة الشعبية والوحدة الوطنية التي يشارك فيها جميع أفراد الشعب وفئات المجتمع ككتلة وطنية متحدة متراصة تربطهم عناصر الاخوة والمحبة والتعاون وحب المصلحة العليا وتدفعهم الرغبة في العمل كفريق واحد لمواجهة متطلبات المعركة وتحقيق النصر على العدو ،

وهي الترجمة العملية للآيات القرآنية : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [١٠٣/ آل عمران] ، ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [٤٦/الانفال] ، ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ [٤/الصف] .

فهي حرب تسعى إلى كسب قلوب الجماهير وتجميع قدراتهم وطاقاتهم كما تسعى إلى حشد الصف ورصه مما يتيح الافادة من قوى الجماهير المجمعة إلى أبعد الحدود .

* * *

هذه هي صورة الحرب السياسية بأنماطها المختلفة التي تأخذ موقعها المهم والخطير جنباً إلى جنب مع الحرب المسلحة والعمليات العسكرية في زمنى السلم والحرب ، ولم تعد الدول تستطيع إغفاله أو التقليل من شأنه ، لأن الصراع سنة قائمة بين الناس ولابد من قوة تعد مادية ومعنوية لصيانة الأمن ولسعادة البشر وهو مطلب لسمو الهدف الذي نسعى إليه والغاية التي نصبو إليها . الشكل التالي يبين صلة الحرب النفسية بالحرب السياسية .

الحـــــرب السـيـاسـية

الميدان / الحقل	استراتيجية الحرب النفسية	استراتيجية الحرب الاستخبارية	استراتيجية الحرب التنظيمية
حقل الاستراتيجية الوطنية استراتيجية التوجية الوطني (الدولـــة)	(١) الحرب الفكرية (عمليات) وهي تشكل المصدر والنواة والفكر الاساسي الذي تبنى عليه وترتكز عمليات الحرب السياسية تقوم ببذر البذار وزرع الافكار وعمليات النشر	(٢) الحرب الخداعية (عمليات) وهي الاجراءات التي تتخذ على المدى القريب والبعيد لاستغلال كافة القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية في السلم والحرب لتحقيق الاهداف الوطنية وتهدف عملياتها إلى خداع وإرباك العدو لاتخاذ سياسات وطنية خاطئة ومدمرة خداع العدو تضليله توضع سياستها من قبل صانعي القرار	(٣) الحرب التنظيمية (عمليات) وهي الاجراءات التي تتخذ لتوحيد الجهود وحشد الطاقات والامكانات البشرية المتوفرة وذفعها لخدمة المجهود الحربي . ١ ـ تنظيم الافراد والجماعات ٢ ـ تنظيم الدوائر والمؤسسات الوطنية ضمن قواعد واسس حربية قوية
حقل الاستراتيجية العسكرية (وزارة الدفاع) تنفيذ النشاطات بهدف دعم وتعزيز النتائج والتأثيرات الناجمة عن العمليات العسكرية في أرض المعركة	(٤) الحرب النفسية (نشاطات) وهي استغلال المشاعر والميول والاتجاهات والرغبات وصياغتها لإعداد الامة وقدرتها الذاتيه لتساهم في الجهود الحربي . ١ ـ كسب ميول وأفكار ونفسيات أفراد العدو ٢ ـ المحافظة على معنويات ونفسيات أفرادنا ومواطنينا	(٥) الحرب الاستخبارية (نشاطات) وهي مجموعة الاجراءات حول نواحي الامن والمكتومية والسرية ، وجمع المعلومات ونقاط الضعف عند العدو لاستغلالها في الحرب ١ ـ جمع المعلومات عن العدو ٢ ـ تطبيق الأمن والمكتومية	(٦) الحرب الجماهيرية (نشاطات) وهي الاجراءات لبناء القاعدة الشعبية والوحدة الوطنية ليصبح الجميع كتلة وطنية متحدة تجمعهم المحبة والتعاون وعمل الفريق الواحد لمواجهة متطلبات الحرب ١ ـ كسب قلوب الجماهير ٢ ـ تشكيل قاعدة شعبية قوية
حقل الاستراتيجية التعبوية (الميدان)	(واجبات) كل فرد مطالب ببذل الجهد اللازم بالبث والنشر والاعلام	(واجبات) كل فرد مطالب بالقيام بإجراءات البحث والتحري والاستقصاء	(واجبات) كل فرد مطالب بالتعاون وبذل الجهد وتجميع الامكانيات المتوفرة
المخرجات (النتائج)	تفعيل العناصر والأفراد	جمع المعلومات	حشد الطاقات

اهمية الحرب النفسية

تتضح لنا أهمية الحرب النفسية من الآية الكريمة : ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ فالتوجيه الالهي في اعداد القوة هو توجيه للاخذ بالاسباب المادية والاسباب المعنوية معاً ، والحرب النفسية هي جانب القوة المعنوية حيث تتمثل القوة المادية بالرجال والسلاح وبالنواحي الاقتصادية والجغرافية والسكانية ، وتتمثل القوة المعنوية بالارادة سواء كانت الارادة الوطنية او الارادة القتالية ، فالارادة التي تبني وليست المادة . وعلية فإن الحرب النفسية هي استخدام القوة المعنوية او الاستخدام المعنوي للقوة المادية .

في الوقت الذي تعتبر به الدول الحديثة ان القوة المعنوية تساوي ٥٠٪ من مجموع قوة الدولة فإن نابليون كان يعتبر ان القوة المعنوية تساوي ثلاثة ارباع مجموع القوة عامة أي ٧٥٪ من مجموع القوة المستخدمة في المجهود الحربي . وغني عن البيان ان القوة المعنوية لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من قوة مادية تعتمد عليها فالاولى هي بمثابة الرافعات التي لا تعمل شيئاً اذا لم يكن لها ركيزة مادية ترتكز عليها . كما هو غني عن البيان ان الجيوش المزودة باسلحة حديثة بينما مستوى معنوياتها يساوي صفراً فإن قوتها المادية ستساوي صفراً كذلك . ويؤيد هذا المفهوم معادلة (كلاين) لقوة الدولة والتي تعبر عن وجهة نظر الاستراتيجية الامريكية وهي [1] :

قوة الدولة = [الكتلة الحرجة : (المساحة الجغرافية وحجم القوى البشرية) + القدرة الاقتصادية + القدرة العسكرية] × [الاهداف الاستراتيجية للامة + الارادة الوطنية] وهذا يعني انه اذا كان مستوى المعنويات صفراً فإن القوة الاجمالية للدولة تصبح صفراً فهي لن تستفيد او تنتفع بما لديها من قوة وسلاح بدون الارادة القوية وبغياب المعنويات العالية والعزيمة الصادقة التي تحقق الفوز والانتصار .

والعلم العسكري ـ كما هو خبرة الحروب كذلك ـ يجمعان على ان الحرب النفسية هي سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة ويساهم مساهمة كبيرة مع اعمال القتال وغيرها من اساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر في الارواح والمعدات .

---

(1) RayS. Cline, World Power Trends and U.S Foreign Policy for 1980 s. U. S.A. 1981.
صدر عن مركز جورجتاون للدراسات الاستراتيجية عام ١٩٨١

اصبحت الحرب النفسية جزءا من النشاطات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي تتم خلال الحرب الفعلية او الحرب الباردة [1] (وقد لعبت عوامل عديدة في جعل الحرب النفسية احدى اهم الفعاليات التي تطور اليها الصراع الدولي في عصرنا الراهن وليست هذه الاهمية في الحقيقية الا انعكاساً لاحدى الخصائص الواضحة التي تميز مجتمعنا الدولي وهي خاصة الصراع الايديولوجي (العقائدي) .

ان اكثر القادة والمفكرين عسكريين كانوا او سياسيين يعتبرون ان الحرب النفسية اصبحت جزءاً مكملاً للحـــرب العسكرية والحرب السياســـية ـ الايديولوجية ـ ومتفاعلاً معها ، لذا نجد معظم الدول اليوم تسعى الى تسخير جزء كبير من مجهودها في تطوير مسائل الحرب النفسية [2] مما تتضح معه الأهمية الكبرى لهذه الحرب .

انواع الحرب النفسية

للحرب النفسية ثلاثة انواع وهي :-

١ ـ الحرب النفسية الاستراتيجية

وهي حرب تتميز بالشمول والامتداد زماناً ومكاناً ، كما انها تستغرق وقتاً طويلاً وتشمل كل المنطقة المحيطة بالهدف ، وتستمر اجراءاتها حتى يتحقق الهدف منها بتحطيم معنويات العدو وانهيار ارادته ويتحقق النصر فتعمل على تثبيت دعائمه ويصبح الوضع الجديد أمراً واقعاً دائماً . وهي توجه عادة إلى قطاعات كبيرة من الشعوب المستهدفة باستخدام مواضيع تتعلق بالاقتصاد والشؤون العسكرية ومكامن الضعف النفسية والسياسية .

٢ ـ الحرب النفسية التعبوية

وهي حرب تقتضي الصدام المباشر مع العدو والالتحام به لتحقيق اغراض قريبة المدى ، وتسعى لايصال قوات العدو إلى حالة نفسية يترتب عليها حسم الصراع باستسلام العدو لارادة وشروط المنتصر . كما تهدف إلى العمل على التقليل من فعالية عمليات العدو ، كما أنها توجه ضد المدنيين لمنعهم من التدخل بالعمليات التعبوية . ومن طرقها في هذا المجال :

---

(١) د . احمد بدر . الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية . ص ٢٠٥ .

(٢) د . أحمد نوفل . الحرب النفسية (الكتاب الاول) دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٥ .

أ - خلق التذمر بين المقاتلين والتشكيك في القيادة واضعاف الروح المعنوية للعدو .

ب - اقناع العدو بزيف القضية التي يحارب من اجلها وتهدف إلى استسلام القوات المقاتلة .

جـ - التأكيد على خطورة استمرار القتال وان الفرار او الاستسلام يوفران الامن المنشود للمقاتل .

د - تسهيل احتلال المدن باعلان بلاغات الاستسلام .

٣ - الحرب النفسية التعزيزية

وتهدف إلى تثبيت دعائم النصر الذي حققته الحرب النفسية الاستراتيجية والتعبوية وتحويل هذا النصر إلى أمر واقع يأخذ صفة الشرعية والاستمرار . وهي توجه إلى الشعوب في المناطق المحررة أو المحتلة مع وجود اهداف لتسهيل العمليات العسكرية وتشجيع ورفع درجة تعاون المدنيين مع القوات إلى اعلى مستوى ممكن ومن طرقها في هذا المجال :

أ - المساهمة في قطاع الخدمات للسكان .

ب - اصدار التعليمات لحفظ الامن والاستقرار .

جـ - نشر الحقائق لمنع انتشار الشائعات .

د - الترويج لاعمال مستقبلية تنعكس على رفاه المدنيين دعماً لعمليات اعادة الاستقرار .

هـ - الترهيب والترغيب لاقناع الخصم المنهزم بأن هزيمته نهائية وأن مصلحتة في حياة ومستقبل آمنين مرتبطة بتسليمه بهذه الهزيمة ثم في تعاونه مع الجانب المنتصر .

اهداف الحرب النفسية

ان الاجراءات والنشاطات التي تقوم بها الجهات التي تباشر الحرب النفسية تكون ذات اتجاهين : داخلي لدعم المعنويات وخارجي لهدمها . الاول يهدف إلى ايجاد وتعزيز الروح المعنوية والارادة لدى الأمة ، والثاني يهدف إلى تحطيم المعنويات وتدمير الارادة لدى العدو .

وكما يستنتج من تعريف الحرب النفسية فإن هدف الحرب النفسية التي تتوجه إلى عقل الانسان ونفسيته هو تحقيق السيطرة على الارادة لدعم الصديق او لتحطيم الخصم والتأثير على الاراء والمواقف في الاتجاه الذي يخدم سياسة الدولة واهدافها ، وذلك بشن هجوم عنيف على القوى الروحية والمعنوية والنفسية والمعتقدات الثابته لدى الخصم لزعزعتها وفي الوقت نفسه

(١) أحمد نوفل المرجع السابق نفسه ص ٧٢ .

تقوية موقف الصديق وتعزيز الاعتقاد بقدرته [1] .

ويمكن تفصيل اهداف الحرب النفسية الموجهة للعدو كمايلي :-

أ - اهداف سياسيه

١ - تحطيم وحدة الجهة الداخلية للدولة المعادية وخلق التناقضات بين فئاتها .

٢ - بث الشك واليأس في امكانية الصمود والتصدي وتحقيق النصر لدى العدو .

٣ - تشكيك الجهة المستهدفة في قياداتها السياسية والعسكرية وزعزعة ايمان الهدف بمبادئه واهدافه .

٤ - ردع الدولة المعادية وارغامها على التخلي عن الاعمال العسكرية وتحطيم تحالفاتها السياسية عملاً بالمبدأ القائل «من لا تكسبه كصديق اعمل على ان يظل على الحياد» .

٥ - دعم روح المقاومة لدى الفئات المناهضة ، والعمل على ايجاد مثل تلك الفئات .

ب - اهداف عسكرية

١ - تحطيم ارادة جيش العدو القتالية وتحطيم معنوياته .

٢ - تشكيكه في قياداته العسكرية وزرع الفرقة بين صفوفه .

٣ - دفعة للقيام باعمال ضد مصلحة جيشه ودولته وضد الاهداف العسكرية والسياسية المراد منه تحقيقها .

٤ - دفعة للفرار او الاستسلام ومن ثم تحقيق الهزيمة في صفوفه .

مبادىء الحرب النفسية

استغلال مشاعر الخوف والقلق

تقوم الحرب النفسية على قاعدة نفسية مضمونها الوصول بالجهة المستهدفة إلى حالة الذعر والذهول الجماعي ليسهل تدمير نفسيتها ومعنوياتها عن طريق تطوير القلق واضطراب السلوك وذلك باستغلال الكوارث الطبيعية والازمات الاقتصادية وغيرها للوصول بالمجموعة المستهدفة إلى تلك الحالة حيث يتم ذلك بخطوات ثلاث :

---

(١) د . محمد حجار . مجلة الدفاع العربي عدد تشرين الثاني/١٩٨٣ أسس الحرب النفسية

أ ـ اثارة حالة الذعر : عن طريق اثارة الصراع واخلال التوازن النفسي وذلك من خلال الدعاية المتكررة بأن الحرب ستقع واحتمال الموت وارد ولكن بالمقابل هنالك امكانيات النجاة بالنفس وحماية الاهل مما ينشأ عنه الصراع النفسي والقلق .

ب ـ مرحلة التخلص من القلق والصراع : عن طريق اللجوء إلى اقناع المستهدف بأن ما يدفعه للقلق كالخشية من وقوع الحرب ومن ثم الخشية من الموت هي امور بعيدة الاحتمال ويحاول المستهدف بهذه المرحلة ايجاد المؤيدين لقناعته تلك وهي مرحلة مخطط لها من قبل الدعاية والاعلام .

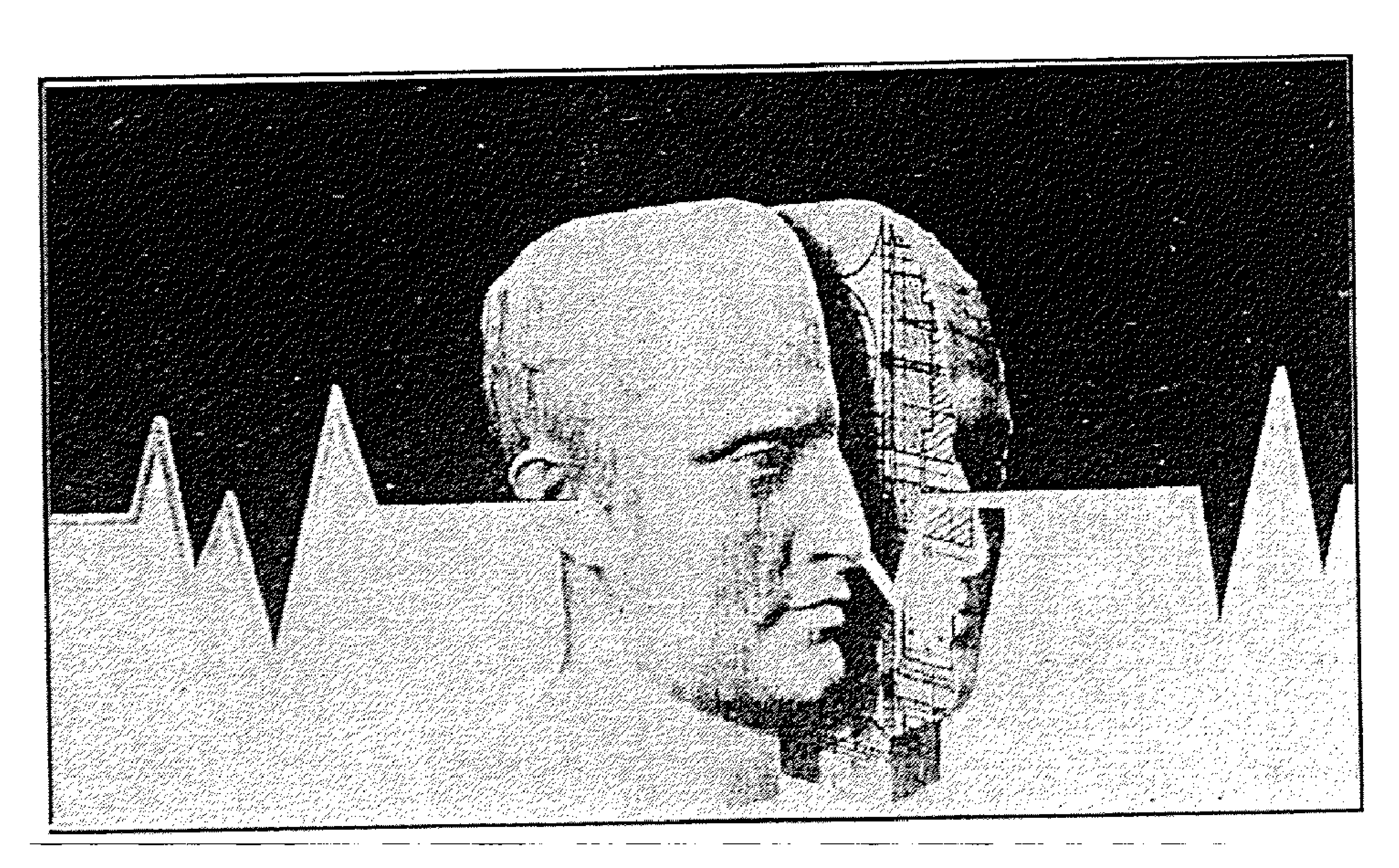
جـ ـ مرحلة الصدمة : بعد ان تستقر النفوس وتهدأ تعود الدعاية لتصدمها مرة اخرى مما يختل معها توازن المستهدفين النفسي وتزداد حيرتهم وقلقهم وهنا تنقسم المجموعة المستهدفة إلى فئات ثلاث :

١ ـ اقلية تحتفظ بهدوء اعصابها .

٢ ـ اقلية تنهار نفسياً وتصاب بما يشبه الشلل العقلي .

٣ ـ اغلبية تصاب بحالة الذهول الجماعي وهذه الفئة تنتابها حالتان :

أ ـ حالة التركيز : فالمستهدف يعتقد بأنه المقصود فتعتريه المخاوف المرضية وتبدأ الدعاية في تعزيز ذلك لديه .



هدف الحرب النفسية الاستراتيجي هو: تحطيم معنويات الخصم وتدمير ارادة القتال لديه
والهدف التكتيكي هو: تغيير الاتجاهات ومن ثم تغير السلوك

ب ـ حالة التخلي : فالمستهدف يعتقد بأنه ترك يجابه مصيره وحيداً فيصبح الاصدقاء موضع شك لا يوثق بهم وتعمل الدعاية على تعزيز ذلك .

استغلال الدوافع والحاجات الاساسية

الدوافع الاولية كالجوع والعطش والامومة والجنس ودوافع الامن : الهرب والمقاتلة . . . الخ والدوافع الثانوية : كالتقدير الاجتماعي والانتماء وتحقيق او توكيد الذات . . . وغيرها .

استغلال العمليات العقلية اللاشعورية

كعوامل الدفاع عن الشخصية او ما يسمى بالحيل الدفاعية بانواعها : الخداعية والهروبية والاستبدالية ، حيث يتم تحديد الهدف او الجهة المستهدفة بدقة وفهمها من كافة النواحي بقصد تحديد المطلوب ومعرفة الاستجابات المطلوبة والمتوقعة مسبقاً .

المركزية

اي يجب ان يكون هنالك لجنة تضم خبراء مختصين في كافة المجالات تضع التخطيط الشامل للحرب النفسية ثم تضع الخطة المرحلية التي ستنفذ كما تضع كافة الاحتمالات والبدائل للخطة المقترحة ، وتعمل اللجنة باستقلالية وتكامل وتنسيق مع الدوائر المعنية .

التخصص

الحرب النفسية تتناول عدة مجالات مختلفة كالمجال السياسي والاقتصادي والفكري والاجتماعي مما يتطلب الاعتماد على خبراء مختصين في كل مجال منها ممن تتعلق مؤهلاتهم وخبراتهم الشخصية بهذه المجالات .

التركيز

من تحديد الهدف وفهم المستهدف وتجهيز الاسلوب المطلوب يجب اعتبار عامل التركيز حيث نعمد إلى التكرار كصفة هامة يجب ان تتضمنها اية دعاية يراد لها النجاح ، كما يعني التركيز الثبات على الخط الدعائي وهذا لا يتعارض مع تنوع الاساليب كما يعني انتقاء بعض الجوانب لدى الهدف والتركيز عليها في العمليات النفسية .

التوقيت

يجب ان تنطلق العمليات النفسية بالوقت المناسب بعد تهيئة الجو للتصديق والقبول

فالتوقيت الدقيق يمنح الدعم لواقعية الدعاية ويساعد على اعطاء المردود النفسي المطلوب .

المصداقية

فالحقائق هي الاساس القوي الذي يترك اثره في المتلقي والمصداقية هي جسر الثقة ما بين المرسل والمستقبل . ويظل استخدام الحقائق الصادقة في الدعاية امر نسبي يخضع لاعتبارات عديدة كظروف الداعية وظروف الهدف والحالة الراهنة .

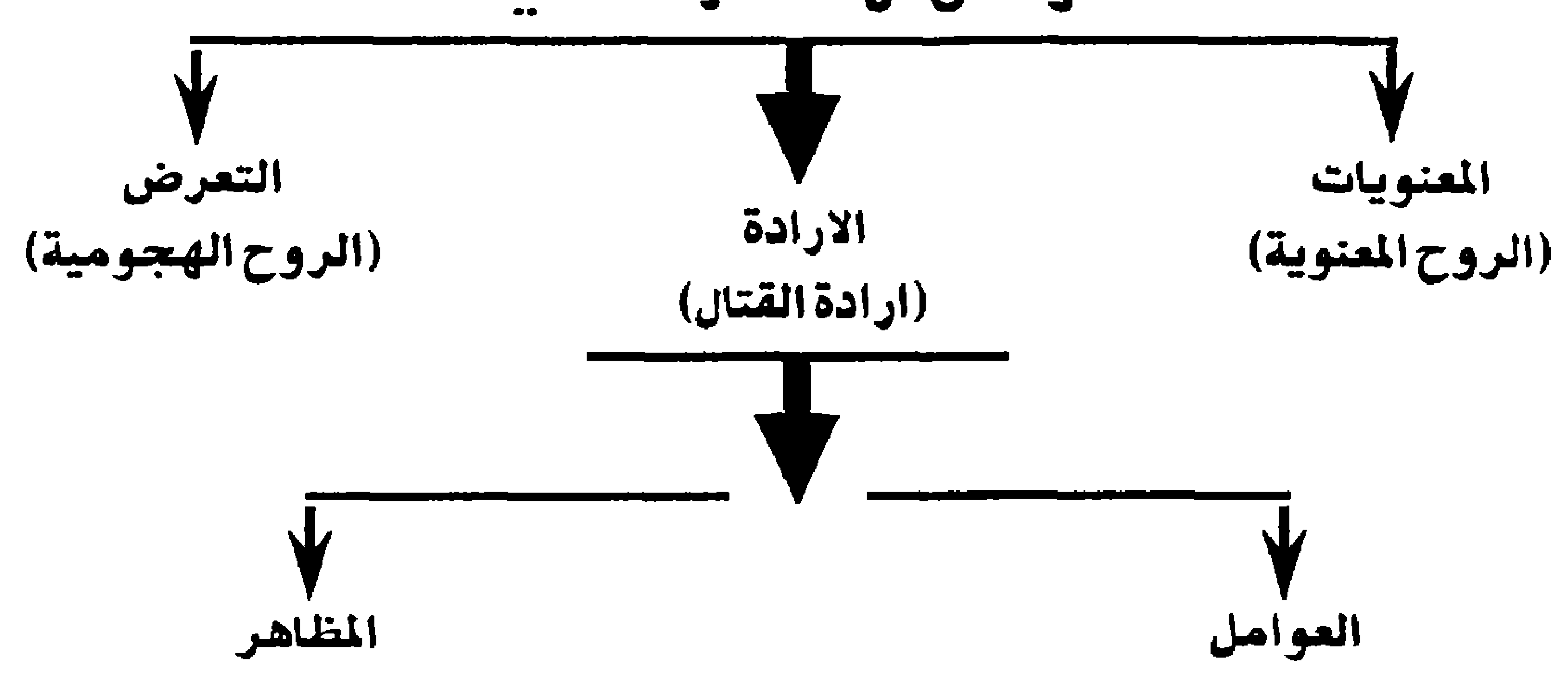
المـــرونة

وهذه تتأتى من خلال التعامل مع الواقع ومعطيات المرحلة الراهنة حيث لكل ظرف ومرحلة اسلوب ومرتكزات واهداف تفرضها تلك المعطيات فالحرب النفسية تقوم على البحث الذي يقف وراءه اخصائيون يرسمون معالمها ويحددون خطاها كما تقوم على التجربة العلمية التي تعتمد الافتراضات اولا ثم خطوات تنفيذية محددة الاهداف والابعاد كما تقوم اخيرا على الدروس المستفادة التي تعتمد التقويم والتحليل والاستنتاج .



تعتمد الدعاية على اساليب الاقناع والايحاء لتغيير الاتجاهات

عوامل الانتصار النفسية



العناصر المكونة لإرادة القتال

- المعنويات (الروح المعنوية العالية)
- العقيدة الراسخة (الايمان بالله وقيم الجهاد والشهادة)
- الايمان بالوطن (تكوين اتجاهات إيجابية تنعكس إعتزازاً وإنتماءاً)
- الايمان بالقوات المسلحة (تكوين اتجاهات إيجابية : الانتماء والاعتزاز العسكري)
- الايمان بالأهداف الوطنية المشروعة وبالحق الذي يعيش الإنسان من أجله ويموت .
- معرفة العدو وفهمه (كراهيته والحقد عليه والإيمان بضرورة دحره والقضاء عليه)
- معرفة النفس وفهمها (الايمان والشعور بأهمية الذات والثقة بالنفس)
- الثقة التامة بالنصر الأكيد
- الإحساس الراسخ بالكرامة
- الإحساس الراسخ بالشرف (الشرف الوطني ، الشرف الشخصي العائلي ، والشرف العسكري)
- القيادة الفذة الملهمة التي تفجر ينابيع الارادة الحديدية في النفوس
- التدريب المادي والمعنوي الذي يبعث على الثقة بالنفس والسلاح

ارادة القتال كما تظهر على السلوك

- الرغبة الأكيدة والعزيمة الصادقة للقتال
- العناد والتصميم على القتال مهما عظمت التضحيات وكثرت العقبات
- الاستمرار والقتال بحماس والإصرار على تحقيق الهدف
- الإقدام والمبادأة في أداء المهمات وتنفيذ الأوامر والواجبات
- القدرة على التصدي لفعاليات العدو المتوقعة وغير المتوقعة
- الثبات أمام الشدائد وتحمل عبء القتال فوق مستوى الطاقة الفعلية
- التغلب على الخوف من المجهول والخطر الوشيك والإستخفاف بالموت
- البطولة والشجاعة العسكرية (درجة التعقل والاتزان المكتسبة في مواجهة الخطر)
- التضحية (من أجل الجماعة وفي سبيل الهدف)
- الإستعداد والمبادرة مقابل الترقب والتوقع والانتظار
- الواقعية الايجابية مقابل الخيال أو الوهم
- الروح الهجومية والأعمال التعرضية اثناء القتال
- سرعة الاستجابة للمواقف المتغيرة

المعنويات
قواعد ـ عوامل ـ نتائج

العقيدة

العقيدة الدينية والقيم الروحية : (الجهاد والشهادة) الانتماء والإعتزاز الوطني تكوين الاتجاهات الوطنية الراسخة ، الانتماء والإعتزاز العسكري تكوين الإتجاهات الوطنية الراسخة (الاعتزاز بالرموز العسكرية) الايمان بالحق الذي يعيش لأجله الإنسان ويموت أهمية الذات وتحقيقها من خلال الواجبات

▼

إرادة القتال والتصميم التضحية والبطولة الحماس والإقدام الشجاعة والقوة

القيادة

فن القيادة الثقة بالقيادة (يستمد الجند معنوياتهم من قادتهم وليس العكس) التماسك الجماعي والانتماء للجماعة سيطرة الروح الجماعية ، الوظائف المناسبة ، ترشيد وتجانس القدرات والقابليات والمهارات ، الأخبار الواقعية ، الموضوعية والمصداقية هما السلاح من الخوف والغموض والشائعات ، الثقة بالنفس

▼

التماسك النفسي والعقلي والإنفعالي الثقة بالقيادة الصمود والثبات

التدريب

التدريب والتسليح والمعرفة العسكرية التربية والتوجيه التقدير السليم للمواقف والعمليات

▼

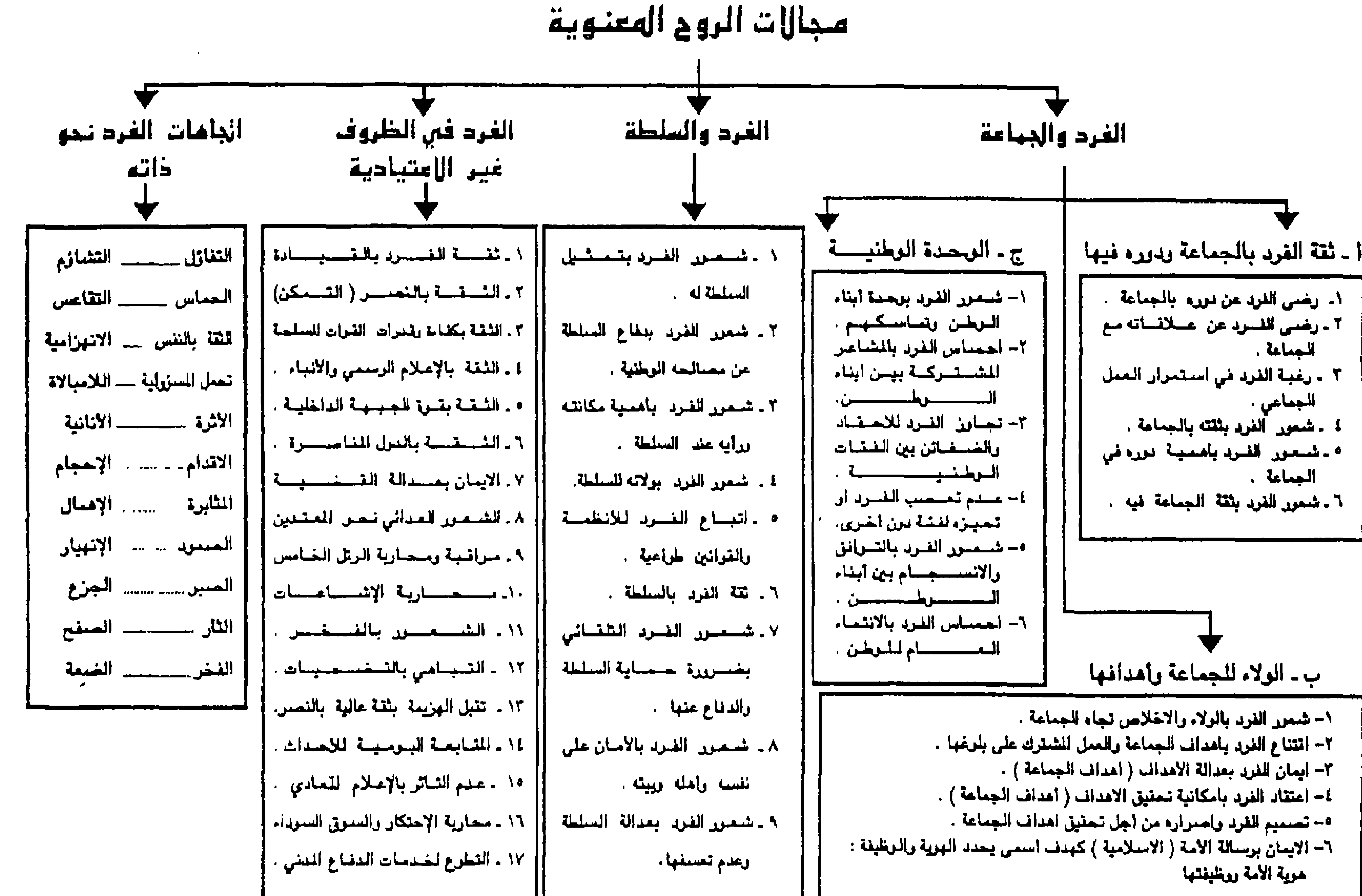
الإنضباط الضبط والربط العسكري الطاعة والتبعية الطوعيتان لمصلحة الجماعة الثقة بالسلاح والخبرة التدريبية

الإدارة

التغذية ، الماء والطعام (الجيوش تزحف على بطونها) النظافة والصحة (الأمراض تبدد القدرة القتالية) ، الدفء ، الملابس والمسكن والراحة (التعب وعدم النوم عوامل سلبية تؤثر على الفهم والاستبصار) الرفاهية (حسن استغلال الوقت سلاح ضد عوامل السأم والملل والقلق والفراغ)

▼

الشعور بالرضا والغبطة للإسهام بالجهود القتالي التحرر من مشاعر القلق والإستياء



مجالات الروح المعنوية
الفرد والجماعة
الفرد والسلطة
الفرد في الظروف غير الاعتيادية
اتجاهات الفرد نحو ذاته
أ - ثقة الفرد بالجماعة ودوره فيها
١. رضى الفرد عن دوره بالجماعة .
٢ - رضى الفرد عن علاقاته مع الجماعة .
٣ - رغبة الفرد في استمرار العمل الجماعي .
٤ - شعور الفرد بثقته بالجماعة .
٥ - شعور الفرد باهمية دوره في الجماعة .
٦ - شعور الفرد بثقة الجماعة فيه .
ب - الولاء للجماعة وأهدافها
١- شعور الفرد بالولاء والاخلاص تجاه الجماعة .
٢- اقتناع الفرد باهداف الجماعة والعمل المشترك على بلوغها .
٣- ايمان الفرد بعدالة الاهداف (اهداف الجماعة) .
٤- اعتقاد الفرد بامكانية تحقيق الاهداف (اهداف الجماعة) .
٥- تصميم الفرد واصراره من اجل تحقيق اهداف الجماعة .
٦- الايمان برسالة الأمة (الاسلامية) كهدف اسمى يحدد الهوية والوظيفة : هوية الأمة ووظيفتها
ج - الوحدة الوطنية
١- شعور الفرد بوحدة ابناء الوطن وتماسكهم .
٢- احساس الفرد بالمشاعر المشتركة بين ابناء الوطن.
٣- تجاوز الفرد للاحقاد والضغائن بين الفئات الوطنية .
٤- عدم تعصب الفرد او تحيزه لفئة دون اخرى.
٥- شعور الفرد بالتوافق والانسجام بين ابناء الوطن .
٦- احساس الفرد بالانتماء العام للوطن .
١ - شعور الفرد بتمثيل السلطة له .
٢ - شعور الفرد بدفاع السلطة عن مصالحه الوطنية .
٣ - شعور الفرد باهمية مكانته ورايه عند السلطة .
٤ - شعور الفرد بولائه للسلطة.
٥ - اتباع الفرد للانظمة والقوانين طواعية .
٦ - ثقة الفرد بالسلطة .
٧ - شعور الفرد التلقائي بضرورة حماية السلطة والدفاع عنها .
٨ - شعور الفرد بالامان على نفسه واهله وبيته .
٩ - شعور الفرد بعدالة السلطة وعدم تعسفها.
١ - ثقة الفرد بالقيادة
٢ - الثقة بالنصر (التمكن)
٣ - الثقة بكفاءة بقدرات القوات المسلحة
٤ - الثقة بالإعلام الرسمي والأنباء .
٥ - الثقة بقوة الجبهة الداخلية .
٦ - الثقة بالدول المناصرة .
٧ - الايمان بعدالة القضية
٨ - الشعور العدائي نحو المعتدين
٩ - مراقبة ومحاربة الرتل الخامس
١٠ - محاربة الإشاعات
١١ - الشعور بالفخر .
١٢ - التباهي بالتضحيات .
١٣ - تقبل الهزيمة بثقة عالية بالنصر.
١٤ - المتابعة اليومية للاحداث .
١٥ - عدم التاثر بالإعلام المعادي .
١٦ - محاربة الإحتكار والسوق السوداء
١٧ - التطوع لخدمات الدفاع المدني .
التفاؤل ـــــ التشاؤم
الحماس ـــــ التقاعس
الثقة بالنفس ـــــ الانهزامية
تحمل المسؤولية ـــــ اللامبالاة
الأثرة ـــــ الأنانية
الاقدام ـــــ الإحجام
المثابرة ـــــ الإهمال
الصمود ـــــ الإنهيار
الصبر ـــــ الجزع
الثأر ـــــ الصفح
الفخر ـــــ الضيعة

الفصل الثاني

أساليب الحرب النفسية

١ ـ الدعاية

٢ ـ الاشاعة

٣ ـ التضليل الاعلامي

٤ ـ غسيل الدماغ

٥ ـ الغزو الفكري

٦ ـ الفكاهة (النكتة) والكاريكاتير

٧ ـ البلاغات والنداءات

٨ ـ التخريب النفسي وافتعال الأزمات وإثارة الرعب والفوضى

٩ ـ استعراض القوة وعرض الاسلحة

١٠ ـ تشويه الشخصية

الفصل الثاني

أساليب الحرب النفسية

(١) الدعاية Propaganda

تمهيـــد :-

ان الباحث في موضوع الحرب النفسية يقف فيها أمام مجموعة من الاساليب والتي تُحقّق اهدافها بمجموعة من الوسائل او الأدوات ، وأن أبرز الاساليب التي تُمرّر الحرب النفسية اهدافها عبرها وتُحقّق أغراضها بواسطتها هي بلا منازع «الدعاية» ، الدعاية التي باتت مرادفاً للحرب النفسية في كثير مما يُبحث ويكتب كما أُفردت لها أجهزة ومؤسسات قائمة بذاتها حتى عرفت بها وزارة الرايخ الثالث فهي وزارة الدعاية ، ووزيرها الدكتور بول جوزيف جو بلز .

دراسة الدعاية والاهتمام بها :-

على غير ما سنجد في سائر أساليب الحرب النفسية ، التي قلَّ دارسوها وعزَّ باحثوها إمّا لجدّتها أو عدم العناية والأخذ بها عملياً مما لم يكن معه جدوى من الدراسة والبحث ، فإن الدعاية حظيت بدراسات مستفيضة واهتمامات عريضة ، وكانت ـ كما سبق ونوهّنا ـ تدرس ويشار اليها باعتبارها مرادفة للحرب النفسية .

واذا تحرينّا الدقة سنجد سبباً آخر غير الاهتمام بدراسة الحرب النفسية عموماً مع بدايات هذا القرن جعل المهتمين يدرسون الدعاية ذلك هو علم النفس الاجتماعي من جهة ، والصحافة من جهة اخرى ، ثم السياسة من جهة ثالثة . فالسياسة تهتم بالدعاية من حيث أنها اسلوب يؤثر استخدامه على نحو أفضل في اتجاهات الجمهور ، ويحُقّق خلق رأي عام مؤيد للحكومة بين أفراد الأُمّة كما يقدم فلسفة الحكم بقالب مقنع مقبول ، وبشكل عام فإن دراسة الدعاية والتعرف على امكاناتها كاملة أمر هام وحيوي ومفيد .

اما الصحافة والاعلام فإن الدعاية هي ايضاً حجر زاوية بالنسبة اليها واسلوب لا

يستغنى عنه ، ان لم تكن الصحافة بالنهاية هي دعاية على طريقتها الخاصة في كثير من الاحيان وفي ظل معطيات وظروف محددة . والارتباط موجود وقوي ولا ينفك مطلقاً ما بين الصحافة وسائر وسائل الاعلام والدعاية .

اما في مجال علم النفس الاجتماعي فإن الموضوع سوف يتضح لنا على شكل مفصل اكثر عندما نبحث عناوين مثل الدعاية والرأي العام او الدعاية والاتجاهات ، لأنّ علم النفس الاجتماعي موضوعه الجماعة وكل ما يتعلق او يرتبط بالجماعة تفاعلاً وتأثيراً سلباً وايجاباً ومن ثم كان موضوع الدعاية وغيرها من الاساليب التي تؤثر في الجماعة والرأي العام ، موضوعاً لا يمكن أغفاله .

وان التطور والاهتمام بهذه النواحي عموماً وفي مجال الاعلام من جهة وعلم النفس الاجتماعي من جهة اخرى ، وبالوقت نفسه في مجال علم النفس العسكري والحرب النفسية والتطور الذي طرأ على كل هذه المجالات ودراساتها وابحاثها بشكل خاص ، كل ذلك دفع إلى مزيدٍ من الاهتمام بها ودراستها .

وتشكل الدعاية في المؤسسات العسكرية التي تُخَصّصُ عادةً لمختلف فروع علم النفس العسكري ، وللحرب النفسية بشكلٍ خاص ، تُشّكل الدعاية دعامة هامة وموضوعاً أولياً في الدراسة فيوضع لها الاسس للعمل وتُحدّد أدواتها التي يمكن ان تستخدمها من مواقعها المختلفة مع اختلاف الزمان والمكان ، والظروف ومعطيات الاحداث ، كما توضع لها الاساليب الاجرائية او «التكنيكات» التي تُحقّق اغراض الدعاية من خلالها وبالنهاية يوضع لها اسلوب تقيمّي دقيق للوقوف على مدى الأثر الذي تركته والاهداف التي حققّتها . ومن ثم توضع للدعاية الكّراسات التدريبية للمشتغلين بها لتظهر في النهاية باعتبارها ليست مجرد موضوع أكاديمي وانما هي ممارسة عملية وتطبيق في الميدان ضمن أُطر وتحديدات دقيقة لها أجهزتها وادراتها وأطقمها التي تعمل فيها .

من هنا كان للدعاية كل هذا الاهتمام فهي في النهاية اسلوب منُظّم طُبقّ وما زال يطبق لتحقيق أغراض محدُدّة ، وهو الأبرز والاهم في الحرب النفسية كما هو في الاعلام والسياسة وغيرها من المواضيع ذات التماس المباشر مع الجماهير .

ما هي الدعاية؟ «تعريفها» :-

للاجابة على هذا السؤال علينا أن نقف على معنى كلمة الدعاية اللغوي بالعربية

والانجليزية ، ثم نقف على معناها الاصطلاحي بعد ان نستعرض كافة التعاريف التي تعرضت لها ونخرج بعد ذلك بالتعريف الذي يمكن ان يدل دلالة تامّة على معنى المصطلح .

المعنى اللغوي :

أخذت كلمة دعاية (Propaganda) في الأصل من الكلمة اللاتينية (Propagare) والتي تعني يبذر أو ينشر ، ويقال أنها أُخذت من الفعل (Propagate) ومعناه التنشئة والتنمية والذي يرجع إلى الاصل اللاتيني (Propagatus) [١] .

واستعملت كلمة (Propaganda) لأول مرة من قبل الفاتيكان عام ١٦٢٢م وذلك عندما أنشأ البابا جريجوري إدارة للدعاية تحمل إسم : (Congeregation of Prpaganda)[٢] وكانت تضم الادارة كبار الأساقفة وتتولى تنظيم وتخطيط المهام الخارجية للكنيسة الكاثوليكية والتبشير فيما وراء البحار [١] . بالوقت الذي يُرجع قاموس اكسفورد استعمالها إلى لجنة نشر العقيدة عام ١٦٣٣م (Congregatio de Propaganda Fide) والتي أنشأها البابا الثامن اوربان Urban في ذلك العام لتتولى مهمة التبشير الخارجي [٣] . وبغض النظر عن دقة التاريخ فمن ذلك الوقت ارتبط مفهوم الدعاية في الغرب بمفهوم الدعوة او التبشير . ومن هنا يمكن ان ندرك مغزى المعنى القاموسي للكلمة حيث يردّها منير البعلبكي في القاموس الانجليزي العربي (المورد) إلى اللاتينية ويقول أن (Propaganda) تعني مجمع التبشير : أي لجنة من الكرادلة مكلّفة بالاشراف على الارساليات التبشيرية[٤] . وهذا يكاد أن يكون ترجمة حرفية للادارة التي أنشأها البابا كما أوردناه ، وهو ما يذهب إليه الدكتور أحمد بدر عندما يَرُدُّ استخدام مصطلح الدعاية إلى الكلمة اللاتينية (Congregatio de Propaganda Fide) حيث كان لهذا المصطلح علاقة بالجهود التي تبذلها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لنشر الدعوة المسيحية عن طريق المبشرين .

أما المعنى اللغوي العربي للكلمةفيردّنا إلى رسالة النبي ﷺ التي وجهها إلى هرقل حيث ترد الكلمة في السياق «أدعوك بدعاية الإسلام» أي بدعوته ، وهي كما في لسان العرب :

---

(١) د . محمد عبد القادر حاتم . الاعلام والدعاية ، قلتة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

(٢) د . محي الدين عبد الحليم . الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية . مكتبة الختجي بمصر ، ١٩٨٠ .

(٣) د . اسماعيل علي سعد . الاتصال والرأي العام . دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية (مصر) ١٩٧٩ .

(٤) منير البعلبكي ، المورد / قاموس انكليزي عربي . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ .

كلمة الشهادة التي يَدعى اليها اهل الملل الكافرة . وفي رواية : «بداعيه الاسلام» وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة .

وللتعرف على أصول الكلمة نرجع إلى المعاجم العربية فنجد في لسان العرب مايلي :

دعا دَعْواً ودُعاءً : ناداه ، والاسم الدعوة .

والدعُاةً : قوم يدعونَ إلى بيعة هُدىً أو ضلالة .

ورجلٌ داعيةٌ اذا كان يدعو الناس إلى بِدْعة أودين ، أُدخلت الهاءُ فيه للمبالغة .

والنبي ﷺ داعي الله تعالى . قال عز وجل مُخبراً عن الجن : ﴿قالوا ياقومنا أجيبوا داعي الله﴾ [٣١/الاحقاف] .

وفي التهذيب : النبي ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته ، وقوله تعالى : ﴿وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ [٤٦/الاحزاب] ، معناه : داعياً إلى توحيد الله وما يُقَرِّب منه .

ونجد في معجم الفاظ القرآن الكريم الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر ان مشتقات دعا قد استخدمت بمعنى الحَث :

﴿اؤلئك يدعــون إلى النار﴾ [٢٢١/البــقــرة] ، بمعنى يحـثّون . ﴿يدعـون إلى الهـدى﴾ [٧١/الأنعـــام] ، أي يحثونه على الهدى . ﴿أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [١٢٥/النمل] ، أي حُثّ .

نخلص من هذا كله إلى أن الدعاية استخدمت بالعربية بمعنى الدعوة ، وتعني الحث على اتباع هدي العقيدة والاستجابة إلى حقائقها الواضحة . وبقي هذا المعنى على حالة مع تعميم مضمون الدعوة الذي اصبح يشمل المذهب السياسي بالاضافة إلى العقيدة الدينية كما في الدعوة الفاطمية ودعاتها ، حيث كانت تعني الدعوة للمذهب السياسي والدعاة هم المروّجون لهذا المذهب مما جعلها قريبة من معنى الدعاية ومفهومها المعُاصر والذي دخل الكتابات العربية الحديثة مع دخول الكلمة الاجنبية في مطلع القرن حيث تُرجمت إلى ما يعني الترويج للحق والباطل على السواء .

وفي صدد التفريق ما بين الدعوة والدعاية نجد الدكتور حامد عبدالله ربيع ينطلق من خلال تقاليد التعامل النفسي للدعاية الاسرائيلية ويقرر أنها مكنتّنا من التمييز بين مستويات هذا التعامل خاصة في مجال الدعوة فيقول (١) :-

(١) د . حامد ربيع . الحرب النفسية في المنطقة العربية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

أن الدعـوة تتجّه في الخطاب إلى الانصار ومن في حكمهم وإلى شخص يؤمن أو على استعداد لأن يؤمن وغايتها تعميق علاقة الولاء وهي عاطفة تُفسّر الولاء وتفرضه ، وهي تقوم على الصراحة وتسعى إلى الحقيقة وإلى المنطق الذاتي لتخاطبه ، واذا كانت الدعوة تفرض علاقة روحيَة وانتماءً عقيدياً فإن الانتماء العقيدي بدوره يفترض تقبل الرسالة بكاملها وبكلياتها ومن ثم الايمان بالجزئيات والفرعيات .

أما الدعاية فهي تتجه في الخطاب إلى الصديق وغير الصديق او إلى غير المهتم لتُغيّر من مظاهر الاستجابة فلا تفترض علاقة ولاء او علاقة روحية مسبقة فمن تتجّه له الدعاية لا تربطه بمصدر الدعاية اي رابطة تفرض عليه الاستماع او التجاهل ، والدعاية تعمل على خلق شحنة انفعالية ولا تتردد في الكذب وحتى عندما لا تلجأ إلى الكذب فهي تقوم على اساس التلاعب بالحقيقة والدعاية تتجه إلى شخص يقتنع او على استعداد لأن يقتنع والاقتناع هو نوع من المناقشة المجردة تنتهي بتقبل وجهة نظر معينة ـ على عكس الإيمان كما في الدعوة ـ او هي تبدأ من الاقتناع بالجزئيات لأنها بالاصل منطق مفترض لذلك فهي لا تعدو ان تكون مجموعة من الحجج الجزئية الفرعية التي من خلال الاقتناع بها لابد وان ينتهي الفرد إلى تقبل وجهة نظر معينة .

المعنى الاصطلاحي :

للتعرف على المعنى الاصطلاحي للدعاية ، علينا اولاً الوقوف على معظم التعاريف التي تعرضّت لها لنخرج من بعد بالقواسم المشتركة والمفاهيم العامة للدعاية لنُحدّد من ثم معنىً أو تعريفاً يمكن ان يدل دلالة تامة على معنى المصطلح الذي ندرسه .

وقبل عرض التعاريف المختلفة نحب ان ننبه إلى أن تعاريف الدعاية التي قد يبدو فيها تضاد او تنافر إنما تعكس وجهة نظر الباحث الذي عرفَها من حيث معناها ومحتواها وهدفها ولذلك سينجم عن اختلاف وجهات النظر اختلاف في التعاريف نفسها .

١ ـ تُعرّف الدعاية في قاموس المصطلحات العسكرية (١) بأنها :

الدعاية معلومات أو آراء أو عقائد او نداءات خاصة لدعم الهدف القومي ، مصُمّمة للتأثير على الآراء او وجهات النظر او الانفعالات أو سلوك أية جماعة خاصة لصالح المسؤول سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة .

---

(١) الفريق الركن محمد فتحي أمين . قاموس المصطلحات العسكرية . بغداد ١٩٨٢م .

وهذا التعريف مطابق لما وضعته كراسة التدريب الامريكية للعمليات النفسية [1] حيث تعرفها بأنها : أي شكل من اشكال الاتصال (أو النشر المتعمد) لدعم الأهداف الوطنية يصُممّ للتأثير على أراء وعواطف واتجاهات وسلوك أي جماعة بحيث يُفيد الجهة القائمة عليه بشكل مباشر أو غير مباشر .

٢ ـ أما موسوعة السياسة [2] فتعرف الدعاية باعتبارها :

نشر الأفكار ووجهات النظر والمواقف المرغوب في أن يتبناها الآخرون . (مستخدمة لذلك وسائل الأعلام والأتصال المختلفة ، واحدث فنون الايحاء الذاتي المبنية على اكتشافات علم النفس الفردي والاجتماعي) .

٣ ـ ويعرفها صلاح نصر بأنها [3] :

الاستخدام المعني به لأي نوع من وسائل الأعلام بقصد التأثير في عقول وعواطف : جماعة معينة لغرض عام معين عسكري ، اقتصادي او سياسي .

ويحُورّ في التعريف بعض الشيء لينطبق على ما يُسميّه بالدعاية العسكرية فيقول أن الدعاية العسكرية هي :

الاستخدام المعني به لأي نوع من وسائل الاعلام بقصد التأثير في عقول وعواطف : جماعة معادية معينة ، أو جماعة محايدة ، أو جماعة صديقة أجنبية لغرض استراتيجي أو تكتيكي معُيّن .

٤ ـ أما الباحث فور مان جون باول فيعرف الدعاية بأنها [4] :

هي نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الافكار أو السلوك أو كلاهما معاً .

٥ ـ يعرفها الدكتور محمد عبد القادر حاتم بقوله أنها [4] :

فن اقناع الآخرين بأن يسلكوا في حياتهم سلوكاً معيناً ما كانوا ليسلكوه بدونه .

---

(١) Head quafer's Departement of The Army. Psycholegical Operations (FM 33-1) Washington, DC. 1979.

(٢) د . عبد الوهاب الكيالي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ، ١٩٨١ . ص ٦٨١ .

(٣) صلاح نصر . الحرب النفسية حرب الكلمة والمعتقد ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٤) د . محمد عبد القادر حاتم . المرجع السابق نفسه .

٦ ـ أما الدكتور منصور فهمي . في كتابه الأعلان [١] فيعرفها بأنها :

النشاط الذي يؤدي إلى التأثير في عقيدة الجمهور ، سواء لجعله يؤمن بفكرة أو مبدأ أو عقيدة معينة ، أو من أجل صرفه عن فكرة أو مبدأ أو عقيدة يؤمن بها .

٧ ـ ويعرفها كالتر بأنها [٢] :

المحاولة المقصودة التي يقوم بها فرد او جماعة من اجل تشكيل اتجاهات جماعات اخرى او التحكم فيها أو تغييرها ، وذلك عن طريق استخدام وسائل الاتصال . والهدف من ذلك هو أن يكون رد فعل اولئك الذين تعرضوا لتأثير الدعاية ـ في أي موقف من المواقف ـ هو نفسه رد الفعل الذي يرغبه الداعية .

٨ ـ ويعتبرها الدكتور أحمد بدر أنها (٢) :

تلك الجهود المقصودة التي يقوم بها الداعية لتوجيه أو تطويع افعال الناس وافكارهم في مجالات المعتقدات والقيم غير المتفق عليها مستخدمة الرموز (Symbols) بأنواعها المختلفة (كلمات ، ايحاءات ، صور ، موسيقى . . .) .

٩ ـ وتونيس Tonnies يعرفها بأنها (٢) :

اثارة الرأي العام على نطاق واسع بغرض نشر الافكار دون اعتبار لصدقها أو دقّتها

١٠ ـ وميرتون يحددها باعتبارها (٢) :

مجموعة الرموز التي تؤثر على الرأي أو الاعتقاد أو السلوك وذلك بالنسبة للقضايا غير المتفق عليها في المجتمع .

١١ ـ أما غي دور نداان [٣] فيعرفها بأنها :

الجهود التي تهدف إلى توليد التصرفات (أو منعها) بتعديل ادراك المجموعة (السكانية) التي تتوجه اليها (الدعاية) وأحكامها التقييمية .

١٢ ـ يعرفا الباحث الامريكي كيمبال يونغ Kimball Young بأنها :

---

(١) د . منصور فهمي . الأعلان . دار النهضة العربية للنشر ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٢) د . أحمد بدر . الأتصال بالجماهير . وكالة المطبوعات ، الكويت . ١٩٨٢ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) غي دورنداان . الدعاية والدعاية السياسية . ترجمة د . رالف رزق الله . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت . ١٩٨٣ .

إستخدام الرموز على نحو متعمد ومخطط من خلال الايحاء أساساً وما يتصل به من تكنيكات نفسية ، بقصد تغيير وضبط الآراء والافكار والقيم وتغيير الافعال الظاهرة في نهاية الأمر عبر خطوط حددت سلفاً . وقد تكون الدعاية واضحة والقصد منها مُعلناً أو قد تستخفي بمقاصدها . وهي تقع دائماً في نطاق اجتماعي ثقافي لا يمكن بدونه أن تفهم ملامحها النفسية أو الثقافية .

١٣ ـ حامد زهران [١] يعرفها بأنها :

نشر معلومات (حقائق أو مبادىء أو مجادلات أو اشاعات أو أنصاف حقائق أو اكاذيب) وفق اتجاه معين من جانب فرد أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير في الرأي العام وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الأعلام والأتصال بالجماهير .

١٤ ـ ويعرفها العلاّمة (دووب) في كتابه الرأي العام والدعاية بأنها :

المحاولة المنظمة التي يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد لهم مصلحة معينة عن طريق التحكم في اتجاهات الأفراد والجماعات وذلك باستخدام الأيحاء بهدف التحكم في أفعالهم [٢] .

كما يعرفها بأنها :

محاولة التأثير في الشخصيات وضبط سلوك الأفراد في اتجاه غايات تعتبر غير علمية أو مشكوك في قيمتها في مجتمع ما في فترة معينة [٣] .

١٥ ـ وتُعرّف كراسات التدريب الدعاية بأنها :

هي تنظيم عمليات اقناعية بوسائل غير عنيفة لتغيير رأي الآخرين حول موضوع بعين يؤدي إلى تحويل السلوك من اتجاه إلى آخر مخطط له .

ويمكن باستقراء هذه التعاريف أن نخرج بقواسم مشتركة ونقاط أساسية تُركّز عليها جميع التعاريف التي تتعرض للدعاية :

١ ـ أن هنالك داعية وفي المقابل هدف للدعاية :

---

(١) د . حامد زهران . علم النفس الاجتماعي ط ٤ عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ص ٣٢١ .

(٢) د . محي الدين عبد الحليم . الأعلام الأسلامي وتطبيقاته العملية . مكتبة الخانجي بمصر . القاهرة . ١٩٨٠ .

(٣) د . اسماعيل علي سعد . المرجع السابق نفسه . ص ١٢١ .

والداعية قد يكون فردا أو جماعة كما أن الهدف هو في الأعم الأغلب جماعة وهذه قد تكون جماعة معادية ، أو جماعة محايدة أو جماعة صديقة .

٢ ـ أن الداعية يستخدم وسائل عديدة لتمرير رسالته أو دعايته :

وهذه الوسائل هي : وسائل الأعلام ، وسائل الاتصال ، نشر المعلومات (والمعلومات بدورها قد تكون حقائق أو مبادىء أو مجادلات أو اشاعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب) ، الآراء ، العقائد ، النداءات ، الشعارات ، الافكار ، وجهات النظر ، المواقف (المرغوب في تبنيها) ، المعتقدات ، القيم غير المتفق عليها (القضايا المختلف عليها : وفي مسألة القيم غير المتفق عليها خلاف حيث تختلف في نظرة المجتمعات لها ، فما لدى مجتمع من قيم يعتبرها حقائق لا تقبل النقّاش هي نفسها في مجتمع آخر يعتبرها اموراً غير متفق معها) الرموز (والرموز بدورها قد تكون كلمات أو إيماءات ، أو صور أو موسيقى أو اعلام ورايات . . . الخ) .

٣ ـ ان هنالك اساليب محدَّده لاستخدام الوسائل :

فن الاقناع ، الايحاء ، اعتماد الجهد المقصود (محاولة مقصودة) والاستخدام المخطط (محاولة منظمة) بكلمات اخرى أن الدعاية تعتبر فنّا اقناعياً ، أو استخداماً للايحاء كتكنيك ، أو أنها جهداً مقصوداً بذاته ، أو أنها الأستخدام المخطط المنظم المدروس (التوجيه) وهنا نجد بعض الخلافات في مجالين :

أ ـ اعتبار الدعاية فن اقناع

ب ـ واعتبار الدعاية جهداً مقصوداً

أ ـ فبالوقت الذي يُجمع فيه الباحثون على ان الدعاية تعتمد وتُعتبر فن الاقناع نجد باحث مثل غي دوراندان لا يعتبرها كذلك نظراً لأن الأقناع يفترض ضمناً وجود (الآخر) (والمحاور) أو (الاتصال بالاتجاهين) وهو يقرر أن المُحاور غائب تماماً في الدعاية لأن الداعية لا يتوجه اطلاقاً إلى (وعي) الأفراد (ومنطقهم) بل يستخدم (الأفكار المنُمّطة) ويستفيد من النكوص المنطقي لدى الجمهور وعدم تأهيله الكافي في ميدان المنطق . كما يتوجه إلى الغرائز والركن اللاواعي من الشخصية فالدعاية لاتتوجه للعقل بقدر ما تستند إلى النكوص المنطقي (أوالأفكار المنُمّطة باعتبارها مسلمات لا تقتضي التثبت منها) وتستند إلى ميكانزمات وآليات اللاشعور .

ب ـ أما اعتبار الدعاية جهوداً مقصودة فنجد الباحث ليونارد دووب يستبعد عنصري (الجهود الواعية المقصودة) و (التوجيه والتطويع) وينكر على الدعاية ان تكون دائماً جهوداً مقصودة فربما تكون غير مقصودة أحياناً .

٤ ـ أن غرض إستخدام الوسائل السالفة الذكر ضمن الأساليب المحددة هو للتأثير على جوانب معينة لدى الهدف وإحداث التغيير في هذه الجوانب :

وهذه الجوانب قد تكون آراء أو عواطف أو اتجاهات ، كما قد تكون السلوك ، وهي كذلك الأفكار ، العقول ، وعقيدة الجمهور ، والرأي العام ، والأعتقاد ، والمواقف ، والميول وكذلك توجيه أو تطويع أفعال الناس ، وتوليد التصرفات (أو منعها) وتوليد رد الفعل بحيث يكون هو رد الفعل المرغوب للداعية نفسه ، وتعديل إدراك الهدف (المجموعة) وأحكامها التقيمية .

٥ ـ أن التغيير المطلوب هو في النهاية لتحقيق اغراض مرسومة :

غرض واحد أو أغراض عدّة معيَّنة تكون لصالح الداعية تتراوح ما بين السياسية إلى العسكرية أو الاقتصادية ، ولدعم الاهداف الوطنية لجهة الدولة المستخدمة .

* ومن خلال ما اوردناه من تعريف ومن ثمّ القواسم المشتركة التي خرجنا بها من خلال تلك التعاريف يمكن أن نُجمل ذلك بتعريفٍ جامعٍ للدعاية :-

الدعاية هي الأستخدام المخطط المقصود لوسائل الأعلام والمعلومات والرموز اللفظية والسمعية والبصرية والادراكية وغيرها ضمن أساليب من الاقناع والايحاء بقصد التأثير وإحداث التغيير على جوانب معينة لدى الجهة الهدف كالاتجاهات والسلوك مما يُحقّق أغراض الجهة الداعية .

* * *

دور الإقناع في الدعاية

للوقوف على دور «الإقناع» في الدعاية كعملية نفسية اجتماعية لا بد اولاً من التعرض لمفهوم الدعاية الأعلامية والدعاية السياسية ثم استعراض «الإقناع» ودوره فيهما :-

١ ـ الدعاية الإعلامية

الدعاية الإعلامية (Information Propaganda) نشاط اتصالي يعنى بالتأثير والفاعلية

التي تحققها الرسالة الإعلامية في الجمهور الموجهة اليه ، ومن هنا ، فإن الدعاية علم قائم على دراسة الأسس التي تستخدم الرموز بموجبها وتستغل بصورة تؤدي إلى تشكيل أفكار المتلقين ومواقفهم ، ومن ثم سلوكهم ، من هذا المنطلق لا يجوز اعتبار الدعاية الإعلامية عملا شريراً وغير أخلاقي أو مجموعة من الأكاذيب ، لأن مثل هذا الادعاء يحول دون فهم ظاهرة الدعاية على حقيقتها كعلم له قواعد وأصول .

في أعقاب الحرب العالمية الأولى أخذ الباحثون يبدون خشيتهم وقلقهم من وسائل الأعلام الجديدة كالراديو ، والسينما ، ومن الاثار المترتبة على المستمعين والمشاهدين كما أعرب الباحثون أيضاً عن خشيتهم من احتكار الصحف وزيادة السيطرة عليها من قبل مجموعات محددة . منذ ذلك الحين ، بدأ الاهتمام يتزايد بالدعاية الإعلامية وبالاثار التي تنجم عنها ويعتبر الاهتمام بدراسة آثار الدعاية الإعلامية النواة الأولى لعلم الاتصال الحديث . وقد تركز اهتمام الباحثين الاوائل على الامور الثلاثة التالية :

أ ـ بنية الإعلام ، وملكيته ، والسيطرة عليه ، وآثاره الاجتماعية .

ب ـ تحليل مضمون الدعاية ومحتواها

جـ ـ أساليب الدعاية (والطرق الشيطانية) التي تؤثر بها على الناس

أن جذور الخشية من الدعاية الإعلامية ترجع إلى استعمالها كرديف للمجهود الحربي أثناء الحرب العالمية الاولى ، ثم استغلالها في أعقاب الحرب ببراعة من قبل مختلف الانظمة السياسية ، ولا يخفى أن الاعتقاد بنظرية الرصاصة الإعلامية كان له دور هام في زيادة الخشية من الدعاية الإعلامية ففي تلك الفترة المبكرة من عمر علم الاتصال كان الإعتقاد سائدا بقوة مفعول وسائل الإعلام ، وبقوة آثارها على المتلقين باعتبار أن الجمهور خامة بيضاء سلبية ، يستطيع الاعلامي أو الدعائي أن يؤثر فيها ويتلاعب في أفكارها ومشاعرها ، ويوجهها الوجهة التي يشاء ، بل أن الخشية ازدادت من الاذاعات التي أخذت رسائلها تصل إلى أي جمهور كان ، دون الاعتبار للحدود السياسية أو العوائق الجغرافية أو الرقابة ، وبسبب الاعتقاد بقوة مفعول الإعلام ازدادت الخشية من قدرة الاذاعات رغم بعد الشقة ، على «حقن» المتلقين بالأفكار والمبادىء ومن ثم السيطرة عليهم وعلى أفعالهم ، لهذا غدت الدعاية الاعلامية عملا مخيفا وكريها ، واستنت القوانين لتحمي الناس منها ومن شرورها .

هذه الظروف التي نشأت فيها الدعاية الاعلامية كانت وراء واحد من أقدم التعاريف الحديثة لها . والذي قدمه (معهد تحليل الدعاية الامريكي) عام ١٩٣٧ ويبدو أن أفكار الباحث (هارولد لاسويل) الذي قام بابحاث عديدة انصبت في مجملها على تحليل مضمون الدعاية الإعلامية وجدت لها صدى في هذا التعريف ، يقول هذا التعريف أن «الدعاية الإعلامية تعبيرعن رأي أو فعل يقوم باعداده ، بصورة متعمدة وواعية ، أفراد أو مجموعة من الناس بقصد التأثير على آراء وافعال أفراد أو مجموعات أخرى لاغراض وأهداف تم تحديدها مسبقاً» .

واذا رجعنا إلى تعريف كل من دووب وكالتر نرى من الواضح أن هذه التعاريف جميعها تؤكد على أن الدعاية الإعلامية تهدف إلى التأثير على عقول وأفكار وقيم ومعتقدات الجمهور المتلقي لها ، خاصة في أوقات نشوب الخلافات ، كما تؤكد على أن هذا التأثير ينجم عن استعمال الرموز واستغلالها بصورة منظمة ومدروسة ، وأن مجال الدعاية هو مجموعة كبيرة من الناس وأن الوصول اليهم يتم باستعمال الاتصال ووسائله ، وأن الهدف النهائي للدعاية هو دفع المتلقين للقيام بأفعال تتماشى والاهداف التي رمى اليها الداعية وتتفق مع غاياته .

يختلف نسبيا ، عن هذا المنظور إلى الدعاية الإعلامية ذلك المنظور التاريخي ـ الاجتماعي الذي يقدمه الباحث الفرنسي (جاك ايلل) وقد ركز (ايلل) على أن الدعاية الإعلامية ضرورة لاغنى عنها للفرد والدولة والمجتمع في هذا العصر ، الذي يتميز بوجود المجتمع الجماهيري (Mass Society) وضخامة أعداد الافراد فيه ، فالدعاية ضرورية لهؤلاء جميعا لانها تلبي احتياجاتهم المختلفة فبالنسبة للافراد تقدم الدعاية الدعم النفسي لمواجهة صعوبات الحياة الحديثة ومشاكلها وتعقيداتها ، كما تساعد الفرد على مواجهة الوحدة والتغلب عليها ، وهي لذلك تعمل على اشراك الافراد بصورة فعالة في مختلفة النشاطات ، معززة بذلك احترامهم لانفسهم وأهميتهم كأفراد ، وتحقق الدعاية كل هذا من خلال قدرتها على تبسيط المفاهيم والامور وتهوينها . كذلك تحتاج الدولة إلى الدعاية الإعلامية لانها تساعد في تنظيم المجتمع لممارسة سلطانها عليه ، ان الدولة الحديث تعتبر نفسها ممثلة للرأي العام ومحصلة له ولهذا يشارك الافراد في كافة النشاطات السياسية والاجتماعية وهنا تعمل الدعاية الإعلامية على ربط الافراد بالدولة وبقراراتها ويحدث ذلك حين تنجح الدعاية الرسمية بتوليد شعور عام بالمسؤولية لدى الافراد ازاء مختلف القضايا والمسائل ولأن الرأي العام لا يقود الدولة بل يتبعها فإن الدعاية تصبح ساعد الدولة في توجيه الرأي العام وقيادته ودفع الافراد لكي يأخذوا جانب

الدولة وعندها تصبح سياسة الحكومة الموضوعة والمقررة سلفا مطلبا للجمهور وغاية من غاياته ، ولاجل هذا لابد من قيام الدولة بقياس الرأي العام لتتعرف من خلاله على احتياجات الافراد وتوجهاتهم ، من هذا المنطلق يعرف (ايلل) الدعاية الإعلامية بأنها «تلك الاساليب التي تستخدمها مجموعة منظمة ترغب في تحقيق المشاركة ـ المباشرة وغير المباشرة ـ في أفعالها بين أفراد الجمهور الذين يتم توحيدهم نفسيا ، عن طريق استعمال الاساليب النفسية لادماجهم في اطار الدولة المنظمة» . واذا قارنا بين منظور (ايلل) للدعاية الإعلامية وبين منظور الباحثين الاخرين ، لما وجدنا فرقا كبيرا بينهم ، سوى أن (ايلل) ينظر إلى الدعاية الإعلامية بمنظور أشمل وأوسع ، وهو بذلك يخرج عن اعتبار الدعاية عملا يقتصر فقط على التأثير في مجموعة مستهدفة ومحددة ، رغم أنه لا ينفي ذلك ، بل ينظر اليها كاسلوب عمل تستدعيه طبيعة الحياة السياسية الحديثة لذلك يقترب مفهوم الدعاية عند (ايلل) من مفهوم الإعلام .

الدعاية الإعلامية والتعليم والإقناع

رغم تداخل الدعاية بالتعليم عند بعض الانظمة الا أنه من المناسب ايراد بعض الفروق التي تميزهما عن بعضها ، فالتعليم يهدف في الاساس إلى تدريب الناس كيف يفكرون في حين أن الدعاية تزود الناس بالافكار الجاهزة ، وإذا كان هدف التعليم تنمية المهارات ببطء وتدرج ، فإن الدعاية تسعى لتحقيق النتائج بسرعة ، لذلك فإن التعليم يسعى إلى غرس المسؤولية في النفوس واعداد عقول منفتحة ، بينما الدعاية تعمل على ايجاد عقول مغلقة ، ومن ناحية ثانية ، فإن معيار التعليم هو معالجة الحقيقة المجردة البعيدة عن الهوى الشخصي بينما معيار الدعاية هو النتائج التي تحققها دون اعتبار للحقائق المجردة ، والدعاية الإعلامية ، رغم ما فيها من أضاليل وخداع ، إلا أنها تستند دائما إلى الحقائق كلها أو بعضها ، لاجل هذا ، فإن الدعاية تسعى دائما لخدمة أغراض فئة معينة بينما يهدف التعليم إلى خدمة المجتمع والانسان والصالح العام ، وفي هذا المجال ، فإن ايراد الفرق بين الدعاية والإقناع (Persuasion) يساعد أيضاً في تحديد الخط الدقيق الفاصل بين التعليم والدعاية ، فالاقناع هو استخدام الرموز واستغلالها بهدف دفع المتلقين للقيام بأعمال محددة ، ويتحول الاقناع إلى دعاية حينما يوجه المتلقون للقيام بأعمال تخدم أغراض المرسل ـ أو الشخص الذي يتولى الإقناع ـ أكثر مما تخدم المتلقي نفسه .

الدعاية الإعلامية والإعلان

بعد قيام الثورة الصناعية وما نجم عنها من انتاج السلع والمواد بكميات كبيرة امتلأت الاسواق التجارية بالمنتجات الفائضة عن الطلب ، وأخذ المنتجون يتبارون في ابتداع أساليب جديدة هدفها تسويق الفائض فظهرت لذلك صناعة الإعلان التجاري للترغيب في تسويق البضائع والترويج لها ، ودفع الناس لشرائها ، ونتج عن ذلك ازدياد الاهتمام بتطوير تقنيات الاعلان واساليبه ومناهجه وتتوخى الإعلانات أن تجعل المتلقي يرى الفكرة ويفهمها ، ويتذكرها ، ومن ثم يتصرف ازاءها بطريقة محددة تدفعه إلى شراء السلعة المعلن عنها . واكتشف المعلنون أهمية التكرار وضرورة تبسيط الأفكار المعلن عنها ، وفي مجال الدعاية الإعلامية ، استفاد الباحثون من اساليب الإعلان ومناهجه واقتبسوا منها الكثير ، اذ لا فرق من ناحية المبدأ بين الإعلان عن السلع والبضائع أو عن الافكار والمبادىء ، غير أن التشابه بين أساليب الإعلان والدعاية الإعلامية لا يعني الخلط بينهما ، فالإعلان هو رسالة مدفوعة الثمن ويمكن تحديد مصدرها بسهولة ، بينما الدعاية أعقد من ذلك بكثير .

الدعاية والحرب النفسية

ولا يكتمل الحديث عن الدعاية دون التعرف على صلتها الإعلامية بالحرب النفسية وإن كان استعراضنا للدعاية منذ البداية باعتبارها أسلوباً من أساليبها . فالحرب النفسية (Psychological warfare) هي حرب الدعاية الإعلامية التي تستخدم اثناء الحرب الحقيقة أو الباردة ، وهي حرب دعائية تستخدم اسلحة العقل والعواطف لتحطيم معنويات العدو ، العسكرية أو المدنية ، واضعاف ارادة القتال لديه في اوقات الصدام المسلح ، أو بديلا للصدام المسلح لتحقيق الغايات ذاتها ، الحرب النفسية تعمل أيضاً على زرع بذور الشك في دوافع العدو وتعمل على تحطيم هيبته حتى من المتعاطفين معه ، واجتذاب المحايدين بعيدا عنه والحرب النفسية لذلك ، أسلوب دعائي يستخدمه عسكريون ومدنيون ، مختصون في مختلف المجالات العلمية والانسانية ، من أجل تحقيق أهداف محددة أثناء أوقات الشدة أو الصدام مع العدو .

الدعاية الإعلامية وغسيل الدماغ

يتميز غسيل الدماغ بأنه أسلوب قسري يهدف إلى اضعاف مقاومة الفرد المستهدف الذي

غالبا ما يكون أسيراً في معتقل تحت رحمة آسريه ، ويتحقق ذلك عن طريق التجويع والتعذيب والتهديد والأرهاب ، وأحيانا المخدرات أو التنويم المغناطيسي ، ويؤدي هذا العمل في النهاية إلى تدمير عقل الفرد الذي تجرى عليه هذه العمليات ، فيخضع إلى ارادة الذين يتعاملون معه ، وهنا تبدأ مرحلة إعادة التعليم والإقناع بالأفكار الجديدة التي تحل محل الأفكار السابقة ، أن أساليب التعذيب التي تستعمل في عمليات غسيل الدماغ تتنافر مع الدعاية التي تعتمد على استغلال الرموز لتغيير أفكار المتلقين غير أن الأساليب الدعائية المختلفة قد تطبق على الفرد لدى البدء في مرحلة اعادة تعليمه أو اقناعه بالأفكار الجديدة ، من ناحية ثانية ، فإن غسيل الدماغ يقتصر على عدد محدد من الناس يتم عزلهم والتعامل معهم فرادى ، ذلك أن غسيل الدماغ قد لا ينجح مع المجموعات الكبيرة من الافراد ، لأن وجود الجماعة يعزز من مقاومة الافراد ويقوي ارادتهم ، الامر الذي يؤدي في النهاية إلى أفشال تلك العملية .

٢ ـ الدعاية السياسية

ترتبط الدعاية السياسية ارتباطاً وثيقاً بالأعلام ، والاعلام العصري بكل ما تجمع لديه من وسائل الانتشار السريع صار أخطر من أحدث أسلحة القتال حيث الحملات الإعلامية في العقد الأخير من القرن العشرين أصبحت قادرة على إيجاد ما يعرف (بنفسية الحرب) قبل تحريك الجيوش إلى ميادين القتال ، وهذا السلاح الإعلامي الهائل في قوته أصبح يستخدم بمقدرة وذكاء عاليين في إدارة أخبار الحروب اثناء العمليات وحتى بعد توقف القتال . ولكن السلاح الأعلامي لايبلغ هذه القوة إلا بسند من القدرة على الفعل السياسي والعسكري إذا اقتضى الأمر وعندها تتحقق المصداقية لهذا الأعلام فيزداد قوة إلى قوته .

كما رأينا في مجال الدعاية الإعلامية فإنها تهدف إلى الترويج للإطلاع على المعلومات والأفكار بينما سنجد أن الدعاية السياسية تسعى إلى الترويج لتبني المعلومات والأفكار .

واذا كان الأعلام هو أداة من أدوات نقل المعرفة وتوصيلها فإن الأعلام السياسي هو توجيه هذه المعرفة لخدمة أغراض الجهة المرسلة . أما الدعاية السياسية فهي تتجاوز هذا الهدف التوجيهي لتصبح أداة تستخدم المعرفة بقصد توليد السلوك المطلوب عن طريق تعديل أساليب الادراك للأمور وتقييمها . فالدعاية السياسية كما يجمع الخبراء هي تنظيم عمليات اقناعية بوسائل غير عنيفة لتغيير رأي الآخرين حول موضوع معين يؤدي إلى تحويل السلوك من اتجاه إلى آخر مخطط له . وفي نظرة أكثر اتساعاً وشمولاً فإن الدعاية تهدف إلى تغيير الاتجاهات الفردية ومن

ثم بناء الرأي العام الجماعي الذي يتبنى القضية الدعائية المطلوبة وهذا يُفسّر لنا كيف أن الدعاية السياسية بمعناها الواسع الاستراتيجي بعيد المدى لا يعود بينها وبين الإعلام والتربية من فرق حتى أن فعالية الدعاية السياسية لن تبلغ حدها الاقصى إلا بعد التنسيق المطلق مع الإعلام والتربية (١) . لأن الاتجاهات الفردية سوف تتفاعل لتولد الرأي العام الجماعي الملتف حول القضايا المطروحة والمنسجمة مع رسالة الأمة وأهدافها المعنوية والمادية على حد سواء . والتي على رأسها إخراج المواطن الصالح ومن ثم الأمة الصالحة الخيرة .

قوة الدعاية :

وتظهر قوة الدعاية السياسية من خلال الامتلاك التام والرقابة الصارمة على أدوات الإعلام كما ظهر ذلك جلياً في حرب الخليج الأخيرة حيث عبر عن هذه الحقيقة قائد القوات في تلك الحرب (شوارتزكوف) عندما قال ان من يكسب معركة الأعلام يكسب المعركة المسلحة ، وفي الامتلاك التام والرقابة الصارمة تتحقق قضية أخرى في الأعلام السياسي بشكل عام وفي الدعاية السياسية بشكل خاص وهي أن من يمتلك الإعلام يمتلك الحقيقة ، وذلك لأنه يكون قادراً على ألغاء دور (الرأي الآخر) تماماً ، فأمام تكنولوجيا نقل الكلمة والصوت والصورة صارت السيادة لمن يملك هذه الأدوات ويحسن استخدامها وهو وحده على صواب فلا يقف امامه من يقول ما يظهر الحقيقة ويبقى كل ما يقوله هو في أسماع وابصار وأفئدة الناس ، لأن كلمة الحق هي للجهة التي تقولها وتستطيع فرضها على العالم كما يقول (جوبلز) وزير الأعلام والدعاية النازي في الرايخ الثالث فعلى حد تعبيره :- (أن من يقول الكلمة الأولى للعالم هو دائماً على حق) . ذلك أيضاً ان الإعلام كان يوصف كأشبه ما يكون (بالمرآة) التي تعكس صورة الواقع كما هو حيث يظل الباطل باطلاً والحق حقاً ومع ثورة الاتصالات بعد الحرب العالمية الثانية تحولت هذه (المرآة) العاكسة البسيطة إلى (آلة) معقدة من التكنولوجيا المتطورة التي تختلط فيها الألوان والأضواء فلم تعد تعكس صورة الواقع كما هو ولكنها تعيد انتاجه ليتلائم مع المطلوب فالباطل قد يصبح حقاً والحق يصير باطلاً وهكذا حسب الطلب .

القرية الكونية :

وهكذا فإن الواقع الإعلامي العالمي يعكس صدق الفرضية التي تقول أن العالم أصبح

(١) غي دورندان . الدعاية السياسية . ص ٩ .
(٢) مروان خير . مصداقية الإعلام . الدستور الأردنية ١٩٩١/١/٢٦ .

(قرية كونية : Global Village) كما صوره عالم الاتصالات الكندي (مرشال ماكلوهان)[٢] ، بمعنى انه يمكن الهيمنة على العالم اعلامياً والذي أصبح مجرد قرية يمكن (تغطيتها) من قبل الجهة الأكثر تقدماً في مجال الاتصال ، وعليه فإن التفوق التقني الإعلامي الغربي من خلال أقمار الاتصال الصناعية التي تبث الأخبار حال وقوعها في جميع أنحاء العالم قلص جغرافية وحدود الدول المعزولة . وأن هذه التغطية العالمية الشاملة التي لا تنحصر في الأخبار والتقارير دائماً وأنما تشمل الأفلام وغيرها من المواد المبرمجة ، هذه التغطية تتسم بالتدفق الكثيف السريع كما تتسم بأنها ذات هدف توجيهي فهي تنقل موادها لتظهر بالشكل والكيفية التي تريدها ولتحدث التأثير المطلوب وفق الخطة الموضوعة أي هي تغطية شاملة وغير محايدة على الاطلاق .

فالواقع الإعلامي العالمي وكذل العربي الذي هو جزء منه أصبح أمام هذه المعطيات اشبه ما يكون ببحيرة ملوثة فإذا كنا أمام التدفق الاعلامي الخارجي عاجزين ونحن عاجزون بالفعل ، عن الحياة خارج مياه هذه البحيرة ، واذا كنا عاجزين ، ونحن عاجزون بالفعل عن تنظيف هذه المياه فإن الأمر الوحيد الذي يتحتم علينا أن نفعله هو تحسين أجهزة تنفسنا [١] وهذا يعني تطوير المستوى الثقافي العام وتأكيد الوعي إلى جانب محاولة امتلاك وتطوير اجهزتنا ووكالات انبائنا [٢] وأقمارنا الاتصالية الخاصة بنا ومحطات تلفزيوننا وإذاعاتنا العالمية وغيرها من مستلزمات العصر في مجال الإعلام العالمي الكاسح .

٣ ـ دور الإقناع في الدعاية

يلعب الإقناع (Persuasion) دوراً رئيساً في الحياة ذلك أن الحياة ميدان للإتصال (Communication) ، والاتصال عملية إنسانية وحياتية ذات جانب إجتماعيّ ونفسي لاتستقيم الحياة الاجتماعية وتكتمل إلاّ بها ، ويأتي الإقناع ليضطلع بالدور الرئيس والهام في الاتصال .

ما هو الإقناع؟

يمكننا تعريف الإقناع وتحديد معناه كمصطلح بأنه الجهد المنظم المدروس الذي يستخدم

---

(١) الاسبوع العربي . مجلة . لبنان ٢٨/١٠/١٩٩١ .

(٢) الدفاع العربي . مجلة . لبنان ، دار الصياد . حزيران ١٩٩١ .

وسائل مختلفة للتأثير على آراء الآخرين وأفكارهم بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة النظر في موضوعٍ معين ، وذلك من خلال المعرفة النفسية والاجتماعية لذلك الجمهور المستَهدف .

ونلاحظ من التعريف ان الجهد مدروسٌ ويقوم على أسس ثابتة ولكن الأهم أن الأقناع يهدف إلى التأثير على العقل والفكر بهدف دفع الفرد أو الجمهور لتقّبل وجهة نظرنا بينما تهدف الدعاية إلى التأثير بشكل مباشر على عواطف ومشاعر ذلك الجمهور .

أنواع الإقناع

يأخذ الإقناع أشكالاً عدّة منها ما هو مباشر وغير مباشر ومنها ما هو طوعي وغير طوعي أو «قسري» ، والإقناع المباشر يخاطب الفرد أو الجمهور بشكل تلقائي بدون مواربة او مُداراة مما يستثير في العادة دفاعات المتلقي مما يجعله يُبدي تصلّباً ومقاومةً نفسية متزايدة ينتج عنها في الغالب عدم قبول وجهة النظر المطروحة . أما الإقناع غير المباشر فيكون بالعادة متوارياً ولكنه ذكي يدفع المتلقي إلى استنتاج الأمور بنفسه ومن ثم يعمد إلى اتخاذ القرارات بصدد الموضوع المطروح من تلقاء نفسه مما يُشعره بالرضا والراحة النفسية . ويعُتبر الإقناع ناجحاً إذ صدرت القرارات من الجهة المستهدفة بحيث تكون موازيةً لما نطرحه من مواضيع بمعنى أن تلك القرارات تسير مع وجهات نظرنا المُراد تبنّيها والإقناع الطوعي هو تقديم وجهة النظر «كما في التعريف» بحيث يتقبل المستهدف هذه الأفكار بطريقة طوعية وبدون أي شكل من اشكال الأكراه او الأجبار .

أما الإقناع القسري فهو إقناع قسري فردي أو جماعي وهو ما يُعرف بغسيل الدماغ الفردي وغسيل الدماغ الجماهيري ، وغسيل الدماغ الذي يهدف إلى تحوير الفكر أو السلوك البشري ضد رغبة الإنسان أو أرادته أو سابق ثقافته وتعليمه ، والذي يهدف إلى التأثير على أنماط تفكير الفرد أو الجمهور أو أنتمائه لفكر معين ، والذي يهدف أيضاً إلى إضعاف مقاومة الفرد بأساليب شتّى فيُؤثر على عقله ومن ثم يخضع لارادة الآخرين في اعادة التعليم والإقتناع بالأفكار الجديدة التي تحل محل الأفكار السابقة هذه العملية إذن والتي تهدف إلى كل ذلك هي باختصار شديد : (إقناع قسري مقُنّن Compulsory Persuasion standard Technigues) فهو الإقناع الذي يُمارس ضد رغبة الفرد وارادته مستُخدماً طرائق تقنية وأساليب إجرائية ذات مواصفات قياسيّة معيارية محدّدة . ويمكن وصف هذه العملية من خلال هذه المُعادلة التي تُترجم إلى الواقع ميكانيكية عملية غسيل الدماغ :

[غسيل الدماغ = ضغوط (إجهاد عقلي + قابلية للايحاء) + تعليم قسري (ثواب وعقاب) = الاستجابة الشرطية المطلوبة (السلوك المُتَعلّم)] .

بالمرحلة الاولى تتم عملية التخلي عن الفكر السابق وفي الثانية أي بالتعليم القسري تتم عملية التحلي بالفكر الجديد .

وهكذا نجد أن عملية الإقناع التي تأخذ شكلاً قسرياً تلعب الدور الأساسي والرئيس في عمليات غسيل الدماغ الفردي والجماهيري على حدٍّ سواء .

متى تكون الرسالة مقْنعة؟

حتى ينجح الإقناع فلا تضيع الجهود سدىً لا بد من مراعاة بعض العوامل في الرسالة التي نُريد إيصالها إلى الجمهور فيتقبل مضمونها ويتبّناه وهذه العوامل هي :

١ ـ البساطة والوضوح : يجب ان تكون الرسالة واضحة في مضمونها وكذلك في لغتها ويجب ان تكون مترابطة متسلسلة ومنطقية ولغتها تتناسب مع احتياجات الموقف نفسه وتكون كذلك كاملة مختصرة صحيحة ومفهومه .

٢ ـ الإثارة والتشويق : كما نرى في الدعاية التجارية يجب ان يكون في الرسالة نوع من التشويق وإثارة الانتباه والإهتمام مما يحفز المتلقى على التعاون ، وهذا يذكرّنا بضرورة ان تكون الوسيلة المنتُقاة لنقل الرسالة مناسبة هي الاخرى للموقف كما يدفعنا هذا أيضاً إلى مراعاة الحالة النفسية والوضع الاجتماعي للمتلقي كما يجب ان لا تتضمن او تشعر الرسالة بأي تجريح او لبس او تعالي على المتلقي .

٣ ـ اشباع الرغبات والحاجات : لدى المتلقي حاجات كثيرة مما يجب معه معرفة تلك الرغبات والحاجات التي تنسجم مع مضمون الرسالة للعمل على اشباعها ما أمكن وغالباً ما تعمد الرسائل إلى إثارة حاجة حب الاستطلاع واحياناً الحاجة إلى الأمان وهكذا .

٤ ـ المصداقية في المضمون وفي المرسل او المصدر نفسه : كما أن المصدر أو المرسل اذا كان يحظى بالقبول لدى المتلقي فإنه يكون باعثاً على الثقة ومن ثم الارتياح والإقتناع بما يقول ويرسل .

٥ ـ الإثابة والتعزيز : يعتمد مبدأ التربية والتعليم على الثواب والعقاب وعلى مبدأ التعزيز السلبي والايجابي . كذلك تفعل الدعاية سواءٌ أكانت تجارية أم سياسية . وفي كافة أشكال

الاتصال وعند البحث عن عنصر الإقناع فيها لابد من ممارسة هذا المبدأ لنجاح عملية الإقناع ، ويكون ذلك أحياناً بمساعدة المتلقي على الرد على الرسالة وإشعاره بالاهتمام بها وغيرها من الاساليب المناسبة .

مبادىء الإقناع

لمّا كان الإقناع يقوم على الإتصال الهادف إلى مخاطبة عقل الجماهير في محاولةٍ لإقناعها بفائدة مضمون الاتصال وبالتالي كسب تأييدها كنتيجة للتقبل والرضا . فإنه يمكننا إعادة صياغة مبادىء الإقناع التي يستهدف ويسترشد بها العاملون في كافة المجالات الإتصالية لإقناع جمهورهم الذي يتعاملون معه كمايلي :

١ ـ وجود اقتراح مقبول : بمعنى أن تتضمن الرسالة التي يحاول العامل إيصالها إلى جمهوره بعض الجوانبِ التي تلقى قبولاً لديه مما يُشكّل عاملاً مشتركاً أو صفة مشتركة يقفان عليها للإنطلاق إلى الهدف نفسه .

٢ ـ أن يعكس الأقتراح رغبات الأفراد ومطالبهم : فكلما ارتبطت الرسالة مضمون الاتصال بأمر يمس مصالح الافراد ويعبّر عن حاجاتهم أو رغباتهم وطموحاتهم كلما لاقت الاهتمام والقبول فالتقبل والتبنّي من الجمهور .

٣ ـ أن يشمل الاقتراح جوانب تُظهر نتائجه المتوقعة : فكلما اشتملت الرسالة على معلومات وحقائق مُستمّدة من خبراتٍ سابقة توحي بما ستفضي إله مضامين الرسالة وما سيؤول إليه الاقتراح من نتائج مفيدة ونافعة كلما حظيت بالقبول .

٤ ـ أن يُقدّم الاقتراح بصفة شخصية ومباشرة : فالشخصية او الجهة التي تحوز على رضا وقبول الجمهور يمكنها تقديم الاقتراح بشكل شخصي ومباشر مع ما يستلزم ذلك من شرح وغيره بالنسبة للاقتراح واسلوب تطبيقه .

ويمكن تلخيص هذه المبادىء بما يلي :

١ ـ مبدأ المعرفة : أي تعرف الجماهير تأثير تطبيق الاقتراح على مصالحها

٢ ـ مبدأ الحركة : حيث ان قبول الاقتراح مرهون بمعرفة الجماهير لكيفية تطبيقه

٣ ـ مبدأ الثقة : أي أن يصدر الاقتراح عن شخص او منظمة ذات سمعة طيبة

٤ ـ مبدأ الوضوح : أن يُصاغ الاقتراح بطريقة لا لبُسْ فيها ولا غموض

الإقناع فن وحرب

هل الإقناع فن أم حرب؟ فكما رأينا فإن الإقناع عملية علمية وتحتاج إلى تكنيكات وتقنيات مختلفة كما شرحنا آنفاً . فالإقناع هو فن قائم بحد ذاته وتقنية تُستخدم في مواطن كثيرة كما رأينا ويحتاجها كل فرد في كل موقع وتدور مجملها على التأثير على الفكر بأساليب مقبولة وواضحة غير مُغْفِلَة العوامل الانسانية والنفسية والاجتماعية .

وإذا انتقلنا من فن الإقناع The art of Persuasion إلى حرب الإقناع Persuasion Warfare فإننا نجد ان هذا المصطلح إنما يعمد إلى تبنيه القائمون على العمليات النفسية أو الحرب النفسية حيث يعتبرون أن الحرب النفسية تتضمن نوعاً من الإقناع ولكنه يترافق مع عمليات الايحاء واستخدام هذه التقنيات تُعتبر ضرورية لانجاز المهام النفسية التي تأخذ أشكالاً مختلفة منها الدعاية Propoganda والإشاعة والتضليل الاعلامي واستخدام البيانات او البلاغات والنداءات عبر مكبرات الصوت أو المناشير وغيرها من الاساليب والوسائل وكل هذه التقنيات لها مبادىء وأسس تعتمدها لنجاحها في إيصال المضمون او الرسالة إلى الجمهور المستهدف وهي تسعى إلى تغيير مواقفه وأن اقتضى هذا إلى تغيير الفكر والتأثير على العاطفة : أي أن الأقناع هو أحد الاساليب المرافقة لغيرها مما يُستخدم في مجال الحرب النفسية . وباختصار فإن الدعاية السياسية كأسلوب من أساليب الحرب النفسية تسعى للتأثير على العواطف والمشاعر اكثر من سعيها للتأثير على الفكر والعقل إلاّ أنها تستخدم الإقناع وتلجأ إليه كوسيلة إضافية مُساعدة ومعينة لعمليات التأثير على النواحي الوجدانية لدى المُسْتَهْدَف .

* * *

أنواع الدعاية

تصنف الدعاية وفقا لمصدرها وليس وفقا لمحتواها وهي ثلاثة انواع :

١ ـ الدعاية البيضاء

وهي الدعاية التي تستند إلى مصدر مكشوف واضح وتعتمد في العادة الحجة الصحيحة والمنطق السليم في شرح المواقف والاهداف . وهي تسمى بالدعاية الواضحة .

٢ ـ الدعاية السوداء

وهي ما تسمى بالدعاية المتخفية وهي تُؤْثر التنكر والتخفي فلا تكشف مصدرها ، وهي

في العادة تعتمد على الخداع والكذب كالاذاعات السرية ومثلها ما عرف بالحرب العالمية الثانية باذاعة المذيع السري رقم (١) أنشأها الصحفي سيمنون ديلمار بتكليف من تشرشل فكان يدعي الوطنية وكراهيته للانجليز والالمان واليهود والسوفيت ثم ينشر اكاذيبه دون مراعاة للاخلاق والقيم والدين ! ومثله (راديو آني) الذي اداره مكتب الخدمات الاستراتيجية الامريكي في الحرب العالمية الثانية [1] والذي كان يهدف إلى اليأس فالاستسلام . كما تستخدم الدعاية السوداء : المنشورات السرية ، والمطبوعات أو الوثائق المزيفة .

٣ ـ الدعاية الرمادية

وهي مبهمة المصدر ، وتعمد إلى اختلاق الاخبار ونسبتها إلى جهات غير حقيقة أو إلى مصادر كاذبة مثل (صرحت مصادر مأذونة ، نقلت وكالات الانباء) وهي اذ لا تخفي مصدها الحقيقي تماماً الا انها تخفي اغراضها الدعائية .

٤ ـ الدعاية المضادة

وهذه الدعاية توجه عادة إلى العدو والجماعات الاجنبية بقصد ابطال الحملات الدعائية المعادية .

مما سبق يفترض بأن الدعاية المضادة هي اجراء دفاعي محض ولكن العامل في مجال الدعاية يستطيع من خلال التخطيط السليم شن دعاية مضادة هجومية مما يعيد اليها روح المبادرة وهي أنواع :

١ ـ الدعاية المضادة الاحباطية

ويعني هذا الاسلوب ابطال امكانية استغلال العدو لموضوع ما واستفادتنا نحن منه قبل أن يسيطر عليه العدو فيستخدمه لأغراضه الدعائية ضدنا وهذا يتطلب معرفة رد فعل رجل الدعاية المعادي لموقف ما ويجب ان ينطلق ردنا بوقت مبكر حماية لجمهورنا المستهدف قبل ان يستغله العدو لصالحه

٢ ـ الدعاية المضادة التفنيدية

وهي نوعان :

أ ـ التفنيد المباشر

يتم بواسطته تكذيب وتفنيد اخبار العدو ودعايته مباشرة وبوضوح فلا تستغل مرة اخرى

---

(١) صحيفة الرأي ١٩٨٤/٧/١٣م .

ب ـ التفنيد غير المباشر

ويتم بواسطته كشف اغراض دعاية العدو وتفنيدها بالايحاء او بالتحريض .

٣ ـ السكوت

السكوت عن دعاية العدو في حالة تناقضها او تفاهتها او في حالة تأكدنا من عدم استخدام مواضيع العدو الدعائية والاستفادة منها .

٤ ـ التضليل

تحويل انتباه الجمهور عن الموضوع الرئيسي في دعاية العدو عن طريق ادخال مواضيع جديدة او بالاستخدام المكثف لمواضيع اثبتت فعالية سابقة .

٥ ـ خلق المناعة وتحصين الجمهور ضد الدعاية عامة .

قوانين الدعاية

١ ـ التوحّد (التقمص او التماثل)

ويؤكد هذا القانون على انه يقتضي إن تندمج الدعاية مع الواقع القائم وتنطلق منه لتحقيق اهدافها وهذا يقتضي احترام المستمع (شخصيته ، افكاره ، معتقداته) ويعكس مضمونها الحرص على نشدان مصلحة المستمع وهذا المبدأ يفسره القول : «أن اقتناعنا عن طريق المعارف اضمن من اقتناعنا عن طريق الغرباء» .

ولذلك على حملتنا الدعائية أن تصاغ بحيث تخلق جوا من الالفة والمودة والقرب قدر الامكان فتصاغ باللهجة المحلية اذا كان الحديث بالسماعات (مكبرات الصوت) أو بالراديو والتلفزيون وإن تراعي مستوى ثقافة الهدف وتستخدم احداثا محلية تظهر المعرفة بالوسط



صورة دعائية عن جدار برلين بثتها اجهزة اعلام الجيش الالماني الاتحادي ضد دول اوروبا الشرقية

المحيط بالهدف لتوضيح القضية مدار الدعاية مع ضرورة اعتبار الوضوح (انسجام المضمون مع الاسس المعنوية والاخلاقية للمجتمع) والقبول (انسجام المضمون مع رغبات المستمع وآماله) والتجديد لبلوغ نتيجة مؤثرة .

٢ ـ التكرار

تكرار الرسالة يجعلها ترسخ في الاذهان وتبدو كأنها حقيقة مسلم بها كما يعمل التكرار على جعل العقل في حالة من الاجهاد مما يدفعه لتقبل ما يطرح عليه والتسليم به .

٣ ـ الاجماع

اظهار المسألة موضوع الرسالة الدعائية وكأنها تحظى بالاجماع ويرتبط بالاجماع مبادىء مثل :

أ ـ الاستشهاد بالمصادر الموثوق بها : أي تقديم تأييد افكار الدعاية من قبل شخص يحظى بالاحترام فالرسالة تستغل احترام المستهدف لمصدر معين (قائد ، جهة اعلامية . . .) فتستشهد به على سبيل خلق الثقة وهذا يحقق الارتباط الزائف ما بين ما نقوله وبين الشخصية ذات الاحترام لدى المستهدف فاعجابه بها يجعله يربط ربطاً زائفاً بينها وبين ما ينسب اليها .

ب ـ مخاطبة الفرد لان الفرد يستمد قوة معنوية من الجماعة التي ينسب اليها فنقول له (أيها الجندي أيها المسلح) دون الاشارة إلى الجماعة التي ينتمي اليها وبالوقت نفسه نعمل على أن نثير لديه ما يسمى بغريزة القطيع (Herd Instinct) او غريزة الحشد حيث يتقبل معها الفرد ما يتقبله الاخرون فينساق وراء الجماعة بما تفعله ويتحلل من المسؤولية وذلك بالاشارة او الايحاء في خطابنا له إلى أن جماعته ـ على سبيل المثال ـ قد فروا او استسلموا فالخطاب يوجه إلى الفرد ولكن يوحى إلى هذا الفرد أن يتصرف كما تصرفت الجماعة .

٤ ـ التبسيط

تبسيط الرسالة في نقاط اولية موجزة ولاغراض التبسيط والقابلية للتصديق لا بأس أن تأخذ الدعاية شكل الشعار لتكون سهلة الحفظ والترديد فالايجاز والسهولة ضرورية وتقديم عبارات مبسطة من خلال تفسير الاحداث والافكار والشخصيات .

٥ ـ التغليط (المغالطة)

أي استخدام المغالطة في عرض الاخبار وتقديم صورة مشوهة عن الجانب العدو بهذه الطريقة وذلك بتحريف الاخبار وتحويرها او بتغيير اسلوب عرضها او ببترها واذاعة ما يهمنا منها فقط بمعنى آخر صياغتها وعرضها بالطريقة التي تخدم اهدافنا .

مبـــادىء الدعـــاية

١ ـ جذب الانتباه

باستغلال المواقف المثيرة لخلق رد فعل لدى الهدف واستغلال الاحداث الهامة والغامضة لانها في العادة تثير استطلاع الجمهور ورغبته في جلاء كنهها .

٢ ـ المصداقية

الوقائع الصحيحة الثابته هي دائماً اكثر صلابة واقناعاً الا اذا ادى الالتزام بذلك إلى عكس النتيجة المطلوبة كما تعني المصداقية مراقبة الوسائل الدعائية من قبل العامل بها حتى يكسب ثقة الهدف ومن عناصر المصداقية الأخرى : الفورية والشمول بالإضافة إلى الثقة والثبات والموضوعية .

٣ ـ الثبات

وهذا يعني الثبات على الخطة الدعائية وعدم التذبذب في ذلك لأن عدم الثبات يعني سحب الثقة من الهدف ويعني تضعضع المصداقية وأن يظل خط الدعاية واضح المعالم ثابتاً ومتميزاً .

٤ ـ عدم التناقض

فتناقض الافكار المطروحة يفقدها الصدق كما يفقد الثقة بالمصدر ويفسد الاراء .

٥ ـ الارضاء

وهو ما ذكر في قواعد الحرب النفسية من حيث استغلال الحاجات النفسية لدى الهدف .

٦ ـ الرجل الحيادي

توجه الرسالة عادة إلى الهدف الأسرع تحولا وهو الفريق المحايد والذي يشكل ٧٠٪ من أي مجتمع .

٧ ـ القبول المحدد

يجب ايجاد وجهة نظر مشتركة تكون موضع اتفاق عليها بيننا وبين الهدف لاقامة جسور فكرية صالحة لمخاطبته .

٨ ـ العبارات العامة المستحبة

وهي العبارات البراقة الفضفاضة حيث ترتبط مع المعتقدات والأفكار الدارجة وتخاطب مشاعر الناس واحاسيسهم كحب الوطن والكرم والحرية . . . الخ وهي توحي بالفضيلة والصدق والتقبل وهي تساعد على التحويل (فهي تثير العاطفة فتتحول الأفكار مع العواطف الجديدة) وعلى الغموض (فهي غامضة مما يجعل الهدف في دوامة التفسير) وعلى التبرير (فبعموميتها وغموضها تساعد على تبرير التصرفات المشكوك فيها) وعلى التبسيط (فهي تقدم الاجوبة المبسطة للمشاكل المعقدة) .

٩ ـ التصلب في الدعاية

وهو مبدأ ربط الكلمة بالعمل والتهديد بالفعل الاكيد مما يسمح للدعاية أن تنطلق من موقف تفوق حقيقي .

١٠ ـ الرجل العادي

هدف الدعاية مخاطبة الانسان العادي فتعمد إلى استخدام لغته البسيطة والكلمات المريحة كالبيت والعائلة ويعتمد هذا الاسلوب على التطابق تطابق مصلحة الجمهور المستهدف مع مصلحة الداعية واظهار (الجنود مثلاً) كأصدقاء وبيان أنسانية القادة (قادتنا) .

١١ ـ انتقاء المادة

وهذا المبدأ يعنى شيئين :

أ ـ انتخاب الحقائق : للتعريف باغراضنا والحط بأغراض العدو وللدفاع عن اهدافنا التي هي محل هجوم من العدو .

ب ـ تقديم الحقائق : فلا تخلط بالاكاذيب لان المستهدف ينطلق من الحقائق كأساس للاستنتاج كما يعني هذا المعنى عرض العيوب اي ذكر عيوبنا البينة الواضحة مما يعزز مصداقية دعايتنا في نظر الهدف .

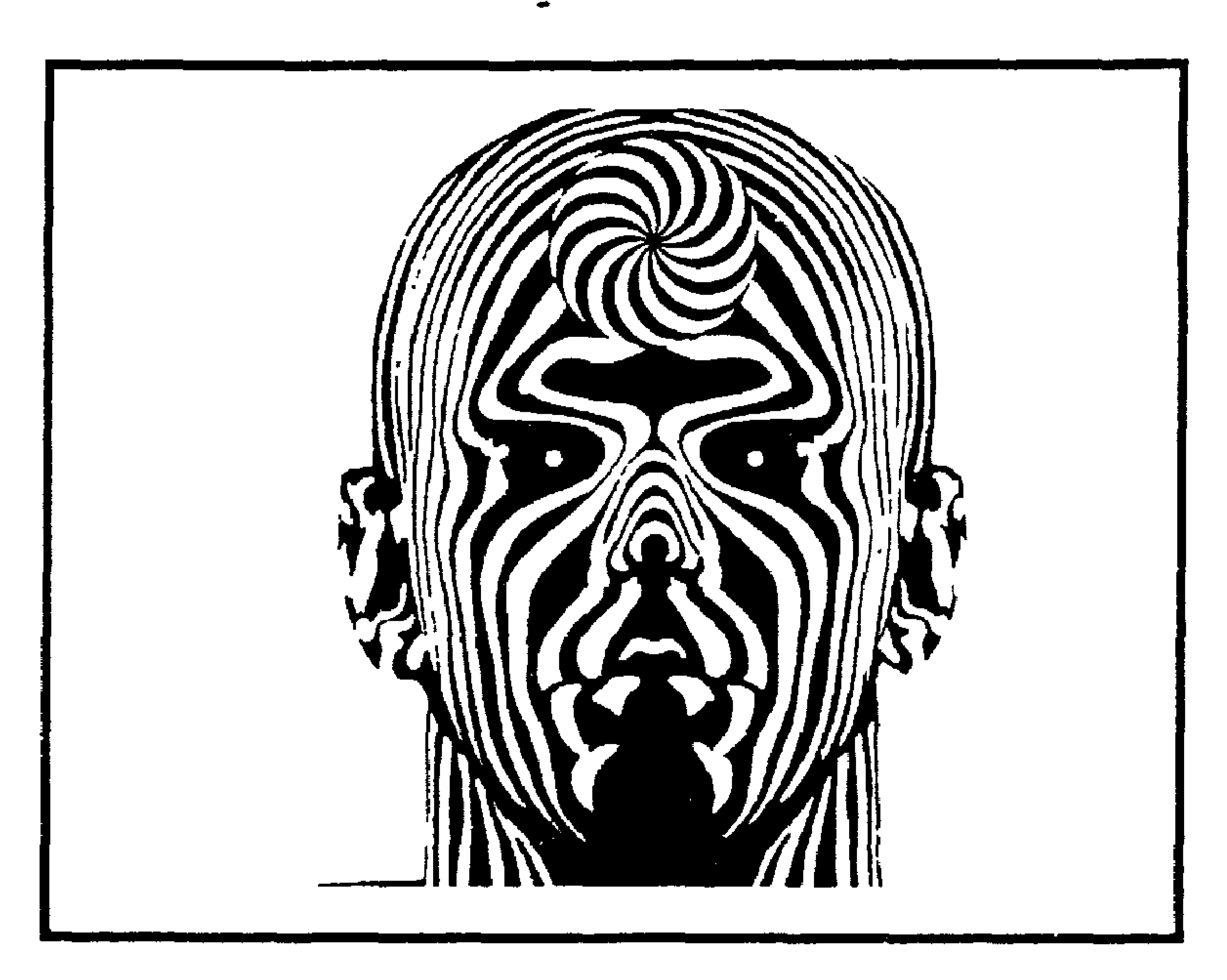
١٢ ـ اثارة الشك

يعمد الداعية إلى كشف الشكوك الكامنة والعيوب المستترة في ثنايا الامة المعادية ويصوغها بعبارات تحطم وحدة تلك الامة كما يعمل على تصعيد الفردية الانانية مقابل الجماعية الغيرية ببث الفرقة وتنمية الشعور بالانانية لتحطيم لحمتها .

صعوبات الدعاية

١ ـ فشل القائم بالدعاية في محاولة استغلال الاستعداد النفسي للمجموعة التي توجه اليها الدعاية في الوصول إلى الهدف لأنه يثير نزعات متعارضة وهو لا يدري مما يؤدي إلى فشل حملته الدعائية (كالرغبة مثلا في الاشتراك بالمقاومة السرية مع الخشية من البطش في الوقت نفسه) فهو يثير صراعا غير مطلوب وسيحول دون جعل المستهدف يحقق الهدف المطلوب منه وهو (المقاومة) في هذا المثال .

٢ ـ طول الوقت فالدعاية الطويلة قد تنقلب إلى الضد فالدولة التي نشن دعايتنا ضدها فترة طويلة يصعب علينا كسب ثقة الناس بنا وبدعايتنا اذا قمنا بمهادنتها فترة ثم اضطررنا مرة اخرى إلى الدعاية ضدها .



عقل الانسان : هدف الدعاية والاشاعة واساليب الحرب النفسية الاخرى

٣ ـ فشل القائم بالدعايةفي تقدير مواقف واتجاهات من يوجه لهم دعايته مما يجعله يحصل على نتائج سلبية وذلك كما حدث في الدعاية الالمانية ضد الفرنسيين اذ ادعوا أن الانجليز نزلوا في شمال فرنسا وهتكوا الاعراض في غياب الازواج الذين زج بهم في المعارك حيث قوبلت الدعاية بالسخرية بسبب تعصب الفرنسيين الاقليمي حيث كان من وجهت اليهم الدعاية من

فرنسيي الجنوب فكانت الاخبار دافعاً ليشمتوا بفرنسيي الشمال ولم تكن مجال لاثارة نخوتهم لمحاربة الانجليز (١) .

٤ ـ ان تكون الدعاية ضد معتقدات الافراد وتقاليدهم واعرافهم مما يلزم بالتهيئة والاستعداد الطويل واستغلال الاحداث والظروف الملائمة .

٥ ـ عدم احترام الهدف وذلك بأن تعمد الدعاية إلى مواجهته بالنواقص والمثالب النفسية واتهامه بالجبن والخوف صراحة والمطلوب هو العكس تماماً وذلك باستغلال السلبيات على نحو موضوعي وتبيان الخطأ وتوجيه ذلك بحيث نرضي كرامة الهدف فنمرر اهدافنا من خلال (الاحترام) المدبر والموضوعية المقصودة .

---

(١) موسى زناد . الحرب النفسية .

(٢) الإشــاعة Rumour

ما هي الإشاعة ؟ « تعريفها »

معنى كلمة إشاعة في اللغة يأتي من شاع بمعنى انتشر وذاع وأشاع ذكر الشيء : أطاره بمعنى نشره .

وتعرف الإشاعة (Rumour) بتعاريف كثيرة فهي كما لدى اولبورت وبوستمان «كل قضية او عبارة مقدمة للتصديق ، تتناقل من شخص إلى شخص ، دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق» (١) .

ويعرفها اللواء جمال الدين محفوظ في كتابه المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية : «اخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من اصلها ، وتتعلق بموضوعات لها اهمية لدى الموجهة اليهم ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية» .

ويعرفها تشارلز أنتدال : «هي عبارة عن رواية تتناقلها الافواه دون ان ترتكز على مصدر موثوق به يؤكد صحتها» .

ويعرفها الدكتور حامد زهران : «هي موضوع خاص يتناوله الافراد بواسطة الكلمات بقصد تصديقه أو الاعتقاد بصحته دون توافر الادلة اللازمة على حقيقته» .

وأما الدكتور مختار التهامي فيعرف الإشاعة تعريفاً تفسيرياً واسعاً : «هي الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع ، أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة ، أو أضافة معلومات كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه باسلوب مغاير للواقع والحقيقة ، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الأقليمي أو العالمي تحقيقاً لاهداف سياسية أو إقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول أو النطاق العالمي بأجمعه» .

---

(١) وليام البورت وبوستمان . سيكولوجية الإشاعة . ترجمة صلاح مخيمر . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٤ .

كما تُعَرف الإشاعة باعتبارها : «كل خبر يحتمل الصدق مجهول المصدر ، يتحرك بالكلمة المنطوقة بين الافراد ، وليس معه دليل على صحته ، يفتقر إلى المسؤولية ، وتتغير تفاصيله من فرد لآخر» [1] .

واذا اردنا الخروج بتحديد للمفاهيم التي تشترك فيها جميع التعاريف سوف نجد أن ثمة قواسم مشتركة تلخص بما يلي :

١ ـ ان الإشاعة قد تكون خبراً صادقاً ، أو هي خبر فيه شيء من الصدق ، أو أن تكون خبراً كاذباً مختلقاً .

٢ ـ أن الإشاعة تبث وتنقل في الأصل للأخذ بها وتصديقها لما يترتب على ذلك من خدمة لاغراض الجهة التي تروجها .

٣ ـ أن موضوع الإشاعة يحمل خاصية الأهمية بالنسبة للهدف الموجهة إليه .

٤ ـ أن الإشاعة تتضمن معنى الانتشار والتزايد وذلك عن طريق تناقلها من فرد لآخر أو تجنيد من يبثها وينقلها ولو في مبتدأ أمرها مستخدمة وسائل مختلفة كالاشخاص أو الصحف أو الراديو والتلفزيون وغيرها .

٥ ـ أنه يتعذر التحقق من مصدرها على عكس الخبر ومن ثم فهي تفتقر إلى المسؤولية .

٦ ـ وكذلك فهي على عكس الخبر لا يوجد معها ما يؤكد صحتها ولا تحمل الدليل على صدقها .

ويمكن تعريف الإشاعة على ضوء هذه القواسم المشتركة بمايلي :

«الإشاعة هي كل خبر يحتمل الصدق مجهول المصدر وليس معه دليل على صحته يتناقله الافراد لارتباطه بموضوعات تعتبر هامة بالنسبة اليهم ، ويُرَوّج له بوسائل مختلفة بقصد تقبله ليخدم اهداف جهة المنشأ» .

الإشاعة في التاريخ

الإشاعة قديمة قدم المجتمعات البشرية وقدم الصراع الأنساني نفسه الذي اعتمد منذ بداياته الاولى القدرة العسكرية (الرجال والسلاح) والقوى المعنوية (الارادة) فكان من قواه

---

(١) وليد الكيلاني . الحرب النفسية بين الكلمة والطلقة عمان ، ١٩٧٥ .

المعنويه المتاحة الحرب النفسية بأساليبها المختلفة التي تقف الإشاعة على رأس السلم منها .

يقول الدكتور محمد عبد القادر حاتم في كتابه (الرأي العام) [1] وفي صدد حديثه عن أهمية الرأي العام قديماً وحديثاً «أن الانسان البدائي ادرك تلك الأهمية وابتدع لها الاساليب المؤثرة عليها» ، حتى اذا تقدم مع عصور التاريخ فوصل العصر الذي ظهر فيه بنو اسرائيل نجده يقول «أن زعماءهم لم يكونوا الا جماعة من مهيجي الرأي وموجهي الفكر عن طريق إشاعة النبؤات المختلقة والقاء الخطب . . .» والغريب أن اليهود هم الوحيدون الذين يرتبط أسمهم بالإشاعة قديماً وحديثاً ، ويعكسون المبدأ الذي أشار اليه بول لاينبراجر في كتابه عن الحرب النفسية باعتباره أحد دروس الحرب العالمية الثانية وهو «أن الدعاية للشر تنبت الشر» .

كما قد عرفت الشائعات في غزوات جنكيز خان الذي كان يعمل على نشر الشائعات حول كثافة خيالته ووحشيتها .

وأن الذي يرجع إلى القرآن الكريم وقصص الانبياء فيه يجد أن الإشاعة قديمة جداً وانها كذلك مستمرة وكأنما هي جزء من الطبع البشري .

والدارس للدعاية النازية وما رسخته من اساليب في الحرب النفسية يجد أن للاشاعة دوراً بارزاً فيها حيث استخدمت في الدعوات الدعائية المحمومة إلى التخلص من الزعماء وتسويد صفحاتهم ، وغيرها من الأهداف الحيوية التي كان يرصدها جوبلز وزير دعاية هتلر كهدف له .

واذا كان المهتمون يفسرون الاساطير باعتبار انها شائعات تجمدت على مر الزمن بعد أن تناولها التاريخ بشيء من التحريف والتغيير ، فإن لاثر الشائعات في الواقع اثر الاساطير ، وهذا الآثر المخيف جعل المسؤولين الامريكيين في الحرب العالمية الثانية ينشؤا جهازين لمقاومة الإشاعات أحدها مكشوف يتبع ادارة الاستعلامات الحربية الامريكية والآخر سري كان يطلق عليه اسم «عيادة الشائعات» حيث استخدم الصحافة في تفنيد الشائعات المغرضه [2] .

اليهود والإشاعة

إن دراسة الإشاعة عبر التاريخ تقتضي التوقف قليلاً عند عنوان محدد هو اليهود والإشاعة لأن الارتباط كما قلنا قوي ومستمر في آن واحد . وقد برع دهاقنة المكر في المدينة المنورة ابان

---

(١) محمد عبد القادر حاتم . الرأي العام . مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٢) صلاح نصر . الحرب النفسية حرب اللكمة والمعتقد . القاهرة ١٩٦٧ .

دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام في تلك الفترة ، برعوا في تجنيد ألسنة السوء لترويج الشائعات حول الرسول ومن اتبعه لزعزعة العقيدة في النفوس ولبث الفرقة وشق الصف . فكانوا كلما وقعوا على خبر حرفّوه ثم أذاعوه ونشروه وأشاعوه حتى قال عنهم القرآن : ﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة﴾ وقال فيهم الله عز وجل : ﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ ، ﴿سماعون للكذب أكّالون للسحت﴾ وقال المفسر في هذه الآيات أن اليهود كانوا كثيري التسمع على الرسول ﷺ ليتوسلوا الكذب عليه واسلوبهم أن الاتباع منهم يستمعون منه لينقلوه لقوم آخرين هم زعمائهم الذين يستكبرون عن الاتيان للرسول وهؤلاء هم الذين يحرفون ويبدلون كلام التوراة ليبعدوه عن معناه الصحيح .

وكان من أساليبهم كما جاء في تفسير الآية ﴿وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ كانوا اذا اصابتهم مصيبة من قحط او غيره يشيعون بين ضعاف العقول أن سبب هذه المصائب هو محمد ﷺ [(١)] .

وكانوا اذا لم يقعوا على خبر يفي باغراضهم لفقوا الاخبار وقلبوا الحقائق او فسروها على هواهم وكما يحلولهم وتملي عليهم شياطينهم ثم اشاعوها . كما حدث عندما تزوج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش فصاروا يشيعون أنه تزوج من أمراة أبنه أي أنه اتى منكراً هو ينهى عنه ، حتى ضاق الرسول ﷺ بهذه الاقوال فعاتبه ربه عز وجل ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ .

كذلك حديث الافك الذي هو بجوهره ومضمونه ما أشاعه اهل الافك ضد الطاهرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وقد برأها الله عز وجل فقال ﴿ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ .

ويقول المفسرون ان عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين هو الذي تولى كبره وبدأ بالخوض فيه وخاض من ثم معه وأشاعه المنافقون بما فيهم اليهود الذين يجدون في مثل هذا الصيد مادة لتوهين قوة الصف الإسلامي وزعزعته ، وكان توجيه الله عز وجل للمؤمنين : ﴿يا

---

(١) د . أحمد توفل . الإشاعة . دار الفرقان للنشر عمان ، ١٩٨٣ .

أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين﴾ ومن قبل قرع اليهود بقوله تعالى: ﴿قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾. ولا عجب أن يفعل اليهود ذلك وهم الذين نشروا الشائعات من قبل في حق السيدة مريم أم المسيح عيسى عليه السلام بقصد التشكيك في المسيح نفسه وفي دعوته من بعد.

وللاستزاده في افاعيلهم انظر كتب «مكايد يهوديه عبر التاريخ» [(١)] و «الرسول ﷺ والحرب النفسية» [(٢)]، «وجذور البلاء» و «الافعى اليهوديه في معاقل الإسلام» [(٣)]، وغيرها كثير، يكفي منها الإطلاع على بروتوكولات حكماء صهيون وانظر في البروتوكول الأول منها قولهم: «يجب ان يكون شعارنا: (كل وسائل العنف والخديعة)».

ولا شك ان اليهود في توجههم للعالم والدول غير العربية اولاً، ثم للعرب في شتى اقطارهم ثانياً، ثم للأهل في المحتل من الأرض يستعملون شتى الأساليب ومن ضمنها الإشاعة لترسيخ ما يودون من افكار ولتحقيق المآرب التي لا يتأتى تحقيقها بالدعاية او غيرها من اساليب الحرب النفسية. وذلك منذ انشاء الكيان الاسرائيلي وحتى هذا الوقت، متدرجين في ذلك حسب الظروف والمعطيات ومقتضى الحال زماناً ومكاناً.

ولا نشك انهم يلتزمون شعارهم (كل وسائل العنف والخديعة) فمن أساليبهم في الكونغرس الامريكي اذا ما ارادوا موافقة احد اعضائه على مشروع او قراريهمهم، فإن اللوبي الصهيوني يوسط جماعاته فيوهموا العضو أنّ زملاءه في الكونغرس قد سبقوه ووقعّوا من قبله مصدقين وموافقين على المشروع أو القرار.

في مقال عن نشاطات اللوبي الصهيوني والجهود العربية في الولايات المتحدة الامريكية، نشرته مجلة كل العرب في عدد ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٤ جاء فيه: «يقول ديفيد سعد المدير التنفيذي للجمعية العربية الامريكية الوطنية انهم اثناء التحقيق الواسع الذي قاموا به في موضوع نقل السفارة الامريكية إلى القدس وجدوا أن عدداً كبيراً من رجال الكونغرس لم يوقعوا

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. مكايد اليهود عبر التاريخ. دار القلم. دمشق، ١٩٧٨.
(٢) منصور محمد عويس. الرسول ﷺ والحرب النفسية، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٢.
(٣) عبدالله التل. جذور البلاء والكتاب الآخر.

على مذكرة التوصية المعنية الا بعد أن أقنعهم اللوبي الصهيوني كذباً بأن زملاءهم جميعاً أو معظمهم وقعو عليها وكان هذا اللوبي يذيع ارقاماً عن عدد الموقعين ويروّج لها في الإعلام ولكنها أعلى من الارقام الحقيقة . هذا بالإضافة إلى المعلومات الخاطئة والمغشوشة التي تقدم إلى اعضاء الكونغرس ومساعديهم من أجل اقناعهم بوجهة النظر الاسرائيلية» .

وبعد ، فالخديعة هي دربهم والإشاعة هي سبيل الضغط والتشهير : في مجلة التضامن العدد ٦٢ والصادرة في ١٩٨٤/٦/١٦ وتحت عنوان (إشاعة اسرائيلية كادت تفسد العلاقات اللبنانية ـ السعودية) كتبت تقول : «في ١٨ آيار الماضي ابلغ عدد من الُمصدّرين اللبنانيين إلى السعودية المجلس الوطني للعلاقات الاقتصادية الخارجية بقرار قيل أنه صادر عن وزارة المال السعوية ـ مصلحة الجمارك ـ قضى بمنع دخول اية بضاعة من منشأ لبناني جنوبي إلى الأسواق السعودية .

وكاد هذا الخبر الغامض أن يعصف بالعلاقة اللبنانية السعودية بعد اذ يتطور إلى إشكال سياسي بين البلدين لو لم يسارع المسؤولون إلى تدارك الوضع . حيث جرى الاتصال مع السفير اللبناني في جدة وطلب منه الاستيضاح حول هذا القرار الذي رد ببرقية اكدت أن المسؤولين السعوديين نفواعلمهم بوجود مثل هذا القرار الصادر عن وزارة المال والذي يفرض الحظر المزعوم على بضائع الجنوب اللبناني . كما تم ابلاغ المسؤولين اللبنانيين وعلى لسان الملك فهد نفسه أن السلطات السعودية لم تصدر أي قرار بهذا الصدد . . . وقد تبين أن الامر برمته هو إشاعة اسرائيلية تم تسريبها قصد منها النيل من العلاقات المتينة والاخوية بين البلدين والتي لا تتمشى مع السياسة الاسرائيلية في الجنوب اللبناني الهادفة لضرب اقتصاده وتدميره من جهة ومن ثم لاستيعاب الجنوبيين والقضاء على المقاومة الوطنية فيه من جهة اخرى . وإن ما قامت وتقوم به اسرائيل من اجراءات تعسفية في جنوب لبنان كاحراقها للمزارع الجنوبية وفرض التطبيع الاقتصادي القسري عليه وسرقتها لمياه الليطاني سوى الدليل الواضح على وقوف اسرائيل وراء شائعة المقاطعة السعودية للسلع الجنوبية» .

ويمكن أن نضرب المثال على اسلوب الإشاعة الذي تتبعه اسرائيل في المحتل من ارضنا لتحقيق اهدافها بما روجته اثناء حرب حزيران ١٩٦٧ وكان من نتائجه نزوح ما لا يقل عن مائة الف شاب من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية من الاردن .

فأثناء تقدم قوات العدو باتجاه القدس وقراها قام عملاء العدو بتوجيه وبث شائعة مفادها :

(أن الجيش الاسرائيلي يقوم بذبح الشباب وقتلهم في كل مكان يدخله) ، وتناقلت الجماهير هذه الإشاعة عن حسن نية بهدف الحرص على شبابها وحدثت الكارثة بنزوح الشباب ، وقد تبين فيما بعد أن تلك الشائعة لا تمت إلى الحقيقة بصلة وكان هدف العدو من ورائها تفريغ المناطق التي يتقدم لاحتلالها من سكانها ، والسؤال هنا كيف تم تصديق تلك الشائعة اذن؟ والجواب ببساطة هو أن العدو استند لترويج اشاعته على حقيقة ثبتّها على ارض الواقع في عام ١٩٥٦ ، ذلك أنه عندما احتلت قوات العدو قطاع غزة وخان يونس ذلك العام قام بجمع الشباب واقدم على قتلهم باطلاق النار عليهم بشكل جماعي وقد علمت الجماهير والشعب الفلسطيني بتلك الواقعة في حينه مما دفعه إلى تصديق الشائعة التي اطلقها في حزيران ١٩٦٧ وبدون تدقيق وتأكد من صحة الواقعة هذه المرة [١] .

واذا استغل العدو في هذه الإشاعة اسلوب التخويف فإن الارهاب هو أحد أبرز اساليب حربه النفسية ضد العرب عموماً واهلنا في المحتل من الارض خصوصاً ويتوسل لتحقيق هذا الاسلوب بوسائل منها الإشاعة كما في المثال السابق ، وكما يستخدمها في اسلوبه لبث وزرع فكرة التفوق العسكري والقوة التي لا تقهر والردع النووي . . . إلى آخر هذه المقولات التي تحقق له الهيمنة والتسلط وكله يقع تحت باب التخويف الذي يؤدي إلى تدني المعنويات او تهجير الاهل وغيرها من الاهداف .

أنواع الإشـاعة

تقسم الشائعة إلى أنواع حسب الوجهة التي ننظر إلى الإشاعة منها ، فتتنوع الشائعات بتنوع الوجهات حتى تصل إلى ستة تقسيمات رئيسية ، وعندها تتداخل التسميات تحت التقسيم الرئيسي ، ومن هنا رغبنا في أن نورد نوع الإشاعة ثم التسميات المختلفة لهذا النوع نفسه ثم اذا احتاجت إلى الشرح والإيضاح فعلنا ولا بأس أن يتم ذلك احياناً بمثل ناطق او واقعة تُعبّر بنفسها عن الشائعة وتفسرها . ونذكر مسبقاً ان التقسيم يتضمن التداخل فقد تكون الإشاعة بموضوعها سياسية وحسب معيار الوقت زاحفة .

هنالك ستة معايير يمكن تقسيم الإشاعة حسبها هي :

معيار الوقت ، موضوع الإشاعة ، الدوافع والبواعث ، وآليات الدفاع النفسية ، معيار مدى الانتشار ، معيار الهدف المباشر والأثر ، معيار الأسلوب .

---

(١) الرائد كامل أحمد . الاستخبارات الإسرائيلية ومكافحتها . ص ٧٠ .

١ ـ معيار الوقت

وتقسم الإشاعة حسب معيار الوقت إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

أ ـ الزاحفة

وتسمى ايضاً البطيئة والخاملة : وهي التي يتناقلها الناس ببطء بسبب من طبيعتها ومضمونها او بسبب عوامل انتشارها وما يعتري هذه العوامل من قوة أو ضعف .

ب ـ العنف

وتسمى ايضاً السريعة والنشطة : وهي تتصف بسرعة انتشارها . بحيث تغطي جماعات كبيرة في اقصر وقت ، كشائعات الكوارث والهزائم .

جـ ـ الغائصة

ويمكن تسميتها بالدورية : فهي تظهر ثم تختفي لتعود فتظهر في وقت آخر قد يقصر أو يطول ولكنه وقت يحمل ملامح ظروف ظهورها الاولى تقريباً ، ويكثر هذا النوع في القصص المماثلة التي تعاود الظهور في كل حرب كتلك التي تدور حول تسميم قوات العدو لمياه الابار ، أو التي تصف مجازر العدو . وابرز مثال عليها قصة «اللسان وطابع البريد» وملخصها أن اسير حرب امريكي كان معتقلاً في معسكر الماني في الحرب العالمية الاولى كتب خطاباً ارسله إلى اسرته يتضمن ملحوظة كتبها الاسير يطلب فيها من اسرته ان تحتفظ بطابع البريد الملصق على الرسالة ، دهشت الاسرة لمعرفتها بأن ابنهم لا يهتم لطوابع البريد وجمعها ، وعندما نزعوا الطابع وجدوا مكتوباً تحته ان آسريه قطعوا لسانه . وهذه الإشاعة نفسها عادت فظهرت في الحرب العالمية الثانية وبطلها اسير امريكي معتقل ولكن في معسكر ياباني هذه المرة ، وقد انتشرت هذه الشائعة في كلا الحربين بالرغم من وجود حقيقتين متناقضتين الاولى ان خطابات اسرى الحرب لا تحمل طوابع بريد . والثانية ان قطع اللسان يسبب نزيفاً قاتلاً مالم تُجرى عملية جراحية معقدة فوراً .

٢ ـ معيار الموضوع

وتصنف الشائعات حسب موضوعها الذي تدور حوله فهنالك الاشاعات : السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، إشاعات الاقليات ، الطائفية ، الجنسية ، إشاعات الجريمة ، الحربية ، إشاعات المرض . . . الخ .

وهذه بدورها يمكن تقسيمها إلى أقسام فرعية حسب تشعبات الموضوع الواحد نفسه فالاشاعات الحربية أو إشاعات الحرب يمكن تصنيفها إلى إشاعات المجازر ، إشاعات الغزو والغارات ، إشاعات سوء ادارة العمليات ، التجنيد ، الاسرى ، الاسلحة . . . الخ .

٣ ـ معيار الدوافع والبواعث ، وآليات الدفاع النفسية

أ ـ **إشاعات الكراهية** : وهذه تسمى ايضاً بالعدائية ، الافترائية والاتهامية ، والشريرة ، وإشاعة الحقد ، والمفرقة والسامة وإشاعة الضغائن وداقة الأسافين . كالاشاعات التي تثير الطوائف ضد بعضها البعض ، وتزرع البغضاء والكراهية تجاه جنس او عنصر دون آخر .

ب ـ **إشاعات الرغبة** : وهذه تسمى ايضاً الامل أو الإشاعة التفاؤلية ، والبيضاء ، والحالمة وإشاعة التمني ، وإشاعة الأمن وهي مقابلة لاشاعة الخوف ويستشهد الدكتور أحمد نوفل في كتاب الإشاعة على هذه الإشاعة (الامن ومقابلها الخوف) بالآية الكريم : ﴿واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ . وإشاعة الرغبة تعبر عن الاماني فيطمئن سامعها وناقلها إلى تصديقها وهي كتلك التي تتحدث عن وجود سلاح سري لم تشهره الدولة بعد في وجوه اعدائها ، وكذلك اشاعات قرب انتهاء الحرب ، او الانتصارات .

جـ ـ **إشاعات الخوف** : وتسمى بالاشاعات الوهمية ، والتشاؤمية ، والسوداء ، والمروعة ، والهدامة ، واشاعة الفظائع ، والارهابية . ومن امثلتها الشائعات التي تدور حول الاعداد المبالغ فيها من قتلى الحرب .

د ـ **إشاعات التوقع** : أو التنبؤية وهي في العادة تسبق الازمات واعمال العنف والشغب وتنتشر في اجواء التكهن والتحفز ، فالاشاعات تبلغ اقصى احتدامها عندما يكون الجمهور متوقعاً حدوث حادث خطير او يكون الافق مكفهراً وينذر الجو العام والظروف بظهور واقعة معينة فعندما يطول الانتظار والترقب ويزداد الغموض يلجأ الناس لالية ادراكية او ميكانزم ادراكي هو الغلق او التتميم ، فالمعلومات الناقصة على ارض الواقع يمكن تكملتها وتتميمها أو غلقها بإشاعة من عندهم .

هـ ـ **إشاعات الفضول** : أو الاستطلاعية ،الاشاعات الفضولية يقف وراءها حب الاستطلاع والفضول الزائد لدى الانسان .

و ـ **إشاعات الاسقاط** : أو الاسقاطية ، وهي التي تعتمد على آلية الاسقاط في تقبلها ونشرها ، فما يُقلق او يُشعر بعدم الاتزان والتوتر لدى الناس يمكن ان يسقطوه من خلال الاشاعة

على مواضيع خارجية عنهم مما يعيد للنفس اتزانها ويخلصها من التوتر .

ز ـ **إشاعات التبرير** : والاشاعة التبريرية تعطي المبرر لعمل ما أو تعطي التبرير الجاهز لخطأ ارتكبناه وكانت آثاره لصالح العدو ، فهذه الاشاعة تريح من مشاعر تأنيب الضمير والشعور بالذنب . فالانسان يبرر لنفسه سلوكه احياناً بطريقة لا شعورية عن طريق الاشاعة او تداولها .

حـ ـ **إشاعات التفسير** : الاشاعة التفسيرية أو الاشاعة المجيبة هي التي تقدم تفسيراً لواقعة ما أو تعطي اجابات لتساؤلات الجماهير حول قضية بعينها .

ي ـ **إشاعات القلق** : أو مثيرة الاعصاب وهي على العكس من الاشاعة التفريجية تقصد إلى وضع الناس في جو من القلق والتوتر والاثارة العصبية والتوفز .

ك ـ **إشاعات التشكيك والبلبة** : وهي كما في اشاعات القلق تضع الناس في جو من التشكيك والحيرة والبلبلة بالنسبة لقضايا معينة وتساعد على خلق الظروف والعوامل التي تجعل الناس في حيرة واضطراب .

٤ ـ معيار مدى الانتشار

أ ـ **الضيقة** : وهذا النوع من الاشاعات توجه في العادة إلى هدفها المميز بعناية بالغة فتصل إليه بأقل مدى من الانتشار فهي عمودية وتسمى تجاوزاً بالفردية عندما يقصد منها فرد بعينه ، وهذا النوع يكون له عادة استجابة او رد فعل بحيث يظل مداها محدوداً ضيقاً .

ب ـ **الممتدة** : وتسمى ايضاً بالجماعية عندما يكون هدفها الجماعة لا الفرد ، وهي من حيث مدى الانتشار افقية فهي تنتشر وتمتد على جمهور عريض بمدى واسع إما بسبب عدم توجيهها لهدف محدد يضطر بتعرضه لها إلى وقفها برد فعل أو استجابة (تفسير ، تفنيد ، ذكر الحقيقة) ، او بسبب عدم التعرض لها مطلقاً لغاية معينة ، أو بسبب من موضوعها ومدى ارتباطه بما يهم هذا الجمهور ، او بسب الظروف المرافقة وغيرها من الاسباب .

٥ ـ معيار الهدف المباشر والاثر

وان هدف الاشاعة المباشر الذي تعمل على تحقيقه او الاثر المطلوب من ترويجها يعتبر عامل اخر في تصنيف الاشاعات :

آ ـ الإشاعة كمصيدة : وهذه لا تتصيد معلومات محددة ولكنها تجعل الهدف منها او المستهدف فيها يقع في شراكها فيتحقق الغرض الذي روجت الاشاعة من اجله ، ومن الطف الامثلة عليها قصة محطة حديد بوتسدام وهي محطة برلين الرئيسية : ففي السنة الثانية للحرب العالمية الثانية حاول البريطانيون عدة مرات ان يدمروا المحطة فلم ينجحوا ، الا ان الالمان اشاعوا بأن الإنجليز قد نجحوا في محاولاتهم ، وعندما بلغت بريطانيا الاشاعات صدقت الامر واذاعت الخبر رسمياً فما كان من وزارة الدعاية الالمانية الا ان رتبت للصحفيين الامريكيين زيارة للمحطة لاثبات كذب الاذاعة البريطانية ، وبذلك استطاعوا الحطّ من شأنها والتشكيك بمصداقيتها .

ب ـ الإشاعة كطعم : وهذه تقصد تصيد المعلومات واظهار الحقيقة : والمثال عليها ما قام به اليابانيون في الحرب العالمية الثانية اذ روجوا شائعات مبالغاً فيها عن خسارة الامريكيين في الاشتباكات البحرية ، كانوا لا يعرفون حقيقة خسائر العدو ، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى ان يثيروا الامريكيين فيقوموا بنشر حقيقة خسائرهم . وقد نجحت هذه الوسيلة ،اذ ان انتشار هذه الشائعات اثر تأثيراً بالغاً في معنويات الاهلين مما جعل الحكومة الامريكية تسرع في اذاعة الحقائق عن الخسائر رغبة في دعم الروح المعنوية ، وبذلك استطاع اليابانيون ان يصلوا إلى الحقائق التي تهمهم .

جـ ـ الإشاعة كستارة دخان : فاذا ما تسرب خبر أو معلومات مهمة يلجأ الجانب الذي تسربت منه المعلومات إلى بث الشائعات التي تحمل بعض المعلومات فيرتبك الجانب الاخر ويصعب عليه اكتشاف الأخبار الحقيقية الصادقة من الاخبار الكاذبة .

د ـ الإشاعة بقصد التفتيت : وقد استعان الالمان في تفتيت معنويات الفرنسيين بالاشاعات حيث جعلوا الفرنسيين يتأرجحون بين اليأس والأمل بتسليط الاشاعات المتشائمة وعلى اثرها مباشرة الاشاعات المتفائلة : فمن اشاعات الغزو المنتظر إلى اشاعات محادثات السلام الوشيكة الوقوع ، مما عجل بوصولهم إلى درجة من الحيرة والقلق واصبحوا لا يستطيعون ان يميزوا بين ما هو صادق وما هو كاذب مما دمر معنوياتهم وفتتها .

٦ ـ معيار الاسلوب

أ ـ الاشاعة الهجومية : وهي التي تصطنع وتبث بقصد تحقيق هدف معين . والشائعات

الهجومية توجه عادة في الحرب ضد العدو ، ومن اشهرها ما شنته المانيا النازية ضمن استراتيجية الرعب التي كانت تتبناها .

ب ـ **الإشاعة الدفاعية** : وهذا النوع من الاشاعات تصطنع وتبث بقصد الرد على اشاعات العدو واساليب دعايته ، فإمّا ان تعمل كستارة دخان أو بقصد النيل من مصداقية وسائل اعلام العدو التي تثير الاشاعات ضده . فهي العمل المضاد لمواجهة شائعات الطرف الاخر والذي يتبنى الاسلوب نفسه كسلاح الا وهو الاشاعة . ويمكن تسميتها بالاشاعة المضادة فتخطيط الاشاعة يقابل بتخطيط مماثل .

جـ ـ **الإشاعة التعزيزية** : وهي الاشاعة التي تدعم ما قبلها ، ففي حملات الاشاعات يكون هنالك سلسلة من الاشاعات يدعم بعضها بعضاً مما يعطي الانطباع بصدق مضمونها وتقبله .

كيف تنشأ الإشاعة وكيف تنشر؟

تمر الاشاعة منذ ظهورها وحتى توقفها ونهايتها في ثلاث مراحل :

١ ـ صنع الاشاعة او انطلاقها (وهنا تدخل عملية الادراك)

٢ ـ نشر الاشاعة او نقلها وترديدها (وهنا تدخل عملية التذكر والادراك معاً)

٣ ـ ايصال الاشاعة او تبليغها (وهنا تدخل عملية السرد) ولكن قبل الخوض في هذه المراحل لابد من الوقوف على العوامل التي تساعد في نشأة الاشاعة وانتشارها .

العوامل المساعدة في نشأة وانتشار الاشاعة :

١ ـ الاهمية والغموض :

يقول مخيمر في مقدمته لكتاب البورت في عاملي الاهمية والغموض : «أن ارض الجماهير لا تكاد تتلبّد فوقها سحب الغموض ، وتنشر فيها بذور الاهتمامات ، حتى تستحيل تربة خصبة تزدهر فيها نباتات الشائعات» .

والاهمية تعني ان موضوع الاشاعة يجب ان يكون مهماً بالنسبة لمن يصطنعها او ينقلها ويرددها ولمن يتقبلها فهي طرف المعادلة الاول . وأما طرفها الثاني فهو الغموض .

والغموض يعني ان الوقائع الحقيقية على جانب من الابهام والغموض الناجم عن اسباب مختلفة : كانعدام الاخبار ، او اقتضابها ، او تضاربها ، او عدم الثقة بها ، او بسبب التوترات الانفعالية التي تجعل الفرد غير مهيء لتقبل الوقائع التي تقدمها الاخبار اليه .

ومن ثم يمكن وضع الاهمية والغموض على هذا النحو :

شدة الاشاعة = الاهمية × الغموض

واذا كانت الاشاعة تنشأ في جو من الترقب وجو مشحون بالتوقعات وهو جو الاوقات الحبلى بالاحداث والتي تسبق وقوعها فإن الاشاعات تنميها التوقعات وتغذيها الرغبة في المعرفة . وعليه فإن الاشاعة تنشأ بسبب من انها تتحرك على محورين وتفعل في مجالين : المجال التفريجي والمجال التفسيري ، مما يخلص الانسان مما يشعر به من التوتر ويعيده إلى حالة التوازن التي يسعى دائماً إلى أن يظل ضمن حدودها وفي اطارها ، وذلك على هذا النحو :

المجال الاول : التفريجي ، وهو التخفيف من التوتر الانفعالي والذي يسببه عامل الاهمية .

المجال الثاني : التفسيري ، وهو التخفيف من التوتر العقلي والذي يسببه عامل الغموض .

يقول روبرت ناب : «تتولد الشائعة من الرغبة في تفسير العالم تفسيراً ذا معنى ، وكذا في نفس الوقت في ارضاء النزعات الانسانية أو التعبير عنها» . فحرص الانسان على التفسير المقبول المقنع ومن ثم فهم ما يدور حوله وخاصة ما يهمه بشكل مباشر مما يجعل العالم المحيط بنا يبدو مقبولاً هو حافز على صنع الاشاعة . فإذا لم يتكامل التفسير فإن الفرد يلجأ من أجل ذلك إلى اساليب شتى منها الاشاعة باختلاقها أو تلقفها من الاخرين .

٢ ـ التجانس :

وعامل التجانس يعني عدم وجود اية حواجز اجتماعية تقف عائقاً في سبيل انتشار وتفشي الاشاعة ، فالتجانس الاجتماعي هو عامل هام من عوامل اصطناع وسريان الاشاعة .

٣ ـ عدم التوعية :

ان عدم التوعية هو عامل هام ايضاً ، خاصة اذا علمنا ان عدم التوعية تعني تفشي الجهل وارتفاع مستوى الامية مما سيعني بالضرورة استعداد الافراد والمجتمع للايحاء وهي ظاهرة نفسية تتميز بها الشعوب المنعزلة عن مجريات الاحداث والفقيرة في العلم والثقافة . وان عدم الوعي

يتضمن كذلك غياب التماسك الذي تحدثه العقيدة ويترك اثره الايمان في النفوس .

وعلى العكس فإن التوعية لدى الافراد والدولة على حد سواء هو حاجز ثقافي يقف في وجه تقبل الاشاعة وانتشارها . وهذه التوعية : تشمل التوعية بطبيعة الإشاعة ، وبسلوك المشيع ، وبالتفسير النفسي للاشاعة .

٤ ـ الاشاعة وآليات دفاع الشخصية (الدوافع والاسس النفسية) :

ان من ابرز العوامل المساعدة في نشأة وانتشار الاشاعة : الدوافع والاسانيد النفسية التي تعتمد عليها الاشاعة ، وسوف نلاحظ كما اشرنا في العنوان الفرعي إلى أن الاشاعة هنا تعمل كما لو كانت تتقمص آليات دفاع الشخصية ، ولو رجعنا إلى تقسيم الإشاعة وخاصة وفقاً لمعيار الدوافع النفسية سنجد التفسير الواضح لهذا الذي نذهب اليه . فإذا ما رجعنا إلى حديثنا حول الغموض والاهمية وعمل الاشاعة على محوري التفريج والتنفيس مما يخفف القلق فإن الاشاعة تعمل كآلية دفاع للشخصية ، فتعمل على خفض التوتر واعادة الاتزان تماماً كأي ميكانزم دفاعي آخر مما تستخدمه النفس :

أ ـ تقوم الشائعة على مقولة ملخصها ان غالبية الناس يقومون بتنبؤاتهم طبقاً لرغباتهم الذاتية دون أن يوجههم الدليل الموضوعي أي أنهم بصفة عامة مهيئين لتلقي الاشاعة وتصديقها لأنه ليس لديهم الوقت الكافي ولا الظروف التي تسمح بمراجعة ما يسمعونه وتدقيقه وفق معايير الصدق او لصعوبة ذلك . ولما كانت الظروف مشحونة بالغموض والموضوع هام فلا بد من التفسير ، كما يتدخل الفضول والتسرع في طلب المعرفة والتفسير مما يقود كل ذلك إلى تبني الاشاعة باعتبارها ميكانزماً تأويلياً يرضي الرغبات الذاتية ويقضي على التوتر العقلي والوجداني معاً .

ب ـ تعمل الشائعة ايضاً باعتبارها ميكانزماً تقبلياً ، بحيث تحقق للفرد رغبة التقبل من الغير والحصول على التقدير الاجتماعي وهو مطلب اساسي يسعى ورائه . كما تتيح له الاشاعة الشعور بالزهو والفخر فيحظى بالاعجاب عندما يبدو في اعين الاخرين مطلعاً على خبايا الامور عارفاً بدقائقها .

جـ ـ أما مشاعر العدوان والحقد على الاخرين والكره والانانية والأثرة فكلها تجد لها متنفساً عبر الاشاعة ، بل تتيح الاشاعة تحقيق الانتصارات على الاخرين حتى بدون مواجهتم مما

يخلص الفرد من التوتر عندما يتخلص من الموضوع المثير الحقيقي أو يهاجمه عن طريق غير المواجهة وهنا تلعب الاشاعة ايضاً باعتبارها ميكانزماً تحويلياً (تحويل المشاعر عن الموضوع الاصلي لاخر) وميكانزماً تبريرياً (تعطي التبرير عن مجابهة الموضوع الاصلي واتاحة الفرصة لتوجيه العدوان اليه من غير مواجهة حقيقية) .

د ـ والاشاعة عندما تعمل باعتبارها ميكانزماً تحويلياً فإنها تعمل ايضاً على استرضاء النفس لعدم القدرة على مواجهتها بالفشل فيخفف من ذلك عن طريق استخدامه للاشاعة . كما تهيء لنا ايضاً سبل اقناع الاخرين بعدالة مواقفنا .

هـ ـ والاشاعة عندما تعمل باعتبارها ميكانزماً اسقاطياً فإن ذلك يتم بالقاء التهم على الغير مما يهون في عيوننا وعيون المجتمع ما نحن عليه من تقصير . كما اننا نسقط في العادة ما في انفسنا من صفات ورغائب وغيرها على ما تصطنعه من الاشاعة او ما نتقبله منها وننقله .

وبعد ان وقفنا على العوامل المساعدة على نشأة وانتشار الاشاعة فلا بأس من التعرف بتفصيل على المراحل التي سبق واشرنا اليها والتي تمر فيها الاشاعة منذ ظهورها وحتى نهايتها .

مراحل الاشاعة :

١ ـ صنع الاشاعة او انطلاقها (وهنا تدخل عملية الادراك) :

لما كانت الاشاعة رواية خبرية فهي عملية ادراك بالمقام الاول . ومن ثم فهي تتضمن الشعور والانتباه والترابط الحسي ، كما تدور حول الحفظ والتذكر وتعتمد على اللغة والتعبير في المقام الثاني .

فالاشاعة تظل في اطار كونها تجربة ادراكية ، يعتورها ويؤثر فيها كل ما يعتور الادراك ويؤثر به ، حيث تلعب خلفية الانسان دوراً كما يلعب الحدث نفسه ثم الفروق الفردية وغيرها من العوامل التي تؤثر على الادراك وتتحكم به بحيث يختلف الموضوع المدرك من فرد لاخر كما يختلف فهمه وتفسيره .

وان الاشاعة في مبتدأ أمرها أما أن تصطنع ويختلقها الافراد او ان تصلهم من الاخرين ، وفي كلا الحالين نقف أمام شائعة لا تأتي من فراغ ولكن من تربة خصبة بالاحداث وجو مشبع

بالتوقعات كما سبق واشرنا . ولما كان الانسان يميل إلى الخلاص من التوتر الذي يشكله ويحدثه الموقف الغامض فإنه ينزع إلى فهم المواقف خاصة اذا كانت تهمه وتمسه ، فتطلع الاشاعة لتخلصه من الضغط الفكري والانفعالي على حد سواء كما تمنحه التبرير لسلوكه على نحو معين للخلاص من التوتر الذي اوجده غموض الموقف ، فتحقق له الاشاعة هذا كما تحقق له سائر الاشباعات النفسية التي تتطلبها الدوافع التي سبق وان اشرنا اليها مما يعيده إلى حالة التوازن النفسي .

٢ ـ نشر الاشاعة او نقلها وترديدها (وهنا تدخل عملية التذكر والادراك معاً) :

كما قلنا فإن الاشاعة باعتبارها رواية خبرية فانها تدور حول الحفظ والتذكر في المقام الثاني من بعد الادراك باعتباره المقام الاول .

وان الذاكرة تختلف باختلاف الافراد وبتباعد الاحداث عن زمنها الاول الذي وقعت فيه ، ويسعى التذكر إلى أن يكثف العناصر للواقعة او الحدث من جهة وإلى تذكرها وفقاً لما تكون عليه الامور عادة اي يقوم التذكر (بعملية تطبيع) لما نتذكره بحيث يتلائم وما نعتاده بالواقع .

كما ان الذاكرة لا تحتفظ بصورة الاشياء وتفاصيلها لمدة طويلة بل تتعرض مضامينها بالعادة إلى الاختزال وتجري عليها عمليات كثيرة تتداخل احياناً مع المرحلة الثالثة وهي مرحلة التبليغ او السرد . وهنا يمكن طرح السؤال ماذا يحدث للاشاعة اثناء تذكرها (نشرها وتناقلها وترديدها)؟ مما يقودنا للتعرض إلى عمليات التسوية (التشذيب) ، والشحذ (الصقل) ، والاستيعاب .

أ ـ عامل التسوية أو التشذيب Levelling :

فكما قلنا يميل الانسان في هذه المرحلة إلى تسوية وتشذيب الكثير من التفاصيل واسقاطها . فالتسوية والتمهيد تعني الحذف تبعاً لاهتمامات الفرد وادراكه ودوافعه ورغباته . فعندما تنتقل الاشاعة تميل إلى أن تصبح اكثر ايجازاً وتركيزاً وايسر استيعاباً ورواية ، وكلما تعاقبت الصيغ قلّت الكلمات التي تعبر عنها كما قلّت التفاصيل التي يشار اليها عند روايتها .

والتسوية والتمهيد او التشذيب ليست عملية جزافية بل ان التجربة اظهرت ان ما يستبقى من الاشاعة عادة هو تلك الفقرات التي تهم الافراد اولاً وتدعم توقعاتهم ثانياً ، اي ان هنالك تشذيب انتقائي مقصود يستبقي مواد مقصودة ومرادة بذاتها .

ومن هنا ايضاً كانت التسوية وعملية التمهيد او التشذيب لا تعني الطمس الكلي . فقد اكد البورت [1] أن ٧٠٪ من التفاصيل تسقط في خلال الروايات الخمس او الست الاولى ، وهذا يعني ان ثمة ٣٠٪ يتبقى منها ، فالاشاعة مع الترديد تتقلص وتضمر لتصبح اكثر تشويقاً وجذباً وأسرع حفظاً ونقلاً ولكنها لا تطمس كليّة على اية حال وهنا اعتبارات في ثبات الجزء الاخير منها :

١ - ان رواية موجزة مركزة يمكن تناقلها في الغالب بأمانة : اي لا تطالها التسوية ولا يطالها التشذيب لايجازها وتركيزها .

٢ - انه اذا ما اصبحت الرواية موجزة ومركزة فلا ينطوي موضوعها إلاّ على قليل من التفاصيل تقل وتشذب تُستَبعد امكانيات التسوية .

٣ - ان العمل يصبح من السهولة بحيث ان الحفظ بالتكرار يكفي لحفظ الرواية : فالاشاعة اذا ما اصبحت ناضجة وموجزة واكتسبت طابعاً شعارياً (اي كالشّعار المكثف) يصبح حفظها بالتكرار يسيراً ، بل لا تحتاج إلى جهد لحفظها حرفياً كما سُمِعَتْ .

ب - عامل الشحذ او الصقل Sharpening :

بعد عملية التسوية والتشذيب ، فإن القليل الذي يبقى من الاشاعة لا يمكن تَجنّب تصويره ووصفه ، بل يخضع إلى الصقل والشحذ او الإمضاء والتقوية حيث عملية الشحذ او الصقل هي عملية ادراك انتقائي من جهة وتذكر انتقائي لعدد محدود من التفاصيل من سياق مجموعة اكبر من تلك التفاصيل من جهة اخرى ، ويساعد على ذلك :

١ - عدم رؤية الراوي للواقعة بنفسه

٢ - عدم وجود وقت كافي لما يسمى بالتسميع العقلي حيث تسقط معه بعض التفاصيل

٣ - في الرواية الجماعية يجد الفرد نفسه تحت المراقبة والحاكمة بالنسبة لمسألة الدقة في السرد فيحاول من ثم الفرد ان يتجنب الاخطاء باستبعاد العناصر التي لا يثق بها تمام الثقة ، وفي عملية الشحذ او الصقل فإن ذلك يتم في كل مرة ورغم ذلك فإن التأكيد او التركيز لا يقع

---

(١) وليام البورت دبوستمان . سيكولوجية الاشاعة . ترجمة د . صلاح مخيمر وعبده رزق . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

دائماً على نفس الفقرات ، بل احياناً يصبح تفصيل تافه هو بؤرة الاهتمام والرواية ويرتفع حوله بناء الاشاعة كلها .

وفي عملية الشحذ او الصقل عوامل عدة :

١ ـ عامل اللفظ الغريب والكلمة الشاذة : فتتحدد معالم الشحذ احياناً في حفظ الكلمات الشاذة او تلك التي تثير الانتباه .

٢ ـ العامل العددي : فالشحذ قد يتخذ اتجاهاً عددياً ، فالموضوع الذي يدعو مظهره مثلاً إلى الاهتمام يتضاعف عدده من واحد إلى عشرة .

٣ ـ العامل الزمني : اي جعل الحدث آنياً ووصف الحوادث كما لو انها تجري الان فما يحدث (هنا) و (الآن) اكثر اهمية بالنسبة للمستمع . وكثير من الاخبار تكتسب اهمية معينة عن طريق صقلها وشحذها بان تربط بالظروف الحاضرة والوقائع الجارية .

٤ ـ العامل الحركي : يحدث الصقل والشحذ عندما يكون هنالك مضمون حركي واضح ، كطيران الطائرات وانفجار القنابل فيتكرر التأكيد عليها عند الرواية . وسقوط آنية الزهور تعيها الذاكرة تلقى بنبرة خاصة . ويمارس الشحذ احياناً بنسبة الحركة إلى اشياء ثابته فعلاً ، فغالباً ما يوصف القطار ـ وهو لا يزال واقفاً في احدى المحطات ـ بأنه يتحرك .

٥ ـ عامل الحجم : فالاجسام او المرئيات التي اشتهرت بحجمها تنزع إلى أن تحفظها وتعيها الذاكرة ومن ثم تصقل وتشحذ . ويتدخل الحجم ، كما سبق وذكرنا ، في مضاعفة العدد ، اي عدد ذلك الموضوع الضخم فيصبح الهرم اهرامات! .

٦ ـ العمل المكاني : ينزع الانسان إلى أن يرسم خطة مكانية وزمنية للقصة بحيث تكون مسرحاً لحوادثها . فتتدخل هنا بعض العوامل الكلامية او المادية التي توجه الانتباه ليعمل الشحذ والصقل في هذا الاتجاه . وما يتعلق بالمكان والزمان تميل الذاكرة لحفظه واستعادته .

٧ ـ عامل أَسْبَقِيَّة الأَثَر : اي ان الفقرة التي تعرض في مسلسلة ما أولاً يغلب ان تعيها الذاكرة افضل مما تعي الفقرات التالية .

٨ ـ عامل الشعارات المألوفة : فوعي الحافظة للشعارات المألوفة يثير عملية التمسك بالتقاليد ومراعاتها التي اشتهرت بأنها مظهر لتثبيت الاشاعة وتدعيمها . فالشعارات تحتجزها الحافظة دائماً وتشحذها ومن هنا يمكن القول ان الاشاعة تستبعد غير المألوف بمعنى تطويع الاشاعة للمحلي والمقبول اجتماعياً ايضاً .

٩ ـ عامل التفسير الاضافي : فالتفسيرات التي يضيفها الراوي إلى الوصف الذي سبق ان رُوي له يتضمن شكلاً نهائياً للشحذ أو الصقل . فهذه التفسيرات تمثل اتجاهاً إلى وضع (اطار) للخبر الذي يبدو انه ناقص بدونها وهي تصور (البحث عن المعنى) الذي يلازم ، عادة ، الشخص الذي يجد نفسه في وضع غير ثابت ومثل هذه الحاجة إلى الشحذ بالتفسير تصبح اقوى خصوصاً عندما يكون الخبر قد شُوّه بشدة وروايته تتضمن فقرات غير معقولة وغير لائقة . والشحذ بادخال التفسيرات يعمل في تفسير وظيفة الاشاعة كمفرج عن التوتر الشخصي فتقبل القصص عن اسراف الموظفين في استخدام الطاقة بالمكاتب يمكن ان يفسر النقص في الطاقة وارتفاع اثمانها المتزايد .

جـ ـ عامل الاستيعاب Assimilation :

ان عملية الاستيعاب تعني ان الاشاعة تخضع لقوة جذب العادات والمصالح والعواطف وغيرها ، اي تطويع الاشاعة مع هذه العناصر ، والاستيعاب ، من ثم ، يفسر كل التنقلات والاستيرادات والتمويهات التي تطبع سير الاشاعة وتدعم الفكرة الرئيسية لها . ويفسر كل عمليات الطمس او الابراز التي تطال بعض التفاصيل .

وهنا نؤكد على ان التسوية والشحذ والاستيعاب هي حركات متداخلة تعمل معاً ويخرج جماع عملها بعملية تركيبٍ او توليفٍ بسيطٍ له مدلول ملائم للفرد طبقاً لمصالحه وخبراته الخاصة تبدأ من لحظة ادراكه للمثير الهام بالنسبة اليه والغامض بالوقت نفسه فتتدخل الذاكرة ـ مع طول الوقت وزيادة عدد الافراد الناقلين ـ إلى المزيد من التغيير الذي يطرأ على الموضوع المُدْرَك حتى تصل معه الاشاعة إلى خلاصة موجزة يمكن ترديدها من الذاكرة بيسرٍ وسهولة .

وفي عملية الاستيعاب والفهم ثمة مظاهر عدة نشير إلى اهمها . . .

مظاهر الاستيعاب :

١ ـ استيعاب الموضوع الرئيسي :

اي تيسير كل التفاصيل لتخدم الموضوع المستوعب ولو لم يكن موضوع الاشاعة الاصلي مما تفرضه العادات والمصالح والعواطف . فيحدث بصفة عامة ان تشحذ فقرات الاشاعة لتلائم الباعث الرئيسي على الخبر وتصبح متماسكة مع هذا الباعث بشكل يجعل الخبر الناشيء عنه اكثر ترابطاً واقرب إلى العقول وافضل استواء . فإذا تم استيعاب الموضوع الرئيسي يحافظ عليه

ومن ثم تُطَوِّع كل التفاصيل لتنسجم معه وتخدمه بالوقت نفسه تفسيراً وايضاحاً .

٢ ـ التتابع الملائم :

وهو ينطبق إلى حد مع ميكانزم الادراك (الغلق او التتميم) وهذا يعني تمويه الموضوع بحيث نحاول تكملة الصورة الناقصة وان نملأ الثغرات في المجال المثير وذلك بقصد التمهيد بشكل يتصوره العقل اكثر ترابطاً وتماسكاً . ومن ثم فإن كل تفصيل من التفاصيل يتم استيعابه بحيث يماثل الفكرة الرئيسية مع الحرص على (التتابع الملائم) لكي يستقيم المعنى المقصود حيث يكون السياق مفتقراً اليه أو ناقصاً . ويتم ذلك وفقاً لمعطيات الفرد النفسية من تجارب وثقافة ورغبات ودوافع ، اي ان الشخص يميل إلى اتمام الصورة كما يراها ملائمة له .

٣ ـ الاستيعاب بالتركيز :

وكأن الذاكرة تميل إلى تحمل اقل عبء ممكن فبدلاً من تذكر فقرتين فالاوفر ادماجهما في فقرة واحدة ، فبدلاً من الاشارة إلى سلسلة اعلانات على الطريق نشير إلى (لوحة الإعلانات) .

٤ ـ تلاؤم الاستيعاب مع التوقع :

تتشكل الكثير من الفقرات بحيث تساند عادات الشخص في التفكير ، فادراك الاشياء وتذكرها تتم بالطريقة التي (اعتاد) عليها . فالعصى التي يحملها مجموعة من الطلاب تنتقل مثلاً إلى ايدي الشرطة التي تفرقهم ، فالاستيعاب يتجه إلى المماثلة مع التوقع ، فالشرطة (مفروض فيهم) ان يحملوا العصى ، وليس الطلاب .

والتوقع هنا يعني : ملائمة الموضوع المدرك بالحواس مع شعارات مطبوعة من قبل في ذهن الفرد وكأنها (كليشيهات) تمارس تأثيراً قوياً في اخضاع الاشاعات للعادات المرعية .

٥ ـ تلاؤم الاستيعاب مع المصلحة :

اي ان الاستيعاب يتأثر إلى حد بعيد بمدى ارتباط موضوع الاشاعة بمصلحة الناقل او المردد او المستهدف بها ، فالاشاعة التي تضمنت ثياباً نسائية ـ كأحد التفاصيل التافهة في الموضوع الأصلي ـ اصبحت عند تناقلها هي الموضوع الرئيسي عندما روتها جماعات من النساء .

٦ ـ تلاؤم الاستيعاب مع الرأي المتميز :

فالاستيعاب يتم بالشكل الذي يناسب الميول الانفعالية المتميزة العميقة الجذور ،

فالاشاعات تميل ، عند استيعابها ، أن تلائم وتدعم المصالح المهنية والانتماء للجماعات الطبقية أو العنصرية او للآراء المتميزة التي يعتنقها الراوي .

٣ ـ ايصال الاشاعة او تبليغها (وهنا تدخل عملية السرد) :

ويسمى السرد كذلك الادلاء او التصريح ،وان العوامل التي ذكرناها في عملية الانتشار تتدخل إلى حدٍّ ما في عملية التبليغ او الادلاء ، بل ان هذه المرحلة تتداخل احياناً كثيرة في مرحلة الانتشار او النقل والترديد .

والتبليغ هو حصيلة تلك المراحل والنتيجة النهائية لصياغة الاشاعة على نحو المقولة التي مفادها ان هذا العالم يجب ان يعاد سبكه وصياغته لا لكي يلائم سعة ادراك الفرد وسعة احتجاز حافظته فقط ، ولكن لكي يلائم ايضاً حاجاته ومصالحه الشخصية ، فما كان خارجياً يصبح داخلياً ، وما كان موضوعياً يصبح شخصياً .

كيف تعمل الإشاعة

ان الحديث عن الاشاعة وكيف تعمل هو الحديث عن ثلاثة أمور : اساليب الاشاعة الاجرائيه ، اهدافها التي تسعى لتحقيقها ، ثم آثارها التي تخلفها وما ينجم عنها .

اساليبها :

للاجابة على السؤال : كيف تعمل الاشاعة؟ يجب ان نوضح اولاً : ما هي اساليب عمل الاشاعة؟ التقنيات والاعمال الاجرائيه التي تستخدمها . ولا شك ان الحديث سيدور حول عدة نقاط منها عامل الشكل ، وعامل الأداة او الوسيلة ، ومنها ظروف الزمان والمكان ، ومنها معطيات الوقائع والاحداث ، ومنها التوجه بمؤشرات الاستراتيجية العامة .

الاشاعة حرباء تلبس لبوساً وتتلون بلون يتناسب مع الزمان والمكان الذي تتحرك فيه . والاشاعة افعى تتسلل عبر كل الاشياء فلا يعيقها عائق ولا تقف في طريقها عقبة ، فهذه طبيعتها ، وتلك مهمتها .

ان الوسائل التي تستخدمها الاشاعة هي سائر الادوات والوسائل التي تستخدم في مجال الحرب النفسية عامة . فقدتمر من خلال خطبة قائد سياسي او عسكري ، كما يمكن ان تمرر من قبل عملاء ، او عن طريق المنشورات ، كما يمكن ان تمر عن طريق الاخبار الاذاعية وتقارير

المراسلين الصحفيين ، ووكالات الانباء ، او عن طريق الاحاديث التلفزيونية والندوات ، واشرطة الكاسيت ، او من خلال الصور الكاريكاتيرية ، او من خلال الملصقات (البوسترات) ، او المقالات الصحفيه في الدوريات . . . وغيرها من الوسائل مما تستدعيه الظروف والاهداف .

هذا من حيث الوسائل والادوات . كذلك الامر في مسألة الشكل . فالاشاعة كما قلنا تأخذ اشكالاً مختلفة حسب الظروف والاهداف ، فقد تأخذ شكل الخبر ـ وهو الأعم الاغلب ـ كما تأخذ شكل التحليل الاقتصادي في مقال صحفي ، او تأخذ شكل التوصية والنصيحة كما قد ترد في مقال أو على لسان مسؤول او في نتائج دراسة مزعومة وبحث موضوع لهذا الغرض في مجلة او ندوة او غيرها ، كما تأخذ شكل المثل السائر او النكتة والفكاهة ، وغير ذلك من الاشكال مما يصعب حصره .

ومن اطرف الامثلة على الاشاعة التي تأخذ شكل النكته او الفكاهة تلك التي راجت في الحرب العالمية الثانية ومفادها ان امريكياً كان على وشك السباحة في شاطىء «ميامي» وهو يرتدي (فانلة) استعارها من صديق انجليزي عندما حذّروه من سمك القرش ، فما كان منه الا ان قال لهم : «لا تقلقوا علي ، فليس هنالك سمك يرضى ان يبتلع مثل هذا الكلام» مشيراً إلى ما كان مكتوباً على (الفانلة) :ـ (سوف تكون هناك بريطانيا دائماً) . وان هذه الفكاهة نفسها قد راجت من قبل في الحرب العالمية الاولى ولكن على نحو تبدلت فيه الادوار ، عندما ظهرت في الحرب الثانية ، فقد ذاعت في بريطانيا آنذاك وفي أعقاب تلك الحرب قصة فحواها ان رجلاً انجليزياً كان يسبح في بحر «المانش» وهو يرتدي (فانلة) اقترضها من صديق امريكي ، وعندما حَذَّرُوه من سمك القرش ، رد عليهم قائلاً : «لست أخشى شيئاً . فليس هنالك سمك يرضى ان يبتلع مثل هذا الكلام» مشيراً إلى ما كان مكتوباً على (الفانلة) :ـ (لقد كسبت امريكا الحرب) .

وقد اطلق «بيساو» على مثل هذه الشائعات اسم : الغائصة ، فهي غاصت وهمدت لتظهر مجدداً في ظروف مماثلة بعد جيل ، كما انها غاصت حقيقة لا مجازاً في اعماق المحيط الاطلسي لتظهر على الشاطىء الآخر بعد جيل من الزمان وقد تبدلت الادوار وانقلب اتجاه الفكاهة ليظل المحتوى بعد ذلك ثابتاً كما هو .

ويتضافر عاملي الشكل والأداة ـ مما عرضناه آنفاً ـ مع مختلف العوامل الاخرى والتي تفرضها الاهداف والظروف عندما لا تكون الاشاعة عملاً مرتجلاً بل مخَطَّطاً لها ومبرمجة في

شكلها ومضمونها ومحددة الوسيلة او الاداة التي ستظهر عبرها ، وموقتا لها من حيث الزمان والمكان . ومن ثم تخرج الاشاعة وتسري بين الناس على النحو الذي ولدّتها فيه كل تلك العوامل مجتمعة .

ولو رجعنا لموضوع انواع الشائعات لوجدنا تفسيراً وامثلة واضحة حول اساليب الاشاعة واشكالها والأدوات او الوسائل التي تستخدمها . فتحت تقسيمها حسب معيار الهدف نجد اساليب مختلفة للاشاعة فهي تعمل كمصيدة للتشكيك بمصداقية وسائل الاعلام ، وتعمل كطعم للحصول على الحقائق ، وتعمل كستارة دخان للتعتيم على بعض الحقائق التي تسربت للعدو ، كما تعمل بقصد التفتيت وتدمير المعنويات من جهة وتحطيم وحدة الصف وبث الفرقة والخلاف من جهة اخرى .

وإذا كانت الاشاعة كما رأينا حسب معيار الاسلوب هي دفاعيه مرة وهجومية مرة اخرى ثم هي تعزيزية مرة ثالثة فإن للاشاعة استخدامين رئيسيين هما : الاستراتيجي والتكتيكي .

وتُستخدم الاشاعة في المجال الاستراتيجي ضمن مفهوم عام يكون بمثابة الدليل لاستخدامها ، فمثلاً كانت استراتيجية المانيا في الحرب العالمية الثانية هي «استراتيجية الرعب» ومن ثم كانت تستخدم حملات الاشاعة المكثفة لادخال الرعب والفزع في نفوس المستهدفين مرافقة للغارات الجوية المكثفة مما ينتج عنه اشاعة روح الهزيمة .

كما تستخدم الاشاعة في المجال التكتيكي وذلك كما تقتضي ظروف الوضع الراهن ومعطيات الوقائع في زمان ومكان محددين . وذلك لتصيب وتبلغ الاهداف المرسومة لها بدقة فلا تخطئها .

ولو اخذنا مثلاً منتزعاً من الواقع المعاش لوجدنا ان الاعلام الاسرائيلي يتبنى استراتيجية ذات مؤشرات يعمل ضمن حدودها منوعاً في اساليبه واشكال تكتيكاته وفقاً لمعطيات الوقائع والاحداث . فاستراتيجية اعلامه تحمل مؤشّر وترفع شعار التفرقةِ الطائفيةِ ، كما تحمل مُؤشّرَ التفوّقِ العسكري والجيش الذي لا يقهر . وغيرها ، وفي سبيل تحقيق استراتيجيته الاعلامية هذه وضمن حدود مؤشراتهما العامة تلك نجده يلجأ إلى الاخبار والاراجيف والاشاعات التكتيكية التي تخدم هذه الاستراتيجة العُليا ، ونحيل القارىء إلى المثال الذي سبق وسقناه تحت موضوع الاشاعة واليهود .

وفي المجال التكتيكي يمكن ان نلخّص بعض الاساليب التي تعتمدها الاشاعة اثناء القتال بالاتي :

١ ـ التصميم على مواجهة الهدف : بحيث تركز على الجماعة المسُتهدفة مستلهمة عاداتهم وطبائعهم ، كما تختارلهم الالفاظ التي تلائم عقولهم وتتمشى مع حالتهم النفسيه ورغباتهم .

٢ ـ الخداع : خداع الهدف (الجندي) في أنه صديق وليس عدواً .

٣ ـ نشر الاشاعة على اساس أنها حقيقة ، كما رأينا في المثال الذي ضربناه في الاشاعة كمصيدة .

٤ ـ استغلال نقاط الضعف والخلافات وعدم الرضى في صفوف الهدف والعمل على تضخيمها . وان الجندي البعيد عن اهله ووطنه يكون عادة مرهف الحس مما يمكن للاشاعة استغلاله بحيث تمسّ هذا الجانب لتدفع به في النهاية إلى الاستسلام او الفرار بقصد الاطمئنان على الاهل والوطن .

اهدافها

عند الحديث عن عمل الاشاعة للاجابة على السؤال : كيف تعمل الاشاعة؟ فإن الحديث كما بدأناه ـ يتناول اساليب عمل الاشاعة التي رأينا كيف تدور حول عوامل منها الشكل والأداة او الوسيلة ومنها ظروف الزمان والمكان ومنها معطيات الوقائع والاحداث ، ومنها التوجه بمؤشرات الاستراتيجية العامة .

كما تتطلب الاجابة على السؤال كيف تعمل الاشاعة ان نتحدث عن الاهداف التي ترصدها الاشاعة وتعمل على تحقيقها فهي النهاية التي تسعى لبلوغها . ومن ثم يمكن الحديث عن آثارها التي تتركها وتخلفها ورائها .

وعودة إلى تقسيماتنا لانواع الاشاعة نجد اننا صنفناها حسب معيار الهدف المباشر والاثر فنجد هناك ثمة انواع فهي تعمل كمصيدة كما تعمل كطعم وكذلك كستارة دخان ، وتعمل بقصد تفتيت الصفوف والمعنويات . ولو اطلعنا مجدداً على سائر معايير التصنيف لوجدنا العديد من الاهداف التي ترصدها الاشاعة وتضعها في اعتبارها من اجل تحقيقها فتسعى إلى انجازها لتحقق المهمة والوظيفة التي وضعت لها .

وان جُلّ الاهداف التي تسعى لها الاشاعة تتلخص في بث الرعب في قلوب الاعداء وتدمير معنوياتهم ، والفت في عضدهم وتمزيق وحدتهم وشق لحمة صفّهم ، وكذلك تشكيك العدو في عدالة القضية وسلامة الهدف الذي يحارب من اجله ، وزعزعة ثقة العدو بقدراته المادية وقواه المعنوية على حدٍّ سواء ، وخلق عدم الثقة ما بين القادة وجنودهم وزعماء البلاد وشعوبهم .

ومن اجل مثل هذه الاهداف نجد كثافة أعداد ما استخدم من منشورات لتمرير الشائعات وغيرها من الاخبار المسمومة التي تدمر جموع العدو ، فعلى سبيل المثال نقرأ «أنه بلغ ما أُسقط من منشورات على المانيا بواسطة البالونات خلال شهرٍ واحد في الحرب العالمي الاولى (٥,٣٦٠,٠٠٠) منشوراً . كما لعب عملاء بريطانيا وفرنسا وامريكا داخل المانيا دوراً في توزيع هذه المنشورات» كما ورد في كتاب ميلوش ماركو : الحرب النفسية [١] .

اثارهـــــا

ان الحديث عن آثار الاشاعة هو حديث عن اهدافها ولكن على نحو يختلف اختلافاً يسيراً ، فأثر الشيء انما يكون بمعرفة مدى تحقيقه للهدف الذي كان يسعى لانجازه ، ومن هنا كان تناول آثار الاشاعة متداخلاً في الحديث عن الاهداف ومنطلقاً منه في الوقت نفسه . فأنت في النهاية لا تستطيع فصل اثر الاشاعة عن هدفها فهما متلازمان قريبان لا فصل بينهما الا لمقتضى الدراسة والقاء المزيد من الضوء .

تبلغ الاشاعة اهدافها وتحقق الاثار المطلوبة منها قدر ما يتحقق بالاشاعة نفسها من مقومات نجاح ، فعوامل الاهمية والغموض ، وعامل التجانس ، وعدم التوعية ، ثم مدى تطابقها وتمشيها وآليات الدفاع النفسيه للشخصية بما في ذلك الدوافع والاسس النفسية ، كل ذلك سوف يجعل للإشاعة اثراً فعالاً لان تراجع اي عامل سوف يؤدي إلى تراجعٍ في الاثر و أي غياب لهذه العوامل : بعضها ، او جميعها يعني غياب الاثر تماماً .

والاشاعة سواء كانت سوداء متشائمة او بيضاء متفائلة لها أثرها السلبي . فالمانيا حطمت معنويات الفرنسيين في الحرب العالمية الثانية بهذا الاسلوب بالذات ونعني به استخدام الاشاعات المتفائلة والمتشائمة على التعاقب ، فمن اشاعات الغزو المنتظر وتلبد الجو بغيوم اليأس

---

(١) د . أحمد نوفل . الاشاعة . ص ١٠٢ .

والقنوط إلى اشاعات محادثات السلام وشيكة الوقوع او الانتصارات الموهومة مباشرة مما عجل بوصولهم إلى درجة من الحيرة والقلق والاضطراب .

ويضرب البورت المثال على اثر الاشاعات البيضاء المتفائلة في تدني الهمم ووهن العزائم في ما يظهر على الناس من ظاهرة هبوط مستوى التبرعات بالدم مثلاً عند سماع اشاعات النصر او النهاية القريبة للحرب حيث كانوا يميلون إلى التلكوء في الجهود المبذولة والتضحيات المقدمة .

وان خطر الاشاعة واثرها في معنويات الامة ومعنويات الجند في ثكناتهم او في ميادين القتال هو خطر واثر ملحوظ معروف ولهذا تحرص الدول على رصد الشائعات وقتلها في المهد بوسائلها المختارة .

وان تناقل الاشاعات مدمر فتاك فانظر ما كان سيترتب على تناقل حديث الإفك من مخاطر والذي وقف لخطورته القرآن بالمرصاد فنهى وقرَّع ، كيف لا وحديث الإفك كان حدث الاحداث في تاريخه عليه الصلاة والسلام فيما واجهه اثناء دعوته ، فكما يقول صاحب (الاشاعة) الدكتور نوفل : فلم يُمكر بالمسلمين مكر اشد من تلك الواقعة ، وهي مجرد فرية واشاعة مختلقة بينت السماء كذبها ، لكنها لولا عناية الله كانت قادرة على ان تعصف بالاخضر واليابس ولا تُبقي على نفس مستقرة مطمئنة ، ولقد مكث مجتمع المدينة باكمله شهراً كاملاً وهو يصطلى بنار تلك الفرية وتعصره الاشاعة الهوجاء حتى تدخل وحي السماء ليضع حداً للمأساة وليكون درساً تربوياً للمجتمع المسلم .

وتهتم الدول ، من ثم ، بمستوى الثقة وابلاغ الحقائق ، وكسب ثقة المواطن بمصادر اعلامه ، ثم تدعيم إيمانه وعقيدته لان ذلك فوق التعليم والثقافة والوعي باساليب العدو يشكل حاجزاً صلباً أمام الاشاعة وأمام ان تبلغ اهدافها وتطرح ثمرها النكد . فانظر توجيه الله تعالى ووصفه للمؤمنين في لُحمة الصف وتماسك الجبهة وعدم السماع للاشاعات قوله عز وجل : ﴿الذين قال لهم الناسُ أنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ [١٧٣ - ١٧٤/آل عمران] .

مقاومة الإشاعة

يكمن الاساس العلمي في مقاومة الاشاعة على معرفة العوامل التي تساعد في نشأتها

وانتشارها . فاذا عرفت الاسباب امكن القضاء عليها ومن ثم لا يعود ثمة مقومات حيوية في توليدها . فكما سبق وقلنا ان الاشاعة ـ عادة ـ تبلغ اهدافها وتحقق الاثار المطلوبة منها قدر ما يتحقق بالاشاعة نفسها من مقومات نجاح ونمو كعوامل الاهمية والغموض وعامل التجانس وغياب التوعية ثم مدى تطابقها وتمشيها مع آليات دفاع الشخصية بما في ذلك الدوافع والاسس النفسية ،وان اي تراجع في هذه العوامل يساعد تماماً في غياب الاشاعة نفسها .

ولخطورة الاشاعة وعظيم اثرها رصدت لها الدول المتقدمة الاجهزة الخاصة لمقاومتها بتطويقها والقضاء عليها بأساليب علمية مدروسة ، ومن هذه الاجهزة ، ومثالاً على ما تقوم به الدول لنعود قليلاً إلى ما كنا ذكرناه عن «عيادة الاشاعات» فقد ابتكرت امريكا في الحرب العالمية الثانية هذا الجهاز مسخرة الصحافة لتفنيد الشائعات حيث جنّدت مجموعة كبيرة من الصحف التي استمالت القراء فأصبحوا بمثابة «مراسلي شائعات» يتصيدون ويبلغون صحفهم عن اي شائعة رائجة ، حيث تعمد الصحف بدورها إلى تحليلها بمساعدة بعض علماء النفس ولجنة الامن العام المحلية والمواطنين مما خلق وعياً جيداً بالشائعات من خلال طريقة العيادة التي تُلخص باستخدام الأخبار في دحض الشائعات من جهة ، وفي منع القصص الكاذبة بواسطة الحقائق ، مما ساعد الجمهور على ان يميز بين العملين ومن ثم تمييز ووقف وتفنيد الاشاعات . وكانت خلاصة الدراسة التي اجريت على نتيجة وجدوى هذه العيادات تتلخص في ان ٢٧٪ فقط من السكان هم الذين تقبلوا الشائعات ، وهي نسبة تظل ذات دلالة على ضوء الدراسة وظروفها .

وأن هذا الاسلوب يمكن ان تستخدمه اي دولة في تشجيعها الافراد على ان يسألوا عن الحقائق وان تُفَنَّدَ لهم الاكاذيب والاباطيل ويمكن بلورة الاسلوب بجهاز مدرب على مثل هذه الاساليب ويسترشد بجملة اشارات عامة نذكر منها :

١ ـ عدم الرد الفوري الارتجالي بل الرد العلمي المدروس من قبل المختصين .

٢ ـ ان يكون الرد مدعماً بالوقائع والحقائق .

٣ ـ عدم المغالاة بالنفي ففي بعض الاشاعات نواة للحقيقة ينبغي عدم اغفالها مما يزيد الثقة .

٤ ـ عدم نسبة كل شيء للعدو مما يضخم صورته ويشكك الجمهور بنا .

٥ ـ عدم عرض الاشاعة مباشرة مما يجعلها تعلق بالذهن بل يجب احاطتها باطار الانكار القبلي

والبعدي ، وتحطيم العبارة الاصلية للاشاعة والتي تكون قد شذّبت وصقلت فأسبغت على الاشاعة ثوب التشويق وسهولة التصديق .

٦ ـ اهمال الاشاعات الخاملة المتهافته من تلقاء نفسها .

٧ ـ التزام الموضوعية في الرد فلا يكون ثمة مجال لاجراء وجهات نظر خاصة .

٨ ـ العرض الجّاد للاشاعة والتنبيه إلى ما تتضمنه من اخطار .

٩ ـ الحيطة والذكاء في الرد حتى لا يعمل الجهاز على نشر الاشاعة بدل تفنيدها .

ويمكن تلخيص وسائل مقاومة الاشاعات بمايلي :-

١ ـ تبني الدولة الاجهزة المختصة لتفنيد الاشاعة كما في الاسلوب الذي ذكرناه مفصلاً اعلاه من حيث رصده للاشاعات وتحطيم مصداقيتها ومقاومة مروجّيها .

٢ ـ دحض الشائعات بواسطة الاخبار وابراز الحقائق مما يُجلّي الامور ويزيل الغموض . وكذلك إصدار البيانات وتوفير المعلومات عن القضية او الموضوع الذي اثار غموضه ظنون الناس واطلق العنان من ثم لاشاعاتهم . وتنوير الجماهير بالحقائق من الجهات المسؤولة يقضي على فرصة العدو باستغلال الغموض والقيام بالمهمة على هواه .

٣ ـ تحليل الشائعات التحليل السليم المبني على أسس عملية يساعد في رصد الشائعة ومعرفة الدوافع السيكولجية المحركة لها وسائر الاسباب التي ساعدت على انتشارها مما يمكن من عملية مراقبة الانتشار وقياس سرعتها ويُسهّل معرفة سبل سيرها وايقافها .

ومثل هذا التحليل يساعد في :

أ ـ الوصول إلى الاسباب الكامنة ورائها ومن ثم ازالتها من جذورها .

ب ـ الوصول إلى مروجي الشائعات انفسهم واسكات المصدر الاصلي .

٤ ـ توعية الجمهور لخطورة تداول الاشاعات وعدم ترديدها وكذلك الابلاغ الفوري للاجهزة المعنية والجهات المسؤولة عن ما يروج من اشاعات لتداركها قبل انتشارها . كما يتضمن مجال التوعية تحصين الجماهير بالعلم والمعرفة لماهَية الاشاعة واسباب انتشارها من عوامل ودوافع تساعد في رواجها مما يساعد في مقاومتها . كذلك التربية الخلقية السليمة التي تقضي على اساليب حياتية تشجع الثرثرة وغيرها .

٥ - وتنطلق من فكرة التوعية مسألة هامة جداً وهي بناء ثقة الجماهير في مصادر الاعلام الوطنية وهذه اقوى وسيلة لاحقاق الحق وابطال الباطل لدى الجماهير المتلهفة - في ظروف معينة - على معرفة الحقيقة .

وينطلق من هذا تحسين مستوى البث الاخباري من وكالات الانباء المحلية والاذاعة والتلفزيون والصحافة وغيرها مما يزيد من ثقة الشعب بها فيعتبرها المصدر الاول والاخير للحصول على الحقيقة وبأسرع وقت ممكن من خلال اعتماد جميع عناصر المصداقية المعروفة ، وعوامل نجاح الرسالة الاعلامية ومبادىء الاقناع .

كما ان التنسيق بين اجهزة ووسائل الاعلام المختلفة في الدولة يوحد اتجاهها الاعلامي ويبعده عن الوقوع في التناقض لان التناقض سبب في اثارة الخيال واطلاق العنان للاشاعات .

٦ - بناء الثقة التامة بالقادة والزعماء ، فإن الثقة تبني الصلة القوية المتينة ما بين القاعدة والقمة مما يقطع الطريق على كل محاولات الدخول ما بين الطرفين بقصد شق الصف وزعزعة البنيان الاجتماعي المتماسك . وان تماسك المجتمع ومؤشره الثقة بين عناصره وابنائه وبين هؤلاء وزعمائهم وقادتهم ، هذا التماسك هو الجدار الصلب في وجه الاشاعة ، وان هذا يساعد عليه التربية الخلقية السليمة من قبل جميع مؤسسات المجتمع ويساعد عليه اسلوب الحرية والنقد الذاتي والتصحيح الفوري الحازم للاخطاء والتحصين الايماني الذي يُقوّي من لحمة وتماسك المجتمع ويحض على عدم سماع وتصديق وتناقل الاشاعات .

٧ - الملل والخمول هما سماد يغذي نبتة الاشاعة الشريرة ، ولكن العمل والانتاج هما المنجل الذي يحصد هذا النبات السام .

٨ - الايمان والتحصين ضد الاشاعة : لا شك ان للايمان قوة في :

أ - تماسك المجتمع الذي يقف جداراً صلباً في وجه الاشاعة كما سبق وذكرنا ، ثم انه يدعو إلى العمل والانتاج بدل الملل والخمول الذي يساعد على الثرثرة ونشر الاشاعات .

ب - كما ان للايمان قوة زاجرة رادعة ضد الاشاعة : قولاً وترويجاً ، نقلاً وتصديقاً ، فالقرآن الكريم يحض على عدم اللغو اصلاً والذي هو تربة الاشاعة الخصبة فيقول الله عز وجل في وصف المؤمنين : ﴿والذين هم عن اللّغو معرضون﴾ وقال ﴿واذا سمعوا اللّغو

أعرضوا عنه ﴾ وقال عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ وقال تعالى ﴿أن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة﴾ وفي السُنّة المطهرة قال الرسول ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيراً او ليصمت» وقال عليه الصلاة والسلام : «كفى بالمرء كذباً ان يحدّث بكل ما سمع» . وهذه التربية الجماهيرية بالتضافر مع سائر أجهزة الدولة تعمل على التحصين القوي الفعال ضد اساليب الاشاعة وطرائقها المختلفة .

جـ - وللايمان وتربيته أسس اخرى لا تقل اهمية عن هذا التحصين المباشر ضد الاشاعة كحضّه على معرفة اساليب العدو والاعداد لها ومقاومتها ، واساليب العدو في مجال الحرب النفسية عامة وفي مجال الاشاعة خاصة كثيرة ما كرة تتطلب الدرس السليم للرد عليها وفضحها ومن ثم صيانة المجتمع منها ومن شرورها . فهناك اشاعات التخويف ، واشاعات تمزيق الصف الواحد ، واشاعات التوهين والتخذيل وزعزعة الثقة بالنصر إلى غيرها من الاساليب والانواع .

د - كما للايمان اساس آخر هو الدعوة لكتمان الاسرار ومنع ترويجها فالله عز وجل يقول : ﴿واذا جاءهم أمر من الأمن او الخوف اذاعوا به ولو رَدّوُه إلى الرسول وإلى أُولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ فالامر دائماً يجب رده للقادة والمسؤولين ، فهم خزائن اسرارها والأدرى بما يصلح وما يُقال او لا يُقال ، وعدم الترديد الاحمق على اسلوب الببغاوات سواء تعلق الامر بالسلم (الأمن) او الحرب (الخوف) . والتثّبت من الاخبار عملاً بمنطوق الاية ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا﴾ .

نداءات عملية

لمحاربة الإشاعات

(الإشاعات . . . سلاح الحرب الخفية!)

الإشاعة من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأفراد ، والدعايات المغرضة تفتت الصف وتشتت الرأي وتبعثر الجهود وتبدد الطاقات . . وهي نمط من الحروب الخفية وسلاح من أسلحة الحرب النفسية وتكمن خطورتها في أنها كالمرض السري الخفي لا يشعر به المريض إلا بعد أن يكون قد استفحل واستشرى واستعصى علاجه مما يجعل الحل الأمثل لداء الإشاعة والدعايات المغرضة هو الوقاية المسبقة فلا نردد كل ما يقال ومن أي جهة كانت بلا فهم ولا روية .

وللوقوف على مدى خطورة الإشاعة والأهمية القصوى لعدم ترديدها يجب أن نعرف أهداف القائمين على بثها وترويجها كسلاح للتخريب ومعول للهدم . وأول تلك الأهداف بلبلة الرأي العام وإثارة الفتن والقلاقل وتفكيك الجبهة الداخلية من خلال الأضاليل والأكاذيب المختلفة ، والثاني الإساءة للجهة المستهدفة من الإشاعات والدعايات المغرضة والوقيعة بين أطراف وفئات المجتمع وبين القيادة والجماهير وتبديد الاستقرار ، والثالث تقويض المعنويات وهز أسس الولاء وأركان الانتماء ، والرابع تقويض النجاحات وتشويه الانجازات بالدس والافتراء من ذوي الغايات المشبوهة البشعة ، والخامس التشكيك بقدرات البلد ومصداقيته لعزله وتدمير علاقاته الخارجية ، وأخيراً إلهاء الأمة عن غاياتها وصرفها عن أهدافها وتفكيك لحمته وتماسكه وعزله عن محيطه القومي والدولي ، وهو ما لا يقع فيه المواطن الواعي والصادق الولاء .

وللتدليل على خطورة الإشاعات والدعايات المغرضة السوداء وأثرها على وحدة وتماسك المجتمع ما قصّه علينا القرآن الكريم حول ما عرف بحديث الإفك الذي أشاعه المنافقون حول الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها ، والذي تولى كبره وبدأ الخوض فيه ، ونشره أبي بن سلول رأس المنافقين وخاض معه وأشاعه المرجفون وأولياؤهم .

(شرائح النخبة . . والإشاعات الصائدة)

إن أخطر ما في الإشاعات أنها قد تسبب وتجر إليها بعض قادة الرأي والمجتمع المدني والقوى السياسية والاجتماعية الذين يعتبروا الفقه الأكثر وعياً ومسؤولية ، وتأتي خطورة تداول الإشاعات وتناقلها من قبل هذه الفئة التي تمثل شرائح النخبة في المجتمع كون

أحد أهداف الإشاعة هو الوصول إلى المعلومات والأسرار من الطرف الآخر ، ولهذا السبب يطلق عليها (الإشاعات الصائدة) ، فإذا انخرطت النخبة في هذه العملية وأصبحت طرفاً في عملية تداول الإشاعات وتناقلها فإن الصيد سيكون في هذه الحالة دسماً ومما سيكون له أبلغ الآثار وأشدها خطراً على أمن العباد والبلاد .

كما يأتي خطر انجراف شرائح النخبة للمشاركة في تناقل الإشاعات كونها تمثل القدوة والنموذج المحتذى من قبل سائر فئات المجتمع الأخرى ، فإذا انخرطت هذه النخب الاجتماعية في عملية تداول الإشاعات والدعايات المغرضة وجعلتها مادة وأسلوباً لحياتها أصبح المجتمع برمته معرضاً للانخراط في هذه الجريمة الاجتماعية حيث يجد في شرائح النخبة الأسوة والقدوة ، وتكون تلك الشرائح الأكثر وعياً وإحساساً بالمسؤولية وقد تخلّت عن مواقعها ومهامها في الرقابة والتوجيه وقيادة الرأي العام وبالتالي المساعدة في تماسكه ووحدته ، تكون قد تحولت بشكل آلي إلى أداة هي الأخطر على الإطلاق لتساعد في بلبلته وتشويشه وحتى تمزيقه .

ولهذا فإن على المواطنين عموماً وشرائح النخبة خصوصاً أن ترقى لمستوى الوعي وحسن المسؤولية والشعور بالواجب المقدس فالإشاعات هي سرطان المجتمعات وتداولها محرم بشرع الله وخيانة وطنية بحكم القانون والقيم الاجتماعية .

(اغتيال الشخصية . . حديث الإفك نموذجاً)

للإشاعات أهداف خطيرة كثيرة تطال الأفراد كما تستهدف الجماعات ولكن الأخطار التي يسعى مطلقوها ومروجوها لتحقيقها من ورائها هو (قتل الأشخاص اجتماعياً واغتيالهم نفسياً)وذلك بتعريضهم لحملة مكثفة من الأضاليل الممقّة والأقاويل المختلقة وحملات التشكيك وسهام الشبهات التي تطلقها بقصد تشويه سمعتهم وإسقاط مصداقيتهم أمام الناس وبالتالي عزلهم عن المجتمع وإبعادهم عن مواقعهم مما يعد بالنهاية خسارة للمجتمع .

ولخطورة هذا النوع من الإشاعات فقد أنزل الحق عز وجل قرآناً يحذر الناس فيه من تداول الإشاعات وترديدها وهم يظنون ذلك هيناً وهو عند الله عظيم ، فالدعايات السوداء

والإشاعات الحاقدة المسمومة تفعل فعل السرطانات الخبيثة بغزو خلايا المجتمع الهامة والفتك بعناصره الحيوية ، ومن هنا وفي سياق الحديث عن ما عرف (بحديث الإفك) الذي أشاعه المنافقون حول أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها ، بيّن اللّه سبحانه وتعالى ثلاثة مستويات في التعامل مع الإشاعات : أولها عدم تناقلها وترديدها كما ذكرنا آنفاً والثاني التبين والتثبت من مصدرها ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . . .﴾ [الحجرات : ٥] .

والثالث ردّها إلى المسؤولين فهم الأدرى بها وبالأسلوب الأمثل للتعامل معها ، ﴿ولو رَدّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم . .﴾ [النساء : ٨٣] .

فبالإضافة إلى أن الإشاعات بحكم القانون هي جريمة ترقى لمستوى الخيانة الوطنية فهي بحكم الدين وبنص القرآن الكريم محرمة وعلينا اجتنابها فهي كالخمر والميسر رجس من عمل الشيطان .

(. . ومثال آخر من مصر)

الإشاعات أنواع ، وكلها خطيرة ولها آثارها المدمرة ولكن أخطر أنواعها ذلك الذي يعرف بالإشاعات (مثيرة الشغب) ، وذلك أنها تهدف في العادة لإطلاق الشرارة الأولى التي تحول حادثة بسيطة عابرة إلى أعمال شغب يتحللها التخريب ، مستغلة بذلك ما يعرف علمياً في القضايا التي تتعلق بالجمهور وسلوك الناس في التجمعات الجماهيرية المؤقتة بغريزة القطيع حيث يتحول الجمهور بسبب معلومات معينة أو حادث عابر إلى جمهور يتصرف بغرائزه وليس بعقله حيث تستثيره العبارات الطنانة والكلمات المحفزة الرنانة فيلجأ إلى سلوك غوغائي لا يسلكه الفرد الواحد لو كان بمفرده!

ومن الأمثلة الحية على هذا النوع ما حدث في القاهرة عام ١٩٨٦ عندما احتجَّ آلاف من المكلفين بالخدمة في سلك الشرطة المصرية لمدة ٢٤ ساعة إثر سريان إشاعة تقول بأن خدمتهم الإلزامية مدّدت من ٣ إلى ٤ سنوات وكانت النتيجة أن إشاعة واحدة أسقطت ٢٥ قتيلاً ومئات الجرحى وخسارة مئات الآلاف من الجنيهات! .

أما السبب الرئيسي وراء ذلك فهو الجهل وعدم الثقافة بهذا النوع من المعلومات (المغرضة) ، وعدم الوعي ومعرفة حكم الشرع الذي حرّم الإشاعة والقانون الذي يحرمها لترقى لمستوى الخيانة الوطنية ، وحكم الحق عز وجل في القرآن الكريم ليس بتحريم الاستماع والتداول فقط بل الأمر بردها حال سماعها وسماع أي أخبار ومعلومات مريبة إلى المسؤولين ، ولو حدث ذلك لما وقعت تلك الكارثة التي تسبّبت بها إشاعة واحدة مغرضة .

(. . . ومثال من التاريخ)

من أخطر أنواع الإشاعات تلك التي تستهدف هزيمة الخصم في خضم المعركة وهي تسعى لانتهاز الفرصة المؤاتية للانطلاق وتدمير المعنويات ، وتحطيم عزيمة وإرادة الخصم وربما كانت غزوة أحد وما جرى فيها من أدل الشواهد والأمثلة على ما نرمي إليه .

فمن حرب الإشاعات التي كان يستخدمها المشركون تجاه المسلمين تلك الإشاعة التي أطلقها أحد المنافقين عندما وجدوا الفرصة المؤاتية بتراجع المسلمين فقال : (قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول) وبدأت جماعات المنافقين تردد الإشاعة وتزيد عليها : (لو كان نبياً ما قتل) وكان الهدف واضحاً هو زعزعة الصف المسلم وإيقاع الهزيمة بأقل الجهود .

ولكن قوة العقيدة المتغلغلة في نفوس أصحاب الرسول ﷺ وصفاء الإيمان لديهم وثقتهم المطلقة بالحق عز وجل جعلهم يثبتون على ما هم عليه وقد استرجعوا آيات القرآن الكريم : ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسول أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئاً وسيجزي اللّه الشاكرين**﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

ومن هنا كانت الاستجابة الأولى للصحابة الأطهار أن قالوا : [قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به] . فإن فارقهم النبي بالموت فلا ينبغي أن يفارقوا عقيدتهم وإيمانهم وهذه هي عظمة الإيمان الراسخ والعقيدة الثابتة وأثرها في وأد الشائعات .

(. . . ومثال حديث جداً من الواقع)

أن ما حدث ليلة الأحد التامن عشر من أيلول ٢٠٠٥ حيث خرج آلاف الناس من بيوتهم بعد منتصف الليل ليقضوا شطراً منه في العراء خارج منازلهم بعد تلقيهم اتصالات أو إخبارهم مواجهة من قبل جيرانهم بأن زلزالاً سيقع ممّا سيكون الخروج أكثر أمناً من البقاء في البيوت التي قد تنهدم عليهم! ولم يلبث أن تبيّن أن الأمر مجرد (إشاعة) .

ولكن بدراسة ما حدث يؤكد على أمور منها غياب ما يمكن تسميته بالوعي الإشاعاتي مما يستطيع معه الجمهور تمييز مثل هذه الادعاءات الباطلة من الحقائق السليمة وعبر الاتصال بالجهات الرسمية كمديرية الدفاع المدني في مثل هذه الحالة . كما أن غياب الوعي يؤكد غياب الحقائق العلمية حول الموضوع مدار الإشاعة من الجمهور وأبرزها صعوبة التنبؤ بالزلازل حتى من أكثر الدول تقدماً وتطوراً كاليابان وأمريكا مثلاً ، كما تؤكد هذه الواقعة غياب الطرق العلمية في ملاحقة الإشاعات وصُنَاعها ومروّجيها حتى لا تنتشر ويكون لها آثارها الخطيرة ويتم إهدار الوقت والمال والتعرض للمخاطر بسببها .

وأخيراً فهي تؤكد على غياب الجهات الرسمية وأبرزها الصحافة التي يجب أن تقوم بواجب التوعية بنشر نداءات تحمي المواطن من خطر الاستماع للإشاعات وترويجها ونشر المواد العلمية حول أساليب وطرق انتشارها كما تفعل في النداءات التي تنشر عادة للتقليل من ضحايا حوادث السير ، أو لترشيد استهلاك المياه أو للتوعية بخطر التدخين وغيرها . . .

(الإشاعات في عصر ثورة المعلومات)

الإشاعة قديمة قدم الوجود الإنساني والتخاطب البشري عبر اللغة والكلام ، وظلّت تنتقل مع التطور البشري وتطوّر وسائل الاتصال بمجرد استخدام الكتاب ، فالطباعة ومن بعد ذلك استخدام البث الإداعي واللاسلكي ، وفي نصف القرن الأخير ومع انبثاق الثورة الالكترونية وعصر تفجر المعرفة وجدت الإشاعة وسائط نقل حديثة تمثّلت بالتلفزيون والفيديو وأقمار الاتصالات الفضائية ومحطات الإرسال المتنقلة وانتشار الشبكات الفضائية إلى جانب الكمبيوتر والانترنت والفاكس وغيرها كالهاتف النقال (الموبايل) .

وحيث تراجعت الكلمة المطبوعة وقبلها الكلمة المسموعة بحضور الصورة الملونة المتحركة الناطقة فقد تم تعزيز مواقع الإشاعة بأدوات خطيرة ممّا أصبحت معه الرقابة ضعيفة وأصبحت إمكانيات الترويج والتناقل كبيرة وغير محدودة على الإطلاق ، في هذه الظروف لا بد من زيادة (جرعات) التوعية في مجال الاستماع للإشاعات وتناقلها مما نحتاج معه إلى حملات مستمرة لما لها من خطر على الأمن الفردي الوطني وما تحدثه في الحياة من تشويش وإرباك نحن في غنى عنه ، ويكفي أن نعرف أنها محرمة بالقانون ومحرمة بالدين!

(الإشاعات الإلكترونية)

مع تفجّر عصر المعرفة الراهن وانبثاق الثورة الالكترونية الحديثة واختراع التلفزيون وملحقاته كالفيديو والكمبيوتر واستخداماته ومشتقاته كالانترنت والأقراص المدمجة وبزوغ أقمار الاتصالات والشبكات الفضائية وانتشار محطات الإرسال المتنقلة والفاكس والموبايل بدأنا نعرف ونتعرّف على أشياء جديدة كالتجارة الالكترونية والتعليم الالكتروني والإدارة ، وحتى الحكومة الالكترونية والإعلام الالكتروني كما عرفنا في مجال الحرب ما يعرف بحرب الفضائيات وهي حرب تديرها الشبكات الفضائية كما يتم إدارتها عبر الانترنت وتداول أقراص الـ سي دي ممّا يترك أثره على المتلقي .

وهكذا في هذه الأجواء ومع الثورة الالكترونية وأدواتها (السحرية) العديدة تراجع نفوذ الكلمة المطبوعة وأصبحت السيطرة مطلقة للكلمة المصورة الالكترونية وأصبح كل شيء في يد ومتناول الجماهير عبر امتداد الجغرافيا ، فقد اتسع مجال البحث بالصوت والصورة الملونة المتحركة الناطقة ودخلت لكل بيت ، وأصبحت الجماهير بدورها في أيدي مديري الفضائيات ومحطات التلفزة والانترنت وسائر أدوات نقل الصورة الالكترونية ، وهذا ما فتح الباب واسعاً أمام ما بات يُعرف بالإشاعة الإلكتروبية حيث يتوفر لها اليوم من الوسائل والأدوات ما لم يتوفر من قبل ، مما أصبحت الحاجة أكثر إلحاحاً للمزيد من التوعية والتثقيف في هذا المجال ، فالإشاعة اليوم تنتقل بسرعات نفاثة وتنتشر كالنار في الهشيم مما يتطلب وعياً زائداً في طبيعتها لتمييزها عن المعلومات الحقيقية ، وبالتالي للامتناع عن تداولها وعدم تصديقها وقتلها في مهدها ، وإذا كنا في السابق نحتاج إلى نشره «التوعية الإشاعاتية» فقد أصبحنا اليوم بحاجة إلى «التوعية بالإشاعات الكاذبة»!

(الهاتف النقال - الموبايل - في خدمة الإشاعة)

مع شدة خطورة الإشاعة ، فإن هذه الخطورة ازدادت مع عصر تفجر المعرفة الراهن وانبثاق الثورة الالكترونية الحديثة واختراعاتها كالتلفزيون والفيديو والكمبيوتر واستخداماته كالانترنت والأقراص المدمجة وبزوغ أقمار الاتصالات والشبكات الفضائية والفاكس وغيرها مما أصبحت تحمل معها الصورة الناطقة عبر العالم بثوان محدودة ، ومن هنا تكمن خطورة اختراع جديد هو الهاتف النقال أو (الموبايل) .

وتأتي خطورة الموبايل في استخدامه كأداة لنقل وترويج الإشاعات من كونه أصبح في يد كل إنسان تقريباً وأصبح جهازاً يصعب الاستغناء عنه حيث يتيح الاتصال في كل لحظة ومن كل مكان وهو كجميع الأجهزة الالكترونية الحديثة ينقل الصورة الناطقة بل وينقل الرسائل وتقوم الأجهزة الحديثة بعمل الكمبيوتر والتواصل مع الانترنت ممّا يعني أنه الأداة القادرة على ترويج الإشاعات بكل سهولة وبشكل أسرع وأوسع مدى .

من هنا كان علينا الانتباه لما يأتينا به هذا الجهاز من أخبار ومعلومات ، وعلينا التأكيد من مصادر تلك المعلومات بعد فحص مضامينها جيداً ، فهناك الأنباء المغرضة والدعايات السوداء والإشاعات المسمومة ، ولا يكفي أن يقوم الكبار بهذا الواجب فقط بل عليهم مسؤولية توعية الشباب ممّن يحملون هذه الأجهزة حول طبيعة المواد المنقولة عبرها وعدم الإسراع بإرسالها إلى الآخرين لما تحمله أحياناً من عناصر الإثارة والتشويق ، فالإشاعة قد تبدأ بمحادثة أو حكاية أو حتى فكاهة ، وربما عبر أغنية ، أو بين ثناياها ، والذي يتطلب وعياً زائداً بطبيعة الإشاعات لتمييزها عن المعلومات الحقيقية ، وبالتالي الامتناع عن تداولها وتجنب آثارها المدمرة على الفرد والمجتمع ، ولنتذكر أنّ «إشاعة الزلزال» ٢٠٠٥/٩/١٨والتي تحدّثنا عنها كان الموبايل هو أداتها الناقلة ، وهي إشاعة الموبايل الأولى لدينا!

(٣) التضليل الاعلامي

التضليل في مجال الحرب النفسية يقابله التمويه (Camouflage) في مجال النشاط القتالي . والتضليل الاعلامي يعتبر من اهم مكونات التمويه . وحتى نقف على ابعاد التضليل الاعلامي علينا ان نحدد موضعه في مجال الحرب النفسية اولاً ، ثم نحدد مفهومة ونعرف ماهيته ثانياً .

موقع التضليل الإعلامي في الحرب النفسية :-

قال هتلر ممتدحاً الوسائل الدعائية التي انيطت بوزير اعلامه جوبلز إبان الحرب العالمية الثانية «لماذا اخضع الاعداء بالوسائل الحربية ما دام في وسعي اخضاعهم بوسائل معنوية أقل كلفة واعلى كفاءة» أما جوبلز نفسه والذي عينه هتلر وزيراً للدعاية مبدياً كفاءة فذة حتى اعتبره الكثيرون داهية الحرب النفسية وواضع اسس الحرب النفسية كما يعرفها العالم اليوم في العقود الاخيرة من القرن العشرين ، جوبلز كان يقول : «ان اسلحتنا هي الاضطراب الفكري وتناقض المشاعر والحيرة والتردد والرعب الذي نُدخله في قلوب الاعداء فعندما يتخاذلون بالداخل وتهددهم الفوضى تحين الساعة لنفتك بهم» .

اذا كانت الحرب النفسية بهذه الاهمية ولها كل هذا الاثر فإنها لا شك جديرة بالدرس واذ كنا سنعرض لاسلوب واحد فقط من اساليبها هنا ، فإنه لا بد أن نطلع اولاً على ما يعنيه العلماء تحديداً بالحرب النفسية لنقف على موقع التضليل منها بالتحديد .

والحرب النفسية كما في الموسوعة العسكرية هي مجموعة الاعمال التي تستهدف التأثير على افراد العدو ، بما في ذلك القادة السياسين والافراد غير المقاتلين ، بهدف خدمة اغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب [١] .

واذا كانت الحرب التقليدية هي «صراع مسلح بين دولتين او بين فريقين من الدول ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المتحاربة» [٢] وذلك كما يعرفها به رجال القانون الدولي ، فإن التضليل الإعلامي سيكون هو القاسم المشترك الذي تقف على ارضيته الحربين : النفسية والتقليدية ، دون ان يكون ثمة تعارض او تنافر ، ذلك ان الاولى (الحرب النفسية)

(١) الموسوعة العسكرية ج . المؤسسة العربية للدراسات النشر . بيروت ط٤ ١٩٧٧ .

(١) د . وهبه الرحيلي . اثار الحرب في الفقه الاسلامي : دراسة مقارنة المكتبة الحديثة ١٩٦٥ ص ٣٥ .

تستهدف ارادة العدو لتحطيم عزيمته القتالية والثانية (الحرب التقليدية) تستهدف قدرة العدو لتحطيم الرجال والسلاح معاً والتضليل الاعلامي ـ في النهاية ـ يقصد إلى تضليل العدو عن النوايا الحقيقة للجيش عشية الحرب وفي اثنائها وهو بذلك يستخدم اساليب نفسية تستهدف الارادة اولاً واخيراً . فإذا كان التمويه يعتبر نوعاً هاماً من انواع تأمين النشاط القتالي للقوات واحد الطرق لتضليل العدو عن تجمعات القوات المسلحة وخطط بنائها وامكاناتها القتالية وعن فكرة الاعمال القتالية على كافة المستويات ، فإن تضليل العدو اعلامياً سيظل اهم مكونات هذا التمويه .

التضليل هو احد اساليب الحرب النفسية :-

وطالما ان الحرب النفسية تستهدف تحطيم ارادة العدو ، فإن لها عدة اساليب تتراوح ما بين الدعاية ـ التي يعتبرها البعض مرادفة للحرب النفسية ـ والاشاعة ، وتحويل المعتقد او تغيير الاتجاهات عن طريق غسيل الدماغ Brain Washing . عرض الاسلحة ، استعراض القوة ، البلاغات الاذاعية ، بلاغات الاستسلام ، والبلاغات المضادة ، افتعال الازمات ، التجسس النفسي ، واخيراً التضليل الاعلامي الذي يظل متميزاً في اطار الحرب النفسية العام .

الدعاية ، الاشاعة ، والتضليل الاعلامي :-

اذا كان بعض المهتمين بموضوع الحرب النفسية يعتبرونها مرادفاً للدعاية فإن الأكثرية منهم يعتبر الدعاية Propaganda احدى اساليبها ليس اكثر ، باعتبارها تنظيم سلسلة من العمليات الاقناعية بوسائل غير عنيفة لتغيير رأي الاخرين حول موضع معين يؤدي إلى تحويل السلوك من اتجاه إلى آخر مخطط له [1] كما عرفنا ، واما الاشاعة Rumour فهي كل خبر يحتمل الصدق مجهول المصدر ، يتحرك بالكلمة المنطوقة بين الافراد وليس معه دليل على صحته [2] كما قد مَرَّ معنا . اما التضليل الاعلامي فإنه يتوسل إلى تحقيق اغراضه بكل ذلك وغير ذلك مما توفره له الحرب النفسية من اساليب . فهو يحاول اقناع العدو بفكرة ما حتى يغير سلوكه كما سيمر معنا في الامثلة ، ثم ان التضليل لا يُغفل امكانية استغلال الاشاعة رغم انها ليست عملية اقناع وانما هي مجرد خبر مبهم مصدره في الغالب مبهم كذلك وهدفه في النهاية

---

(١) وللمزيد ارجع إلى : الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد ـ صلاح نصر من جزئين . ١٩٦٧ . القاهرة ص ٤٣٦ الجزء ٢ .

(٢) عبد الرحمن غنيم . مدفعية اسرائيل النفسية وحرب حزيران . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٨٠ ط١ .

ان يموه الامر على العدو فيغير سلوكه بحيث يخدم هذا التغيير اهدافنا ، كما قد يستخدم التضليل الاعلامي الجواسيس والاسرى كوسائل وادوات تمرّر معلومات مقننة لتحقق اهدافنا في النهاية : كعمليات وهمية تبدأ اجراءاتها المحدودة جداً ثم يفاجأ العدو بجيوش الطرف الاخر في مكان غير متوقع . وكذلك خطابات الاشخاص المسؤولين التي توحي للعدو بخطط عمليات في غير الاماكن الحقيقية للمعركة المنتظرة .

ماهية التضليل الاعلامي :-

وحتى نقف على معنى التضليل الاعلامي فإنه يُعرف (بالنشر المتعمد لمختلف المعلومات الكاذبة ذات الطابع ـ العسكري ، والاقتصادي ـ العسكري ، او العسكري البحت ، بهدف الوصول إلى المفاجأة الاستراتيجية او العملياتية مع بدء الاعمال الحربية وفي اثنائها) (١) كما يُعرّف بأنه (عمليات غرس مفاهيم معينة تقود الخصم إلى الأقتناع بأفكار هي في حقيقتها لا تعبر عن الحقيقة ولكن من مصلحة من يقوم بعملية التضليل ان يقنع خصمه بها وتلك القناعة تقوده إلى موقف معين من الضعف يؤدي بالتالي إلى هلاكه) (٢) .

ومن الجدير بالذكر ان «درجة القناعة» التي توحي بها تدابير التضليل الاعلامي تكون اعلى كلما كانت منسقة تنسيقاً محكماً مع تدابير التمويه الاخرى ولا سيما الاعمال التظاهرية والتقليدية واخفاء تحضير القوات لتنفيذ المهام القتالية .

وقد تحسنت على مرّ الزمان اشكال التضليل الاعلامي وطرقه على المستويات العملياتي والاستراتيجي بصفة مستمرة وازدادت ابعاده بمقدار تطور وسائط الاتصال التقنية وزادت فعالية طرق اجراء الاستطلاع بواسطة العملاء والجواسيس حيث اكتسب ابعد مدى له في السنوات السابقة للحروب العالمية واثنائها .

والدارس المتخصص يدرك مدى التقارب والتشابه ما بين تدابير التضليل وتدابير ما يُعرف بالحرب الخداعية Strategem Warefare فالتضليل الإعلامي هو الأداة التي تمرُّ من خلالها تلك التدابير .

---

(١) مجلة الفكر العسكري السنة ٩ العدد ١ كانون الثاني ١٩٨١ . موضوع بعض مسائل التضليل الاعلامي على المستويين العملياتي والاستراتيجي ، تأليف العميدان أ . زوبكوف ، ب . ريبيتسكي ، وترجمة العميد الركن عبد الوهاب منور . ص ١١٩ .

(٢) د . حامد عبدالله ربيع . الحرب النفسية في المنطقة العربية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٧٥ . ص ٢٤٩ .

أمثلة حيّة على فعالية التضليل الاعلامي :-

يورد المؤرخون العسكريون كمثال فذ على التضليل الاعلامي ذلك الذي مارسته المانيا النازية عشية غزوها لروسيا عام ١٩٣١ حيث استخدمته بشكل واسع بارع في اسلوبه ومنقطع النظير في حجمه ، كما يتضح في سرد وقائع خطة «بارباروسا» [(١)] .

أما مثالنا الحي ، فمن التاريخ العسكري المعاصر ومن حرب رمضان بالذات (١٩٧٣/١٠/٦) :

فكما يقول ديفيد هيرست في كتابه «السادات» الذي الفه هذا الصحفي البريطاني والخبير في شؤون الشرق الاوسط مع مراسلة الغارديان في القاهرة الصحفية ايرين بيسون ، وذلك بعد مقتل «السادات» وفي ذكرى رمضان من عام ١٩٨١ ، يقول هيرست : ان العنصر الاساسي في خطة العبور كان المفاجأة اولاً والعنصر الاخر كان التضليل الاعلامي ثانياً ، وقد نجحت الخطة نجاحاً باهراً . ففي جريدة الاهرام المراقبة بعناية من المخابرات الاسرائيلية افاد متحدث عسكري قبل عدة ايام من يوم السبت ٦ اكتوبر ـ تشرين الاول ـ ان القائد العام أمر بوضع قائمة بالضباط الذين يرغبون في تأدية العمرة إلى مكة المكرمة . وعلي الجبهة العسكرية الفعلية ثم تشكيل القوات نهائياً ، تحت غطاء مناورات الخريف السنوية ، وبما ان هذه المناورات كانت تزداد اتساعاً كل سنة عن السنة التي سبقتها ، فإن الاسرائيلين لم يروا شيئاً غير طبيعي في ان تشتمل مناورات تلك السنة على تشكيلات من التعزيزات القوية ، ان مالم يدركه الاسرائيليون على كل حال ان كل كتيبة كانت تتحرك صباحاً إلى الجبهة لم يكن يعد منها في المساء اكثر من سرية واحدة اي ثلث الرجال فقط ، وذلك لاعطاء الانطباع طبقاً لأقوال اللواء اسماعيل «ان القوات كانت تقوم بمهمات تدريبية ، وأنها كانت تعود عقب الانتهاء منها» ، (من حرب يوم الغفران ، فريق البحث الخاص لصحيفة الصنداي تايمز ، اندريه ، ص ١١٢) . لقد ظن القادة المصريون ان الحظ سيكون حليفهم لو ان الاسرائيلين لم يكتشفوا امرهم قبل يوم الاربعاء ٣ اكتوبر ـ تشرين الاول ـ على ابعد تقدير ، لكنه مع حلول ساعة الصفر ، لم يَجْرِ تحذير الخطوط الامامية الاسرائيلية باقتراب موعد الحرب . ان وضع الاستحكامات القوية الاحدى والثلاثين ، والمواقع الخلفية العشرين في خط بارليف في حالة استعداد كامل للعمل يحتاج على الاقل إلى فرقة من حوالي ٤٠٠٠ شخص ! في ٦ اكتوبر ـ تشرين الاول ـ لم يكن

---

(١) انظر تفصيل العملية في الموسوعة العسكرية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت عام ١٩٨١ .ص ١٥٥ .

هناك اكثر من ٦٠٠ شخص ! واكثرهم من رجال الاعمال ذوي الأعمار المتوسطة ، كما ان عدداً كبيراً منهم كان في آخر مهمة له قبل الانتهاء من الخدمة الاحتياطية .

كتب محمد حسنين هيكل ، محرر صحيفة الاهرام قائلاً : «لقد بدا الامر بعيداً عن التصديق ، لانه قبل يوم السبت بفترة طويلة ، لم يستطع مصري واحد تجاهل الشعور بوجود شيء على وشك الحدوث» . (محمد حسنين هيكل : الطريق إلى رمضان ، منشورات كولينز ، لندن ١٩٧٥ ، ص ٣٣) [١] .

ويؤكد ما اوردناه اعلاه في نجاح عمليات التضليل الاعلامي في حرب رمضان ١٩٧٣ ان القيادة الاسرائيلية لم تستطع ان تجزم بالنوايا العربية ويتضح ذلك فيما نصح به (موشي دايان) (جولدا مائير) في اجتماع لمجلس الوزراء قبل الحرب بعدم ضرورة اجراء التعبئة الكاملة حيث رأى (موشي دايان) عدم احتمال قيام الحرب من جانب العرب ولقد صرح بعدم قيام الحرب بقوله : «لم اكن الوحيد الذي رأى ذلك ، ولم اسمع احداً يقول ان الحرب على وشك الوقوع» . ويؤكد على كل ذلك (توماس تشيتهام) بقوله في تل ابيب في ١٢ اكتوبر ١٩٧٣ : «ان القيادات العربية وقواتها حطمت نظريات ومفاهيم اقتنع بها العالم لكثرة ما رددته الدعايات الاسرائيلية فأثبتت كفائتها في الاعداد والتخطيط وامكنها بالتخطيط والخداع الجيدين تحقيق المفاجأة الكاملة وبكل مستوياتها» ويقول : «لقد امسكت هذه العمليات بالقيادة الاسرائيلية وهي عارية !!» [٢] .

أما الموسوعة العسكرية [٣] فتتحدث عن مفاجأة ١٩٧٣ بقولها انه تم تنفيذ اجراءات عديدة لخداع العدو منها ما هو عسكري بحت ومنه ما هو اعلامي دبلوماسي كتسريح ٢٠ الف جندي من الجيش العامل قبل بدء العمليات بمدة ٤٨ ساعة . وتضيف الموسوعة ان العامل الرئيسي الذي ساهم في التضليل لم يكن ناجماً عن سلسلة الاجراءات العربية رغم اهميتها ودقة تنفيذها وانما رافقه وعززه تعطل العقول الاسرائيلية المختلفة ـ في شتى النواحي :

---

(١) صحيفة الرأي الاردنية . عدد ٤١٧٦ في ١٩٨١/١١/١ الحلقة (١) من كتاب (السادات) للصحفي البريطاني ديفيد هيرست وايرين بيسون .

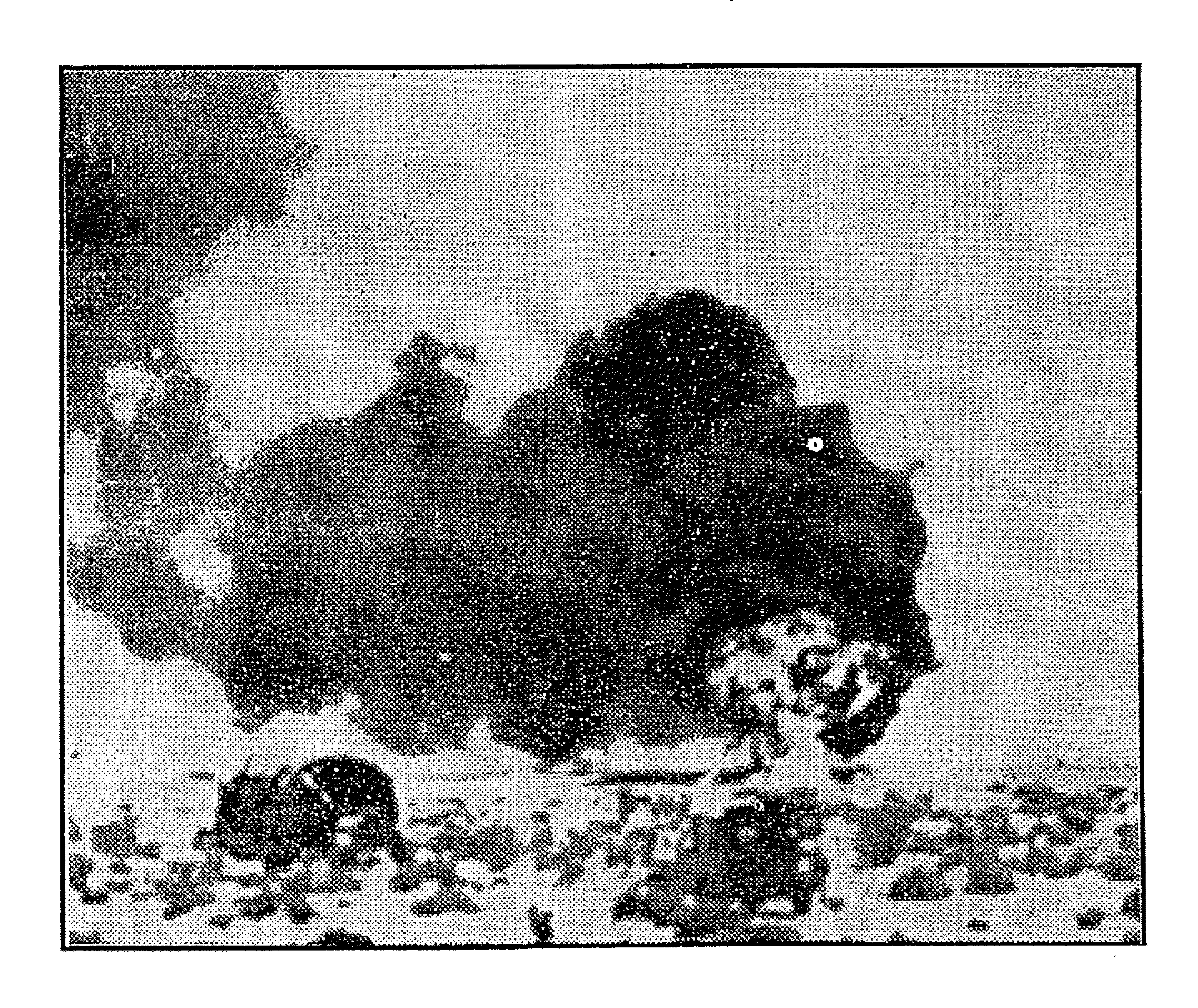
(٢) مجلة (الحرس الوطني) السعودية عدد ٢٤ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ مقال اللواء الركن بهي الدين نوفل : المفاجأة ودورها في الحروب العربية الاسرائيلية .

(٣) الموسوعة العسكرية الجزء الاول . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ الصفحات ٧٠١،٧٠٠ .

الاستخبارات ، القيادات العسكرية والسياسية ، الرأي العام والاعلام داخل اسرائيل (بل وفي العالم الغربي ايضاً) - إلى حد حجب الرؤية الصحيحة عن الجميع بسببٍ من الثقة بالنفس المبالغ فيها لدى الاسرائيلين بعد حرب ١٩٦٧ .

وأمثـلة مضـــادة :

وفي التضليل الاعلامي فإنه بالإضافة إلى استخدام العملاء وخطابات المسؤولين - كما اشرنا آنفاً - ترافق هذه التدابير بتدابير تمويه أخرى كالاخفاء والاعمال التظاهرية والالهائية وتمثيل تحشد القوات وبث المعلومات الكاذبة بصورة شفوية وبصورة برقيات مقصودة تحمل موضوعات او معلومات تمويهية كاذبة واستخدام الوسائط اللاسلكية ، ومثال هذا كله ما قامت



اسرائيل ١٠/١٠/١٩٧٣

به اسرائيل في اثناء استعدادها لغزو البلدان العربية عام ١٩٦٧ حيث استخدمت في تحضيرها لغزو مصر الصحافة وتصريحات المسؤوليين (اعضاء الحكومة) على نطاق واسع لاخفاء الهدف الرئيسي وهو ضرب مصر والايهام بأنها تعد العدة لضرب سوريا حيث وجهت قسماً من قواتها بعد التعبئة الكاملة إلى الحدود السورية ونقلت معلومات بالطرق الدبلوماسية لجميع البلدان ـ مع تأكيدها مراراً ـ مفادها أن الضربة الرامية لسحق الجيش السوري ستوجه في نهاية ايار . ويوم المعركة نفسه في ٥ حزيران اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي بالاذاعة والتلفزيون ان حكومته جادة في البحث عن حلول سليمة وهي لا تنوي البدء بالاعمال الحربية ضد جاراتها ! وصارت تذيع القيادة العسكرية معلومات كاذبة باللاسلكي لاخفاء الضربات الكثيفة للطيران الاسرائيلي على المطارات وانظمة الرادار ووسائط الدفاع الجوي المصرية . ولما كانت القيادة الاسرائيلية قد كشفت بعض شيفرات وترددات الموجات التي تعمل عليها المحطات اللاسلكية المصرية فقد عمدت إلى اعطاء اوامر كاذبة اخمدت فيها يقظة القوى الجوية والدفاع الجوي المصرية وخفضت من جاهزيتها القتالية ثم ابطلت عن طريق التشويش الموجه سائر محطات الاستطلاع كما شلت قيادة القوات المصرية وبالنتيجة لم تدر القطعات الجوية في جنوب مصر والتي لم تتعرض للضربة بوقوع الهجوم الاسرائيلي على مصر [(١)] .

وعن الحرب نفسها يورد الدكتور حامد ربيع [(٢)] الشروحات التالية حول اجراءات التضليل الاعلامي التي مارستها اسرائيل ضد مصر في ١٩٦٧ حيث يورد شواهده نقلاً عن العالم الفرنسي (نورد) وهو برأيه خير من أرّخ حتى اليوم لهذه الظاهرة فيقول ان ما حدث خلال تلك الحرب قد نجح في ان يقنع جمال عبد الناصر بجميع الوسائل أن إسرائيل لن تقدم على قتال عسكري بسبب اقفال مضايق تيران وذلك في نفس اللحظة التي كانت تخطط فيها للقتال من عامين على الاقل سابقين على ذلك التاريخ . بل وبلغت دقتها في التخطيط انها اطلقت من الوقائع والتعليقات ما يؤكد لا فقط ترددها في مواجهة القوى المصرية بل ورغبتها من جانب في عدم القتال ومن جانب آخر شعورها بالضعف ازاء التخلي الامريكي . يخبرنا المؤرخ السابق ذكره بأن «ديان» كان يتولى ـ سرياً ـ القيادة الفعلية قبل نشوب القتال بفترة غير قصيرة . في ٢٧ ايار خرجت الصحف في جميع انحاء العالم تعلن عن ان ابا ايبان ينتظر في واشنطن بقلق

---

(١) مجلة الفكر العسكري . المرجع نفسه ص ١٣٦ .

(٢) د . حامل عبدالله ربيع . المرجع السابق نفسه ص ٢٤٩ .

لان يسمح له بمقابلة الرئيس جونسون الذي بدوره قابل لاعبي كرة القدم ثم غادر العاصمة لقضاء بضعة ايام للراحة في تكساس . وفي نفس الوقت تخبرنا الصحافة العالمية ان وزير الخارجية الامريكي يسعى لاقناع اسرائيل بعدم القيام بأي مغامرة عسكرية . واخيراً في ٢٨ أيار يقدر للوزير الاسرائيلي ان يدخل البيت الابيض ويعقب ذلك تصريح امريكي جاف لا يعدو الكمات التالية «اسرائيل تستطيع ان تعتمد على المساعدة السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة ، اي مساعدة عسكرية على العكس من ذلك لن تقدم لها الا اذا لم يكن من الممكن غير ذلك» ثم يخرج من البيت الابيض وكما يقول نورد «كقريب فقير ومن باب جانبي يقفز في سيارته ويتجه رأساً إلى المطار» . وعندما يتقدم منه الصحفي الوحيد الذي قدر له ان يقابله والذي يغلب على الظن انه قد أُعد لذلك من جانب المخابرات المركزية يسأله : «سيدي ان الشجاعة امر صعب» . ما الذي يعنيه ذلك؟ الآن وقد اتضحت الحقائق فإننا نعلم على وجه اليقين ان الحديث الذي دار بين ابا يبان والرئيس جونسون تلخص في التالي : الاول اخبر الرئيس الامريكي بناء على تقارير القيادة الاسرائيلية العسكرية بأن اسرائيل تستطيع ان تكسب الحرب في خمسة ايام . ايد ادعاءاته بتقارير البنتاجون . اضاف الوزير الاسرائيلي ان بلاده ليست في حاجة إلى مساعدة عسكرية ولكن الامر الذي كان يريد ان يطمئن اليه هو موقف روسيا وضرورة منعها من التدخل عسكرياً في القتال المتوقع . وتأتي مجموعة من الوقائع اللاحقة بين ٢ و٤ حزيران جميعها تدعو للاعتقاد بأن اسرائيل لن تتحرك على الاقل في تلك الايام : في يوم الاحد السابق على القتال مباشرة جميع الضباط الاسرائيلين يقضون صباحهم على الشاطىء للاستجمام . في ٢ حزيران أبا ايبان يغادر اسرائيل مرة ثانية إلى الولايات المتحدة وفي خلال ذلك ناصر يتخذ قراره بأختيار نائبه ليغادر القاهرة إلى واشنطن بدوره للمفاوضات السلمية . ويعلق على ذلك(نورد) بقوله : «بينما كانت مصر تعد للمناقشات السياسية ، وفي نفس اللحظة كانت الدبابات الاسرائيلية قد بدأت تتحرك نحو المصادمة العسكرية . . . وفي حرب الايام الستة وقبل كل شيء آخر كانت هناك مفاجأة سياسية باستخدام التضليل الاعلامي ، ذلك السلاح الذي سمح لاسرائيل بأن تخلق الفوضى والاضطراب التكتيكي والفني» .

ومثل هذا التضليل مارسه من قبل بن جوريون في التحضير للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وذلك عندما أعلن عشية الحرب وبالتحديد في يوم ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٦ أمام الكنيست الاسرائيلي : (ان الخلافات بين اسرائيل ومصر قابلة للحل ، وانه على استعداد لمقابلة الرئيس

عبد الناصر في أي مكان يختاره !!) وفي فجر اليوم التالي كانت قوات العدو تهاجم سيناء وتحتلها !!!!

اخفاء نفقات التحضير للحرب ، من اساليب التضليل :-

من اساليب التضليل الاعلامي اخفاء النفقات الحقيقية للتحضير للحرب . فالميزانيات الحقيقية تكون اعضم بكثير من الميزانيات الرسمية (المُعلن عنها رسمياً) حيث تختفي كثير من نفقات الاهداف العسكرية تحت بنود اخرى من ميزانيات الحكومات . فنفقات صنع القنبلة النيوترونية في امريكا أُدرجت ضمن «برنامج الاعمال الاجتماعية» التي تتجاوز قيمتها ١٠ مليارات دولار [١] .

التضليل الاعلامي التعزيزي :-

ولتثبيت اثار التضليل ، وللتضليل بعيد المدى فإن نشر الكتب يساهم في البلبلة المبتغاة . والمثال على ذلك ما فعلته اسرائيل عندما اوعزت بنشر كتاب لصحفي ـ أو جاسوس ! ـ اسرائيلي تحت عنوان «وتحطمت الطائرات عند الفجر» يحكي فيه رواية قصة دخوله مصر كجاسوس وعقده لصداقات حميمة مع كبار الضباط ، وكيف جند بعض المصريين كعملاء حيث يزعم انه نجح في مهمته المشابهة لمهمة «كوهين» في سوريا من قبل . وذلك ليعكس الكتاب برمته الانطباع بقدرة عملاء اسرائيل الفذة (!!) ثم تصوير الواقع المأساوي (بزعمهم) للضباط المصريين ، وفي ذلك استغلال الهزيمة العسكرية من اجل تمرير صفقة ضخمة من الاكاذيب لبيان العجز العربي بشكل مُهَوِل ومبالغ فيه .

وهكذا نجد أن التضليل الإعلامي يظل اسلوباً تمويهياً ذا اثر عظيم عندما يتزامن مع الاجراءات والتدابير الاخرى ، وقد اثبت التضليل اثره في وقائع كثيرة من التاريخ العسكري القديم والحديث ، وذلك في شل ارادة العدو وتدمير معنوياته ، مما يقوده إلى الهزيمة وهي في النهاية الهدف من الحرب بجملتها .

---

(١) مجلة الفكر العسكري . المرجع نفسه ص ١٣٦ .

(٤) غسيل الدماغ

ما هو غسيل الدماغ ؟ :-

ظهر هذا الاصطلاح بهذه التسمية لاول مرة في العقد الاول من النصف الثاني من القرن العشرين في كتاب الفه الصحفي الامريكي ادوارد هنتر [(١)] عن الموضوع على اثر الحرب الكورية في مطلع الخمسينات من هذا القرن عندما رجع بعض الاسرى الامريكيين وقد تغيرت اتجاهاتهم حول العدو فقد اصبحوا من المؤمنين بالاشتراكية المتحمسين لعدوهم السابق كارهين للمبادىء الرأسمالية وعاملين ضدها . وقد تبين ان ثلث الاسرى الامريكين قد تبنوا اتجاهاً جديداً ضد وطنهم .

وعندما نحت هذا الاصطلاح الذي يصف فيه هذه الظاهرة الانقلابية في اتجاهات الافراد كان يعني بها : **«المحاولات المخططة او الاساليب السياسية المتبعة من قبل الشيوعيين لاقناع غير الشيوعيين بالايمان والتسليم بمبادئهم وتعاليمهم»** .

وقد اشتق هنتر اصطلاحه هذا من الاصطلاح الصيني «Hsi - Nao» [(٢)] الذي يعني : تنظيف المخ ، والمستخدم للتعبير عن النظرية الصينية (اصلاح الفكر) او اعادة التشكيل الايدولوجي في برنامج التثقيف السياسي الذي يقوم اساساً على ان كل الناس الذين لم يثقفوا في المجتمع الشيوعي لا بد ان يكون لديهم اتجاهات ومعتقدات بورجوازية ويجب اعادة تثقيفهم وهكذا اقترن اصطلاح غسيل الدماغ بالاساليب الكورية الصينية لتحرير افكار الاخرين وتنقية افكارهم من الشوائب الغربية البورجوازية . اما الصينيون فقد اطلقوا اصطلاح تقويم الافكار على محاولاتهم تلك واعتبروها برنامجاً تثقيفياً عاماً لا يقصد منه العدو او الاجنبي لأنه جزء من التربية الاشتراكية للمواطنين الصينيين انفسهم .

اذا كان هذا هو المعنى الاولي للمصطلح ، فإن غسيل الدماغ والذي اصبح اسلوباً متبعاً في مجال الحرب النفسية يستخدم بقصد احداث التغيير المطلوب في اجاهات الافراد ، وتغيير الاتجاهات كما هو معلوم هدف رئيسي للحرب النفسية فردياً او جماعياً ، وقد اصبح له تكنيك

---

(١) Hunter, Edward. Brain Washing N. Yorl. 1956.

(٢) د . فخري الدباغ . غسل الدماغ ، ط ٢ ، دار الطليعة بيروت .

(تقنية) يُتبّع من خلال ماهية محددة او تعريف ينص على ان غسيل الدماغ هو «كل وسيلة تقنية مخططة ترمي إلى تحوير الفكر او السلوك البشري ضد رغبة الانسان أو ارادته او سابق ثقافته وتعليمه» . ولما كان ذلك الاصطلاح يحمل معاني آلية او ميكانيكة او قسرية فقد استبدل باصطلاح اعم او اشمل واكثر وضوحاً مثل :

اعادة تقويم الافكار	Thought Reconstruction
أو التحوير الفكري	Conversion
أو المذهبة	Indoctrination
أو الاقناع الخفي	Hidden Persuasion

وان المتتبع لمفهوم غسيل الدماغ سيجد من البساطة والوضوح تحديده وتعريفه بأنه «أسلوب من أساليب الحرب النفسية يُستخدم لتغيير اتجاهات الأفراد متبعاً وسيلة تقنية محددة وذلك عن طريق الاقناع القسري المقنن» . واني اذ احدد التعريف فاني اجده يعكس المعنى والشروحات المستفيضة لاسلوب غسيل الدماغ وكما سيمر معنا في تفصيلات هذا الاسلوب النفسي .

والتعريف على هذا النحو يقرر أموراً ويستبعد أموراً :

أ - فهو بهذا الشكل يقرر حقائق منها :-

١ - ان غسيل الدماغ هو اسلوب مصطنع لنقف من ثم على المغاير له في حالة ما يحدث طبيعياً ، وكما سيمر معنا بعد قليل في حديثنا عن موقع غسيل الدماغ في التثبيط الحّدي واعياء المعركة . وهو مصطنع أي أنه اسلوب يتبع تقنية محددة تستهدف اتجاهات الافراد لتغييرها قسرياً بجهودٍ مقصودة لذلك .

٢ - ان التقنية المحددة التي يتبعها هو الوصول بالدماغ إلى حالة من الإعياء اصطناعياً كتلك التي تتأتى طبيعياً في اعياء المعركة نتيجة جملة من الضغوط المتزامنة هنا مع عمليات التعلم بحيث تؤدي تلك الضغوط المرافقة للتعلم إلى التغيير المطلوب .

٣ - ان غسيل الدماغ يفتعل الضغوط المختلفة التي تتراوح ما بين العزل والحرمان والتهديد والاذلال والتعذيب وغيرها من الضغوط التي تُفضى إلى ثلاثة عوامل هامه هي : الوهن ، والاعتماد على الغير ، والخوف ، ويقننها ضمن عمليات التعلم التي تعتمد عوامل الثواب والعقاب لتعزيز المواقف المتعلمة وذلك ليغير من اتجاهات الأفراد في مراحل محددة هي

التذويب (Un - Freezing) فيتشكك الفرد بأفكاره السابقة ثم التغيير (Change) وهنا يبدأ الفرد بتبني وجهات النظر المطروحة ضمن كافة العوامل والظروف المصطنعة المشار اليها سابقاً ثم ينتهي إلى المرحلة الثالثة وهي اعادة التجميد (Re - Freezing) وهي العملية التي تهدف إلى تثبيت الوضع الجديد الناتج بحيث يبدو مقبولا وساراً للفرد .

وكل هذا التغيير يتم عن طريق الاقناع القسري بمعنى ان الظروف تصطنع ويوضع الفرد بحالة يكون معها ملزماً باعادة النظر في اتجاهاته ومفاهيمه السابقة ثم يجد نفسه محاصراً لتبني الاتجاهات الجديدة عن طريق النقاش والمحاضرات والنقد والنقد الذاتي بمراحل محددة مقننة لا مجال للخلاص منها أو الفكاك من احدى حلقاتها ودوائرها المترابطة المتشابكة .

فعوامل الضغط من وهن واعتماد على الغير والخوف تعمل ضمن عمليات التعليم وما تتضمنه من ثوابٍ وعقاب لاحداث التغيير المطلوب .

ب ـ وتعريف غسيل الدماغ على النحو الذي سقناه يستبعد أموراً منها :-

١ ـ ان غسيل الدماغ ليس مجرد تثقيف سياسي أو تعليم لأن التعليم هو (تغيير مستمر نسبياً في السلوك يحدث نتيجة التمرين) فهو لا يفترض اقامة بناء جديد على انقاض بناء قديم هدم قصداً لأن التعليم بناء تراكمي للخبرات ، والتعليم من جهة أخرى لا يقتضي الاقناع وليس هذا عاملاً من عوامل العملية التعليمية بمعنى ان بعض الخبرات المتعلمة لا تحتاج إلى اقناع مسبق بها لقبولها والأخذ بها . من ناحية أخرى فإن التعليم يستبعد تأثير العوامل الطارئة لأنه تغير مستمر نسبياً فهو لا يعتبر كل انواع التغيير في السلوك هي تعليم لان التغير الناتج بسبب النضج مثلاً او المرض أو التلف العضوي كلها لا تعتبر تعليماً ، ويمكن من ثم استبعاد ان يكون غسيل الدماغ باعتباره عملية طارئة كاسلوب تغيير الاتجاهات بالاقناع القسري المقنن عملية تعليم أو تثقيف قسري فالتعليم يختلف بمفهومه واهدافه (وتوجهاته) عن غسيل الدماغ .

٢ ـ ان غسيل الدماغ ليس مرادفاً للتنويم المغناطيسي فغسيل الدماغ يعتمد الاقناع القسري لتغيير الاتجاهات اما تقنية التنويم فتقوم على نسيان بعض الأفكار ولا يغيرها بمعنى لا يزرع أخرى جديدة مكانها فمحور التنويم والعامل الأهم فيه هو الايحاء وليس الاقناع وشتان ما بين العاملين . وفي مجال التنويم كاسلوب مرافق في غسيل الدماغ أو مفهوم مرتبط به فإن التنويم كما بينت الدراسات المختلفةوإجماع العلماء يعتمد على وجود القابلية للايحاء لدى

الشخص من جهة وعلى قبوله بالتنويم وهذا يتنافى تماماً مع فكرة الاقناع القسري في غسيل الدماغ .

٣ ـ غسيل الدماغ ليس مرادفاً للتحليل النفسي .

فالتحليل النفسي هو اسلوب علاجي يعتمد على قبول العميل أولاً وعلى ايجابية العلاقة بينه وبين المعالج ليتم تغيير العادات المرضية وهذا يغاير مفهوم الاقناع القسري في غسيل الدماغ .

وسنتطرق بالتفصيل لهذه القضايا عند حديثنا عن غسيل الدماغ الجماهيري .

غسيل الدماغ في التاريخ :-

واذا كان صلاح نصر في كتابه عن الحرب النفسية يتناول على امتداد مئات الصفحات فكرة التحوير الفكري عبر التاريخ وحتى وقتنا الحاضر فهو في النهاية يقرر ان التحوير هو محور الحرب النفسية ، وان غسيل الدماغ احدى الوسائل المساعدة في ذلك وان العملية برمتها تقصد وضع الدماغ في حالة من الانهاك يسهل معه تمرير الافكار او الاتجاهات التي نريد .

وفي مجال غسيل الدماغ في التاريخ المعاصر لا بد لاي باحث من الاشارة إلى الاسرى الامريكيين في الحرب الكورية ١٩٥٣ وإلى الاسلوب الصيني في عملية منظمة سنأتي على ذكرها وإلى عمليات التطهير او المحاكمات التطهيرية التي جرت في الاتحاد السوفياتي في الثلاثينات والتي قام الزعماء السابقون في الحركة الشيوعية اثناءها بالاعتراف باخطائهم بشكل علني وذلك قبيل تنفيذ حكم الاعدام عليهم حيث جرت الاعترافات بشكل غير مألوف او متوقع واثبت الفحص الدقيق الذي جرى فيما بعد للإفادات التي اعطيت ان هناك مزيجاً من العوامل التاريخية والموقفية والنفسية التي كان لها جميعها دور هام مشترك في انتزاع الاعترافات المطلوبة .

اما ما حدث بالنسبة للاسرى الامريكيين في الحرب الكورية :-

فوفق نظام تبادل الاسرى في اعقاب انتهاء الحرب الكورية عام ١٩٥٣ عاد هؤلاء الاسرى الامريكيون إلى بلادهم وهم يعبرون عن مؤازرتهم للكوريين الديمقراطيين حيث تبين انهم تمذهبوا بالاشتراكية . وقد ترددت في الولايات المتحدة الشائعات بأنهم قد تعرضوا لغسل الدماغ وذلك بسبب الأعداد الضخمة من الامريكيين الذين ماتوا في الاسر والعدد الضخم ايضاً الذي «انهار فكرياً» فشاركوا في اذاعات ضد امريكا وأرجع الباحثون الامريكيون السبب

إلى عاملين : الاول هو الجهل الشديد للجندي الامريكي سواء بالافكار الشيوعية او بالتاريخ الامريكي ، والعامل الثاني هو انعدام الانضباط العسكري بسبب طبيعتهم الفردية فيقول براون Brown [1] العالم النفسي البريطاني. في كتابه تكنيكات الاقناع Techniques of Persuasion عام ١٩٦٤ «ان العدد الضخم من الامريكيين المحاربين الذين تمذهبوا بالاشتراكية وانهاروا عصبياً امام التحويل السياسي الكوري ، لا يدل على ان وسائل الكوريين معهم كانت اشد او أحذق ، بل الاحرى ان معنوية الجنود الامريكيين وايمانهم بمبادئهم كانت واطئة» .

ويمكن التدليل على هذا بمقارنة نتائج التلقين السياسي على القوات البريطانية والتركية المشتركة في الحرب فمن بين مجموع القوات البريطانية التي تعرضت في الاسر لبرنامج التثقيف السياسي لم يقتنع بالشيوعية الا ٤٠ جندياً اي ما لا يزيد على ٤٪ وهي النسبة التي يمكن ان تتحول بسبب طبيعتهم الشخصية وخلفياتهم الثقافية حتى لو استمعوا إلى محاضرة في بريطانيا نفسها عن مزايا الشيوعية كأنجح وسيلة للحياة . اما المقارنة بين القوات الامريكية والتركية فهي مثيرة للغاية فقد بلغ عدد الاسرى الاتراك ٢٢٩ اسيراً لم يثبت تعاون احد منهم على الاطلاق مع الصينيين . وعلى الرغم من ان نصف الاتراك الذين اسروا كانو جرحى فلم يمت منهم احد ـ علماً بأن نسبة الوفيات من مجموع الاسرى وهم ٧١٩٠ كانت ٢٧٣٠ اي ٣٨٪ ـ وفي معسكر لم يمت فيه احد من الاسرى الاتراك مات فيه ٥٠٠ امريكي من بين ١٦٠٠ جندي ويعزى السبب إلى الانضباط والتقاليد العسكرية التركية وإلى تماسك التسلسل القيادي التركي داخل معسكرات الاسر على عكس الامريكيين وقد وجد المسؤولون في وزارة الدفاع الامريكية ان ارتفاع نسبة الموتى بين اسراهم لم تكن بسبب سوء معاملة الكوريين بل لجهل وبرود الاسرى انفسهم .

ملخص اسلوب الكوريين مع الاسرى :

١ ـ الاستقبال الجيد .

٢ ـ تكرار تهنئة الاسرى لهربهم من قيود الراسمالية والتركيز على ان يكونوا مقاتلين من اجل السلام .

---

(١) Brown J.A.C, Techniques of Persuasion Pelican, 1963

٣ ـ التوقيع على تعهد ودعوى من اجل السلام .

٤ ـ يعبىء الاسرى استمارات معنونة للصليب الاحمر تكون باسئلتها ذات المحتوى الاجتماعي مرجع معلومات واف عن الاسير .

٥ ـ يمارس المحقق مع الاسرى اسلوب الثواب والعقاب بعد تقسيمهم إلى مجموعات صغيرة .

٦ ـ يخضع الاسرى لمحاضرات تثقيفية تنويرية تستمر ـ على فترتين ـ خمس ساعات يومياً تبين مزايا النظام الشيوعي وعيوب الرأسمالية كما توزع عليهم نشرات اشتراكية لحفظها ومن يبدي عدم اكتراث تعاد عليه المحاضرة ليلاً او فجراً .

٧ ـ يعرض الاسرى للاستجواب المتكرر حيث تتخلله الوسائل النفسية للارباك .

٨ ـ يتعرض الاسير للعزل عن حياته السابقة وتقطع الرسائل عنه . ثم يسمح للاسرى باذاعة الرسائل الاعلامية التي تتضمن الدعوة إلى السلام .

وخرج براون من هذا الاسلوب إلى أن الاسرى لم يتعرضوا إلى عملية غسيل الدماغ بمعناها العلمي ولكن تعرضوا إلى «تمذهب» وتثقيف سياسي صارم متواصل وفق منهج منسق .

اهمية غسيل الدماغ :

ونظراً للنتائج التي انتهى اليها العلماء في مسألة غسيل الدماغ والاسرى الامريكيين في الحرب الكورية ، فإن المخابرات المركزية الامريكية وحدها قامت فيما بين الاعوام ١٩٦٣/٥٣ بحوالي (١٥٠) مشروعاً تجريبياً في حقل غسيل الدماغ ، وجرى صرف (٢٥) مليون دولار على مشروع واحد منها كان قد بدأ عام ١٩٦٣ وانتهى في العام ١٩٧٣ حيث ذكرته الصحف الامريكية عام ١٩٧٦ بالاسم الرمزي العصفور الازرق [(١)] .

انواع غسيل الدماغ

غسيل الدماغ نوعان الأول آلي طبيعي والثاني مبرمج اصطناعي

اذا كنا نريد التفرقة في مجال غسيل الدماغ فنحدد ما هو آلي وما هو اصطناعي ، فاننا نقصد بالاول ما يحدث آلياً بتهيئة الظروف دون التدخل في عملية الغسيل بالاقناع ، وهو بأن يجعل الدماغ في حالة من الانهاك الطبيعي يتقبل معها الايحاء بينما في الاصطناعي فاننا

---

(١) Brown J.A.C, Techniques of Persuasion Pelican. 1963

د . فخري الدباغ . غسل الدماغ ، ص ١٧ .

نقصد وجوب مرافقة تلك الحالة بالاقناع المقنن اي الاقناع الذي يرافقه وضع الفرد بظروف معينة اصطناعية تنهك عقله وتجعله جاهزاً للاقتناع بضرورة التغيير .

ولكي يقف الدارس على تكنيك واسلوب اجراء غسيل الدماغ لابد له من التعرض لمجموعة من المعارف التي ارتكز عليها غسيل الدماغ كابحاث بافلوف في الاشراط الكلاسيكي ، والابحاث المتعلقة بالاتجاهات ، وابحاث التنويم المغناطيسي واثر العقاقير على الدماغ وغيرها .

وحتى نقف على فهم اولي لآلية غسيل الدماغ وكيف يتم في مراحله الالية التلقائية سنتعرض لبعض النتائج التي توصل اليها بافلوف وإلى ما توصل اليه وليم سارجنت في مجال اعياء المعركة .

غسيل الدماغ الآلي (التثبيط الحدي وإعياء المعركة) :

في الحديث عن غسيل الدماغ الآلي (الطبيعي) يحسن أن نتعرف على أثر الضغوط على الانسان . والدراسة في هذا المجال تؤكد على أنه إذا اخضع جسم حي لضغوط خارجية فإنه يتكيف عن طريق إبداء نشاط معاكس للضغوط بغية تحقيق التوازن . ويتزايد هذا النشاط بتزايد الضغوط الخارجية ، طالما ان هذه الضغوط غير كبيرة جداً ، وبعد مستوى معين من الضغط لا يعود النشاط متناسباً مع الضغط أي أنه يتابع التزايد لكن بسرعة أقل من سرعة تزايد الضغط الخارجي . وعند الوصول إلى حد أقصى معين ، يتدخل التعب والنفور وتقل محاولة بذل الجهد حتى يبلغ الضغط مستوى يصبح أي جهد بعده عديم الجدوى ، وهنا تزول الفاعلية ليحل محلها جمود تام .

ويمكن تمثيل العلاقة بين الضغط والجهد بخط بياني كما في الشكل التالي [(١)] :

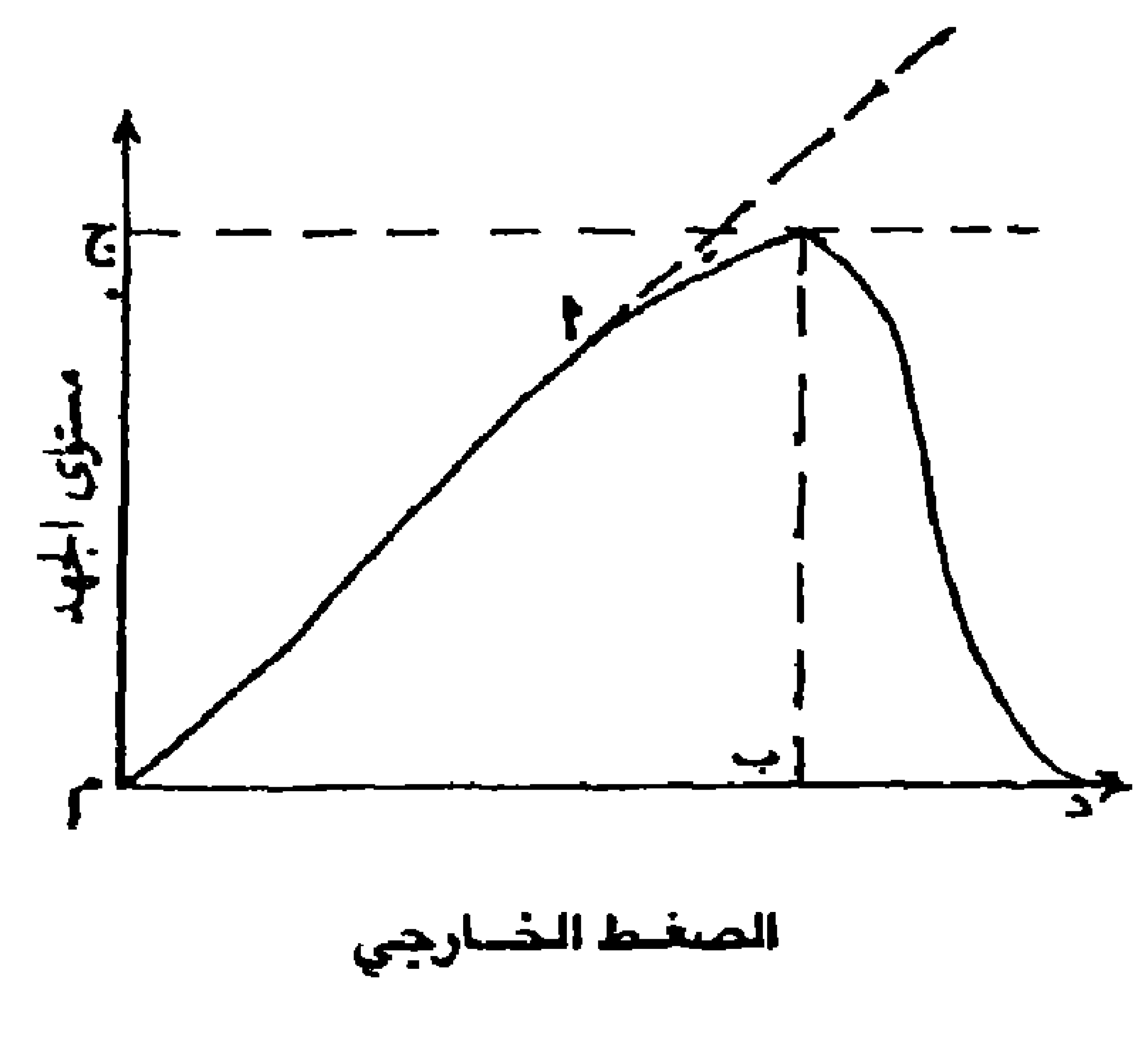
حيث (أ) تمثل نقطة الانفكاك ، و (ب) تمثل التوتر حيث يبلغ الجهد حده الاقصى ، و (ج) تمثل قيمة الحد الاقصى ، وتمثل (د) قيمة التوتر التي يختفي عندها الجهد نهائياً .

---

(١) العقيد شارل شانديسي ، علم النفس في القوات المسلحة . ترجمة المقدم (الدكتور محمد ياسر الايوبي) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ .

(الشكل)

(منحنى التوازن بين الجهد والضغط والشكل يبين تطور الجهد مع الضغوط الخارجية)



وفي دراسة بافلوف على تكوين الاستجابة الشرطية لدى الكلاب عن طريق ربط المثير الطبيعي (طعام) بالمثير الاصطناعي (ضوء او صوت جرس) بالاستجابة (سيلان اللعاب) بحيث يتكون الفعل المنعكس الشرطي عن طريق تقديم المثير الاصطناعي وحده مما ينتج عنه الاستجابة من الحيوان «سيلان اللعاب» فقد اتضح له ان الكلاب وبعد أن تكتسب العادات الشرطية تلجأ إلى الأستجابة السلبية أي الجمود والهبوط الدماغي اذا ما جوبهت بحوافز اقوى من قابلية اجهزتها العصبية على التحمل وهي استجابة اولية يلجأ اليها الدماغ كحل اولي للصدمات الواقعة عليه فإذا زاد الضغط لجأ الدماغ إلى حل ثان وهو ما يسمى بالتثبيط الحدي للدماغ [1] .

فالجهاز العصبي للحيوان عندما يتعرض للشدة والضغط يمر بادوار ثلاثة كلها من ادوار التثبيط الحدي الاول المتعادل حيث لا يستجيب فيه الدماغ للحوافز ولا يبالي بها ، والثاني عندما يصبح الحافز اشد فينتقل الدور المتعادل الاول إلى المتناقض حيث نجد ان الحافز الضعيف يحدث استجابات حادة وعميقة ، والدور الثالث هو دور ما فوق النقائض او التثبيط الوقائي وفيه تنتقل العادات الشرطية الحديثة إلى نقائضها مباشرة في حالة الاعياء والانهاك الشديد او الصدمات العنيفة فتنتقل الافعال السلبية الاولى إلى ايجابية . فمثلاً نرى الحيوان وقد تحول كرهه الشديد لخادم العمل الذي يقدم له الطعام إلى حب كبير بينما اصبح شرساً عدوانياً ضد سيده الذي يعلمه ويدربه .

---

(١) ارجع إلى : د . عبد الرحمن عدس ود . محمد الدين توق . علم النفس العام . مكتبة الاقصى عمان ١٩٧٨ .

وكذلك إلى : د . محمد الحجار . مقال في مجلة الدفاع العربي كانون الاول ١٩٨٣ ، سيكولوجية استجواب اسرى الحرب .

وكذلك : مقال د . عبد الرحمن النمر في الدستور . شباط ١٩٨٤ : المنوم المغناطيسي يستجوب المتهم .

وكلاب بافلوف التي اكتسبت بالتجارب الخبرية عادات وانعكاسات مشروطة تعرضت للموت غرقاً في الفيضانات التي اجتاحت لينينغراد في ١٩٢٤ حيث انساب الماء إلى اقفاصها حتى بلغ رقابها فتملكها الرعب الشديد والهيجان . وعندما انقذت وحاول بافلوف تكملة تجاربه وجدها قد نسيت او فقدت العادات التي تعلمتها سابقاً واصبحت في حالة مشوشة . وكأن خلايا ادمغتها قد غُسلت وافرغت من العادات والتجارب المكتسبة ، فالمواقف الشديدة التي تؤدي إلى حالة التثبيط الوقائي قد تؤدي إلى تثبيط ادنى درجة من الوقائية بحيث ان العادات او السلوك الملقن للحيوان يزول من ذاكرته او «يغسل من دماغه» فيبقى بلا حول ولا قوة ويصبح اشد حساسية لتقبل عادات جديدة . وهذه الاستجابات الفورية التي تأتي رداً على التوترات والشدائد نراها في السلوك الانساني كما سيأتي معنا .

ويعتقد بافلوف ان الدماغ البشري - والحيواني - في حالة توزان بين التحفز والتثبيط او في نوعين من الفعاليات : تحفزية وتثبيطية معاً ، وهما في حالة توازن وتلاحم آني . فتركيز التحفيز في ناحية يزيل او يعزل ناحية اخرى من وظائف الدماغ . وان الدور المتعادل والمتناقض (التثبيط الوقائي) هو الذي يفسر لنا عملية غسيل الدماغ بانتقال الفرد من عقيدة لاخرى مضادة .

مراحل غسيل الدماغ الآلي	
الوضع الطبيعي	ضغط [حافز] ← نشاط معاكس له (إستجابة : مُنْعَكَسٌ شَرْطَي)
التثبيط الحدّي	ضغط زائد + ← لا نشاط معاكس او مجرد استجابة ضعيفة جداً ضغط زائد جداً + + { ← ١) استجابة حادة عميقة لاضعف إثارة. ← ٢) ثم الجمود التام فلا استجابة او نشاط
التثبيط الوقائي	ضغط زائد فوق العادة + + + ← تتحول العادات المكتسبة الى النقيض [المحبة تصبح كراهية]
التثبيط أدنى من الوقائي	ضغط زائد اكثر من فوق العادة + + ++ ← زوال العادات المكتسبة غسيل الدماغ: اي ينغسل الدماغ منها حث ينهار ويصبح مستعداً للتخلي عن الافكار السابقة وتقبل الافكار الجديدة بسهولة قصوى

مفهوم اعياء المعركة :

وشبيه بما حدث في حالة كلاب بافلوف يحدث للجندي نتيجة اعياء المعركة Combat Exhaustion حيث يبدأ المحارب بالتعب الدائم بسبب الحرمان من النوم والارهاق المستمر ، ثم تختلط عليه الاصوات وتظهر عليه اعراض الخوف والتشويش والارتباك والاستجابة الحادة التهيجية إلى حالة الخمود والتثبيط الوقائي وفق نظرية بافلوف فيصبح خاملاً بطيء التفكير بليد العاطفة جامد التعبير .

فالدماغ الذي هو في حالة توازن طبيعي بين التحفز والتثبيط الشديدين قد يمر بحالة مستمرة من التحفز الحاد او التثبيط الحاد - أي في أحد طرفي النقيضين - وهي الحالات المَرَضِيّة التي تحدث في المعركة . والانسان الذي يصل نتيجة لما يمر به من الشدائد النفسية والعاطفية إلى تلك الادوار فإنه ينهار في اخرها ويصبح ذا استعداد لتقبل الايحاءات والافكار الجديدة بسهولة قصوى ويصبح مستعداً للتخلي عن الاتجاهات السابقة والعادات القديمة المكتسبة والتجارب الاخرى وهو ما يحصل في غسيل الدماغ وفي حالات اعياء المعركة وما يسببه من حالات مرضية فإن الافراد - غالباً - يقتنعون تحت تأثير الايثر بايحاء الطبيب ويعيشون مرة اخرى تجربتهم القاسية في المعركة : من رعب وحماسة وتهيج ، وما تلبث تلك اللحظات ان تتبعها حالة الانهيار والاعياء العاطفي وعدم الاستجابة لكل حافز خارجي ثم يستيقظون وغالباً ما تنهمر دموعهم بغزارة وهم يعترفون بأنهم شفوا من مرضهم وانهم لن يكترثوا اذا ما تذكروا ما حدث لهم مجدداً .

والانهيار يشابه فقدان كلاب بافلوف لتجاربها وعاداتها السابقة بعد ان توصلت إلى حد الغرق . فالجنود يفقدون التجارب والعادات التي اكتسبوها نتيجة ضغوط المعركة والتي تظهر على شكل هستيريا او فقدان ذاكرة او التأتأة واللجلجة الكلامية او الاغماء والجمود او الذهول او الصمم .

غسيل الدماغ (الاصطناعي) :-

اذا كنا نستخدم هذا المصطلح بمفهومه الذي عرفناه به من قبل والذي يعني انه اسلوب من اساليب الحرب النفسية التي تتبع تقنية (اسلوب اجراء) محدد بقصد تغيير اتجاهات الافراد بالاقناع القسري المقنن . فإن علينا الوقوف على تقنية او اسلوب الاجراء المحدد من جهة ثم

التعرض للاتجاهات بالمامة سريعة عجلى ثم عملية الاقناع القسري المقنن . وهذا سوف يوضح بشكل قاطع ان الضغط الطبيعي الذي يوصل الدماغ إلى مرحلة الانهاك والاعياء التام والتعطل عن العمل وتقبل الايحاء والانهيار فالتطهر من العادات المكتسبة يمكن ان يقنن ويُصطنع اي يمكن تصنيع الاعياء ومرافقته بسائر الفنيات التي تؤدي إلى القولبة المطلوبة للاتجاهات بعد التخلي بالاقناع القسري عن غير المرغوب فيها . أي ايجاد حالة من الاعياء الصناعي بحيث يُنهك العقل فيتقبل الافكار الجديدة بيسر وسهولة وينهار فيغسل ويتطهر من العادات المكتسبة السابقة غير المقبولة باعتبار ان السلوك الانساني هو عبارة عن مجموعة من عادات مكتسبة وراسخة على مر الزمن ـ كما يقول بافلوف وواطسون ـ ومن ثم فالعملية تقتضي ازالة عادة وترسيخ اخرى جديدة مكانها .

غسيل الدماغ والاتجاهات

الاتجاهات وتغييرها :-

الاتجاه هو حالة او وضع نفسي عند الفرد يحمل طابعاً ايجابياً او سلبياً تجاه شيء او موقف او فكرة مع استعداد للاستجابة بطريقة محددة مسبقاً نحو مثل هذه الامور او كل ما له صلة بها .

والوضع النفسي والاستعداد لهما مظاهر عاطفية دافعية وعقلية . وهو يتكون من خبرة الفرد عن طريق التجربة اثناء احتكاكه بالآخرين . وعناصر الاتجاه كما بينها انغوس كامبل ثلاثة : فالمظهر العقلي للاتجاه يمكن تسميته بعنصر المعرفة وهو يشير إلى المعتقدات حول موضوع ما . والمظهر العاطفي هو عنصر الشعور ويشيرللانفعالات المرتبطة بالموضوع والمظهر الدافعي هو عنصر الفعل ويشير إلى الميل في السلوك المرتبط بالاتجاه نحو أو ضد موضوع .

ولما كان تكُون الاتجاهات يعتمد عدا عما يكتسبه الطفل اثناء التنشئة الاولى ، بالمصاحبة مع الاشخاص والجماعات ، فإن التجارب الشخصية الحادة والنادرة تؤثر بقوة في ترسيخ اتجاهات محددة ثم تحدد تكوين الاتجاهات الحالية النفسية الخاصة بالفرد .

ويمكن تصنيف الاتجاهات وفقاً لمستواها باربعة مستويات :

البسيط الضحل وهو بمثابة الرأي العابر ، ثم مستوى الرأي المتكرر وذلك عندما نكرر ذلك الرأي لمدة طويلة . ثم المستوى المتوسط او المتجانس وذلك عندما يتخذ الرأي مواقف متجانسة

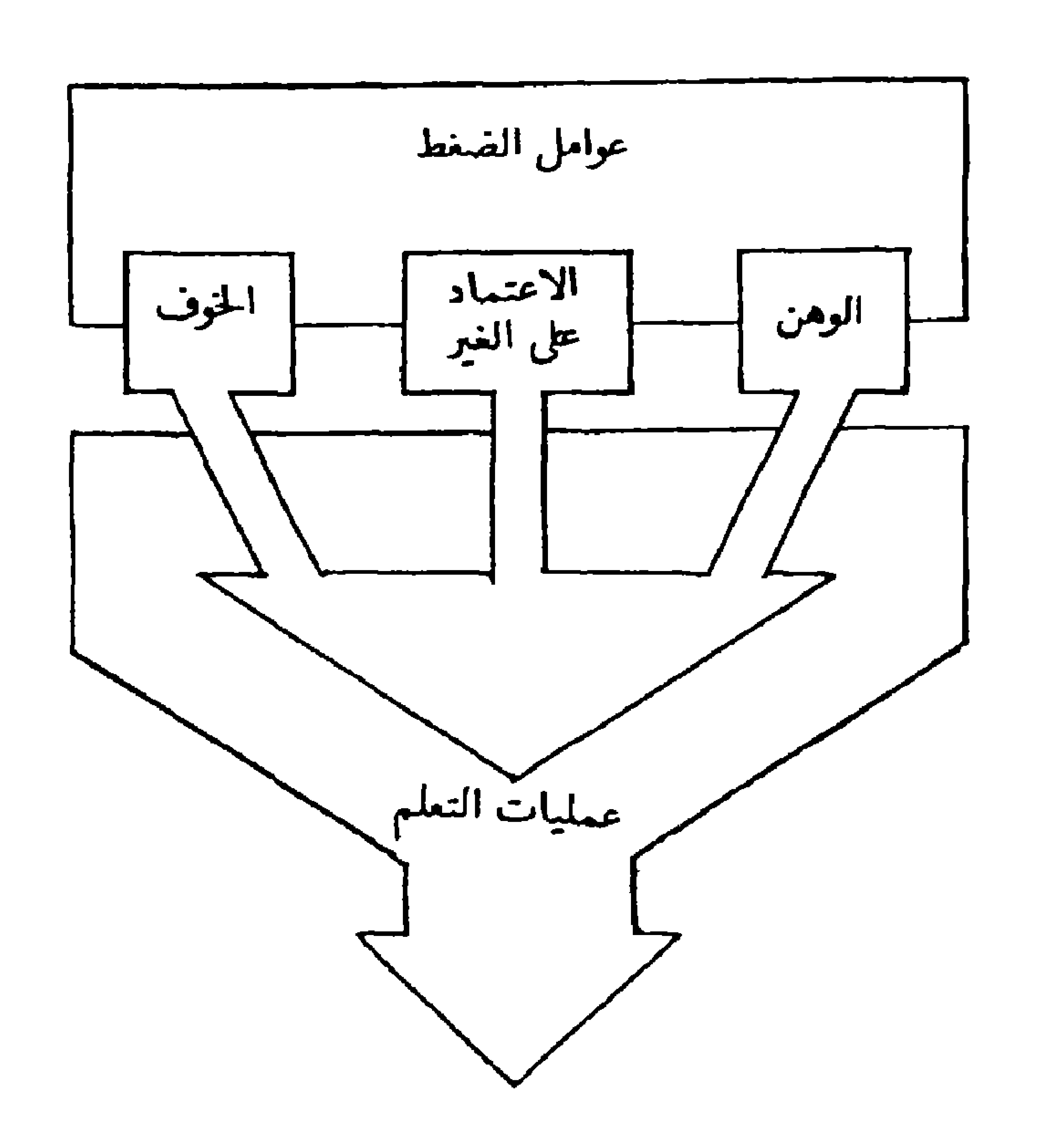
متكررة . والمستوى العميق (العقائدي) وهو ما دعاه آيزنك بالاتجاه الاجتماعي الاولي اي الذي يتخذ صورة عقيدة متممة لشخصية الفرد الاجتماعية ، وهو اتجاه يتجاذب ويتآزر مع صفات الشخصية الاولية وطباعها وهو صلب لا تؤثر فيه قوى الدعاية او غسيل الدماغ الا بجهد جهيد وتتبع شاق .

تغيير الاتجاهات :

١ ـ تغيير الاطار العام : اي مرجع ومنبع اتجاهات الفرد وهو الجماعة (الفئة او الحزب) الاصدقاء المقربين ذوي النفوذ . المحيط العائلي ، المفاهيم والقيم والتقاليد في المحيط او المنطقة .

٢ ـ تغيير موضوع الاتجاه : اي تطويره حسب ثقافة الفرد وسعة ادراكه ويعتمد الاقناع العقلي والدفع العاطفي للفرد او المجموعة حيث يتم اقناع الفرد او الجماعة بخطأ اتجاهاتهم وضرورة استبدالها باخرى سليمة .

والشكل يظهـــر تداخل العوامل التي تؤثر في عملية غسيل الدماغ بشكل أوليّ مبُسط [1] :-



(١) انظر الشكل النهائي المفصل في حديثنا التالي حول غسيل الدماغ الجماهيري .

التقنية (اسلوب الاجراء) في غسيل الدماغ :

لما كانت الاتجاهات هي الهدف ولما كانت آلية التغيير هي في وقوع الدماغ تحت الضغط النفسي الفسيولوجي بما يوصله إلى درجة الانهاك التي يتقبل فيها الافكار التي تمرر عليه والمراد اقناعه بها ، لما كان الامر كذلك فإن تكنيك غسيل الدماغ يتوقف على عوامل الضغط وهي : الوهن والاعتماد على الغير والخوف والتي يمكن ان تعمل جميعها ضمن الاطار العام لعمليات التعلم على احداث التغيير المطلوب .

والضغط النفسي الفسيولوجي يرافق بالعادة بالضغط الاجتماعي وهذا ما يميز الاسلوب الصيني حيث يستخدم ضغط الجماعة على الفرد ، وبخاصة الموجودين معه في نفس الغرفة لاحداث التغيير المطلوب في سلوكه . فالافراد الذين كان يظهر عليهم مسايرة لارادة المحقق كانوا يستخدمون في التأثير على زملائهم الاخرين ، وكان عليهم ان ينقلوا تقارير عن ذلك إلى المحقق . لقد كان هناك اكثار من المحاضرات المعادة عن خصائص النظام الشيوعي ونقائض النظام الرأسمالي ، مع القيام بعمليات التحقيق مع كل فردٍ على حدة ، كما كان هناك الكثير من انواع الإثابة (الثواب) للذين يأخذون في تغيير ارائهم في الاتجاهات المطلوبة وحجز بعض الامتيازات كعقاب للذين يتمسكون بمواقفهم ويتشددون عليها .

ويرى البعض ان بعض ميكانيزمات علم النفس التحليلي يمكن ان يكون لها اثرها في احداث التغيير المطلوب وبخاصة ماكان منها متصلاً بمظاهر الشعور بالذنب ، والاعتماد على الاخرين ، والتقمص ، والاضطرابات الاجتماعية للذات .

ولما كانت تقنية غسيل الدماغ تعتمد ثلاث مراحل تتضح بما يلي :-

١ ـ العزل (واستخدام الضغوط مما يؤدي إلى التشكيك) .

٢ ـ تأنيب الضمير (وفيه يتم تصعيد تعاظم الشعور بالذنب والنقد الذاتي والاعتراف) .

٣ ـ الاقناع القسري (وفيه يتم إعطائه الصورة المقابلة فيتراجع عن افكاره ويتبنى الافكار الجديدة) فإن مراحل غسيل الدماغ تتضح بصورة جلية في غسيل الدماغ او عملية الاصلاح التي تتم داخل السجن كما في اسلوب الصينيين حيث يتم انتزاع اعترافات الفرد عن اخطائه السابقة وبالتالي جعله يميل اكثر فاكثر نحو المبادىء والمثل الشيوعية ، وهذه العملية تتم في مراحل ثلاث :-

مراحل غسيل الدماغ :-

١ ـ التذويب :

وهدف هذه المرحلة ان يصبح الفرد في وضع يشك معه في القيم التي يحملها لدرجة يميل معها اما إلى تغييرها او إلى اعتناق قيم بديلة لها . ان هذه المرحلة التي تنتهي في العادة باعترافات عن الذنوب التي يقترفها النظام الرأسمالي ضد حقوق الافراد لم يكن ليسمح لها بأن تأتي بسهولة كأن يكون ذلك عن طريق الاعترافات المزيفة التي هدفها التخفيف من وطأة الحياة داخل السجن ، اذ كان يجري كشفها ومعاقبتها . أن هذا الأمر يجب أن يُتوصل اليه بروية وعن قناعة تامة . أن بعض الجوانب المحيطة بهذه العملية تتمثل في كون السجين يعرف ان عليه ان يعترف بأمر ما ولكن لم يكن ليعلم شيئاً عن طبيعة هذا الامر ، واذا صدف أن حاول معرفة ذلك فإن امره سوف يُكتشف ويعاقب . وإن عليه في النهاية أن يتوصل إلى شيء واضح ومعقول لديه حتى يستطيع الأخذ به عن قناعة تامة .

٢ ـ التغيير :

وهي المرحلة التي يتم خلالها التغيير المطلوب وتأتي عندما يبدأ السجين يرى اهمية النقاط التي يرد ذكرها في المحاضرات الخاصة بمزايا النظام الشيوعي وعيوب النظام الرأسمالي . أن الفرد عندما يبدأ بالتأثر بآراء زملائه ويأخذ في تبني بعض مواقفهم كأشياء بديلة عن مواقفه السابقة ويؤمن بصحة ما يقال له في المحاضرات ، فإنه يصبح في مرحلة تشتت وضياع ، ويكون على استعداد للسير في اتجاه التغير المطلوب .

٣ ـ اعادة التجميد :

وهي عبارة عن عملية هدفها تثبيت الوضع الجديد الناتج بحيث يبدو مقبولاً للفرد وساراً له . اي أن الآخرين (القائمين على برنامج الاصلاح)قد اصبحوا مسرورين بما حققته اساليبهم من تغيير في آراء السجين .

كما أنه ـ أي السجين ـ يبدأ يلاحظ ان سلوكه الجديد يبدو معقولاً وسليماً ويتفق مع ادراكاته لواقع الامور من حوله وأنه ينسجم مع سلوك اصدقائه ومعتقداتهم الجديدة . وإذا كانت هذه المرحلة ناجحة بالفعل فإنه من المؤمل لمثل هذا الرجل ان يكون قد انحاز إلى نظام الحياة الشيوعية وأنه سيظل كذلك عندما يخرج من السجن .

وإذا كان الصينيون يميلون لعدم العنف ، فإنهم والاخرون يلجأون إلى الضغوط التي تساعد في النهاية في احداث التغييرات المطلوبة :

الضغوط :

في معرض حديثنا عن الضغط Stress الذي يُعرّض له الفرد المستهدف في عملية غسيل الدماغ فقد ذكرنا الضغط النفسي الفسيولوجي والضغط الاجتماعي ، وسنفصل هنا القول في جملة الضغوط التي يتعرض لها الفرد بحيث يصل إلى مرحلة الانهاك العقلي وعندها يخضع للإقناع المقنن .

١ ـ العــزل :-

ويهدف العزل إلى خلق الاهتمامات والانشغالات الذاتية وجعل الشخص يعتمد على الآسر او المستجوب ، وابعاد التأثيرات الاجتماعية المتبادلة التي تلهي الاسير عن الانشغال بذاته للتعجيل بالانهيار النفسي . ويتدخل العاملون في مرافقة العزل بإشعار الشخص المعزول بتخلي الاخرين عنه وأنه اصبح الآن وحيداً مما يزيد من اعتماده على الغير مما يحقق استحضار الثالوث : الوهن ، الاعتماد على الاخرين ، والخوف التي تعمل مع عمليات التعليم على احداث التغيير المطوب كما مر معنا .

وقد دلت التجارب على العزل الاجتماعي لفترة طويلة انه يؤدي إلى حدوث خلل في الوظائف العقلية ، كما يؤدي إلى الاضطراب في الادراك والحس والرؤية والسمع كما تضعف القدرة على التركيز ويختلط التفكير ويزداد التنبه العصبي لاتفه المؤثرات مما يجعل المعزول في حالة من الوهن والانهيار النفسي بحيث يتقبل ايحاءات العاملين بلا تردد .

٢ ـ الحرمـــــان :-

ويتراوح ما بين الحرمان من الطعام إلى الحرمان من الراحة بحيث يُجهَد الفرد ويصل إلى حالة من الاعياء والوهن الشديد وربما الانهيار كما يشمل الحرمان حرمان الفرد من الصحف والمجلات والاستماع إلى المذياع ويُرَافقَ بالمضايقة الجسدية بحيث يوضع في أماكن مظلمة ، ضيقة ، حارة صيفاً ، باردة شتاءً ، كما يحرم من قضاء حاجته فترات متفاوتة للامعان في تحطيم اعصابه ويوضع تحت المراقبة المستمرة بحيث يرغم على قضاء حاجته على مشهد من الحراس ثم تعريضه للارهاق المستمر بإجباره على الوقوف لفترات طويلة واستغلال الجروح

والامراض التي تصيبه مثل الربو والتي تسبب عدم معالجتها الفورية إلى مخاطر الموت .

٣ ـ التهديد :-

ويتراوح ما بين التهديد بالقتل إلى التهديد بعدم الاعادة للوطن والتهديد بالتعذيب كمجرم حرب والتهديد بالسجن المنفرد ثم التهديدات المبهمة مما يتركه نهباً للقلق والخوف المستمر .

٤ ـ الاذلال :-

ويعتمد الاذلال على اتباع كل نُظُم السجن التي تتطلب الخضوع التام مع الاذلال في اسلوب تناول الطعام والنوم والاغتسال وغيرها طبقاً لنظم محددة . ويشمل التحقير بمنعه من تنظيف نفسه او تعرضه لعقاب تحقيري كالصفع والشتم المقذع . ويشمل الاذلال اجباره على تلبية الطلبات السخيفة لخلق عادة الاذعان والرضوخ لديه كالكتابة الاجبارية وتكون في العادة عبارة عن اسئلة متكررة وسخيفة ، ثم تطبق بحقه انظمة انضباطية تعسفية كأن يجبر على اتخاذ وضعية محددة عند النوم .

٥ ـ التعذيب :-

والتعذيب يمكن وصفه بالتعذيب الجسدي والنفسي وهو يهدف إلى جعل الشخص المُسْتَهدَف في حالة تمزق نفسي والوصول به احياناً إلى الحالة المشابهة لما اصاب كلاب بافلوف عندما تعرضت للغرق ، ولحالة الاعياء كما في اعياء المعركة والانهيار وهو يتراوح ما بين العنف المباشر والعنف غير المباشر كاستخدام قطرات الماء طوال فترة التحقيق والموسيقى المزعجة او التعريض للحرارة والبرودة او وضع الفرد مقيداً في اناء يرتفع فيه الماء حتى يصل إلى انفه في بعض الاحيان فلا يدري كل مرة في اية لحظة سيتوقف تدفق المياه ، وهل هو مراقب ، أم سوف يُنسى في هذه المرة؟

٦ ـ ضغوط اخرى :-

تستخدم كذلك ضغوط اخرى كتناوب الثواب والعقاب بحيث يظل الشخص في حالة قلق وخوف مستمر بسبب من التناقض في معاملته والتعذيب بالاماني الخادعة . كما يستخدم اسلوب البرهنة بالقدرة على كل شيء والعلم بكل شيء مما يهيء السيطرة على ارادة الاسير .

الاقناع القسري المقنن :-

في مرحلة تالية فإن الشخص المستهدف بعملية غسيل الدماغ وقد اصبح في وضع يتقبل فيه الايحاء وصار جاهزاً لتقبل الافكار الجديدة تبدأ عملية الاقناع القسري المقنن والتي تعني من جهة انه اقناع يتم بدون رغبة مسبقة من الشخص المستهدف فهي عملية قسرية اولاً ، ومقننة ثانياً ، اي تتبع خطوات محددة توصف في كثير من الدراسات التي تناولت الموضوع بالتثقيف الجماعي او الدروس الجماعية وهي لا شك تعكس المراحل الثلاث التي مرت بنا من قبل : التذويب والتغيير وإعادة التجميد . ومن خلال استحضار هذا التصور تأخذ الدروس الجماعية شكلها المحدد الذي يتضمن النقد والنقد الذاتي كجزء هام من المناقشات التي هي الطابع المميز لتلك الدروس الجماعية حيث يمارس المسؤولون والزملاء الذين تجاوزوا المرحلة بالضغط المستمر على الشخص المستهدف بحيث يصل إلى مرحلة التشكيك والاعتراف ، وبتتابع المراحل آنفة الذكر يكون الشخص قد توقف امام المرحلة الاخيرة حيث يتم تبصره بالموقف ككل ويقوم باعادة التقييم ضمن المؤثرات المختلفة التي يشملها الموقف العملي من ضغوط ومناقشات وتأثير المسؤولين . . . الخ فيبدأ برنامج اعادة التثقيف والتعليم وتتم عملية اعادة التجميد .

ولا شك ان هذه العملية بخطواتها المختلفة عملية فيها تداخل وتشابك ولا يفترض ان يكون ثمة حدود قاطعة تفصل بحدية ما بين مرحلة واخرى وانما هي عملية كما ذكرنا كاملة تتم بتقنين مسبق الا انها تتم بالكامل معاً بحيث تفضي كل خطوة فيها إلى الاخرى بالترافق مع سائر المؤثرات الاخرى التي تجعل عملية الاقناع تلقائية حقاً ـ بمعنى انها تأتي من الفرد ذاتياً وبرضى تام ـ ولكنها مبرمجة هادفة . وهي بالنهاية ستكون نتاجاً لعوامل الضغط المتمثلة بالوهن والاعتماد على الغير والخوف والتي تعمل معاً ضمن اطار عمليات التعلم بحيث تفضي كلها إلى إحداث التغيير المطلوب في تغيير الاتجاهات .

حالة الدكتور فينسنت (١) :-

وكمثال على اسلوب الاجراء المتبع في غسيل الدماغ يمكن ان نتعرض لحالة الدكتور تشارلز فينسنت وهو طبيب فرنسي عمل في الصين لمدة عشرين عاماً قبل سجنه لمدة ثلاث سنوات ونصف .

---

(١) صلاح نصر . المرجع السابق نفسه .

وملخص حالته انه قد اعتُقل ووضع في زنزانة ضيقة حيث احيط بثمانية سجناء يدينونه ويطالبونه بالاعتراف بانه رأسمالي وجاسوس ولتتكرر هذه العملية إلى ما يقارب الثلاثة اسابيع من الاستجواب في ظروف قاسية حيث يقدم اعترافات عن جرائم من نسج الخيال ولتبدأ بعد شهر جلسات اعادة التثقيف فتستمر عشر ساعات يومياً وتعتمد المناقشة التي تتضمن النقد والنقد الذاتي ليعبر عن المواقف من وجهة نظر الشعب ، ويصبح المساجين الاخرين في هذه الحالة هم زملاء دراسة ويصبح السجانون معلمين . ثم ولمدة عام كامل كان يُوجّه من قبل الزملاء والمعلمين لينتقد افكاره ويعلن عنها وتعرض عليه حقائق جديدة فيعلن عن قناعته بها او عدم فهمه لها وعندها يُستدعى احد المفتشين ليوضح له كل شيء واذا لم يعلن عن افكار جديدة فإنه يُتهم بمقاومة اعادة التثقيف وبالتالي عليه ان يعرض باستمرار المزيد من الافكار الخاطئة .

وبعد مرور حوالي سنة بدأ التحقيق معه مرة اخرى وذلك لتحسين اعترافاته حيث قام بالاعتراف مجدداً ضمن نقاط محدودة حيث ينظر لنفسه خلالها باعتباره مجرم سابق للشعب وذلك طبعاً من وجهة نظر الشعب التي تبناها بالتعليم والممارسة لمدة عام كامل .

وتبع ذلك اربعة عشر شهراً من التلقين السياسي حيث اصبح قادراً على نقد الاخرين بل ويعاونهم في الادلاء باعترافاتهم واصلاح حالهم وبدأ يصدق الكثير مما يقوله .

وفي السنة الثالثة تمت المراجعة الاخيرة لاعترافاته وأُخبر بأن اتجاهه قد تحسن تماماً واثيب بامتيازات حيث سمح له باعطاء الدروس في اللغة الفرنسية ومحاضرات في دراسته الطبية ثم حكم عليه بالتهم التي اعترف بها ثلاث سنوات كانت قد استنفذت وابعد خارج الصين .

وكان يصف الدكتور فينسنت حالته بعد الافراج عنه بأنه كان يشعر في غمرة اضطرابه وخوفه انه مراقب ، وصار من ثم كثير الانتقاد بشكل ملحوظ لكل ما يراه من حوله ، واصبح يتوق دائماً إلى العودة بكل شيء إلى ما قيل له داخل جدران السجن .

واذا كانت حالة فينسنت تعكس الاسلوب المتبع في اعادة التثقيف الصيني فأنها لا شك تلقي الضوء على اسلوب غسيل الدماغ عن طريق الاقناع القسري المقنن المرافق للضغوط التي تعمل في اطار التعلم واعادة التعلم .

غسيل الدماغ الجماهيري

يميل معظم الباحثين لموضوع غسيل الدماغ إلى اعتباره «تكنيكاً» يستخدم وينجح على المستوى الفردي أي عند ممارسته على الافراد وأنه لا يستخدم عادة ـ وأن حدث لا يكون ناجحاً ـ على مستوى الجماهير ولكن البحث المتقصي الدقيق واستقراء الواقع يقودنا إلى التأكيد على وجود ما يسمى بـ «غسيل الدماغ الجماهيري» (Mass Brain Washing) وأنا أدرك وأعرف منذ البداية ان هذا الاصطلاح غير مطروق في أي دراسة تعرضت لغسيل الدماغ ولكن المقابلة العملية والعلمية لما يجري وقياسه على تقنيات وآليات عمل غسيل الدماغ يتم ويمارس على الجماهير متتبعاً ومستخدماً الأساليب نفسها التي تستخدم على المستوى الفردي ذلك ان العالم يشهد الان كثيراً من الجهات التي تخطط اعلامياً للتأثير على الشعوب وعلى أنماط تفكيرها او انتمائها لفكر معين مما يمكن تسميته بعمليات غسيل الدماغ الجماعي .

ما هو غسيل الدماغ الجماهيري

تتزاحم التعاريف التي تسعى إلى تفسير غسيل الدماغ كما تتزاحم التسميات فمقابل هذا المصطلح سنجد مجموعة من الأوصاف التي تحاول وصف هذا الأسلوب النفسي الذي يسعى إلى تحوير الفكر او السلوك البشري ضد رغبة الانسان او ارادته او سابق ثقافته وتعليمه ومن هذه التسميات الوصفية لهذه الوسيلة التقنية المخططة نجد مايلي :

- اعادة تقويم/بناء الأفكار Thought Reconstruction .
- التحويل/التحوير المذهبي/الفكري Conversion .
- التلقين المذهبي Indoctrination .
- الاقناع الخفي Hidden Persuasion .

ولكنني من جماع الدراسات المستفيضة لتقنيات عمل غسيل الدماغ كأسلوب نفسي يسعى لتغيير الاتجاهات فأنني عملت على وضع هذا التعريف الذي جعلته وصفاً دقيقاً لهذه العملية فهو (الاقناع القسري المقنن) : (Compulsory Persuasion Standard Techniques) الاقناع الذي يمارس ضد رغبة الفرد وارادته مستخدماً طرائق تقنية وأساليب اجرائية Techmiques ذات مواصفات قياسية معيارية محددة Standard .

ولمزيد من فهم التعريف لا بد من التعرض بشيء من التفصيل لهذه العملية ثم نطرح الأسلوب المستخدم اليوم على المستوى الواسع - جماهيرياً - لنقف على أبعاد ما أسميناه بـ (غسيل الدماغ الجماهيري Mass Brain Washing) .

آلية عمل غسيل الدماغ

ولفهم ميكانيكية عملية غسيل الدماغ يمكننا وضع هذه المعادلة ثم نفصل القول فيها على مستوى العمل الفردي ، وكما سبق وأن عرضناه في الصفحات السابقة .

غسيل الدماغ : ضغوط (اجهاد عقلي + قابلية للايحاء) + تعليم قسري (ثواب وعقاب) = الاستجابه الشرطية .

وفي عملية غسيل الدماغ التي تتم وتمارس على الأفراد يمكننا ان نحدد مرحلتين أساسيتين هما مرحلة التخلي ومرحلة التحلي .

١ - مرحلة التخلي عن الأفكار القديمة/غير المرغوب فيها : ويتم في هذه المرحلة الخطوات التالية بالسياق المتتابع التالي :

استخدام عوامل الضغط (العزل + الحرمان من المؤثرات الحسية والمعنوية المحيطة) وهذه ستؤدي إلى حالة انهيار نفسي وجسدي وشيك وهنا تقوم الجهة التي تمارس عملية الغسيل إلى فك العزلة والحرمان . . . وهكذا مما يؤدي بالنهاية إلى بلوغ المستهدف حالة الاجهاد العقلي الشديد وارتفاع قابلية الايحاء الشديدة إلى أعلى الدرجات فيتم في هذه الحالة تشويه الأفكار القديمة فالتخلي عنها وتحدث الاستجابة الشرطية المطلوبة وهي الربط الشرطي ما بين التخلي عن تلك الأفكار وبين رفع الضغوط المختلفة .

٢ - مرحلة التحلي بالأفكار الجديدة/المرغوب فيها (مرحلة الاحلال) وفي هذه المرحلة تتم الخطوات التالية وبالسياق المتتابع التالي :

استخدام عوامل العزل والحرمان ـــــ فك العزلة والحرمان ـــــ تقديم الأفكار الجديدة لتبنيها ـــــ استجابة شرطية أي الربط ما بين التبني ورفع الضغوط المختلفة فاذا ما أبدى المستهدف تصلباً أعيد العزل والحرمان/العقاب/ مجدداً ـــــ يخفف من التصلب ـــــ فك العزل والحرمان ـــــ استجابة شرطية وتبني للأفكار ـــــ تكرار العملية ـــــ تعزيز وتدعيم وتقوية الاستجابة الشرطية وتثبيت لها .

وهكذا يمكن تلخيص هذه المراحل بالمعادلة التالية الأكثر سعة وشمولاً من الأولى

١ ـ العزل والحرمان ــــ الاجهاد والانهيار ــــ فك العزل والحرمان ــــ عزل وحرمان ــــ الاجهاد والانهيار الشديدين ــــ قابلية شديدة للايحاء ــــ تشويه الأفكار القديمة ــــ التخلي عنها (الاستجابة الشرطية المطلوبة) .

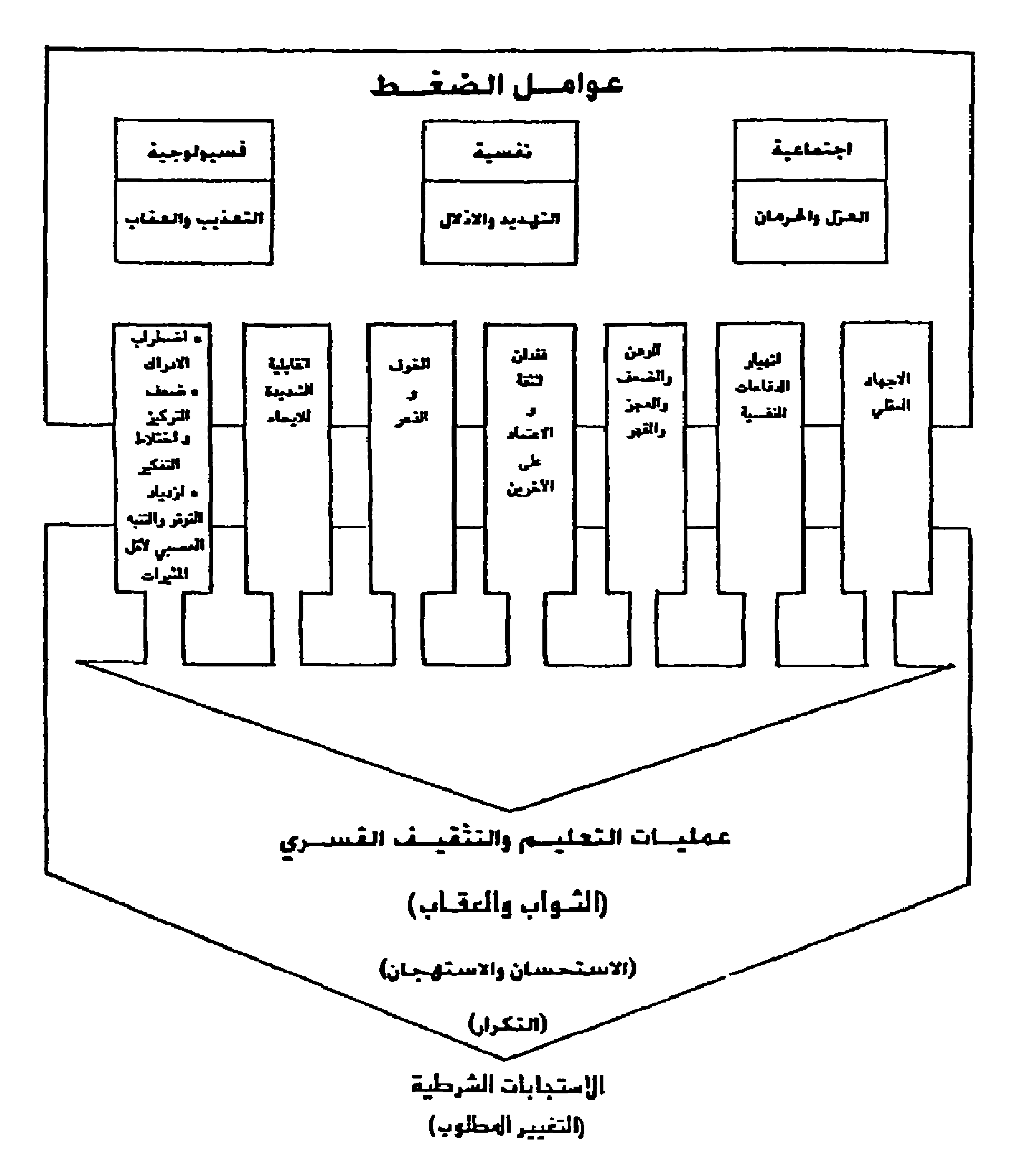
٢ ـ العزل والحرمان ــــ الاجهاد والانهيار ــــ القابلية العالية للايحاء ــــ فك العزل والحرمان ــــ تقديم الأفكار الجديدة ــــ التقبل وتبني الأفكار الجديدة (الاستجابة الشرطية المطلوبة) ــــ تكرار وتعزيز بالثواب (كما هو مبين في الشكل) .

غسيل الدماغ الجماهيري

والآن اذا أردنا التحقق مما ذهبنا اليه من ان هنالك ما أمكننا تسميته بغسيل الدماغ الجماهيري فإن علينا مقابلة ما يجري على صعيد الواقع مع هذا الشكل الآنف ذكره لنرى مدى التطابق بين ما يجرى وما هو نظري في هذا الشكل مما لن يدع لدينا شكاً في صحة هذا الزعم العملي الواقعي .

يتم عادة العمل على تغيير أفكار الجمهور وقناعاته واتجاهاته وهنا نجد ان غسيل الدماغ الجماهيري يستخدم كاسلوب من ضمن حملة اعلامية مركبة من عدة أساليب ، فبالاضافة إلى غسيل الدماغ الجماهيري يتم ممارسة أساليب الغزو الثقافي والتضليل الاعلامي والدعاية والإشاعة والتفتيت النفسي والتخريب الفكري وغيرها من وسائل الحرب النفسية العديدة وهذا كله يتم على صعيد الجبهة النفسية ليترافق هذا العمل بالعمل على الجبهات الأخرى السياسية والدبلوماسية والاستخبارية والاعلامية والتنظيمية والخداعية والاجتماعية وغيرها من الجبهات .

ولكن غسيل الدماغ بالتحديد يمكن ان يخطط اعلامياً من أجل التاثير على الشعوب والتأثير على تفكيرها أو انتمائها لفكر معين ويتم ذلك عن طريق جرعات بسيطة ولكن متكررة ومستمرة من خلال الأشكال الاعلامية والأدبية الثقافية المختلفة كالمقالات والدراسات والأفلام والأشرطة وذلك عبر أدوات الاعلام المختلفة كالاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري Mass Communication ويمكن في حملة مبرمجة كبيرة ان تتشارك الجهات غير الرسمية مع الجهات الرسمية في تنفيذ الحملة باصرار واستمرار .



ومن أبرز الأمثلة على مثل هذه الحملة الواسعة ما يجري ضد أمتنا العربية الإسلامية على امتداد الزمان والمكان وعلى امتداد التاريخ والجغرافيا انما يسعى إلى عمل ذي شقين : تخريب الداخل العربي الاسلامي وتخريب الخارج العربي الاسلامي ، الأول يستهدف العقل والقلب والجسد معاً ، والثاني يستهدف الشكل والصورة الخارجية والانطباعات عن ذلك كله . الأول يستهدف تفريغ عقولنا وقلوبنا من التمسك بقيمنا وثقافتنا ورموز حضارتنا وكل متعلقاتها من خلال تشكيكنا بها عبر تشويهها ومسخها وتحريفها وتصويرها مرتبطة مع أبنائها وهم أبناء المنطقة العربية الاسلامية بصورة بشعة كريهة . باعتبارهم متخلفين برابرة وانهم عدوانيون ارهابيون بسبب انتمائهم العقائدي والحضاري والثقافي .

اعادة انتاج العقل العربي الأسلامي

هكذا نجد ان هدف الحملات المعادية كما ذكرنا هو تفريغ العقول العربية الأسلامية من قيم ورموز ومتعلقات حضارتهم وإعادة تعبئتها بقيم ومتعلقات ورموز الثقافة والحضارة الغربية وذلك في الجانب الفكري فقط بعيداً عن التكنولوجيا المتطورة والعلوم الحديثة المتقدمة ، ومن ثم ـ وبالتوافق مع الأساليب الأخرى ـ تتم عملية الاقتناع والتقبل للأفكار الجديدة على المستوى الفكري للأمة ثم تبدأ مشاعر الحب والاعتزاز بهذه الأفكار على المستوى العاطفي الوجداني للأمة ومن ثم تنسجم المسلكيات مع تلك القناعات والمشاعر أي يتكامل عندها تشكل ما يسمى بالاتجاه الجماعي للأمة وبلورة الرأي العام . وبالوقت نفسه ومن خلال عمليات تشويه الصورة الخارجية واعادة انتاجها لتنسجم مع أهداف الحملة التي تسعى من التشويه والغزو الفكري إلى أبعاد الأمة عن اقتناعها بتميزها واقتدارها لأن تأخذ دورها الفاعل على مسرح الحضارة الحديثة مما يهيئها لمثل ذلك الدور قدراتها المادية العظيمة ، وامكاناتها المعنوية ورسالتها الحضارية المتميزة المتسمة بالعدالة والانسانية والأخلاقية كل ذلك سعياً لتظل الأمة متخلفة تابعة مستغلة من قبل القوى الطامعة المستفيدة .

مطابقة المعادلات وتطابق الفاهيم

وبالرجوع إلى الشكل والمعادلات التي ذكرناها أنفاً ومحاولة عقد مقارنة بينها وبين ما يجري ضد امتنا من حملات سنجد ان ثمة تطابقاً كبيراً ، حيث لجأت الدول التي تمارس الهجوم عبر الحملات الاعلامية الدعائية النفسية المعادية والغزو الثقافي وغسيل الدماغ الجماهيري والتخريب الفكري والتشويه الحضاري لجأت إلى استخدام تقنيات وآليات عمل غسيل الدماغ ولكن بتطبيقها هذه المرة على مستوى الشعوب .

فقد عمدت إلى أساليب العزل والحصار والحرمان ثم أساليب التخويف والتهديد لا بل كانت تضطر أحياناً إلى شن الحروب مباشرة والتي تشبه أساليب العقاب والتعذيب على المستوى الفردي وذلك من خلال قوتها الذاتية او جهات أخرى خارجية او داخلية . كل ذلك كان ينعكس تأثيراً مباشراً على الشعوب وهي تقع تحت وطأة عمليات العزل والحرمان والتهديد والعقاب بأن يزج بها في دوامة من فقدان الثقة والاجهاد والوهن والشعور بالضعف والعجز وعدم القدرة على المجابهة ومشاعر العجز عن التعبير وابداء الرأي فيتملكها الاحساس بالقهر حيث تترافق هنا الحملة بعمليات التركيز على تحطيم القوى المعنوية الصلبة التي

تتحصن بها الأمة كالمعنويات والارادة والايمان بالمعتقدات والقيم والمصير والأهداف المستقبلية والقدرة على المقاومة والثبات، ويترافق كل ذلك ايضاً بعمليات نفسية أخرى هي الاستهجان والاستحسان حيث يتم اشعار هذه الشعوب ـ الجمهور المستهدف ـ بأن الناس جميعاً تستهجن هذه الأفكار والمفاهيم والمسلكيات التي لم تعد مقبولة كما يتم اشعار الجماهير بأن الناس جميعاً والدنيا كلها تستحسن الأفكار والمفاهيم الجديدة المطروحة.

وفي هذه الحالة ونتيجة لكل هذه الخطوات المعمقة تنهار الدفاعات النفسية للأمة ويتفشي الشعور بالخوف والذعر وترتفع لديها القابلية للايحاء بسبب اضطراب العمليات العقلية وازدياد التوتر والتنبه العصبي والوقوع في براثن الشك والحيرة والقلق وعدم الثقة بأي شيء ومع تكرار هذه العملية واشعار الجمهور المستهدف باصرار القائمين عليها على الاستمرار وعدم التراجع حتى يتم تبني الأفكار الجديدة، تبدأ هنا الجهات المواجهة إلى التخفيف من عوامل الضغط ثم رفعها ـ كعمليات الحصار والتجويع او العمليات الحربية والتهديد الدائم بها ـ مع تقبل الأفكار والمفاهيم الجديدة والاذعان لانتهاج المسلكيات المطلوبة حيث يبدأ الربط الشرطي وتظهر الاستجابات الشرطية حيث رفض ونبذ الأفكار والمفاهيم الجديدة يرتبط مع الحصار والتهديد بينما تقبل وتبني هذه الأفكار والمفاهيم يرتبط مع الرخاء والازدهار والوعود البراقة بالرفاهية المنتظرة وهكذا يتم التخلي عن الأفكار والقيم والأهداف القديمة وتحل محلها الأفكار المطلوب تبنيها من قبل الشعوب وهذه هي بالضبط عملية غسيل الدماغ واقعياً ولكن على مستوى الشعوب. وغني عن البيان القول بأن نجاح هذا الأسلوب سوف يعتمد على مدى نضج الشعوب ودرجة التعلم والثقافة ومدى الايمان والتمسك بالقيم والأهداف الاستراتيجية. يقول د. مجدي عمر في كتابه «التغيرات في النظام الدولي»: (ثمة دلائل متزادية على هجمة ثقافية بهدف فرض ثقافة الحضارة الغربية المنتصرة ومحاصرة الثقافات الوطنية وتهميش دورها داخل مجتمعاتها).

مفاهيم في مجال غسيل الدماغ

يسأل الكثيرون في معرض الحديث عن غسيل الدماغ: اذا لم يكن غسيل الدماغ هو

---

(١) د. مجدي عمر. التغيرات في النظام الدولي، مركز دراسات الشرق الاوسط، دار البشير، عمان، آب ١٩٩٥.

التثقيف السياسي او اعادة التثقيف واذا لم يكن غسيل الدماغ محواً شاملاً لكل المعتقدات السابقة بالتنويم المغناطيسي ، بالعقائد ، بالتحليل النفسي فماذا يكون اذن؟ ما هي علاقة هذه المفاهيم في مجال غسيل الدماغ .

وهنا لابد من التعرض لكل هذه الطروحات بشيءٍ من التفصيل فقد تعرضنا باقتضابٍ شديدٍ لها في بداية الفصل . فنبدأ مباشرة إلى التأكيد على منطوق ومفهوم تعريفنا لغسيل الدماغ باعتباره اسلوب لتغيير الاتجاهات بالاقناع القسري المُقنّن وذلك حتى يكون في الامكان مناقشة هذه المفاهيم على ضوء هذا التعريف .

غسيل الدماغ ما بين القولبة الفكرية والتشكيك

ان غسيل الدماغ الذي يعتمد الضغوط وتعاظم الشعور بالذنب ضمن عمليات اعادة التعلم ليس عملية محو شريط مسجل (كاسيت) وتسجيل ما نشاء عليه من جديد لأن مثل هذا المحو مستحيل علمياً وواقعياً الا في حالات عارضة كتلف في اجزاء محددة من الدماغ تؤثر على الذاكرة او في حالة فقدان الذاكرة كعرض هستيري وغيرها . وإن المحو الشامل ـ اذا ما حدث تحت اي تأثير ـ لا يفيد في عملية غسيل الدماغ التي تعنى بتحرير الفرد من الاتجاهات القديمة ودفعه لتبني اخرى جديدة والتأثير على السلوك المترتب عليها عن طريق غرس قناعات جديدة قسراً وضمن ظروف محيطة مرسومة مقننة سلفاً ، والمحو لا يقتضي الاقناع .

وغسيل الدماغ في هذه المراحل التي يقطعها للوصول إلى هدفه يضع الفرد ولو لفترة محددة في حالة تشكيك دائمة من افكاره السابقة حول موضوع محدد ، وهو اذا ما فشل : بمعنى كان التغيير ظاهرياً وغير حقيقي ، فإنه ينجح لا شك في التخفيف من اثار الاتجاهات غير المرغوبة وتجاهلها او تناسيها وبالتاكيد فإنه ينجح في وضع الفرد في حالة الشك المشار اليها آنفاً .

اما اكثر من هذا الحد الذي يقف غسيل الدماغ عنده فإن ما يحدث لن يكون عملية غسيل دماغ وانما تخريب للدماغ بمعنى تخريب في العقل عن طريق العقاقير او العمليات الجراحية وغيرها وهذه بالنهاية ليست عملية اقناع قسري مقنن على الاطلاق ولا علاقة لغسيل الدماغ بها من قريب او بعيد .

غسيل الدماغ في المفهوم النفسي الحديث :

كما ذكرنا فإن الضغط النفسي الفسيولوجي المستخدم في غسيل الدماغ يمكن ان يرافقُ عادة بالضغط الاجتماعي وهذه ايضاً ترافق باستخدام بعض ميكانزمات علم النفس التحليلي التي يمكن ان يكون لها اثرها في احداث التغيير المطلوب وبخاصة ما كان منها متصلاً بمظاهر الشعور بالذنب والاعتماد على الاخرين والتقمص والاضطرابات الاجتماعية للذات .

وعليه فإن غسيل الدماغ ينجح في المفهوم الحديث فردياً وجماعياً وهو في اسلوبه الاقناعي الحديث المبني على الدفع القسري قد يلجأ إلى تقنية غير مباشرة ولكنه يصر على اسلوب الدفع القسري لتبني الجديد من الاتجهات وهو في المفهوم النفسي الحديث يعتمد النقاش واسلوب النقد والنقد الذاتي مع غض النظر عن محاولة احاطة العملية بالظروف الضاغطة المختلفة بل ربما يتجاهلها كلية على نحو سافر فيلجأ في اسلوبه العصري الذكي إلى الضغط غير المباشر والضغط الخفي مما يعتمد الثواب والعقاب غير المباشر وحصيلة النقاش المدروس المقنن سوف تثمر التشكيك في القيم السابقة في أدنى مستويات نجاح العملية ، وتبنى الجديد من الاتجاهات بعد طرح البديل الوحيد المقنع وذلك في اعلى مستويات نجاحها .

غسيل الدماغ والتعليم القسري (الإقناع والتعليم) :

واذا عدنا لمناقشة هذا المفهوم الآخر في مجال غسيل الدماغ فلأن البعض يعتبر ان غسيل الدماغ هو مرادف للتثقيف السياسي أي للتعليم وهذا غير صحيح لأن التّعلم يُعَرف بأنه «عبارة عن تغيّر مستمر نسبياً في السلوك يحدث نتيجة التمرين» فالاعتراض الاول يأتي من ان التعليم لا يفترض إقامة بناء جديد على انقاض بناء قديم متهدِم قد هُدِم أصلاً ، لأن التعليم هو بناء تراكمي للخبرات والمعلومات وهو ـ كما المحو او استخدام العقاقير والتحليل النفسي والتنويم المغناطيسي ـ لا يقتضي الاقناع وليس الأقناع عاملاً من عوامل العملية التعليمية . والاعتراض الآخر يأتي من أن التعليم اذا ساعد في بناء الاتجاهات وكان احد عوامل تشكيلها لدى الانسان فهذا ليس هدفه المباشر ، لأن الاتجاه وهو يتضمن عناصر المعرفة والوجدان والسلوك لن يكون في النهاية مجرد خبرة تُضاف على ما سبقها وليست مجرد معلومة جديدة وعليه فإن مجال الاتجاهات وبنائها اكثر اختصاصاً مما يرمي إليه التعليم

الذي هو تغير مستمر نسبياً ودائم وكما عرفنّاه فإنه بهذا يستبعد تأثير العوامل الطارئة كالعقاقير وما شابه لأن التغير مستمر ، وهذا التعريف الواضح للتعلم لا يعتبر كل انواع التغيير في السلوك على انها تعلم لأن التغير الناتج بسبب النضج مثلاً او المرض او التلف العضوي او التغيرات الناجمة عن الارتكاسات الفطرية كلها لا تعتبر تعلم ويمكن من ثم استبعاد ان يكون غسيل الدماغ باعتباره عملية طارئة كاسلوب لتغيير الاتجاهات عن طريق الاقناع القسري المقُنّن ان يكون عملية تعلم او تثقيف قسري فالتعلم يختلف بمفهومه واهدافه (توجهاته) عن غسيل الدماغ .

غسيل الدماغ والتنويم المغناطيسي :-

من منطلق تعريف غسيل الدفاع سوف نكتشف ان التنويم المغناطيسي هو الآخر عملية ، وإن توسل بها البعض في مجال غسيل الدماغ وغيرها فإنها ليست مرادف لغسيل الدماغ لأن التنويم المغناطيسي كما سنرى من خلال معناه واستخدامه وما أُثير حوله لا يُغير الأفكار حسب قول العلماء ولكنه يعمل على نسيان بعضها ولا ينجح في زرع أفكار جديدة مكانها ، وحتى لو فعل فالعملية ليست عن طريق الاقناع ولو كان اقناعاً قسرياً مقنّناً لأن محور التنويم المغناطيسي وعامله الأهم هو الايحاء لا الأقناع . والايحاء يختلف جذرياً بل هو عكس عملية الإقناع والنقيض المقابل لها .

وحتى نقف على هذا بدقة علينا التعرف على عملية التنويم المغناطيسي لنُحدّد مكانه وموقفه في غسيل الدماغ .

يرجع التنويم المغناطيسي إلى عام ١٧٧٠ عندما أعلن فرانز مسمر عن اكتشافه لظاهرة نفسية غريبة اسماها التنويم المغناطيسي واسميت مرحلتها المتقدمة تلك بالمسمرية نسبة إلى فرانز مسمر حيث مرّت بمراحل عديدة وفُسّرت باعتبارها اسلوب ايحائي يعمل على تضخيم القابلية للايحاء تضخيماً كبيراً . ويُعرفَ بأنه حالة نوم صناعي تنشأ عن طريق الايحاء والملل الناشىء من تكرار منبه معين والمرافق بالاسترخاء الجسمي وتركيز الانتباه في مجال ضيق من الاشياء او الأفكار وبإيحاء من المنوم . ويُعتقد بأنه أثناء النوم المصَاحَبْ بتضخيم قابلية الإيحاء في درجاته العميقة يمكن ان يوحى للمُنوَّم بنسيان مواقف او حوادث او أفكار أو معتقدات معينة والايحاء له بغيرها ، كما يعتقد بأن اكثر ما تُجدّي هذه العملية في تحرير

الفرد من بعض عاداته ومعتقداته الخاطئة وتقوية ما لدى الفرد من أفكار ورغبات سليمة مفيدة كما يعتقد بأن الايحاء أثناء النوم ينجح بشكلٍ أكبر في تقوية أفكار موجودة أكثر منه في غرس اخرى جديدة ويفهم هذا كله عندما نُذّكر بأن التنويم انما كان يستخدم كأسلوب علاجي ليس اكثر او كتكنيك مصاحب في اسلوب علاجي آخر للتشخيص والعلاج في مجال الاضطرابات العقلية والنفسية .

وفي العقد الحالي من هذا القرن برزت تفسيرات جديدة لظاهرة التنويم منها تفسير يذهب إلى ان التنويم هو «تغيير حالة الوعي» اي ليس غياب الوعي . ولكنه شطر الوعي إلى نصفين ، نصف يتعامل مع الواقع ونصف يسترجع الاحداث الماضية من خلال اسقاط عامل الزمن والانفصال عن الواقع الحالي تماماً ، كما في الانسان العادي في حالة اليقظة عندما يسوق الانسان سيارة فيشتغل ذهنه بحل مشكلة اسرية عويصة مثلاً بينما يتمكن في الوقت ذاته من تسيير سيارته بصورة صحيحة .

والتفسير الثاني يقول بأن التنويم هو «حالة اجتماعية خاصة يتحول فيها النمط السلوكي إلى نوع سائد وآخر متنحٍ» . فالشخص الراغب بالتنويم يذهب بإرادته إلى النوم وفي هذا التصور اتفاق ضمني بأن يقبل ذلك الشخص حالة النوم المغناطيسي ، ومن ثم فهو يُسلم قياده للمنوم الذي يمارس عليه نوع من الهيمنة والسيطرة وبذا يكون السلوك الاجتماعي للنائم سلوكاً سلبياً متنحياً وسلوك المنوم ايجابياً سائداً .

وكل هذه النظريات وغيرها تجمع على أن الفرد يصبح في حالة تشبه حالة ما قبل النوم الطبيعي من تحلل الوعي او الوعي غير الكامل ولكنها لا تتفق على أن الشخص يصبح في حالة لا وعي .

ولمّا بدأت دوائر الشرطة تأخذ بالتنويم في حالات الاستجواب والمحاكم في حالات الشهادة ، وشهدت امريكا الكثير من تلك الحالات تركزّت الدراسة على الظاهرة للتأكد من مدى صلاحيتها حقاً للاستجواب او في حالة الشهادة بالمحاكم فتبين انه لايوجد اي دليل على وجود تغييرات فسيولوجية في جسم النائم مغناطيسياً كما ان الثابت من دراسة النشاط الكهربي للمخ أثناء التنويم المغناطيسي ان نمط الموجات الصادرة عن المخ في تلك الحالة يماثل تماماً نمط الموجات الصادرة عن مخ انسان مسترخٍ وهو في حالة يقظة كاملة !

كما ثبت ان هذه الظاهرة ترتبط بقابلية الايحاء وان قابلية الايحاء تختلف من شخص

إلى آخر اي ان البعض يمكن تنويمهم والبعض لا يمكن كما ثبت بالدراسة انه لا يوجد شيء معين يستطيع النائم مغناطيسياً القيام به ولا يستطيع الانسان العادي في اليقظة ان يقوم به بل واكثر من ذلك ثبت بالدراسة ان التنويم قد يكون وسيلة نافعة للاسترخاء وتحرير العواطف المكبوته ولكنه لا يجعل انساناً ما اكثر قدرة على تذكر احداث بعينها حتى قال استاذ علم النفس في جامعة بريستول ببريطانيا «جون براون» : أنه لا يوجد أي دليل على أن الانسان يستطيع ان يتذكر وهو نائم مغناطيسياً ما لا يستطيع تذكره في يقظته الطبيعية ، مما يوحي بأن عملية التذكر التي يدعيها النائمون مغناطيسياً ترتبط بالايحاء كذلك فنوع الاسئلة الموحية التي تستخدم في اعطاء اجابة معينة في اتجاه محدد تماماً كما يحدث للشخص في حالة اليقظة . بل ذهب البعض إلى أن التنويم المغناطيسي يؤدي إلى تشويه الذاكرة وليس إلى تحسينها ففي تجربة ارتكبت المجموعة النائمة مغناطيسياً اخطاء اكثر من المجموعة التي بقيت في حالة يقظة عندما وجه للمجموعة اسئلة موحية في اتجاه خاطىء بحيث تُعطي اجابات متوقعة خاطئة . وتوفرت دلائل تجريبية كثيرة تدل على ان التنويم المغناطيسي ليست له فائدة تذكر في مجال التحقيق والاستجواب ومن ثم في الشهادة بالمحاكم وهذا ما دفع ست ولايات في امريكا عام ١٩٨٢ باصدار قرارها بعدم استخدام التنويم المغناطيسي في قاعات المحاكم وبرفض اي أدلة في اي دعوى تأتي من طريقه .

وعليه وفي مجال غسيل الدماغ فإننا كما ذكرنا مسبقاً فإن التنويم يعتمد الايحاء وغسيل الدماغ يعتمد الإقناع وشتّان ما بين الاساسين . وفي مجال التنويم كتكنيك مرافق في غسيل الدماغ او مفهوم يرتبط به فإن التنويم كما بينت الدراسات وأجمع العلماء يعتمد على وجود القابلية للايحاء لدى الشخص من جهة وعلى قبول الشخص بالعملية حتى لو كانت لديه القابلية للايحاء بدرجة عالية وهذا يتنافى مع فكرة الإقناع القسري في غسيل الدماغ .

غسيل الدماغ والتحليل النفسي :-

ولو تتبعنا الامر في مفهوم آخر كالتحليل النفسي لوجدنا انفسنا امام الوقائع نفسها اي ان مفهوم التحليل باعتباره اسلوب علاجي يعتمد على قبول العميل بالعملية اولاً وعلى ايجابية العلاقة بين الطبيب والعميل ، وهو وان كان ينجح في تحرير الفرد من مكبوتات لا شعوره التي يقاوم الفرد في اخراجها الى حيز الشعور مما يؤدي إلى تبصره بمشكلته كاملة بعد كشف اسبابها المكبوته . فإنّ الاستبصار الذي يحدث بالتداعي والتفسير مع التصريف

الانفعالي والتفريغ الوجداني يجب ان يتبعهما عملية تعلم وهذا كله يعتمد على مدى ايجابية ومشاركة العميل والتحليل يعمل على تقوية عادات اصلية ومعتقدات موجودة لدى الشخص كما في التنويم حيث تقترن العمليتان السابقتان في احيان كثيرة معاً في عملية واحدة وتستخدم كذلك العقاقير . ولكن اعظم المآخذ على هذه الاساليب مجتمعة ان الاستبصار وهو عماد التحليل لا يتم أثناء النوم او الخدر ، ومشاركة المريض لا يكون لها وجود وهي الشرط الاساسي في التحليل ، وأما المكنونات المكتشفة فقد تختلط بالاحلام وهذاءات العقارات .

وعليه فإن التحليل النفسي ، كغيره ، هو مفهوم لامكان له في عملية غسيل الدماغ فهو اسلوب علاجي يعتمد مشاركة العميل الإيجابية لتغيير العادات وأين هذا من الاقناع القسري المقنن ضمن ظروف واجراءات مرافقة والذي يتبع اسلوباً خاصاً في مسعاه لتغيير الاتجاهات .

غسيل الدماغ في ميزان الإسلام

حدد الإسلام معاملة الاسير بالحسنى واخذهِ بالرفق والرحمة قال تعالى ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً**﴾ ولا يجوز تعذيبه بالجوع والعطش وغيرها ، ولا يُكره على افشاء اسرار دولته . وفي ضوء عموميات الأدلة الشرعية في الإسلام نرى عدم جواز اكراه الاسير على الادلاء بالاسرار العسكرية وغيرها قال الإمام مالك رحمه الله عندما سُئل أيعذب الاسير ان رُجِي ان يدل على عورة العدو ؟ فقال : ما سمعت بذلك [(١)] وهذا ما أقره فيما بعد القانون الدولي كما في اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ .

وان غسيل الدماغ كاسلوب استجوابي يعتمد الضغوط مما تعد معه نوعاً من الايذاء البليغ للدماغ فيصل لمرحلة التشويش والارتباك وهو لا يتأتى الا من جملة اجراءات تُعتبر اكراهاً وتعذيباً لا يقره الشرع الحنيف . ومثل هذه الاجراءات تُستبعد بالضرورة من اساليب الحرب النفسية الاسلامية لمخالفتها للعقيدة العسكرية الاسلامية ومبادىء الحرب النفسية في الاسلام .

أساليب مقاومة غسيل الدماغ :-

ان مقاومة غسيل الدماغ تعتمد على ما يتعرض له الشخص المستهدف بالعملية من

---

(١) د . وهبة الزحيلي . آثار الحرب في الفقه الإسلامي . دمشق ، المكتبة الحديثة ط٢ ١٩٦٥ .

ضغوط من جهة ، ثم على مدى قدرته على المقاومة بما لديه من «مناعات» نفسية وانفعالية وروحية من جهة وجسمية وفسيولوجية من جهة اخرى . واذا كان يحلو لدارسي غسيل الدماغ وضع تلك الوسائل ليطلع عليها المطلعون فانهم يدرجون عناوين مثل :

١ ـ القيادة الكفوءة والمثابرة والتكرار : فتكرار الاجتماعات ما بين القائد وجماعته يحافظ على تماسكها وعلى ادمغة الاتباع من الاهمال فالاستسلام ، كما ان شعور الفرد بإشراف المسؤول يعزز ثقته ويقوي انتماءه .

٢ ـ تزويد الجنود بالمناعة الذاتية والمقاومة : عن طريق المحاضرات والتوعية والتربية المستمرة مما يجعله صلباً عند الاسر ، كما فعلت امريكا في ما اسمته (دورة اسير) حيث يدرب على ما قد يجابهه في الاسر . ويندرج تحت هذا تدريبهم على عدم التعاون الذي يعني عدم الاهتمام وعدم الاصغاء الجدي وهذا يزوده بالقدرة على الاحتفاظ بكيانه وتفكيره الاصيل ضد غسيل الدماغ .

يقول العقيد شارل شانديسي في معرض حديثه عن الحرب النفسية والمعنويات مشيراً إلى عملية غسيل الدماغ [١] :-

(لقد لفتت حوادث كوريا والهند الصينية الانتباه إلى شكل خاص من أشكال الحرب النفسية : وهو ما يتمثل في تثقيف الأسرى عقائدياً والحقيقة ان هناك مسائل هامة لابد من طرحها ، بسبب الطريقة التي يتم بموجبها الحصول على نتائج سريعة ، وامكانية اعادة الاسرى الذين يتعرضون للتثقيف العقائدي إلى حالتهم السابقة .

وترمي العمليات الدفاعية (في الحرب النفسية) أولاً إلى بناء معنويات قادرة على الصمود أمام كل تجربة ، وقادرة على الصمود ازاء أي نوع من الدعاية والتوجيه في حالة الأسر . وتلعب معرفة أساليب العدو وطرائقه ومنهج تفكيره دوراً هاماً) .

٣ ـ أما عنصر الايمان والعقيدة : فهو هام حيث يعزل المرء عن المؤثرات الخارجية ويشكل جداراً صلباً في وجهها ، وكذلك وقاية الناس عامة من الدعاية الخادعة وحمايتهم من الغزو الثقافي الذي يستهدف في العادة عقائد وقيم افراد المجتمع .

---

(١) العقيد شارل شانديسي ، علم النفس في القوات المسلحة . ترجمة المقدم الدكتور محمد ياسر الايوبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص١ بيروت ١٩٨٣ . ص ١٢٠ .

٤ ـ **البرود العاطفي واكتساب الراحة الجسمية** : ان انجع طريقة لمقاومة الانهيار هو تجنب الانفعال فالبرود والتعالي والشعور بالبعد العقلي ـ رغم قرب المسافة ـ عما يجري هي وسائل كفيلة بتفادي الاستسلام لمحاولات غسيل الدماغ .

كذلك في محاولة اختطاف لحظات الراحة بأي شكل اثناء محاولات غسيل الدماغ حيث تُفقِد العامل فيها اهم شروط عمله وهو البلوغ بالشخص مرحلة الانهاك والاعياء .

ويساعد في احباط عمله كذلك ان يحاول الشخص المعرض للضغط اختلاق الجو المريح فالايمان والبرود وعدم الاكتراث . والصمود والشجاعة تصبح امنع واعمق اذا توافر لها المحيط المريح وعماده الاسترخاء والتسلح بروح المرح والدعابة ، وفوق كل ذلك التسلح بالصبر والنفس الطويل .

٥ ـ **محاربة الاشاعة** : التي يحاول مروجوها ان يعجلوا بانهيار الشخص المستهدف لغسيل الدماغ واهم اسلوب لمقاومتها هو عدم الاكتراث بها من جهة والامتناع عن نقلها مهما بدت تفاهتها من جهة اخرى .

(٥) الغزو الفكري [١]

مدخل في معنى الغزو الفكري

تعرضت الأمة العربية الأسلامية لأشكال من الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي بقصد كسر شوكتها وتحطيم إرادتها والسيطرة عليها ونهب ثرواتها وإدخالها في أنفاق التاريخ المعتمة وسراديبه المظلمة حتى لا تقوم لها بعدئذٍ قائمة . ويبدو الغزو العسكري والاقتصادي هيناً أمام الغزو الثقافي الفكري لأن الأمة إنْ هي فقدت مقوماتها الفكرية الثقافية الحضارية تكون قد فقدت الصلة بقيمها وتراثها وعقيدتها ومن ثم مصدر معنوياتها وصمودها وإرادتها ، وهذا أبرز ما كان يسعى له الغرب . فإذا بلغت الأمة تلك الحالة ودخلت في تلك المرحلة فإنها ستفقد عندئذٍ مقومات تماسك شخصيتها فتتميع وتتفكك وتفقد ترابطها كجسد عضوي حيّ وتصبح مجرد مفردات متناثرة ضعيفة بلا حولٍ ولا قوة تضيع هويتها وتضّل عن أهدافها العليا ووظيفتها في الحياة كما تضل عن دورها الطليعي الخير في الوجود لتبدأ رحلة الضياع والأفول ، إلاّ ان يُقيّض الله لها ما يجعلها تثوب إلى رشدها وتؤوب لتَرِدَ منهل قوتها ومعين صمودها وارادتها المتمثل بدينها الذي هو لُبُّ وجوهر حضارتها .

ومن هنا يمكن تحديد معنى الغزو الفكري كمصطلح على النحو التالي : «الحملات الفكرية الثقافية الغربية على الأمة العربية الإسلامية والتي استخدمت أساليب وادوات مختلفة لتدمير مصادر قوتها وإرادتها ممثلة بمقوماتها الفكرية والثقافية والحضارية وعلى رأسها عقيدتها الدينية مما يسهل لها فرض سطوتها عليها والتحكم بمقدراتها» .

تاريخ الغزو الفكري :

(إذا كانت أوروبا منذ قرنين تفرض سيادتها العسكرية والسياسية على العالم ، وتختطف من أطراف العالم الإسلامي وقلبه ما تيسّر . وقد استغلت الفوضى الضاربة في أرجائه فكسبت من الحروب الباردة أضعاف ما تكسب من الحروب الساخنة ورسمت خططها كي تصرف المسلمين بالعنف أو الحيلة عن عقائدهم وشرائعهم وأخلاقهم ولغتهم العربية وآدابها ووكلت إلى (الاستعمار الثقافي) أن يحقق أضعاف ما يحققه التفوق العسكري

---

(١) مصطفى الدباغ ـ المؤلف . كتاب الإسلام فوبيا أو عقدة الخوف من الإسلام ، تحت الطبع ، ١٩٩٨ .

والصناعي)[١] ، فإن الباحثين يرجعون تاريخ الغزو الفكري إلى ما قبل هذا التاريخ وبالتحديد إلى نهايات الحروب الصليبية حيث باءت الحملات بعد قرنين من الصراع بالاخفاق والهزيمة وقد أُسر قائد الحملة الصليبية الثامنة لويس التاسع ملك فرنسا ، عندها تيقن الغرب ان القوة وحدها لا تكفي ولا بد من التوجّه إلى عقول المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم ـ مصدر الطاقة الروحية المعنوية الهائلة ـ بإثارة الشبهات وغيرها [٢] .

وقد افرز هذا التوجه عمليات الاستشراق الواسعة والحملات التبشيرية الناشطة التي قامت بنشر الافكار التي تساعد على فصل الدين عن الدولة بما فيها إثارة النعرات الطائفية والقومية وغيرها . كما يرد البعض تاريخ الغزو إلى نحو قرنين من الزمان ويربطه بغزو نابليون للمنطقة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر حيث استقدم معه مطبعة عربية بالإضافة إلى جيش من الخبراء والفنيين ضمن حملته تلك ليكوّنوا الجهاز المدبر والعقل المفكر للإستعمار الثقافي . وعليه فإذا كانت حملة نابليون قد جاءت من فرنسا كغزوٍ عسكري مصحوب بالغزو الثقافي فإن الحملة الصليبية الثامنة والتي أُسر قائدها قد جاءت هي كذلك من فرنسا كغزوٍ عسكري أفرز الغزو الثقافي ، فإن للدارس أن يقرر بإطمئنان أن هذه الحملات الاستعمارية المحمومة في القرن التاسع عشر إنما جاءت امتداداً لتلك ، والواقع الذي تحياه الأمة اليوم في العالم العربي والإسلامي إنما هو محصلة ذلك كله في شقّيه العسكري والثقافي وهو ذيول وتبعات ونتائج هذه الحملات الاستعمارية بعد النجاح المذهل الذي حققه الغزو الثقافي ومن ثم سيطرة الاستعمار الحديث [٣] .

أساليب الغزو الثقافي :

عبر أساليب التأثير المختلفة على الشعوب وتغيير قيم الأمة ومثلها وتغيير ثقافتها وأخلاقها وتدمير أسس العقيدة في نفوس أبنائها واستبدال ذلك كله بقيم الغرب وسائر مكونات ثقافته العلمانية ، بدأ الغزو الفكري يعمل عمله ويفتك الفتك الذريع بالأمة مستخدماً لذلك مجموعة من الاساليب :

---

(١) محمد الغزالي . الغزو الثقافي يمتد في فراغنا . مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر . عمّان ١٩٨٥ .

(٢) د . أحمد عبدالرحيم السايح . في الغزو الفكري . كتاب الأمّة ٣٨ . الدوحة ـ قطر ، رجب ١٩٩٣/١٣١٣ .

(٣) مصطفى الدباغ . الحرب النفسية الاسرائيلية . عمّان ـ الأردن ، طبعة ثانية ١٩٩٤ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

١ ـ حملات العَلْمَنَة عن طريق علمنة التعليم والاعلام والقانون وغيرها .

٢ ـ إحياء الحركات القومية المناهضة للفكر الديني كبعث القوميات الطورانية والفرعونية والفنيقية والآشورية والقرطاجية واحياء النزعات المحليه والقومية والطائفية الضيقة .

٣ ـ حملات التغريب بدعاوي التطوير والتحديث واللحاق بالركب الحضاري عن طريق نشر الافكار المفسدة والحركات الإباحية والدعوات التحللية والقضايا المضللة كقضية تحرير المرأة وغيرها بما يحقق مُجْتَمِعاً (فَرنَجَة العالم الإسلامي) [١] كما قال المستشرق «جب» ، ولا أدل على صدق ذلك بما قاله أحد كبار المستشرقين : «انزعوا حجاب المرأة المسلمة عن راسها ، وغطّوا به القرآن» .

٤ ـ استخدام ونشر التيارات والحركات والمذاهب الإلحادية كالاستشراق والعلمانية والقوميات والتغريب والتبشير والصهيونية والماسونية وأندية الروتاري والوجودية والدارونية والشيوعية والفرويدية والفوضوية والقاديانية والبابية والبهائية . . . وغيرها [٢] .

٥ ـ بث الثقافة الغربية من خلال حركة التأليف والنشر في مجالات الدين والتاريخ والادب واللغة والموسوعات الإسلامية ، ومن خلال إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية ، وكذلك من خلال تدريس اللغات الأجنبية والتعليم فيها والتوسع بذلك ، وبإرسال البعثات إلى الخارج وعقد الندوات وإلقاء المحاضرات والتوسع بالمدارس الأجنبية والطائفية والمراكز الثقافية والكتب والمجلات والمسلسلات والأفلام . . . الخ [٣] .

٦ ـ ترويج النموذج الحضاري الغربي ونمط وطريقة الحياة الاجنبية . يقول محمود الشريف في حديثه عن «الاجتياح الثقافي الغربي من خلال برامج التعليم والمسلسلات التلفزيونية . . هذا الاجتياح الذي يحاول طمس الخصوصيات الحضارية لشعوب العالم الثالث ـ ومنها الشعوب الإسلامية ـ ويحاول أن يفرض عليها النموذج الحضاري الغربي باعتباره النموذج الوحيد الصالح للتحديث والتقدم» [٤] . ويُعبّر د . مراد فلغريد هوفمان الألماني عن هذه الحالة التي يسعى بها الغرب لتقديم إنسانه كنموذج ومثل أعلى للعالم كله بقوله : «لأنه ـ

---

(١) د . محمد علي جريشة . اساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي . دار الاعتصام ، السعودية ، ١٩٨٧ .
(٢) د . أحمد عبدالرحيم السائح ، المرجع السابق نفسه . ص ٧٢ .
(٣) المرجع السابق نفسه ، للمزيد الصفحات ٦٤ ـ ٧٤ .
(٤) الدستور . صحيفة اردنية . العدد ١٩٩٥/١١/٤ مقال (أسباب الأزمة الراهنة بين الاسلام والغرب) .

أي الغرب ـ لم يتراجع شعورهم بالغطرسة وبالاستعمار الثقافي الذي يمضون فيه . ولا يرى الشخص الغربي العادي إلاّ سيطرة المنطق العلمي في عالم علماني الطابع بكل معنى الكلمة ويكادون يجمعون بأن كل انسان سوي «يرتدي بنطال الجينز ويأكل الهامبورغر ويشرب الكوكاكولا ويدخن المالبورو ويشاهد CNN وبعبارة اخرى فإن الغرب يتوقع عموماً أن تصبح طريقة الحياة الأمريكية مثالاً يُحتذى به بصورة إجبارية . وهذا تصوّر مفرط في شمولية تفوح منه رائحة العنصرية الغربية» (١) .

٧ ـ ومن أساليب الغزو إحياء اللغات العامية واللهجات المحلية لتحل محل اللغة الفصحى . وقد ترافق الغزو المسلح لتركيا بالغزو الفكري عندما أعلن «أتاتورك» علمانية الدولة وبدأ بتغيير طابعها الاسلامي ونزعه عنها كما يُنزع جلد الشاة عن جسمها ، وتركيا في نشأتها ونموها وتكاملها إسلامية الدين والقلب واللسان فكانت تكتب لغتها بالحروف العربية فبدأ بإبدالها بالحروف الغربية وغيّر الأذان للصلاة فأصبح بالتركية بدل العربية واستبدل (الطربوش) بالبرنيطة (القبعة الغربية) . . . وهكذا ، وكان على رأس ذلك دعوته ـ كما ذكرنا آنفاً ـ لإحياء الطورانية أي القومية التركية .

كما ترافق ذلك بحركات مماثلة في الدول العربية كمصر ولبنان وغيرها ، وبدأت الدعوات لإحياء النزعات المحلية بما فيها التخلي عن اللغة الفصحى واعتماد العامية ، ونشطت تلك الحركات حيث تواجد الاستعمار في مصر وتونس والجزائر وسوريا ولبنان . فهذا السير «وليم ويلككس» يقف عام ١٨٩٣ في نادي الأزبكية ـ بالقاهرة ـ ولما يمضِ على احتلال مصر احد عشر عاماً ليقول : «أن العامل الاكبر في ضعف قوة الاختراع لدى المصريين استخدامهم اللغة العربية الفصحى في القراءة والكتابة ، وأنه لابد من اتخاذهم اللغة العامية أداة للتعبير الأدبي والعلمي ليصبحوا في عداد الأمم المتقدمة» (٢) !! . وقدَ عمد لترسيخ هذه الأفكار ونشرها إلى نقل ترجمات عن شكسبير بالعامية المصرية فجاءت سخيفة ، وألّف كتاباً عنوانه (الأكل والإيمان) بالعامية ولكنها خانته فاستخدم الفصحى فيه ، ولم تلق كتبه رواجاً .

ثم ترددت الدعوات المماثلة على أيدي تلاميذ الاستعمار فهذا لويس عوض يعود ليطلع

---

(١) صحيفة الدستور الأردنية . ١٩٩٥/٧/١٨ .

(٢) الرأي ١٩٩٧/٦/٢٦ . د . محمد جابر الانصاري . مقال : «رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية» .

من مصر بعد مائة عام تقريباً ليكرر المعزوفة نفسها ويدّعي (أن اللغة الفصحى هي المتهم الأول والأخير في قضية إغتيال العبقرية المصرية) [1] . وما كان يجري في مصر كان يجري في سائر الدول العربية حيث وُجِدَ الإستعمار .

التقنيات الفنية للغزو الفكري :

إن استعراض التقنيات الفنية للغزو الفكري يجعلنا نقف على مدى وعُمق الارتباط ما بين موضوع الغزو والحرب النفسية لأن أساليب الغزو هي نفسها أساليب الحرب النفسية كما مرّ معنا آنفاً .

إستخدم الغرب لتمرير أساليبه وتحقيق أهدافه في مجالي الاستعمار الثقافي والاجتياح الفكري عمليتين نفسيتين هامتين مُجنداً لها مجموعة من الطرق الفنية النفسية . وهاتان العمليتان هما :

١ ـ هدم وبناء الاتجاهات الجماعية عن طريق الحرب النفسية والحملات الاعلامية والدعاية السياسية والترويج السياسي والتضليل الاعلامي والتسميم الفكري . . . الخ .

٢ ـ تنحية وإحلال الفكر ، والمقصود به هنا تنحية الفكر الإسلامي من خلال تفريغ العقل الجماعي للأمة من فكرها الاصيل ، واحلال الفكر الغربي من خلال تعبئة العقل الجماعي للأمة بالفكر الدخيل ، وذلك عن طريق غسيل الدماغ الجماهيري .

والأن سنحاول شرح العمليتين بشيء من التفصيل :

١ ـ هدم وبناء الاتجاهات الجماعية :

إتبع الغرب لانجاح هذه العملية اسلوباً سيكولوجياً دقيقاً اعتمد على مجموعة من النشاطات والأعمال النفسية كانت تهدف إلى ايجاد وتوليد حالة الإعجاب بالحضار الغربية ومظاهرها الخادعة ليتم بعد ذلك تبني كامل مفرداتها وقيمها ومثلها ومبادئها المختلفة ومن ثم طريقة الحياة الغربية بحذافيرها فتصبح المجتمعات العربية الاسلامية جزءاً من المجتمع الغربي تُفكر بعقليته وتسلك بطريقته وتصبح مماثلة له فتتقبله وتحقق مصالحه بعد أن يكون قد مسخ شخصيتها الاجتماعية وأفقدها تميزها وقضى على أسباب النهوض لديها بما فيها مشاعر التنافس والندية والثقة بالقدرة على المجاراة في السباق واللحاق .

---

(١) المرجع نفسه .

ويمكن حصر مجموعة النشاطات والجهود والأعمال النفسية التي اتبعها الغرب في اسلوبه السيكولوجي هذا بمايلي :

١ ـ توجيه المعارف والمعلومات التي تُمجد الثقافة الغربية والفكر الغربي وتمرير الرسالة الحضارية التي تتضمن القيم والفلسفة الغربية في مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد وغيرها من الجوانب التي تصدر عنها السياسات العامة واستراتيجيات الغرب لتصبح هي البديل الثقافي والفكري ـ بما تزخر به من قيم ومعايير ـ عن ثقافتنا وفكرنا النابع من صميم عقيدتنا .

٢ ـ العمل على تراكم ومن ثم تنمية الخبرات التي تعتمد على تلك المعارف والمعلومات من خلال الاتصال الشخصي والجماعي ومن خلال تجنيد الأفراد أو الهيئات المروّجة لذلك وعبر وسائل الاعلام الجماهيري Mass Media .

٣ ـ بناء الاتجاهات الفردية والاتجاه العام الجماعي لتنسجم مع الثقافة الغربية .

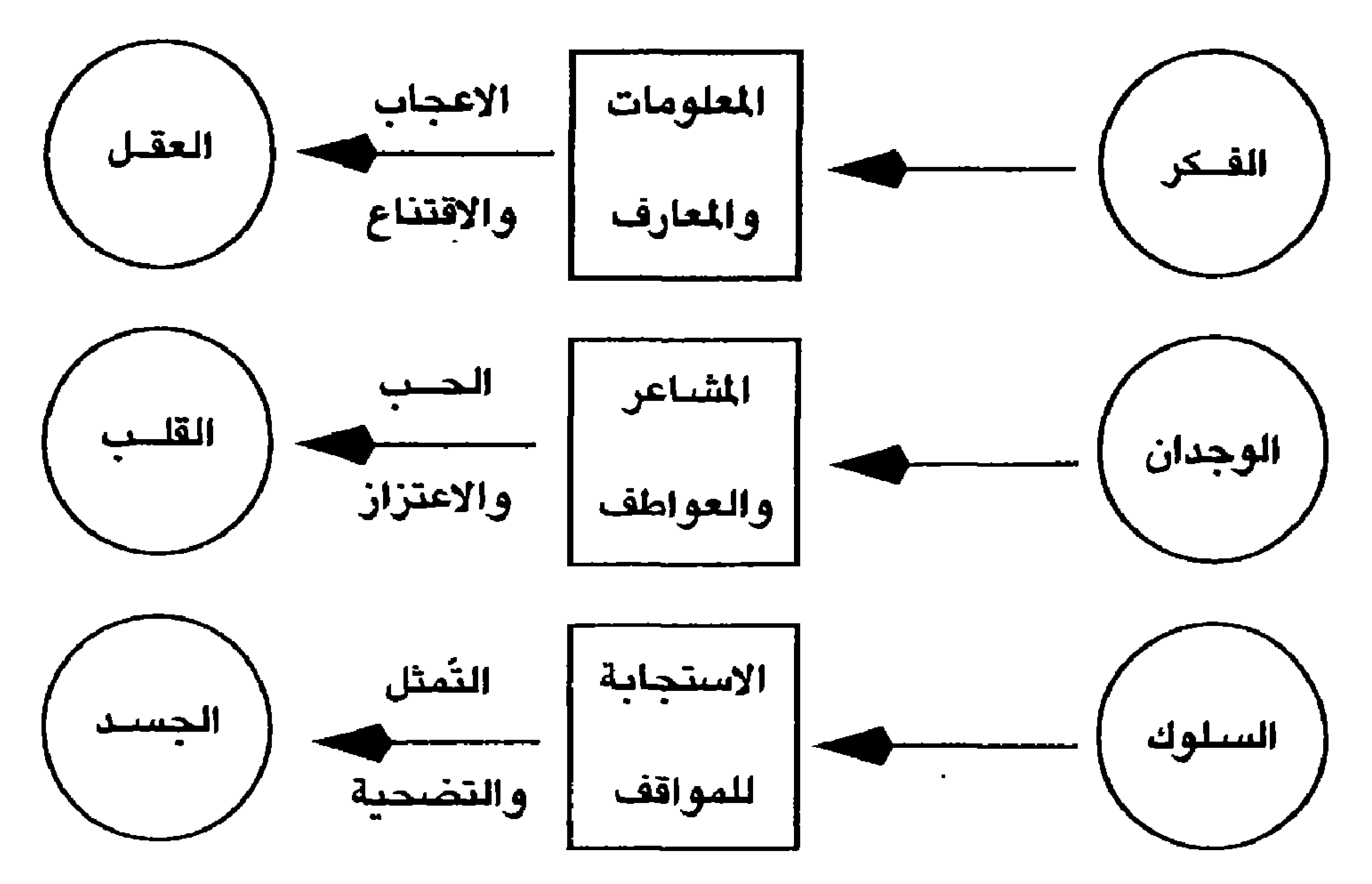
٤ ـ ترويج وزراعة المفاهيم الاجتماعية المطلوبة لتنسجم هي الأخرى مع الثقافة الغربية .

٥ ـ ترويج الأنماط السلوكية الجاهزة ليتم تبنيها وذلك باساليب نفسية مختلفة من خلال تشويه الانماط السلوكية السائدة المنسجمة مع حضارة الأمة وإحلال الانماط الجديدة المرغوب فيها عبر الترويج لها مع الإيحاء باستخدام اساليب التعزيز الايجابية أو السلبية عند الحاجة ، كتقديم النموذج الغربي الذي يمثل تفوق الغرب الاسطوري .

٦ ـ ترويج القيم والمعايير والمعتقدات وأخلاقيات المجتمعات الغربية عموماً من خلال تمريرها بأساليب إعلامية دعائية مثيرة ليتم الاقتناع بالحضارة والثقافة الغربية ويتم تبني كامل رموزها ومفرداتها بما فيها القيم والمثل والمبادىء والاخلاق .

٧ ـ الايحاء برغبات الجمهور والرأي العام في مختلف المواقف الحقيقية او المفتعلة والتي تنسجم مع تلك الاتجاهات التغريبية .

ويحسن بالدارس ان يقف وقفة خاصة مع البندين الثالث والرابع لعرض الأسلوب السيكولوجي الذي يعتمد على (بناء الاتجاهات ، وزراعة المفاهيم) والذي يتم على ثلاث مراحل ويقوم على ثلاثة مستويات هي الفكر والوجدان والسلوك وكما يبينها الشكل التالي :



١ ـ الفكر : حيث تتفاعل عناصر ورموز الثقافة الغربية لدى المواطن المستهدف ومن ثم ومع عمليات التراكم المعرفي يتولد الاعجاب ومن ثم الاقتناع بتلك الثقافة او الرسالة الحضارية الغربية ، ويتم ذلك بعمق وبسرعة لوجود عوامل اخرى منها تفوق الغرب المادي والعسكري ، وسيكولوجية الضعيف إنما تنطلق من توّهمه بأن خصمه المتفوق عليه مادياً وعسكرياً يتفوق عليه ثقافيا كذلك .

٢ ـ الوجدان : ومع التراكم المعرفي وازدياد درجات الاعجاب والاقتناع تتولد مشاعر الاعتزاز وحب كامل رموز تلك الحضارة أو الثقافة التي تشكل الرسالة الحضارية الغربية .

٣ ـ السلوك : بعد ذلك مع تعمق المشاعر الايجابية تجاه الحضارة الغربية فإن الفرد يتمثل عناصرها ويتبناها بالكامل ويتولد لديه السلوك الايجابي الراسخ لدرجة أنه يصبح مستعداً للتضحية في سبيلها .

ولا شك أن الغرب كان يحاول جاهداً ولتحقيق مصالحه إنجاح هذه العملية التي هي القاعدة الأساس لتغيير فكرنا فوجداننا ومن ثم سلوكنا فكامل الشخصية الجماعية للأمة[(١)] .

والآن لنرجع إلى العملية الثانية (غسيل الدماغ الجماهيري) [(٢)] ونرى كما سبق

---

(١) مصطفى الدباغ . الاقناع فن أم حرب . دار الاسراء . عمان ١٩٩٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه . ص ٢٢ ـ ٢٦ .

وشرحناه كيف سعى الغرب من خلالها إلى تنحية فكرنا الإسلامي الاصيل وتفريغ العقل الجماعي للأمة منه وإحلال الفكر الغربي الدخيل ليتحكم عن طواعية ورغبة بتفكيرنا وكامل سلوكيات حياتنا برمتها .

٢ ـ غسيل الدماغ الجماهيري :

استخدم الغرب هذه التقنية النفسية المتقدمة ببراعة وذكاء والتي تعتمد على تحوير الفكر والسلوك البشري ضد رغبة الانسان وإرادته أو سابق ثقافته وتعليمه . ويمكننا تحديد معنى غسيل الدماغ بتعريفه بأنه : (الاقناع القسري المقنن) : (Compulsory Persuasion) أي الاقناع الذي يمارس قسراً ضد ارادة الفرد مستخدماً طرائق (Standard Techniques) تقنية واساليب إجرائية Techniques ذات مواصفات قياسية معيارية محددة Standard ورغم عرضنا للموضوع سابقاً فإن الاستطراد المختصر هنا ضروريٌ للوقوف على هذا الأسلوب الرئيس كما تستخدمه حملات الغزو الفكري .

آلية عمل غسيل الدماغ :

ولفهم ميكانيكية عملية غسيل الدماغ يمكننا وضع هذه المعادلة ثم نقوم بتفحصها بشكل مفصل على مستوى الفرد فالجماعة .

غسيل الدماغ : ضغوط (إجهاد عقلي + قابلية للإيحاء) + تعليم وتثقيف قسري (ثواب وعقاب) = الاستجابة الشرطية المطلوبة .

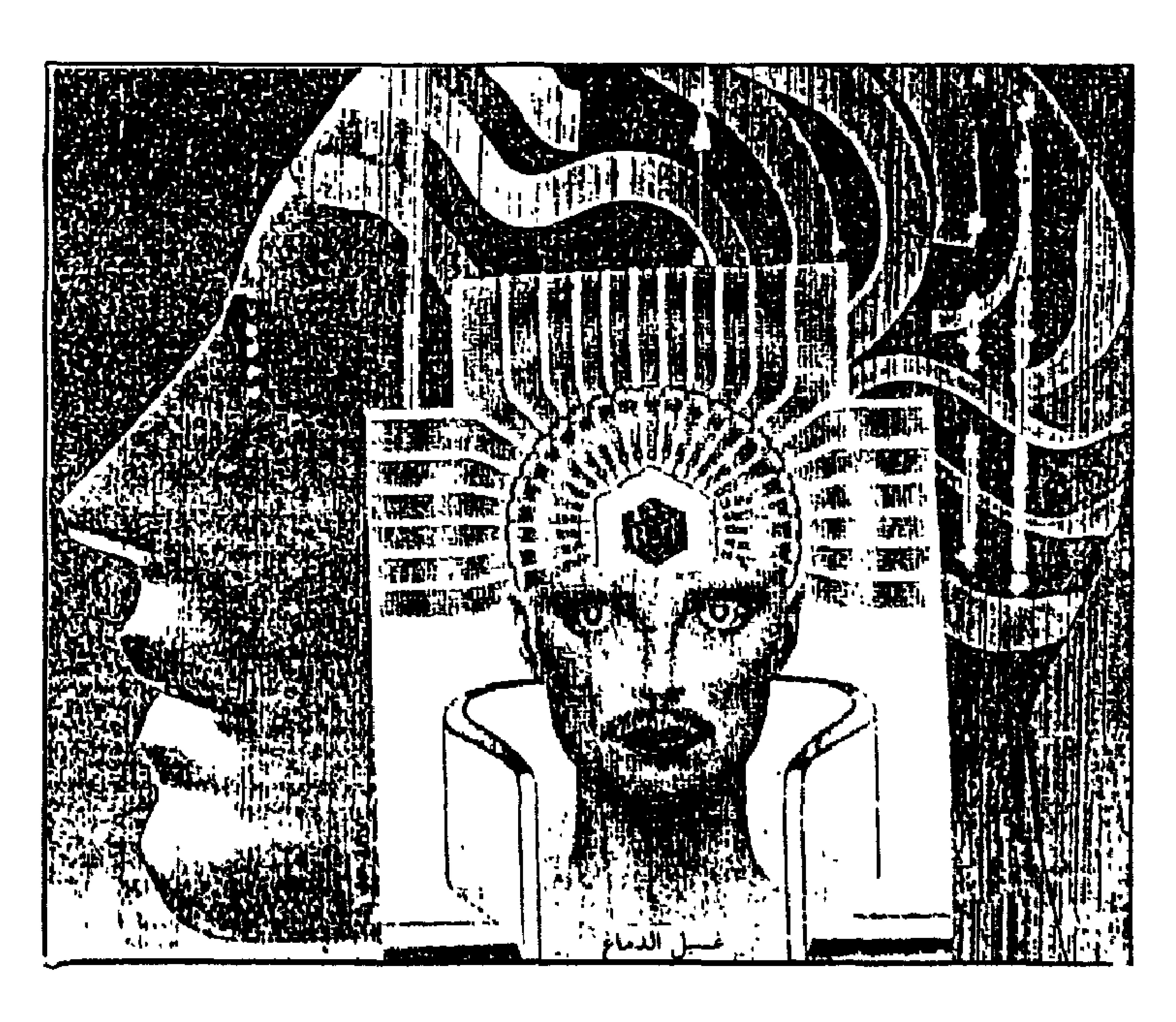
في عملية غسيل الدماغ يمكن تحديد مرحلتين تتم فيهما العملية وهما مرحلة التخلي ومرحلة التحلي أو التبني في الأولى نهدف إلى التخلي عن الأفكار القديمة غير المرغوب فيها ضمن الخطوات التالية :

استخدام عوامل الضغط كالعزل والحرمان مما يؤدي إلى الإجهاد النفسي والجسدي فيتم تخفيف الضغوط كنوع من الثواب مع إظهار الفرد الذي تمارس عليه العملية مؤشرات التخلي ثم يتم اللجوء مرة أخرى إلى العزل والحرمان حتى الانهيار الوشيك ومرة أخرى يتم تخفيف الضغوط مع بوادر التخلي الأكثر إيجابية وهكذا حتى يصل إلى مرحلة متقدمة من الإجهاد العقلي الشديد فترتفع قابليته للإيحاء إلى أعلى الدرجات وهنا يتم تنحية الأفكار القديمة

والتخلي عنها ويتم إحداث الإستجابة الشرطية المطلوبة وهي الربط الشرطي ما بين التخلي عن تلك الأفكار وبين رفع الضغوط المختلفة . في المرحلة الثانية وهي التحلي بالأفكار الجديدة المرغوب فيها أو التبني تتم العملية أيضاً ضمن خطوات مماثلة كمايلي : استخدام عوامل العزل والحرمان ـ فك العزلة والحرمان ـ تقديم الأفكار الجديدة لتبنيها ـ استجابة شرطية أي الربط ما بين التبني للأفكار الجديدة ورفع الضغوط المختلفة ومع تكرار العملية يتم تعزيز وتقوية الاستجابة الشرطية وتثبيتها .

وبالرجوع إلى المعادلات التي ذكرناها آنفاً ومحاولة عقد مقارنة ما بينها وبين ما يجري ضد امتنا من حملات سنجد أن ثمة تطابقاً كبيراً ، سبق وأن شرحناه بالتفصيل عند إثبات التطابق ما بين غسيل الدماغ الجماهيري والواقع الذي تعيشه أمتنا في ظل الحملات الإعلامية وحملات غسيل الدماغ الجماهيري والغزو الفكري .

وهكذا نجد ان عملية غسيل الدماغ الجماهيري تقف إلى جانب عملية هدم وبناء الاتجاهات الجماعية بحركة منسجمة متداخلة متكاملة سعى الغرب من خلالها إلى تنحية فكرنا الإسلامي الاصيل عن حياتنا وتفريغ العقل الجماعي للأمة منه وإحلال الفكر الغربي الدخيل ليتحكم عن طواعية ورغبة بتفكيرنا وكامل سلوك حياتنا برمتها بما يخدم مصالحه ونظل معه وقد (حُشرنا) في (مربع) التبعية تُغذي ارواحنا المحطمة مياه اليأس والاحباط العادمة .



(٦) الفكاهة والكاريكاتير

من وسائل الحرب النفسية الفكاهة والكاريكاتير ولا شك أن إطلاق النكتة ضمن خطة موضوعة ليس بالامر اليسير السهل وانما هي وسيلة ذات وزن فتأليف النكات واشاعتها بين الناس لهدف محدد وضمن توقيت محدد كذلك ينقلها من مجرد موضوع للضحك والتسلية إلى موضوع يفتك بقوى المجتمع ويبلبل افكاره ويفقده ثقته بنفسه وبمسؤوليه .

قال هرتزل الصحفي اليهودي الذي الف كتاب «الدولة اليهودية» ودعا ثم ترأس اول مؤتمر للصهيونية في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ قال يصف اساليبه التي لا يتورع عن استخدامها كما وجدت في يومياته : (ذُكر لي ان الشائعات تسري في لندن وتقول ان احد المصارف وضع تحت تصرفي مليوني جنيه استرليني للعمل . . . ولن احتج على هذا لان السخف والاساطير والنكات والكاريكاتير هي كلها وسائل نشر فكرة ما) .

مجالاتها واستخدامها :-

وتعمل النكتة ـ والكاريكاتير كذلك ـ كماصّة للصدمة أو كمفرغة للحزن والقهر الجماهيري كما تعمل على تحويل السخط عن العدو وكأسفين لبذر الفرقة والشقاق أو اداة تعمل بأسلوبها الخاص في خلق الشعور بالصغار والدونية لفئة او جماعة او شعب ، وتبذر بذور اليأس والقنوط وعدم القدرة على مجابهة العدو ومحاربته وبذلك تصبح جهازاً ذاتياً للسخرية المرة وجلد الذات في عملية نفسية معقدة تتوسل بتفريغ الشحنات السالبة التي يخلفها الشعور بالذنب (Feeling of Guilty) من التقصير او الخطأ وغيره مما يعظمه العدو في نفوس الجيوش والشعوب على حد سواء ، كما تستخدم النكتة للحط من قدرة القادة وتقزيمهم في أعين امتهم والتقليل من هالة البطولة والعظمة التي تحيط بصورهم في مخيلة الجماهير بهدف تحطيم الثقة بهم . كما تُشن حملة النكات لتمس نظام الحكم والنظام السياسي والاقتصادي وبعض جوانب الحياة ليفقد الشعب ثقته بمؤسساته ورموز تلك المؤسسات بشكل عام (١) .

---

(١) د . حامد عبدالسلام زهران . علم النفس الاجتماعي . عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

الامثــلة :-

والامثلة على هذا كثيرة فلا احد ينسى حملة النكات التي ذاعت في مصر في اعقاب حرب ١٩٦٧ وكان لها خطر كبير عندما بدأت تلك النكات تركز على الضباط والجنود إلى أن ادرك الشعب خطورة الموضوع فقضى تماماً على هذه الموجة . وقد عملت النكات كمفرغة لحقد الجمـهور على العـدو ولزرع بذور القنوط واليـأس وتشـويه صـورة القـادة والمسـؤولين في اذهان شعوبهم وجنودهم على حد سواء .

وكواحدة من النكات السياسية التي يشنها العدو عبر رجالاته وعملائه وجواسيسه والتي تستهدف النيل من مركز وسمعة القائد تلك التي راجت في مصر في اعقاب تولي الرئيس السادات رئيس الجمهورية والتي تقول ان الراقصة سهير زكي ونجم كرة القدم محمود الخطيب والرئيس السادات قد وصلوا إلى مطار القاهرة وليس لديهم جوازات سفر تثبت هوياتهم فما كان من العسكري المصري الا أن طالبهم بأثبات شخصياتهم عملياً والبرهنة على مهنتهم فعلياً :- طلبت الراقصة طبالاً وعلى ايقاع طبلته رقصت كأحسن ما يكون الرقص الامر الذي اقنع العسكري بأنها سهير زكي فسمح لها بالدخول . اما نجم الكرة فقد احضروا له كرة قدم فحاورها بقدمه ابلغ حوار واتى بافعال وحركات بارعة ايقن العسكري بعدها ان هذا هو محمود الخطيب فعلاً فأذن له بالدخول . وعندما جاء دور الشخص الثالث سأله العسكري وانت ماذا ستفعل لتثبت انك الرئيس؟

فقال على استحياء : أنا معرفش أعمل حاجة . . .

هنا انتقض العسكري واقفاً وادى التحية قائلاً : تبقى فعلاً أنور السادات [(١)] .

ولا شك ان هذه النكتة اللاذعة والكاريكاتير الكلامي الموحي يهدف إلى النيل من هيبة رئيس دولة ويهدف إلى تصويره في صورة من علقت عليه الجماهير امالها ثم خيب ظنّها لأنه لا يعرف شيئاً ، حسب رواية الفكاهة السياسية . ويورد خلدون الشمعة [(٢)] نكات (فكاهات) سياسية في معرض حديثه عن تقسيم العالم العربي إلى دول طائفية ومحاولات

---

(١) صحيفة الرأي . العدد ٤٥٥٣ تاريخ ١٩٨٢/١١/٢٢ من مقال للسيد فهد الريماوي في زاوية ٧ أيام .

(٢) مجلة الدستور . العدد لندن ٣٨٥ ، ٢٢ تموز ١٩٨٥ من مقال خلدون الشمعة (كانتونات طائفية ودول مجهرية) .

ايران في تصدير ثورتها إلى العالم العربي بدءاً بدول الخليج العربي والكويت ونشاطاتها في لبنان عبر مؤسسات كثيرة فيقول : «إن تصدير (الثورة الايرانية) رغم ما نشهده من تصاعد في الارهاب ضد العرب في عقر دارهم كما حدث في الكويت مؤخـــراً ، قضية خاسرة حتى الآن .

والنكات التي كانت تروى عن تصدير الثورة في بداية الاطاحة بحكم الشاه ما تزال لها القوة نفسها على الاضحاك بعد مضي سنوات على وداع السفير الامريكي سوليفان البريطاني السير انطوني بارسونز للشاه رضا بهلوي واستقبالهما للشاه المعُمّم .

صادق قطب زادة ، وزير خارجية ايران الذي اعدمه الخميني والذي تكتب عنه الكندية كارول جيروم مذكراتها كشاهدة عيان تتذكر وقائع احتلال السفارة الاميركية في طهران ، يروي نكتتين حول تصدير الثورة لهما من القدرة على الاضحاك ما يجعل الفكرة قابلة للجدل اذا لم نقل انها تستحق ان تكون موضع شك .

النكتة الاولى تتحدث عن رجل ابصر برجل آخر واقفاً على الشاطىء وهو يصب اللبن في البحر بملعقة صغيرة .

يسأل الرجل الاول : ماذا تفعل؟ فيجيب الثاني بغباء : اصنع كعكة .

فيقول الاول : لن تستطيع أن تصنع كعكة بهذه الطريقة .

فيجيبه الثاني اعرف ذلك . . . ولكن تصور حجم الكعكة التي ساحصل عليها اذا نجحت ! .

وأما النكتة الثانية فأشد غرابة . يذهب تاجر للسلاح لمقابلة أحد شاهات القاجار لكي يبيعه مدافع يحارب بها أعداءه الروس في سان بطرسبورغ .

يطلب الشاه عينة ، فيعرض التاجر عليه جهازاً غريب الشكل ، ضخماً ، مليئاً بقطع خشبية ثقيلة وصفائح وعجلات وبكرات مزودة بفتيل سرعان ما يشعله التاجر فيحدث الجهاز صوتاً قوياً يشبه دوّى الانفجار ، فينهال ما في الجهاز على رأسيهما ، ويهتف الشاه بالتاجر وهو ينهض من بين الركام : أهذا هو المدفع؟ يصيح التاجر : نعم اذا كان هذا ما فعله هنا ، فتصور ما سيكون عليه الحال في سان بطرسبورغ !» .

الكاريكاتير او الرسم الفكاهي :-

وكما تفعل النكتة فعلها وتؤدي دورهـــا الهدام كذلك يفعـــل الكاريكاتير وهو نكتة في رسم .

وكلمة كاريكاتير مقتبسة من اللفظة الايطالية (كاريكار) وتعني التضخيم لاثارة الانتباه والتركيز على ما يراد ايصاله عبر الرسم إلى المشاهد .

وترجع بدايةالكاريكاتيـر إلى الفنان الايطالي انيبـال كـاراش (١٥٦٠ ـ ١٦٠٩م) الذي كان اول من رسم رسومات باعثة على الضحك مثل بعض المظاهر الاجتماعية وكان يهدف منها إلى التسلية والمرح لا اكثر . ثم جاء (بيرنان) الذي جند الكاريكاتير كفن للنقد اللاذع وعن طريقه انتقل هذا الفن إلى فرنسا . وجاء بعد بيرنان (بيرليوني غيزي ١٦٧٤ ـ ١٧٥٥) الذي طور الرسم الفكاهي اما (شارل فيليون) فكان أول رسام استعمل الكاريكاتير كسلاح سياسي في فرنسا ونشر الرسوم الفكاهية في مجلة اسبوعية اسماها (الكاريكاتور) وظهر في انجلترا (جورج تاونهند) ، وبعده (ولي هوغارت ١٦٩٧ ـ ١٧٦٤) حيث صورت رسومه الواقع الانجليزي وتمكن بها من معالجة عيوب المجتمع بنقد الفساد الذي كان متفشياً فيه انذاك .

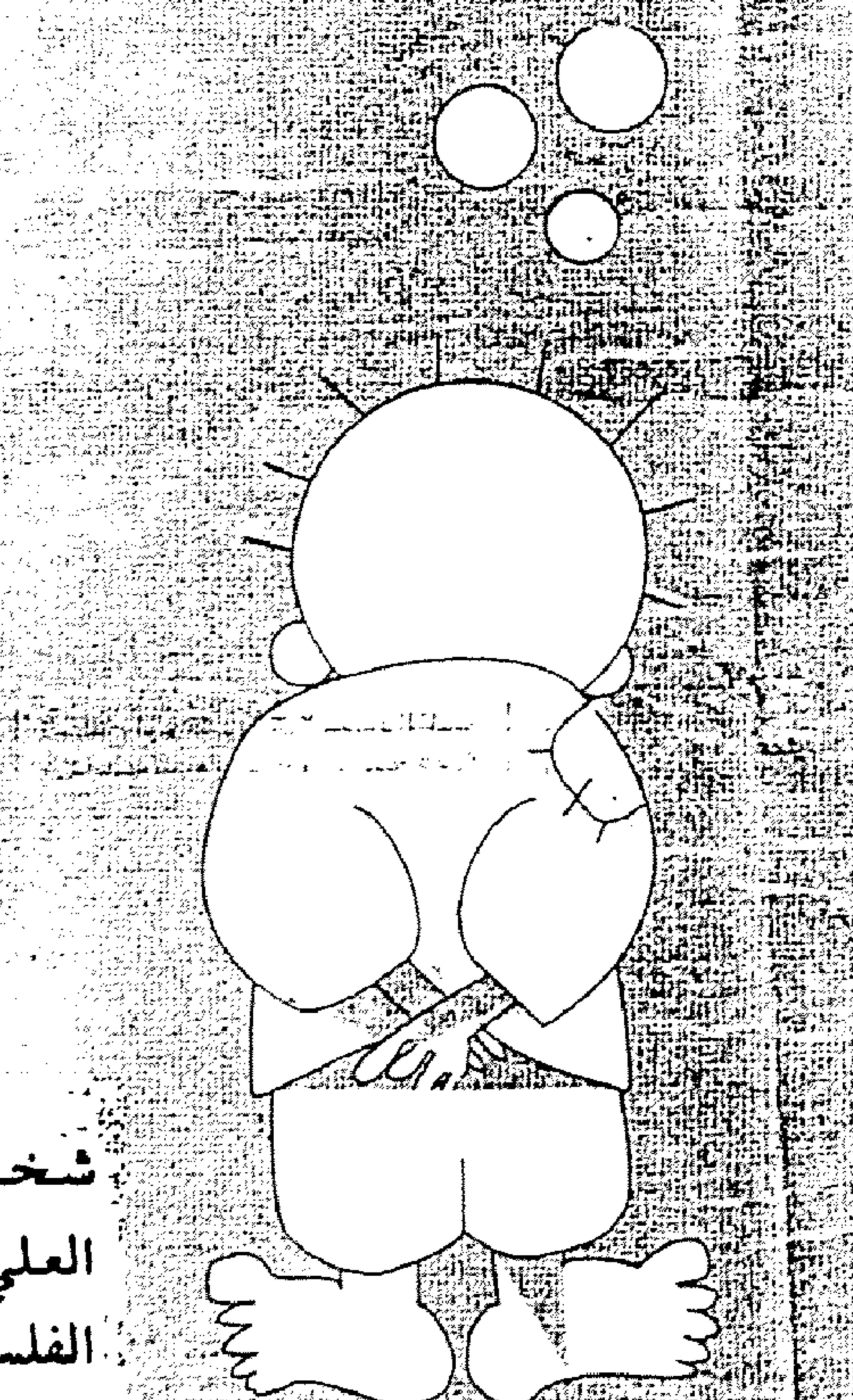
وكان تلاميذه (توماس ولاندسون ، وجيمس جيلراي) قد استعملوا الكاريكاتير كسلاح للضغط والنقد . في البلاد العربية أدخل (يعقوب صنوع) الكاريكاتير في مجلته الهزلية (ابو نظارة) واستخدمه لنقد الحكومة (١٨٣٩ ـ١٩١٢) ثم جاء صاروخان عام ١٩٢٥ فكان استاذ الرسامين المصريين الذين قدموه لمن جاء بعدهم من رسامي الكاريكاتير العرب .

وهنا يحسن التـذكـيـر بأن رسّام الكاريكاتيـر «ناجي العلي» كـان من أشـهـر من رسم الكاريكاتير الذي عبّر عن أماني ومُعاناةِ وآمال شعبه الفلسطيني في رسومه المعُبّرة التي كان لوقعها في إلهاب المشاعر الوطنية فعل المدافع والصواريخ مما عرضه للاغتيال حيث قتل غدراً في لندن أمام مكاتب صحيفة القبس التي كان يعمل بها يوم ١٩٨٧/٧/٢٢ وأسلم الروح يوم ٨/٢٩ . وكان قـد ابتكر شخصية «حنظلة» يضمنها في جميع كاريكاتيراته وهو (الصبي الفلسطيني) يدير ظهره للجمهور ويتأمل الحدث .

ولا شك ان الرسم الفكاهي (الكاريكاتير) يفعل فعل النكتة ويؤدي الدور نفسه ففي مجال الحرب النفسـية واساليبها كـالدعاية والاشـاعة فإن النكتة والكاريكاتير تستعمل كأدوات رائجة جماهيرياً في اطلاق الاشاعات ونشرها وهي تختفي وراء ستار الضحك البريء والتقبل الجماهيري العفوي ، وسواء صدقها الناس ام لم يصدقوها فإنها تفعل اخر



رسّام
الكاريكاتير
ناجي العلي



شخصية «حنظلة» التي كان يضمنها «ناجي العلي» جميع رسوماته وهي تُمثل (الصبي الفلسطيني المقهور) الذي يتأمل الأحداث وقد عقد يديه وراء ظهره.

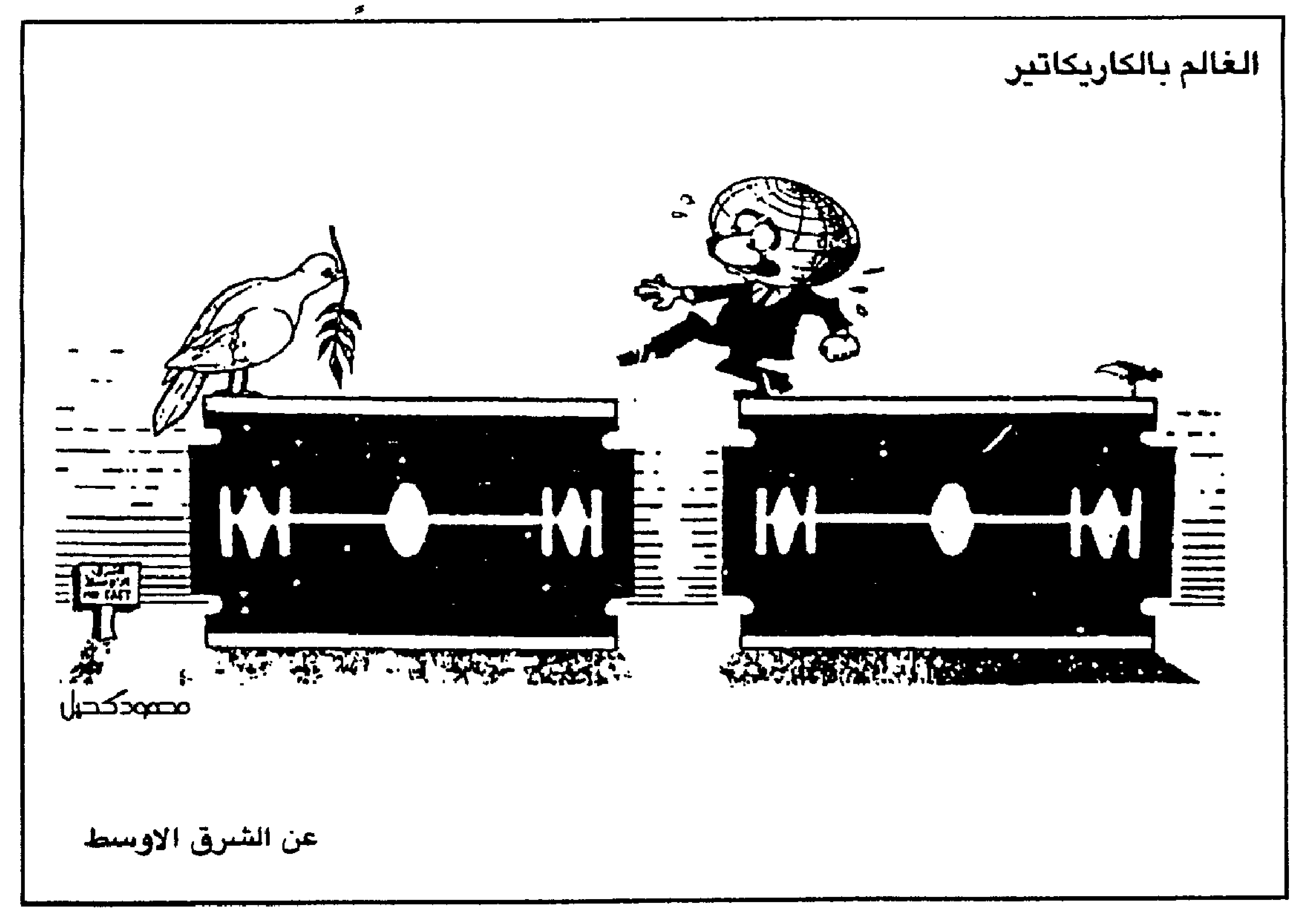
الامر فعلها في حرب الخصم وتحطيم بنيانه واضعاف روحه المعنوية والحط من ارادته وعزيمته .

وكما راج سيل النكات في اعقاب هزيمة ١٩٦٧ عندما بدأ المكبوتون والمختنقون يتنفسون من خلال النكتة ويعبرون عن آلامهم عبرها بل يحللون ظروف الحرب والاسباب التي ادت إلى تلك النتائج كل ذلك من خلال النكتة ، فإن الرسم الكاريكاتيري نشط في المرحلة ذاتها وشمر عن ساعده فكانت تخرج على صفحات الجرائد والمجلات الكثير من الرسوم التي تعبر عن كل ما اسلفناه . ولاشك أن العدو يرصد حركة الجمهور وينتهز الفرص فكانت تلك الحملات التي جعلت الرئيس المصري آنذاك (جمال عبدالناصر) يشنع على تلك النكت ومروجيها ويهدد باثيها لأنها اصبحت فوق الاحتواء والاحتمال وباتت تهدد لحمة الأمة تهديداً خطيراً .

اذا كان الرسم الفكاهي او الكاريكاتير هو فن حديث نسبياً كما عرفنا ، فإن النكتة او الفكاهة السياسية هي اسلوب قديم في استخدامه باعتباره عامل هدم وكليهما ـ النكتة والكاريكاتير ـ هما اسلوبان راسخان من تلك التي تستخدمهما الحرب النفسية عبر قنواتها المختلفة كالدعاية والاشاعة والتضليل الاعلامي والتخريب النفسي وغيرها .

ولمّا كان مردود هذا الاسلوب كما لاحظنا مردوداً خطيراً وذا آثار هدامة ، فإن مقاومة هذه

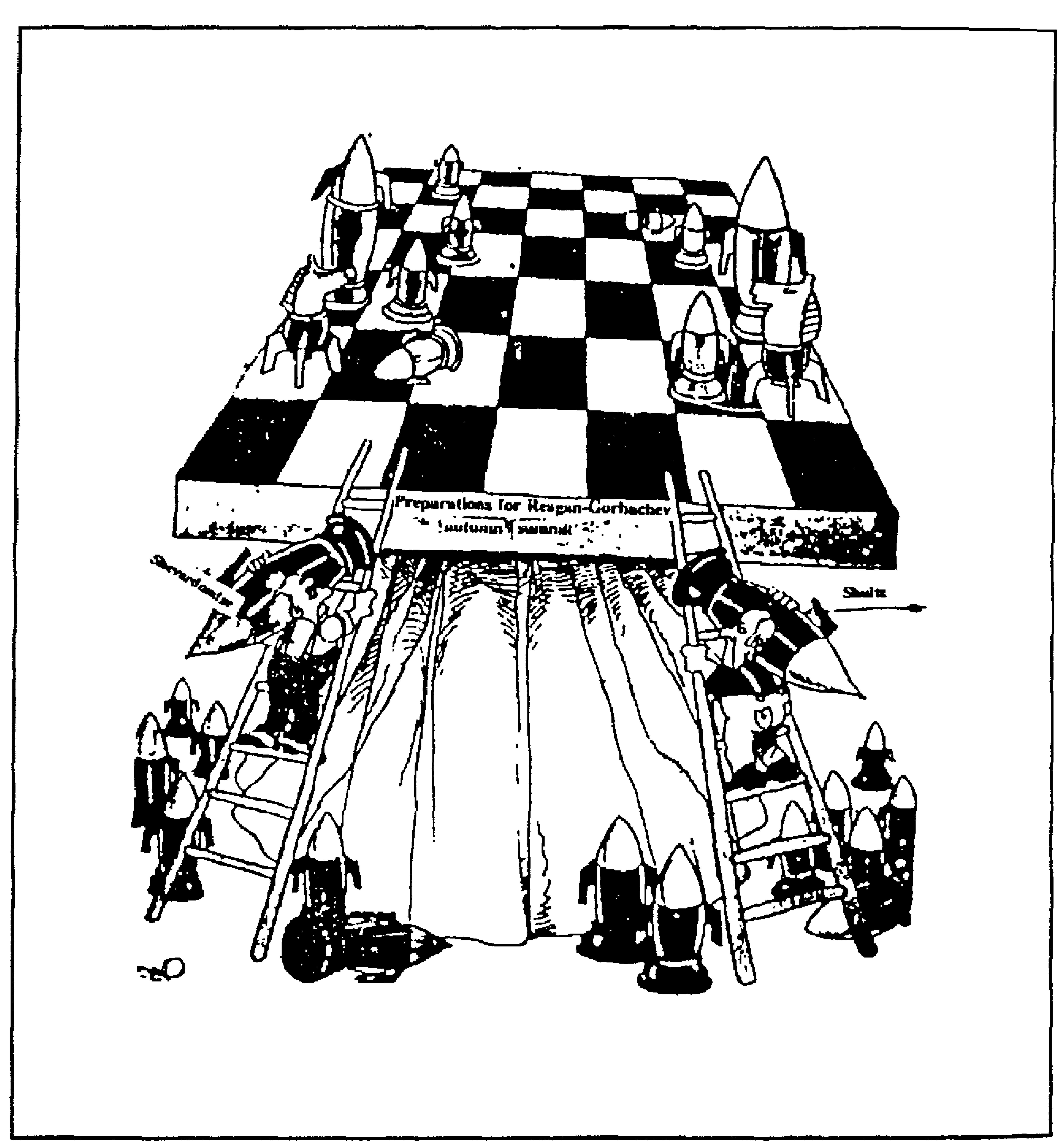
الغالم بالكاريكاتير



عن الشرق الاوسط

الحملات من النكات يجب ان تكون من اولويات القائمين على مثل هذه الامور . ويمكن ان تتبع الخطة نفسها التي تتبع في تطويق الاشاعة واحتوائها من حيث محاولة تحديد المصدر ومتابعتها للوقوف على مروجيها وتوعية الجماهير بخطورة الاستماع اليها او تناقلها لما لها من اثر في لحمة الصف وتماسك الامة .

ولا نجد لهذا الاسلوب (استخدام النكتة او الكاريكاتير) من وصف سوى انها :- «خنجر مسموم يختفي وراء ضحكة غادرة» .



التحضيرات لقمة الخريف ما بين ريجان وجورباشوف

(٧) البلاغات والنداءات

يمكن ان تستخدم الاذاعة كما هو التلفزيون وكذلك مكبرات الصوت والاذاعة الميدانية في اصدار النداءات والبلاغات . والنداءات الموجهة قبل واثناء الحروب تعتبر بلاغات مختصرة قصيرة تأخذ شكل الخطاب المختصر السريع الذي لا يتجاوز السطرين او الثلاثة ولا تحتاج اذاعته بمكبرات الصوت لاكثر من عشرة ثواني . وكما يمكن تسجيلها في مناشير والقائها بالطائرات وغيرها فإن الاصل فيها بثها بالاذاعة او مكبرات الصوت على ان تكون ذات لهجة هادئة وواقعية وهي تستخدم قبل واثناء العمليات ولقد اذاع الروس في السنتين الاخيرتين من الحرب العالمية الثانية ما مجموعه (٧٠٠,٠٠٠) سبعمائة الف نداء تحريضي [١] .

واهداف البلاغات والنداءات

١ ـ دفع جنود العدو إلى الاستسلام ببث اليأس والشك في نفوسهم

٢ ـ تهجير المدنيين وتفريغ المناطق المطموع فيها

٣ ـ بث روح التخلي وعدم الثقة بالقادة والمسؤولين

٤ ـ احداث صدمة نفسية عن طريق ادخال معلومات ذات تأثير الصدمة في البلاغ كالادعاء بمقتل احد القادة او الزعماء .

ومن الامثلة على النداءات القصيرة ما استخدمته اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ عندما وجهت هذا النداء للطيار المصري (ايها الطيار ، تذكر عائلتك قبل ان تركب طائرتك ، هناك صواريخ هوك التي لا تخطىء هدفها) . وأما البلاغات المطولة فمن اشهرها سلسلة بلاغات (قف وفكر) التي استخدمتها اسرائيل في حرب لبنان ١٩٨٢ .

أسس تصميم البلاغ

١ ـ اثارة الانتباه

٢ ـ التكرار

---

(١) موسى زناد . الحرب النفسية . بغداد ، العراق ١٩٨٠ .

٣ ـ مخاطبة الفرد وليس الجماعة لان الفرد يستمد قوة معنوية اذا نسب إلى الجماعة .

٤ ـ اثارة ما يسمى بغريزة القطيع (Herd Instinct) لينساق الفرد وراء ما تندفع اليه الجماعة من عمل سلبي كالفرار والاستسلام

٥ ـ التدرج المنطقي : مقدمات تلزم بنتيجة محدودة

٦ ـ الترغيب والترهيب (الثواب والعقاب)

٧ ـ التوحّد اعتبار الثقافة والتقاليد واللهجة

٨ ـ استخدام بعض الحقائق لبناء الثقة وتحقيق المصداقية كذكر الاشخاص او الاماكن او الارقام .

٩ ـ استغلال الدوافع والحاجات واستثارة المشاعر

١٠ ـ الاستشهاد بالمصادر الموثوق بها

١١ ـ التسلسل في إعطاء تعليمات وأوامر الاستسلام وتوضيح كيفية الاستسلام

١٢ ـ الوضوح والبساطة والايجاز واستخدام الشعارات : كتضمين المطلوب في بيت من الشعر أو في مَثَل يوجز مضمون البلاغ مما يسهل حفظه ونقله . كما يلاحظ في آخر سطر أو عبارة من بلاغ (قف وفكر) التالي والذي سنتبعه بفقرة تهدف إلى «تحليل مضمون» البلاغ وهي ـ أي فقرة تحليل المضمون ـ كانت قد نشرت كمقالة في مجلة الأقصى العسكرية في ذلك التاريخ (١٩٨٢/٦/١٦) علماً بأن تاريخ اذاعة البلاغ كانت في ١٩٨٢/٦/٧ .

بـــــلاغ قـــف وفكـــر

اذيع من اذاعة اسرائيل يوم ١٩٨٢/٦/٧ بيان صـادر عن قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي موجّه إلى العناصر المسلحة في جنوب لبنان

أيها المسلح: قف وفكر !

المعركة تقترب الآن بسرعة من نهايتها المحتومة، قوات جيش الدفـاع الاسـرائيلي تسـيطر الآن على شـبكة الطرق وتـعـمل عـلـى تصفية الجيوب المتبقية من القوات المسلحة في المنطقة

أيها المسلح: قف وفكر !

امامك طريقان للحفاظ على حياتك : -

الاولـــى : ترك السلاح والابتعاد عن منطقة القتال بأسرع ما يمكن.

الثانيـة : الاسـتـسـلام لقوات جيش الدفـاع الاسرائيلي، وفي هذه الحالة ننصحك باتباع مايلي بالحرف الواحد:

إلق سلاحك جـانبـاً وانزع عنك كل مـا تمنطقت به من رصـاص وعتاد، قف في مكان واضح، إرفع يديك ولوح بمنديل ابيض

أيها المسلح :

تذكـران جـيش الدفـاع الاسـرائيلي يـعـامـل اسـراه بـالحُسـنى ويحفظ لهم حياتهم وسلامتهم.

أيها المسلح :

نفذ هذه التعليمات بدقة ولا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه.

تحليل مضمون بلاغ الإستسلام (قف وفكر) : -

من خلال المعارك التي تشنها اسرائيل على جنوب لبنان ، ومن خلال دراسة البلاغات الاذاعية التي توجهها اذاعتها من قيادة جيشها إلى من تدعوهم بالمسلحين في جنوب لبنان ، نحاول ان نحلل هذه البلاغات للتقييم كما يرصدها المعنى بشؤون الحرب النفسية .

وبادىء ذي بدء ثمة مسلمات يجب التذكير بها قبل الخوض في تحليل بلاغات العدو الاذاعية :

١ ـ بالوقت الذي يعمد فيه القتال المسلح إلى تحطيم قدرة الخصم القتالية من تدمير لسلاحه وانهاء قواه البشرية لفرض ارادته فإن الحرب النفسية تهدف إلى تحطيم ارادة القائد وارادة المقاتل مستخدمة وسائل الاعلام والكلمة بأشكالها .

٢ ـ الحرب النفسية مرافقة للحرب العسكرية المسلحة وتستمد مادتها منها وتواكب تطور مراحلها وتكون سابقة لها مستمرة معها وبعدها كذلك حسب المتطلبات

٣ ـ لا يكون للحرب النفسية وللكلمة الموجهة اثر اذا لم يكن لها سند من القتال المسلح فأثر الحرب النفسية يتأتّى من فعالية الضربات المسلحة وأثرها

٤ ـ تستغل الحرب النفسية التكوين النفسي والخلفية الثقافية والنمط الانساني الذي تتعامل معه وتوجه له دعايتها في منطقة ما وكذلك الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية معتبرة الزمان والمكان والمرحلة القتالية فتختار الاسلوب والوسيلة والمضمون المناسب لكل ذلك .

في ضوء هذه المسلمات سنستعرض احد بلاغات العدو الموجهة إلى المقاتلين في جنوب لبنان ثم نحلل البلاغ للوقوف على اسسه النفسية ونكشف ما فيه من مغالطات وزيف لنكون من ثم على بينة من أمرنا عندما نواجَه مستقبلاً بمثل هذه البلاغات .

١ ـ ايها المسلح في جنوب لبنان قف وفكر

٢ ـ المعركة تقترب الان بسرعة من نهايتها المحتومة

٣ ـ قف قليلاً وفكر

٤ ـ ان جيش الدفاع يسيطر الان على شبكة الطرق الرئيسية

٥ ـ ولم يبقَ أمامه سوى جيوبٍ يقوم الآن بتطهيرها .

٦ ـ أيها المسلح قف وفكر : امامك طريقان للحفاظ على حياتك .

٧ ـ الق بسلاحك وابتعد عن المنطقة بسرعة .

٨ ـ او ان تستسلم لقوات جيش الدفاع الاسرائيلي .

٩ ـ وفي هذه الحالة ننصحك باتباع هذه التعليمات بالحرف الواحد .

١٠ ـ الق سلاحك إلى جانبك .

١١ ـ انزع كل ما تحمله مما تمنطقت به من مناطق وعتاد .

١٢ ـ قف في مكان واضح .

١٣ ـ ارفع يديك ولوح بمنديل أبيض .

١٤ ـ أيها المسلح تذكر ان جيش الدفاع يعامل أسراه بالحسنى ويحفظ لهم حياتهم وسلامتهم .

١٥ ـ أيها المسلح نفذ هذه التعليمات بدقة ولا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه .

في تحليل هذا البلاغ الاستسلامي نجد اعلام العدو يركز في حربه النفسية على أسانيد نفسية اجتماعية ثم يستخدم المغالطات المتعمدة ، فبتحليل هذا البلاغ فقرة فقرة نجد مايلي :

١ ـ يستخدم موقف الصديق المنبه بغرض كسب ثقة المستمع مؤكدا على مبدأ نفسي يعتمده البلاغ الموجه وهو جذب الانتباه لما سيقال ثم الطلب إلى السامع الفكير فيه لاهميته .

٢ ـ يفرغ في روع هذا المقاتل في الفقرة الثانية ان المعركة ستنتهي لصالح العدو وهذه أول المغالطات فهو ينزع لبناء هذه المقولة كحقيقة في ذهن المقاتل والمعركة لم تنته بعد مستغلا اسلوب الدعاية التي تبنى على جزء من الحقيقة فهنا المعركة لاشك ستنتهي ، ولكن متى ، ولصالح من ؟ .

٣ – يستخدم واضع البلاغ التكرار لترسيخ ما يقول ولجذب الانتباه اكثر وهي مبادىء نفسية معروفة تستخدم في مثل هذه الوسائل .

٤ ـ يعود للمغالطات فيقرر ان الجيش الاسرائيلي استولى على شبكة الطرق الرئيسية علما بأن تاريخ هذا البلاغ هو اليوم الثالث للمعركة فأي شبكة كان قد استولى عليها حينذاك؟

ثم من المعلوم في حرب العصابات ان احتلال الطرق لا يعني إنتفاء الوجود المسلح الضارب خلف خطوط العدو مع اجتياحه السريع الذي يترك وراثه عادة جيوبا عديدة اعترف بها في الفقرة الثانية ، ومسك الطرق لن يشكل عائق اساسي لقوات متنقلة خفيفة .

٥ ـ يعاود المغالطة حيث من طبيعة حرب العصابات ان ترجع متسللة وراء خطوط العدو لتكيل له الضربات من الخلف متنقلة باستمرار في حرب كر وفر من موقع لاخر لانها ليست جيشا نظاميا يستحكم بمواقع ثابتة نهائية .

٦ ـ يعود بهذه الفقرة لجذب الانتباه ليبني جسراً من الثقة مع مستمعه لينتقل معه بالتدريج من موقف المنبه إلى موقف الناصح كما سنرى بتدريج مقصود مرسوم .

٧ ـ هنا يبدأ العدو بمخاطبة الدوافع الغريزية لدى المقاتل كحب البقاء ليبدأ بمسلمة صحيحة وهي ان حياته مهددة ولكن يباشر باستثمارها ليعود للمغالطة حين يشير له ان حياته هو فقط المهددة ، لأن حياة كل من هو في ساحة المعركة مهددة والدليل مقتل لواء من قادته في المعركة وربما كانت آنذاك أقصر طريق للحفاظ على الحياة هي القتال والاستمرار به حتى القضاء على الخصم .

٨ ـ من كل مغالطاته التي ساقها كمقدمات صادقة يغرسها في ذهن المستمع ينتقل إلى نتيجة يضع المقاتل معها أمام خيارين اولهما الفرار من ساحة المعركة بقصد النجاة مستغلا دافع حب البقاء وظروف المعاناة والخوف والصدمة الاولى لأنه سيعود في بلاغات لاحقه ليتكلم عن استسلام الرفاق الذين يتمتعون بالزاد والماء «بعد أيام من القتال» مستغلا البلاغ الدوافع الاولية للانسان من جوع وعطش وهي كذلك مغالطة لان ظروف المعركة ظروف تشمل كلا الطرفين .

٩ ـ يطرح الخيار الثاني هنا ممهدا لأخذ دور الناصح الامين فهو كما في الفقرات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ على التوالي يزين له الاستسلام ، مكرراً الامر السابق بالقاء السلاح ليثبته في ذهنه كحل وحيد للخلاص ، ويأمره بنزع كل ما يحمل ، ويقف بلا حراك ، ويستسلم نهائياً .

١٠ ـ هنا وقد بات الاستسلام امرا مفروغا منه كما يصوره لهذا المقاتل يعود ليطمئنه على مصيره مؤكدا معاملته الكريمة للاسرى وهو لاشك عكس مقتضيات الاجتياح الهمجي السريع الذي زل به قلم واضح البلاغ عندما قال في مطلعه ان المعركة تقترب بسرعة من نهايتها المحتومة ، ثم يؤكد صراحة ذلك في بلاغ لاحق ليقول ـ انه يجتث من الجذور كل من يحمل السلاح ـ .

١١ ـ يعود الان في الفقرة الاخيرة لينتقل إلى دور الآمر عمليا او امر واضحة محددة يريد للسامع تنفيذها بدقة وبصيغة ـ نفذ هذه التعليمات بدقة ـ مقرنا عدم التنفيذ بالتهديد مما يشعر بكذبه وتناقضه متوهما انه طبق اسلوبا نفسيا متماسكا حين انتقل من مقدمات كاذبة ليقفز إلى نتائج يلزم سامعه التسليم بها وكأنها حقيقة وفقا لمقدماته الخادعة .

نجح واضع البلاغ في اختزال مضمون البلاغ بالعبارة الأخيرة (ولاتكن كالباحث عن حتفه بظلفه) ولكنه فشل في اختيارها بذاتها لأنها ليست مثلاً شائعاً للعّامة ولان في العبارة تعقيد لفظي لصعوبة بعض الفاظه كالحتف والظلف ولأنها استفزازية تقول للمُخَاطَب لاتكن كالحيوان فالظلف ليس للانسان .

ولنا ملاحظات :

١ ـ ان اسلوب تحليل المضمون للبلاغ الاستسلامي وللنشرات والشائعات هو اسلوب مفيد في تبيان مواقع الزلل والمغالطة في هذه البلاغات مما يفرغها من محتواها الزائف ويضعها معراة مكشوفة أمام الحقائق الدامغة مما يفوت على العدو فرصة الافادة من هذه الاساليب بحربة النفسية وهو ما يمكن توعية الجنود أو المواطنين به أولاً بأول .

٢ ـ من اساسيات الحرب النفسية ان نعمد لاستخدام مادة العدو الدعائية في العمليات ـ كهذه البلاغات الاذاعية ـ حينما تساعد على ابراز تناقضات دعايته لتفريغ فعاليتها وضرب أثرها وابطال مصداقيتها . فنجد لدينا مادة جيدة ندلل فيها على اسلوب التضليل الذي ينتهجه العدو في حربه النفسية مما نحبط معه نجاحه .

٣ ـ كضباط وجنود يجب ان تكون لديهم القدرة التحليلية البسيطة لبلاغات العدو ، ونظرة متفحصة للبلاغ تشعر وتكشف مدى الأكاذيب التي يبنى عليها مسلمات ونتائج يريد العدو ان نصدقها ونحن في ساحة المعركة وهو يدلي بهذا كله محاولا ايهام الجندي أنه

يقف وحيدا في معركة هو ـ العدو ـ المنتصر الحتمي فيها ، وان القائد قد تخلى عنه نهائيا مما يهدم الثقة ويزعزعها ما بين الجندي وقيادته ويدخل الشك والريبة بين الجندي وزميله ـ كما في بلاغ يتحدث فيه عن استسلام رفاقه ـ ! .

٤ ـ علينا ان نثق دائما ثقة قوية بمصادرنا الاعلامية ونوقن بأن الحقيقة لا يمكن استخلاصها من اذاعة العدو ووسائل اعلامه لانها تحمل لنا وسائل الانهيار النفسي والتشويش وتحطيم المعنويات بأخبارها الكاذبة وتحريفها للحقائق وهذا لاشك يحمل الاجهزة الاعلامية العربية مسؤولية زرع هذه الثقة زمن السلم لتحصد جناها وثمارها وقت الحرب باتباع الاسلوب الواقعي المعتدل الصادق والمبني على فهم نفسية الجماهير والافراد والدارس لاساليب العدو الاعلامية كاشفا زيفها وتناقضها اولا بأول .

(٨) التخريب النفسي
وافتعال الازمات وإثارة الرعب والفوضى

يهدف هذا الاسلوب إلى التأثير على المعنويات حيث يستخدم اسلوب التوجيه النفسي لخلق اتجاه عام لدى الجماهير في البلد المعادي يدفعها إلى القيام بالاضطرابات وكذلك نشر الذعر والفوضى ومن وسائله طبع العملات المزيفة لاحداث الاضطراب في النظم المالية واصدار الصور والوثائق المزيفة لتزوير الحقائق وكذلك نشر الشائعات التي تؤدي إلى خلق الخوف المستمر والذعر بالإضافة إلى نشر الاراء المضللة من اجل زعزعة الثقة بالحكومة والشك فيها وتقوية الخلافات والمباعدة ما بين فئات الشعب وبين الشعب والسلطة وبين العسكريين والمدنيين .

كما تستخدم الشائعات المغرضة من اجل ارهاب السكان وادخال الرعب في نفوسهم والقضاء على معنويات القوات المعادية مما يجبر الدولة المستهدفة إلى بذل الجهود والامكانات وتسخير جزء من قواتها واهدار اوقاتها الثمينة للقضاء على كل تلك الاجراءات المتلاحقة حيث تتضافر بآثارها التدميرية إلى اظهار عجز الدولة عن صيانة الامن في البلاد واقناع الرأي العام بوجود معارضة شعبية ضد السلطات مما يهيء الفرص لتحقيق الاهداف الحربية .

(٩) استعراض القوة وعرض الاسلحة

ويقصد بهذا الاسلوب استعراض قوة الالة العسكرية للدولة من طاقات بشرية ومعدات عسكرية لارهاب العدو وتحطيم معنوياته وزعزعة ثقته بنفسه وفتح مكة يعتبر مثالا جيداً في استخدام هذا الاسلوب وذلك عندما امر الرسول ﷺ الكتائب بالمرور من أمام أبي سفيان حيث كان محتجزاً بما فيها الكتيبة الخضراء وهي كتيبة الرسول ﷺ ليعود إلى قريش فيخبرهم بقوة الجيش الذي لا قبل لهم به مما ثبط من معنوياتهم وهيأ اسباب النصر .

كما تستخدم الاسلحة التي يستولى عليها من العدو كاسلوب فعال لكشف ضعف العدو والحط من عزائمه ورفع معنويات قواتنا كما حدث في معركة الكرامة عام ١٩٦٨ عندما عُرضت الاسلحة الاسرائيلية من دبابات وآليات في ميادين العاصمة عمان .

(١٠) تشويه الشخصية [١]

يمكن الرجوع في هذا الموضوع وللأطلاع على نموذج منه إلى الفصل الرابع (الحرب النفسية الاسرائيلية) فقد أفردنا موضوعاً خاصاً لذلك .

---

(١) للمؤلف كتاب متكامل في هذا الموضوع عنوانه (الإسلام فوبيا : عقدة الخوف من الإسلام) حيث يُستخدم اسلوب التشويه ضمن حملات الغزو الفكري للتركيز على ما يُعرف بالإسلام فوبيا وتشكيل عقدة الخوف من الإسلام والمسلمين في الغرب والعالم أجمع . يصدر عن دار الفرقان - عمّان .

الفصل الثالث

وسائل الحرب النفسية

أولاً. الوسائل المسموعة والمرئية:

أ - الاذاعة

ب - التلفزيون

جـ - السينما

د - أشرطة الفيديو

هـ - أشرطة الكاسيت

و - مكبرات الصوت

ز - وكالات الانباء

ثانياً. المواد المطبوعة:

أ - الكتب

ب - الصحف والمجلات

جـ - النشرات

د - المناشير

ثالثاً. المواد المصورة والمرسومة:

أ - الملصقات واللافتات

ب - الصور الفوتوغرافية

جـ - الكاريكاتير

د - الدعاية المرئية (النيون والرسوم الفسفورية)

هـ - الخرائط والاشكال البيانية والمخططات والمجسمات

و ـ الوسائل الالكترونية الحديثة

رابعا. الاتصال المباشر:

أ - الاتصال الشخصي

ب - التمثيل المسرحي

جـ - الطابور الخامس

د - الأسرى

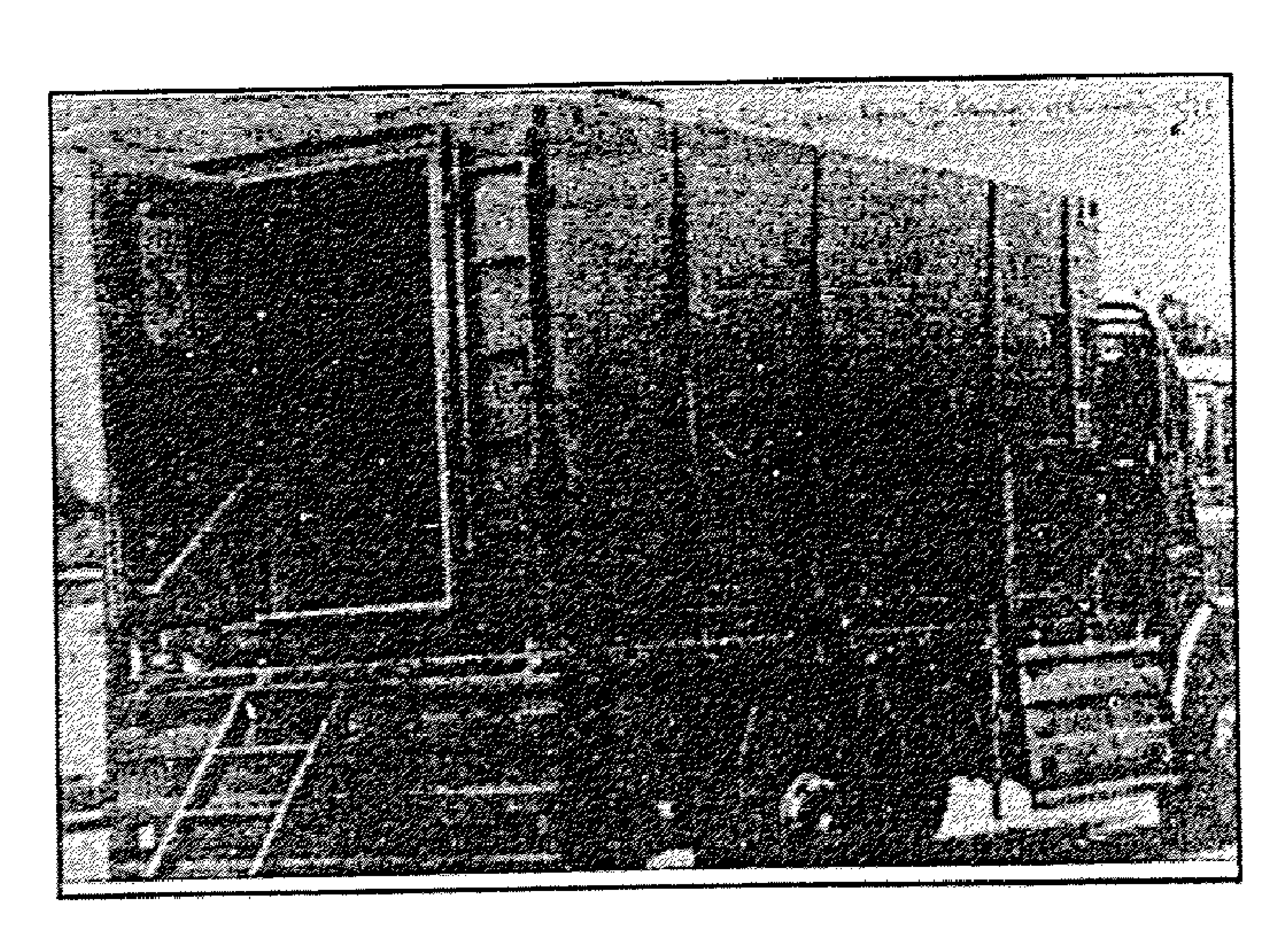
الفصل الثالث

وسائل وادوات الحرب النفسية

أولاً : الوسائل المسموعة والمرئية :

أ ـ الاذاعة :

وتعتبر الاذاعة من ابرز الوسائل لتميزها بسرعة النشر واتساع الاستخدام وسهولة الفهم حيث لا تعتبر الامية حائلا دون ذلك كما تتميز بالقدرة على تكوين عادة الاستماع خاصة اذا استخدم المذياع بحيث يأخذ في الاعتبار نظام الحياة التي يعيشها المجتمع ويستخدم المذياع في الحرب النفسية الاستراتيجية لتحقيق الاهداف على المدى الطويل حيث يعمل على احداث تغيير تدريجي في الاتجاهات كما يستخدم في المجال التعبوي من خلال محطات الاذاعة المتحركة التي توضع في الاماكن الامامية بحيث يمكن استقبال برامجها بسهولة من قبل الجماعات المستهدفة ومن الضرورة بمكان انتظام البث بحيث يمكن خلق انماط استماع اعتيادية مما يهيء اجتذاب جمهور من المستمعين كذلك اعتماد عملية اعادة البرامج وتكرار البث لضمان استماع الجمهور لها كما يجب مراعاة البرامج لتتلائم مع حاجات واذواق المستمعين .



محطة اذاعة متنقلة توضع في الخطوط الامامية

ب ـ التلفزيون :

يمتاز التلفزيون كذلك بجاذبيته وقدرته التوجيهية وباشراكه أكثر من حاسة مما يرسخ المواضيع المطروحة . وهو اكثر الوسائل الفة وقبولاً لدي الجماهير وهو كالاذاعة من حيث اقتناصه الفرص واستغلال الظروف مما يضفي على برامجه طابع التأثير الفوري .

جـ ـ السينما :

وهي كالتلفزيون من حيث توفر عناصر الصوت والصورة والحركة والالوان الا انها لا تتميز بالفورية من جهة ولا بالشمولية او سعة الانتشار رغم ان اثرها يعتبر كبيراً لتناولها فكرة واحدة لمدة طويلة من جوانب مختلفة فهي من الوسائط الفعالة في خلق رأي عام مؤيد من الطراز الاول خاصة بعرضها افلام الدعاية وقد استخدم العدو الصهيوني هذه الوسيلة على نحو واسع لكسب الدعم والتأييد لوجهة نظره ولتحقيق اغراض اخرى كثيرة [١] .

د ـ اشرطة الفيديو :

وهي تسهل المهمة من حيث تسجيل البرامج المعينة وبثها اكثر من مرة على جمهور مقصود بغية الاقناع والاشرطة تحل مشكلة اعادة بث البرامج التلفزيونية .



جندي يراقب برنامجاً تلفزيونياً موجهاً للعدو

(١) ارجع إلى موضوع (تشويه الشخصية العربية الإسلامية) في هذا الكتاب حيث تجد العديد من الأمثلة على ما عُرف بالسينما الصهيونية أي الأفلام السينمائية الدعائية التي كانت تعمل على تحقيق اهداف تلك المنظمة وما زالت .

هـ ـ اشرطة الكاسيت :

وهي تؤدي غرضاً هاماً وتحقق هدفاً كبيراً في مجال الاقناع وتشكيل الاتجاهات وصياغة الرأي العام نظراً لقدرتها الفائقة على الوصول إلى كل بيت ومؤسسة وقد اتضح مثل هذا الاثر موخراً في الثورة الايرانية حيث عرفت (بثورة الكاسيت) كما دعتها الصحافة .

و ـ مكبرات الصوت **Loudspeakers** :

الصوت أداة معنوية فعالّة ، وقد استخدمت الاصوات في القتال لاحداث التأثير المعنوي على المقاتلين منذ قدم الزمان وما زالت القبائل البدائية تستخدم ذلك حتى اليوم . يقول القائد الصيني (صن تزو) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد في كتابه (فن الحرب) : «تستخدم الطبول والمشاعل ليلاً في القتال ، وتستخدم اعداد كبيرة من الأعلام في النهار لترتبك عيون العدّو وآذانه» .

استبدلت في الحروب الحديثة الطبول بمكبرات الصوت ، وبدلاً من الاصوات المبهمة استخدمت الوسائل الاذاعية وتلك المسجلة على الأشرطة وكذلك النداءات والبلاغات والبيانات ذات المضامين النفسية وكلها تذاع من خلال مكبرات الصوت التي يمكن ان تُرافق بأشكال اخرى كالمناشير ، والصور والملصقات والنشرات .

ومكبر الصوت Loudspeaker هو جهاز صوتي كهربائي يستخدم عادة في بث القدرة الصوتية ونشرها لمسافات كبيرة في الهواء . وتستخدم عادة كوحدات في المواقع الامامية وتعمل بصورة ذاتية حيث تباشر البث الصوتي بالتزامن وعلى نحو ينسجم مع البث الاذاعي المتحرك . بل ان وحدة مكبرات الصوت يمكن ان تستخدم برامج محطة البث الاذاعي المتحركة على عربات او برامج محطة البث الثابتة . وهذا يجعلنا ندرك ان الصوت والرسالة الصوتية تستخدم بالإضافة إلى مكبرات الصوت وهي موضوع حديثنا ، تستخدم كذلك محطات البث الاذاعي في العمليات النفسية سواء كانت محطات ثابتة في موقع محدد او محطات متحركة منقولة على عربات واللتان تقومان بأعمال الدعاية اللاسلكية في مختلف الانظمة وعلى مختلف الموجات .

تُحمل عادة مكبرات الصوت من قبل الجنود المخصصين لهذا العمل او تثبت على أعمدة قريبة من قطعات العدو لمخاطبة تلك القطعات وايصال الرسالة الصوتية إلى المقاتلين في

الجانب الآخر ، كما تثبت مكبرات الصوت على العربات المخصصة لهذا الغرض وعلى السيارات العسكرية (كاللاندروفر) وكذلك على الدبابات والناقلات المصفحة وعلى الطائرات والحوامات (الطائرات المروحية) المزودّة بحاملات مكبرات الصوت الضخمة والقوية وذلك لتوجيه الدعاية الصوتية .

والرسالة الصوتية تحمل مضامين كثيرة فهي كما تدعو المقاتلين إلى الاستسلام او ترك المنطقة وللقضاء على معنوياتهم عن طريق ارهابهم وبث الذعر في نفوسهم ، فإنها توجه إلى المدنيين والسكان المقيمين في المناطق القريبة من ميادين القتال وذلك لتحقيق اهداف مختلفة كالحد من تعاونهم مع المقاتلين وعدم التدخل لدعم اعمال الجنود القتالية ، او لدعوتهم إلى التمرد والعصيان والمقاومة او لاخراجهم من المنطقة ، وتهدف الرسالة الصوتية بشكل عام إلى زعزعة المعنويات وبث الفرقة ونشر الاخبار المحطمة للهمم والاشاعات التي تفتك بأسباب الصمود والثبات او تلك المضامين التي تثير مشاعر الحنين للوطن مما يكون له تأثير فتاك على المعنويات والثبات .

واذ تمتاز الرسالة الصوتية عبر مكبرات الصوت بالمقدرة الفذّة على التجاوب مع الوضع التكتيكي ومع ظروف العمليات القتالية المتغيرة أسرع من أي وسيلة أخرى ، فإنه يؤخذ عند وضعها اعتبارات جَمّة تهدف كلها إلى أن تجعل منها رسالة قصيرة مُبسّطة مقُنعة محددة باعثة على التصديق وسهلة الفهم بالوقت نفسه .

ويحتاج المشتغلون بهذه الوسيلة إلى من يقوم بالاعداد السريع لتلك الرسالة بحيث اذا كان الهدف منها مخاطبة جنودنا لرفع معنوياتهم ومن ثم تحسين مستوى الاداء القتالي فإنها تصاغ بأسلوب ولغة غير الأسلوب واللغة التي قد نضطر إلى مخاطبة قوات العدو فيها ، ولذلك فإن الظروف القتالية والجهة المستهدفة تُحدّد باستمرار الاسلوب واللغة والمضمون الدعائي المستخدم وغالباً ما يستخدم مع فريق مكبرات الصوت مترجم أو يُستغنى عن المذيع ليكون هو نفسه مترجماً ومذيعاً بالوقت نفسه وفي كل الاحوال لابد من جود رئيس فريق متخصص وذكي يقوم باعداد الرسالة الصوتية مضموناً وشكلاً واسلوباً ، حسب الجهة المستهدفة والظرف القتالي مع الظروف المؤثرة الاخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
أما الجهة المستهدفة فيؤخذ في الاعتبار ظرفها الحالي - في ذلك الوقت بالذات - موقفها من القتال الدائر ، عاداتها وتقاليدها ولغتها ، وضعها النفسي ، وضعها الاقتصادي والسياسي

والاجتماعي . . . الخ تلك المتغيرات والتي تختلف من مجموعة إلى اخرى ومن منطقة إلى أخرى .

وتمتاز الرسالة الصوتية واستخدام مكبرات الصوت بميزة فريدة وهي القدرة على رصد ومعرفة ردود الفعل المباشرة للرسالة الموجهة . فبالمراقبة يمكن التعرف على الاستجابة المباشرة ومن ثم يُصار إلى تعديل الرسالة حسب تلك الاستجابات المشُاهده وهذا لا يتهّيء في الاعم الاغلب لأي وسيلة اخرى . بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفاً من تميزهّا بالقدرة على التجاوب مع الاوضاع التكتيكية وظروف العمليات القتالية المتغيّرة .

لهذا كله لا تستغني أي جهة تعمل في مجال الحرب النفسية عن إفراد فريق خاص يعمل جنباً إلى جنب مع القوات المقاتلة هو فريق مكبرات الصوت .

وتستخدم مكبرات الصوت في جميع الحروب الحديثة تقريباً على النحو الذي بينّاه آنفاً ، وقد استخدم العدو الصهيوني في العام ١٩٦٧ مكبرات الصوت على جميع الجبهات العربية تقريباً ، وقد أقامت على طول شاطىء قناة السويس جداراً من مكبرات الصوت عادت واستبدلته بجدار من القلاع والخنادق والحواجز عُرفَ بخط بارليف فيما بعد .

كما استخدمت امريكا مكبرات الصوت في الحرب الكورية في اوائل الخمسينات من هذا القرن حيث كانت توجّه موجات من الرسائل الاعلامية عبر هذه المكبرات مطالبة الكوريين الشماليين بالفرار إلى كوريا الجنوبية وقد تبين للقائمين على ذلك البرنامج ان الجنود المُخَاطبين كانوا يهاجمون بعنف أشد عقب كل موجة ارسال عبر مكبرات الصوت كما تبين أن تلك الهجمات الضارية كانت تخمد كلما ساد الصمت . فأدرك الامريكيون فيما بعد أن الاصوات المضُخّمة من مكبرات الصوت كانت تستثير اعصاب الجنود في كوريا الشمالية لأن اساسيات التدريب القتالي كانت تقوم على القتال الصامت والحركة الانسيابية الهادئة ولغة التفاهم والاتصال فيما بينهم في الخطوط الأمامية كانت تعتمد الاشارات والايماءات ، فكانت مكبرات الصوت (تشوّش) ذلك النمط التكويني التدريبي العقلي الراسخ في العمليات القتالية والعسكرية وتلك العادات المتُعَلمة الثابتة مما ينجم عنها عكس ما هو مطلوب وعليه ، فكأي وسيلة نفسية اخرى يتوجب دراسة الجهة المستهدفة دراسة دقيقة حتى نستخدم معها الاسلوب الامثل عبر الوسيلة والاداة الامثل . وكما سبق وذكرنا فإن قياس ردة الفعل والاستجابة على مكبرات الصوت اسرع وادق مما يجعل القائم عليها يُعيد

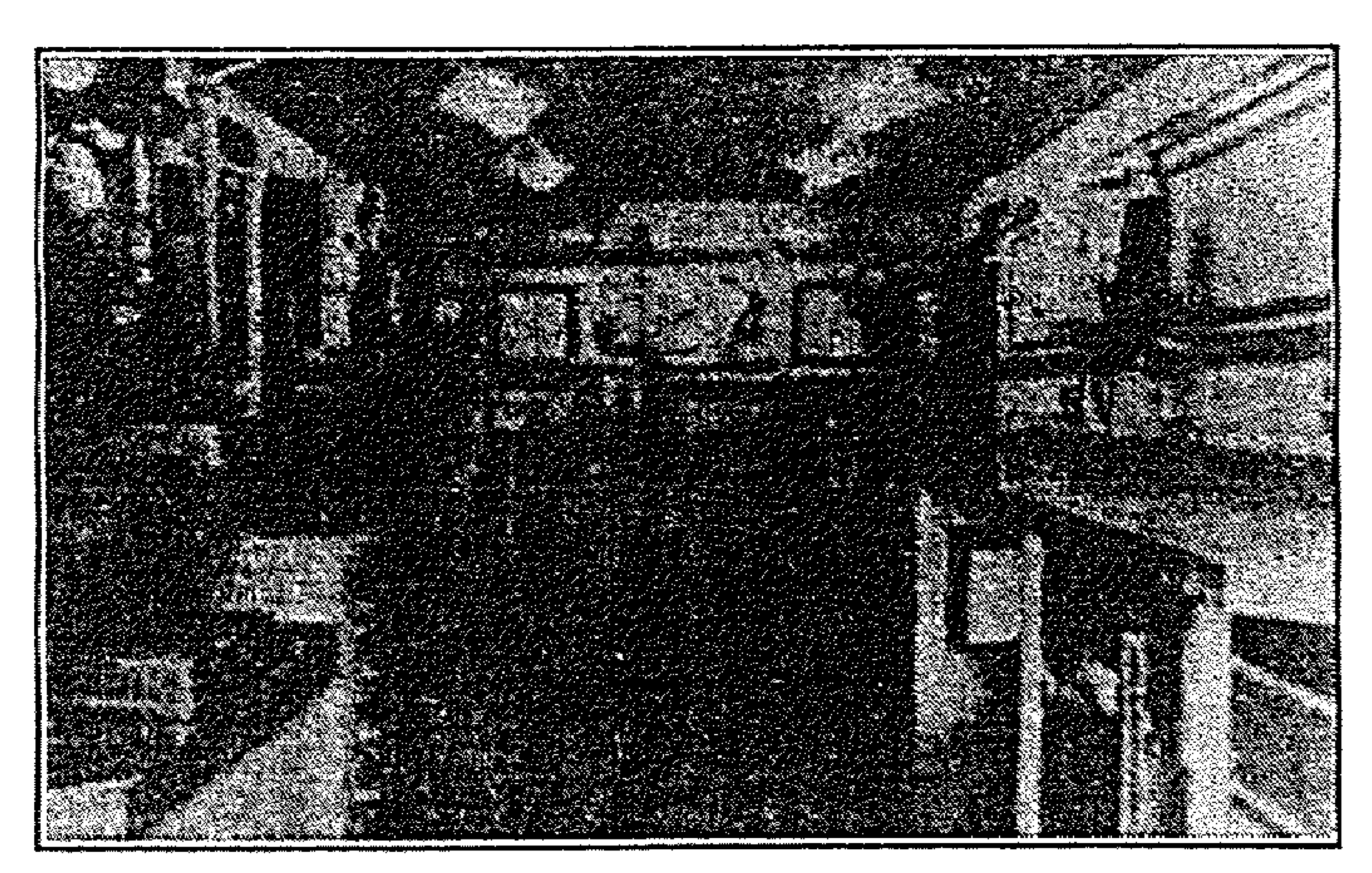
النظر في اجراءاته وذلك ما فعله الأمريكيون .

وقد استخدمت امريكا مكبرات الصوت المحمولة على الطائرات فسُمّيت (طائرات الصوت) وذلك في منطقة المحيط الهادي فوق اليابان . كما استخُدمت المكبرات كذلك أثناء انزال الحلفاء لقواتهم في النورماندي .

كما استخدم الاتحاد السوفياتي مكبرات الصوت فقد أذاع مجلس الدعاية السوفياتية العسكرية في السنتين الأخيرتين من الحرب العالمية الثانية عبر مكبرات الصوت ٣٠٠ ألف خطبة دعائية و ٧٠٠ ألف نداء تحريضيي .

ز ـ وكالات الانباء :

تلعب الانباء دورها من خلال تمرير الاخبار وتوجيهها من خلال التحليلات والتقارير للمراسلين مما يخدم الهدف الذي ترمي اليه فهي تسمح وتحجب او تؤكد وتكرر مما يكون لها اثر كبير في التأثير على او تشكيل الرأي العام وقد وجدنا ما يقرب من ثلاثة عشر شكلاً من أشكال التدخل (أو التلاعب) الإعلامي [1] . كالنشر مع التعليق ، أو النشر مع التحليل ، والنشر مع اللقاءات ، والتعليق التالي للنشر ، والنشر مع الزيادة ، والنشر مع الحذف ، والنشر المتكرر ، وتقديم (تبكير) النشر ، أو تأخير النشر ، والنشر كجزء من حملة إعلامية ، والنشر من



ورشة كاملة لاصلاح الاجهزة الخاصة بالطباعة
المواد المطبوعة (الكتب ، الصحف والمجلات ، النشرات والمناشير) :
من وسائل الحرب النفسية

(١) مصطفى الدباغ . الإقناع فن أم حرب ؟ دار الإسراء ، عمان ، ١٩٩٧ . الصفحات ٤٢ ـ ٥٢ .

خلال صورة ذهنية سابقة ، والتعتيم الإعلامي (عدم النشر) وأخيراً اختلاق (وفَبْركَة) الأخبار الملفقة .

وما يَصْدُق على وكالات الأنباء في التلاعب الإعلامي يصدق على أشكال النشر الأخرى كالاذاعات والصحف .

ثانياً : المواد المطبوعة

تمتاز المطبوعات بقدرتها على ترسيخ الافكار لتمكن الاشخاص من الرجوع اليها باستمرار وبقدرتها على معالجتها المواضيع الطويلة المعقدة كما ان مواضيعها تخضع للتحليل الدقيق وتنتقل من شخص لآخر دون تشويه او تحريف رغم محاذيرها من حيث صعوبة وسرعة الانتشار ومحدوديته .

أ ـ الكتب :

تقدم الكتب معلومات مفصلة وافية يمكن الرجوع اليها باستمرار وتقدم المواد المراد تمريرها عبر اشكال مختلفة في الكتب من مقالات وقصص ومسرحيات وشعر .

ب ـ الصحف والمجلات :

استخدمت الصحافة منذ القديم لاغراض الاعلام الحربي كصحيفة القصر الفرعونية وصحيفة الحوادث اليومية في عهد الرومان وكانت الصحافة من اسباب انهيار الجيش الايطالي في جبهة (كوربريتو) في الحرب العالمية الاولى [1] وخسارة حوالي ربع مليون جندي ما بين قتيل وجريح واسير .

ومن مزايا الصحافة المرونة والفورية وسهولة الوصول من حيث النشر والتوزيع على قطاع واسع وتعرض موادها بشكل مباشر او غير مباشر بالتحليلات والتعليقات او النقل عن مصادر اخرى لتظهر بمظهر المحايد وهي كوكالات الانباء تلعب الصحافة دورها بالتركيز على موضوع او تجاهله وثمة شروط يجب اخذها بالاعتبار :

أ ـ ان تكون المواضيع الصحفية مرتبطة بقضايا الجماهير الهامة فتعالجها بلغة تتناسب مع عقليتها وثقافتها .

---

(١) موسى زناد . المرجع السابق نفسه ص ٥٦ .

ب ـ التوازن بحيث تغطي مواضيع الصحف والمجلات معظم اهتمامات الافراد .

جـ ـ التكيف مع الظروف ففي زمن الحرب تزداد الحاجة إلى السرعة في نشر الاخبار وعرض الاحداث مع التعليق عليها .

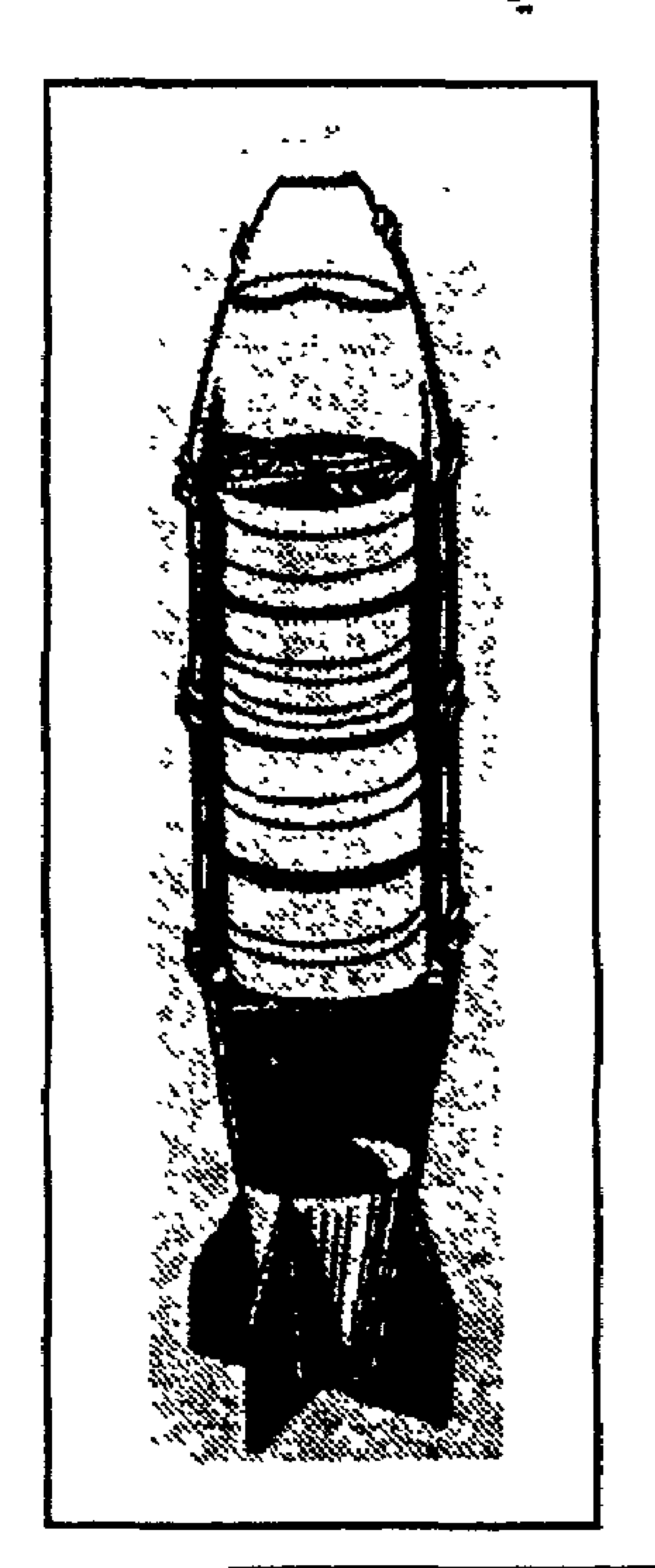
جـ ـ النشرات :

وهي النشرات المتخصصة التي تصدر عن هيئات مستقلة وتعالج موضوعاً واحداً معالجة وافية او جانباً من موضوع او جملة مواضيع تحت عنوان رئيسي جامع وبسبب من التخصص والخبرة فإنه تتوفر فيها المصداقية . ترسل النشرات احيانا في البريد لاشخاص معينين بالاسم والعنوان ويمكن للجهة المرسلة الحصول على العناوين من الصحف او دليل الهاتف وغيرها من المصادر حيث تختار عينات مثقفة لا ثرها الواسع في قطاعات الجماهير .

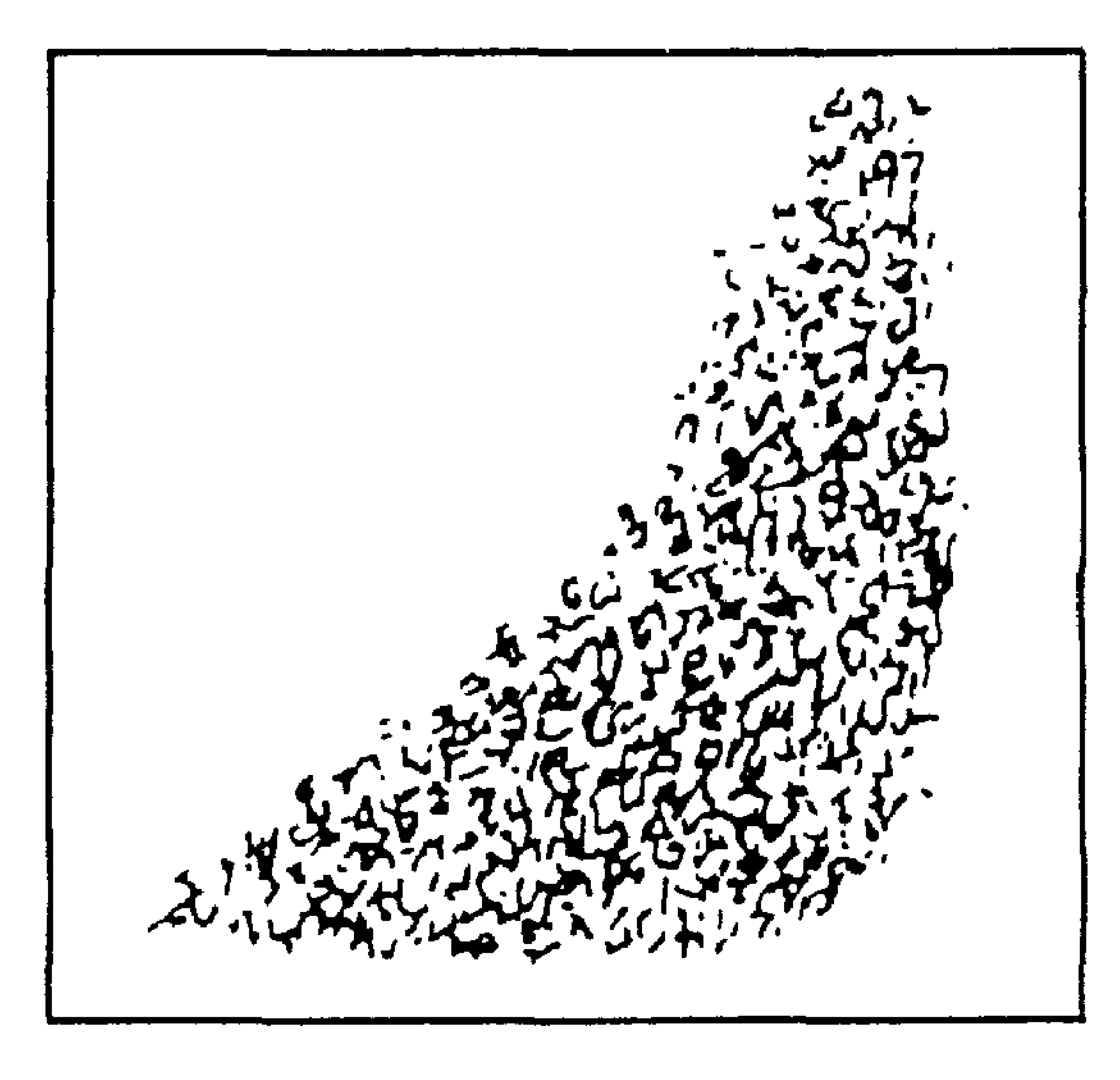
د ـ المناشير [١] .

في مجال العمل الاعلامي الدعائي النفسي ، وهو ما اصطلح على تسميته بالحرب النفسية ، تعتبر (المناشير : Leaflets من ابرز الوسائل المستخدمة .

والمناشير هي (أداة) تُمرّر من خلالها (رسالة) نرغب في ايصالها إلى (الهدف) . وهذه



قذيفة مناشير



غيمة من مناشير تستقر على الارض

(١) نشر في الاقصى العدد ٧٦٠ تاريخ ١٩٨٥/١٢/٢٥

الأداة هي عبارة عن رسالة مصورة تطبع على قصاصة من الورق قياسها الأمثل ٧,٥ × ١٥سم والرسالة غالباً ما تكون مادة اقناعية . بمعنى اننا نريد من الهدف ان يقتنع بمضمونها الذي نعرضه بطريقة منطقية لهذه الغاية ، كما قد تكون مادة إعلامية نريد من الهدف أن يطلع من خلال مضمونها على معلومات محددة والتي نعرضها على نحو تتحدث الحقائق فيه عن نفسها بنفسها ، كما قد تكون مادة الرسالة توجيهية نسعى من خلالها إلى دفع الهدف للقيام بعمل أو سلسلة أعمال محددة تخدم أغراضنا وأما الهدف فهو الجهة التي نريد لهذه الرسالة أن تبلغها وأن تصل اليها وهي إما أن تكون قطعات العدو وإما أن تكون قطعاتنا نحن كما قد تكون ـ هذه الجهة ـ المدنيين من كلا الجانبين مما تستدعي الظروف استخدام المناشير لتبليغهم الرسالة المطلوبة .

واستخدام المنشور يمكن ان يأخذ أشكالاً عديدة ويسمى حينذاك باسم الغرض المستخدم من أجله حيث يوجد ثلاثة أنواع :

١ ـ المنشور النموذجي : وهو ذلك المنشور الذي يجهز لحين الطلب ويصلح لكافة الاغراض تقريباً ولكافة العمليات المتوقعة .

٢ ـ المنشور الطارىء : وهو الذي يجهز لعمليات مخطط لها مسبقاً ويصلح لأغراض تلك العمليات بالذات ويخدم مراميها بالتحديد .

٣ ـ المنشور الخاص : وهو الذي يجهز عند وقوع عملية محددة او حالة خاصة فيتم عمله وفقاً لما تتطلبه تلك الحالة وليخدم اغراضها .

ولا يخفى علينا ان المنشور يستخدم في حالتي الهجوم والدفاع فهو اما ان يفرض قناعة معينة واما انه يريد أن يزيل أثر قناعات سابقة .

وفي اعداد المنشور نتوخى الأسس النفسية العامة التي نحرص على الأخذ بها واعتبارها عند تجهيز أي وسيلة نفسية كالبساطة والوضوح ، والايجاز والتدرج المنطقي ، والتقمص (اعتبار الثقافة واللهجة والتقاليد للهدف) ، واستغلال الدوافع والحاجات وغيرها من المبادىء ، كما نحرص على أن نظل ضمن قوانين الدعاية المعروفة (التحويل ، التكرار ، الاجماع ، التبسيط ، التغليط) بالإضافة إلى ما يقتضيه المنشور والعملية وايقاع الاحداث والظروف وباختصار يجب ان تكون المناشير معبرة ، واقعية ، وموضوعية ومثيرة للاهتمام .

وأما توزيع المنشور فثمة أساليب معروفة عنها :

١ ـ التوزيع السطحي : وهو توزيع المناشير عن طريق فرق خاصة او عن طريق الجنود أنفسهم ونشرها في المنطقة المطلوبة .

٢ ـ توزيع أرض ـ أرض : وذلك بقذف المناشير بواسطة المدفعية وهذه الطريقة تؤمن توزيعاً أوسع من الطريقة الاولى وتستخدم القذائف الدخانية لهذا الغرض .

٣ ـ توزيع جو ـ أرض : وذلك بالقاء المناشير من الطائرة حيث تؤمن هذه الطريقة توزيعاً أوسع من الطريقتين السابقتين ، وهنا تستخدم أساليب عدة فاما أن تلقى المناشير من الطائرة بقذائف محشوة بها (قنبلة مناشير) حيث يمكن تجهيزها بواسطة فتيل توقيت على ارتفاع محدد عند اطلاقها او ان تلقى بصناديق من ارتفاعات معتدلة وتسمى هذه الطريقة (بالطريقة العنقودية) ، أو أن تنثر من الطائرة باليد اولاً بأول فوق المنطقة الهدف وتستخدم هذه الطريقة من ارتفاعات منخفضة وهي تعطي المجال للنشر المتواصل وتغطية مناطق كبيرة .

٤ ـ التعويم المائي عن طريق استخدام الحوافظ البلاستيكية ، والتي تهدف لإيصال المناشير إلى القوات المتواجدة على الشواطيء أو الضِفاف الأخرى .

ويؤخذ في عملية التوزيع اعتبارات كثيرة كالهواء (وخاصية الديناميكيا الهوائية) والرطوبة والارتفاع (في حالة استخدام الطائرة) ، ومنطقة الهدف : حجمها وبعدها ، وهل هي مدينة (مسكونة) ام منطقة جرداء ، وفي حالة كونها مدينة يؤخذ بالاعتبار المباني والكثافة السكانية .

كذلك يؤخذ المنشور نفسه في الاعتبار من حيث الحجم والشكل والوزن ووسيلة هبوط المنشور وعوامل الانجراف فكل ذلك ذو أهمية كبرى في اعداد المنشور لبلوغه الهدف المطلوب وتغطية المنطقة المطلوبة بالاعداد المرغوب بها تماماً حتى لا يضيع الجهد عبثاً .

ولا شك أن المنشور قد يرافق باساليب اخرى كالبلاغات الاذاعية ، او النداءات من خلال مكبرات الصوت وغيرها وذلك تحقيقاً للهدف من العملية على اكمل وجه واتم شكل .



أيها الجندي : أسرتك بإنتظارك

إرجع اليهم : فقد بقيت الآن وحيداً تواجه مصيراً محتوماً بعد أن فر واستسلم قادتك ، وكل ما زعموه هو باطل ولم يتقيدوا هم انفسهم به .

إرجع إليهم : فاقاربك وابناء بلدك يبنون مستقبلاً زاهراً لهم ولابنائهم وينعمون بالحياة الهانئة ، وقد حان دورك انت ايضا لتفكر في مستقبل اسرتك وابنائك .

إرجع اليهم : فمن يؤمّن لاولادك لقمة العيش ؟ اسرتك في شوق اليك ، كما أن عرضك وشرفك بحاجة اليك وأنت تعرف نتائج الغياب الطويل عن الاسرة .

إرجع اليهم : وتذكر حياة الآمنين الذين ينعمون بالهدوء والاستقرار في منازلهم واعلم ان النجاة فرصة لا تتكرر ، وأن العاقل من اتعظ بغيره .

الان . . . لا تتردد . . . إرجع اليهم

(طبع خصيصاً لغايات التدريب)

منشور تدريبي والشكل يُمثّل وجهي المنشور

نموذج منشور اسرائيلي في معركة الكرامة

الاذاعة الاسرائيلية (لغة عبرية)

الساعة ٢٠٠

١٩٦٨/٣/٢١

نص المنشور الذي القي في معركة الكرامة بتاريخ ١٩٦٨/٣/٢١

يا سكان المنطقة عليكم ان تتعاونوا مع قوات جيش الدفاع الاسرائيلي ، ليس لنا ضدكم اي شيء ولا نتعرض لأي شخص لا يتعرض لنا وحتى لا يصيبكم اي مكروه يجب عليكم ان تنفذوا بدقة جميع التعليمات التالية :

اولاً : ادخلوا فوراً إلى داخل بيوتكم .

ثانياً : على الذين بحوزتهم سلاح ان يضعوه خارج بيوتهم .

ثالثاً : اغلقوا ابواب ونوافذ بيوتكم .

رابعاً : اجلسوا بهدوء في بيوتكم وانتظروا حتى تتلقوا تعليمات اخرى من جنود جيش الدفاع الاسرائيلي .

خامساً : عندما تقدم لكم معلومات اخرى نفذوها بدقة . ولن يصيب احداً منكم ومن ابناء عائلاتكم اي مكروه .

سادساً : كل من يطلق النار باتجاه جيش الدفاع الاسرائيلي يعرض حياته للخطر .

سابعاً : تذكروا ان ليس لنا ضدكم اي شيء وحتى لا تصابوا بأذى نفذوا بدقة كل ما جاء في هذه التعليمات .

قيادة قوات جيش

الدفاع الاسرائيلي

إذا أردت المحافظة على حياتك

ع الآتي:

. من فضلك إسحب مخزن الذخيرة من سلاحك.

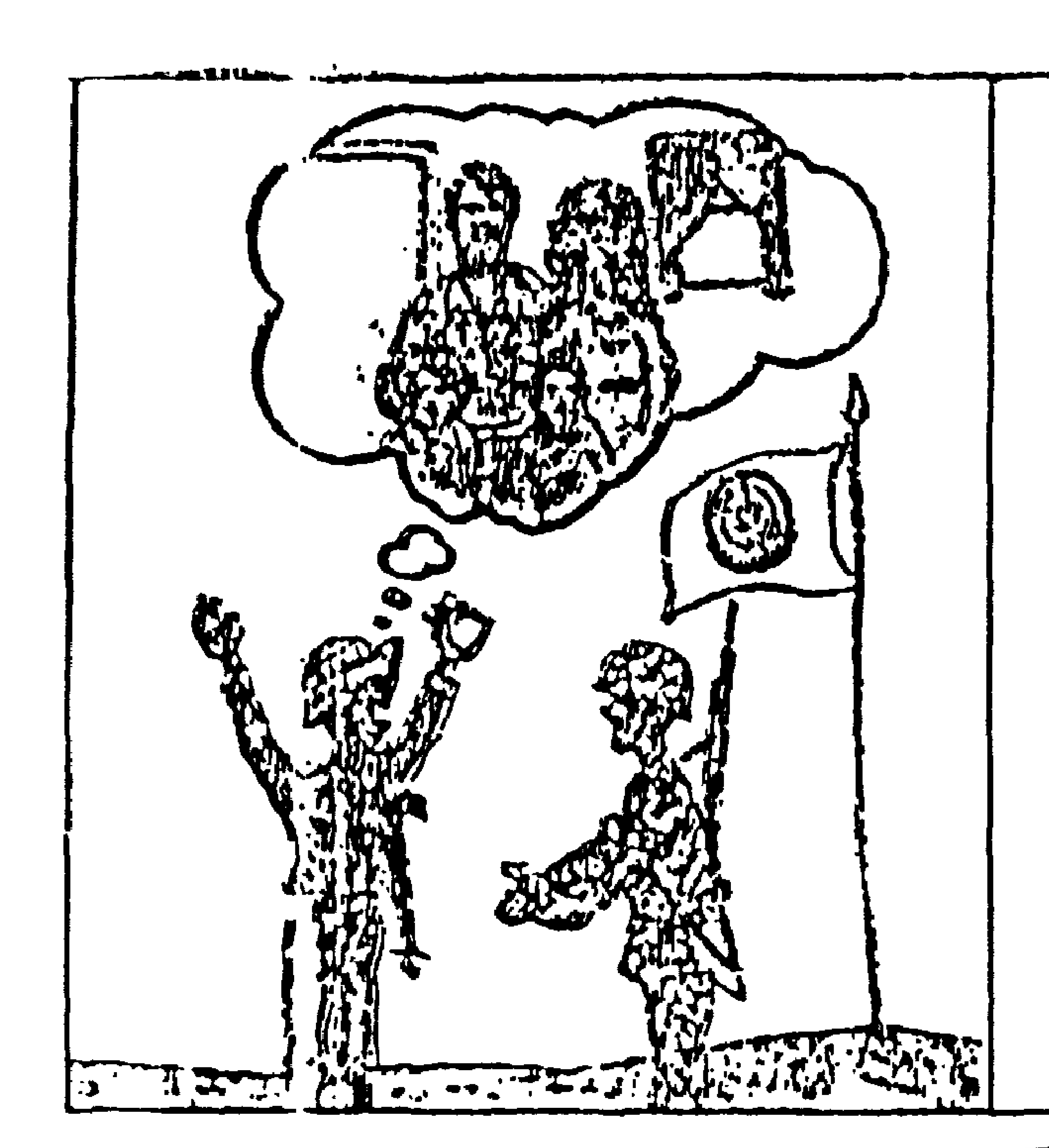
. إحمل السلاح على كتفك الأيسر مع توجيه الماسورة إلى أسفل.

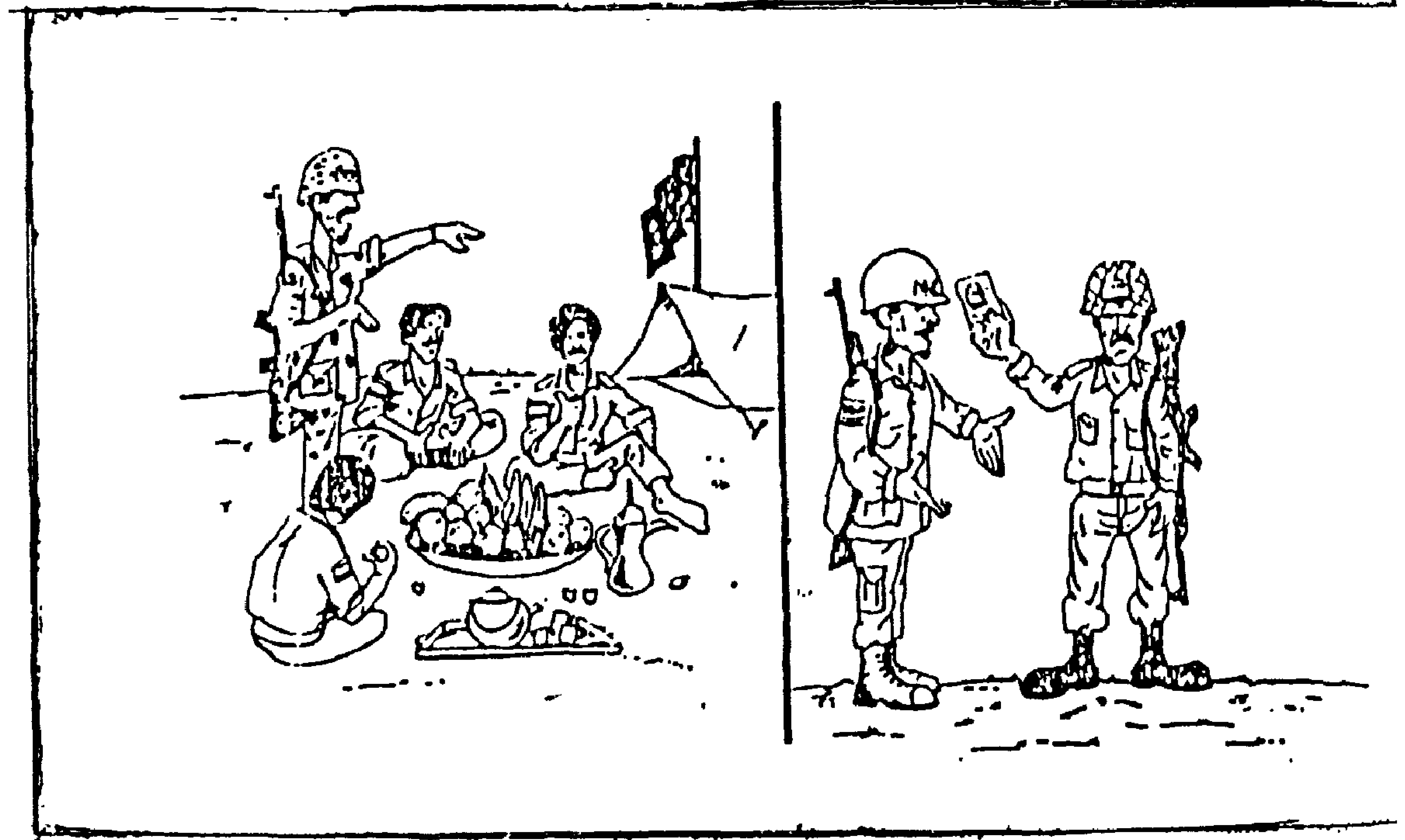
. للتأكد من رغبتك في المحافظة على حياتك ـ فضلاً ـ ضع يديك فوق رأسك.

. عند الإقتراب من مواقعنا ـ إقترب ببطء ـ أي فرد من الأخوة في المقدمة يرفع هذه الوثيقة فوق الرأس.

. بهذا نتأكد من عزمك على المحافظة على حياتك.

وأهلاً ومرحباً بكم





من المناشير التي القيت على القوات العراقية في حرب الخليج الثانية حيث أُلقي مايزيد على (١٤) أربعة عشر مليون منشور.

يادة القوات المشتركة ومسرح العمليات

بطاقة دعوة

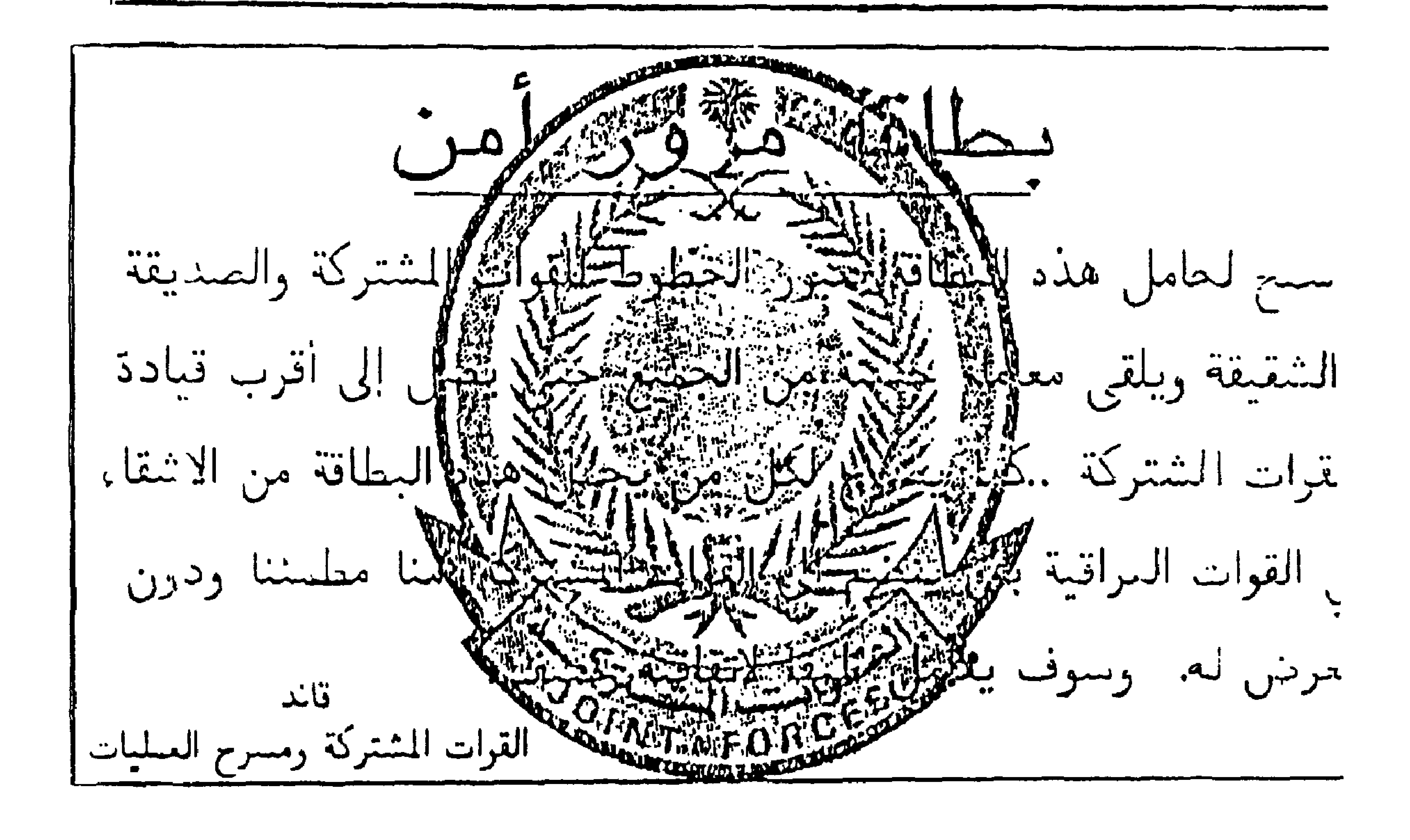
ي ضيافة قيادة القوات المشتركة ومسرح العمليات . أنت مدعو للانضمام للقوات لمشتركة مع تمتعك الكامل بواجب الضيافة العربية والأمن والسلامة والرعاية لطبية . . والعودة للأهل بمجرد الإنتهاء من الوضع الذي وضعنا فيه صدام.

خي الجندي العراقي . . .

ذه دعوة مفتوحة لك ولإخوانك المقاتلين نرجو أن تلبيها عندما تسمح لك الفرصة .

قائد

القوات المشتركة ومسرح العمليات



بطاقة مرور آمن

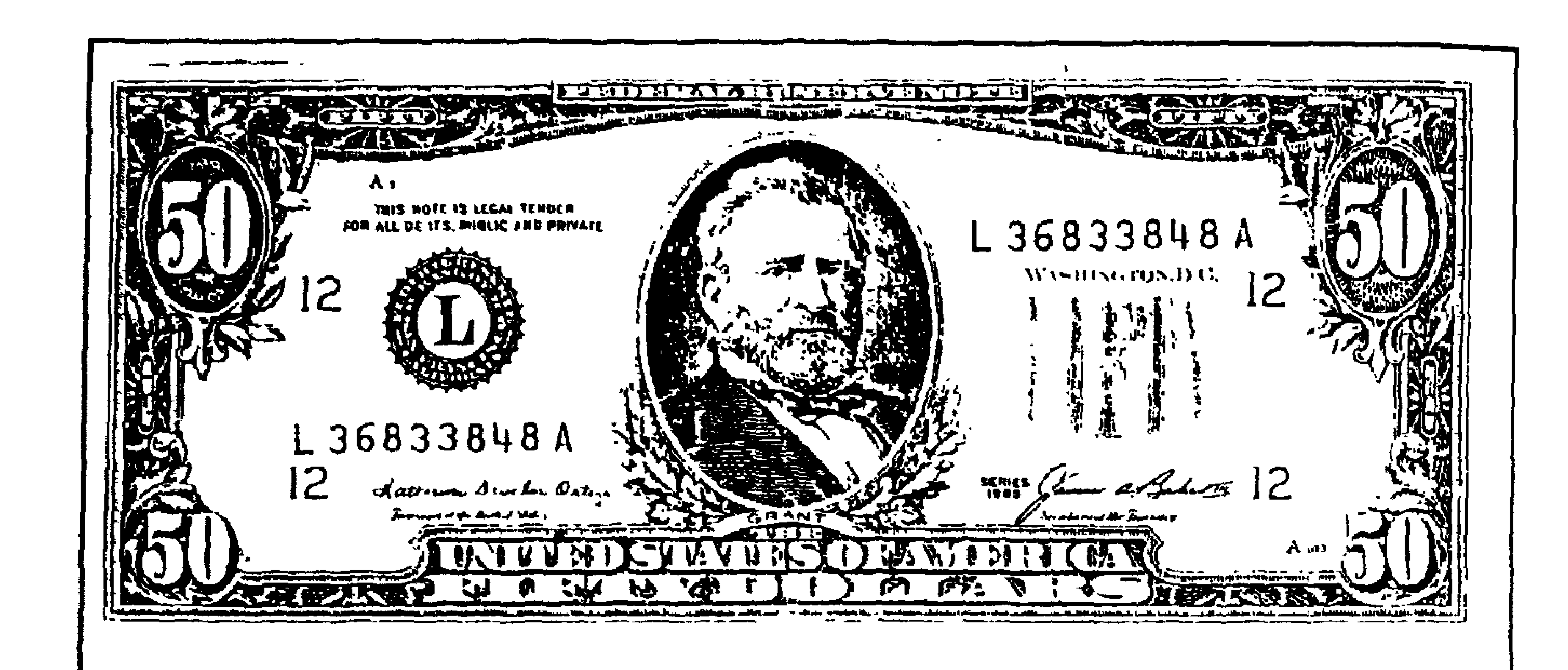
سمح لحامل هذه البطاقة بعبور الخطوط للقوات المشتركة والصديقة الشقيقة ويلقى معاملة [illegible] من الجميع حتى يصل إلى أقرب قيادة قوات المشتركة ..كما [illegible] لكل من يحمل هذه البطاقة من الاشقاء [illegible] القوات العراقية [illegible] نا مطمئنا ودون عرض له. وسوف [illegible]

قائد

القوات المشتركة ومسرح العمليات

من المناشير التي أُلقيت على القوات العراقية في حرب الخليج الثانية

وتمثل بطاقات المرور الآمن او جوازات المرور



SAFE CONDUCT PASS 350 - 4 - 7

ATTENTION NORTHLAND SOLDIERS

TO RECEIVE MEDICAL CARE. TWO HOT MEALS PER DAY. AND NO RISK OF BEEING KILLED OR WOUNDED. DO THE FOLLOWING

1. HIDE YOUR WEAPON
2. APPROACH SOUTHLAND SOLDIERS
3. RAISE YOUR ARMS HIGH
4. YOU WILL BE SAFE



LTG Pinks

الشكل صورة لوجهي ورقة نقدية استخدمت ـ لغايات التدريب ـ بعد تصوير الوجه وطباعة المادّة التوجيهية على الظهر كجواز مرور للقوات المستسلمة حيث يتم في نشاطات الحرب النفسية استخدام المناشير والرسوم والصور باشكالها المختلفة كما يتم استخدام صور للاوراق النقدية المتداولة بحيث تلفت النظر فيبادر الجنود لالتقاطها ويكون على ظهرها ـ كما يبدو في الشكل اعلاه ـ تعليمات الاستسلام !

وقد استخدمت المناشير على نطاق واسع في الحرب العالمية الثانية فقد قام الاتحادالسوفياتي طوال مدة الحرب العالمية الثانية بطبع وتوزيع (٢٠) الف منشور سياسي وعسكري في (٢٠) لغة اجنبية وصل عددها إلى (٢٧٠٦) مليون نسخة . كما استخدم الالمان المناشير على نطاق واسع ناهيك عن سائر الاطراف الاخرى .

ثالثاً : المواد المصورة والمرسومة

أ ـ الملصقات واللافتات :

تستخدم عادة للجبهة الداخلية حيث تهدف إلى تماسك الامة ووحدة الصف وميزتها ان الفرد يتعايش معها فترة طويلة بسبب طول المدة التي يراها بها فتندمج فكرتها العامة مع افكاره وآرائه وتصبح مع مرور الوقت جزءاً من تفكيره وتستخدم هذه الواسطة لنشر صور المعارك الشهيرة التي خسر فيها العدو بعد ان يتم إعدادها على شكل لوحات كبيرة . كما يستخدمها الطابور الخامس خلف خطوط العدو حيث يعمد إلى لصق الاعلانات وتعليق اللافتات والكتابة على الجدران في الميادين العامة . وتنشط معارض الصور والرسوم والملصقات عادة مع نشاط المعارك في ساحات القتال .

والملصق (البوستر) التالي مثال على هذا النوع من المواد المصورة والذي استخدم في الولايات المتحدة الامريكية في حرب الخليج الثانية كسباً للدعم الشعبي والتأييد وسوف نقدم تحليلاً للكلام المثبت في أعلى الرسم بموضوعية وحيادّية تامين بهدف توضيح الإيحاءات والدلالات النفسية للرسم والكلام معاً .

فالصورة (البوستر) عمل نفسي بحت وبالمقابلة بين الشقين نجد ان واضع البوستر تعمد تضمين الرسم رسالة قوية للمتُلّقي الامريكي والغربي . على رأس العمودين التاليين للصورة تجد ترجمةً لما هو مكتوب على شِقي الرسم وتحسن القراءة ابتداءاً من العمود الأيسر .



صدام يقول :

«اذا ما تورط الأمريكيون فسنجعلهم يسبحون في دمائهم تلك إرادة الله».

١ - توحي العبارة في أعلى الصورة ان العملية مرتبة من العراق وأن الأمريكيين سيدخلونها بتوريط العراقيين لهم.

٢ - الخطاب في كلمة «صدام» موجّه لعموم الأمريكيين باعتبارهم أعداء بهدف إقناع المتلقي الأمريكي بضرورة الوقوف وراء رئيسه ودعم قراره للحرب.

٣ - أفصح الخطاب في الذي سيقتل الأمريكيين وقال «نحن سنجعلهم يسبحون في دمائهم» لتاكيد اللهجة العدوانية

٤ - قالت العبارة ان ماسيفعله العراقيون هو قتل الأمريكيين وتم الربط بين إيمان المسلمين بالله وبين ذبح الآخرين فالعراقيون العرب مسلمون والمسلمون ارهابيون دمويون بهدف اقناع الأمريكيين بضرورة دعم قرار الحرب.

٥ - الرمز في الصورة الدماء النازفة اي الموت، النخلة ترمز للعرب، والمساجد للإسلام، وذلك لإعادة ربط العرب المسلمين بالموت وهو أمل صدام الذي يتطلع اليه كما يوحي الرسم.



بوش يقول :

«إذا ما أدخلنا حالة مسلحة فإن صدام سياخذ ركلة على مؤخرته».

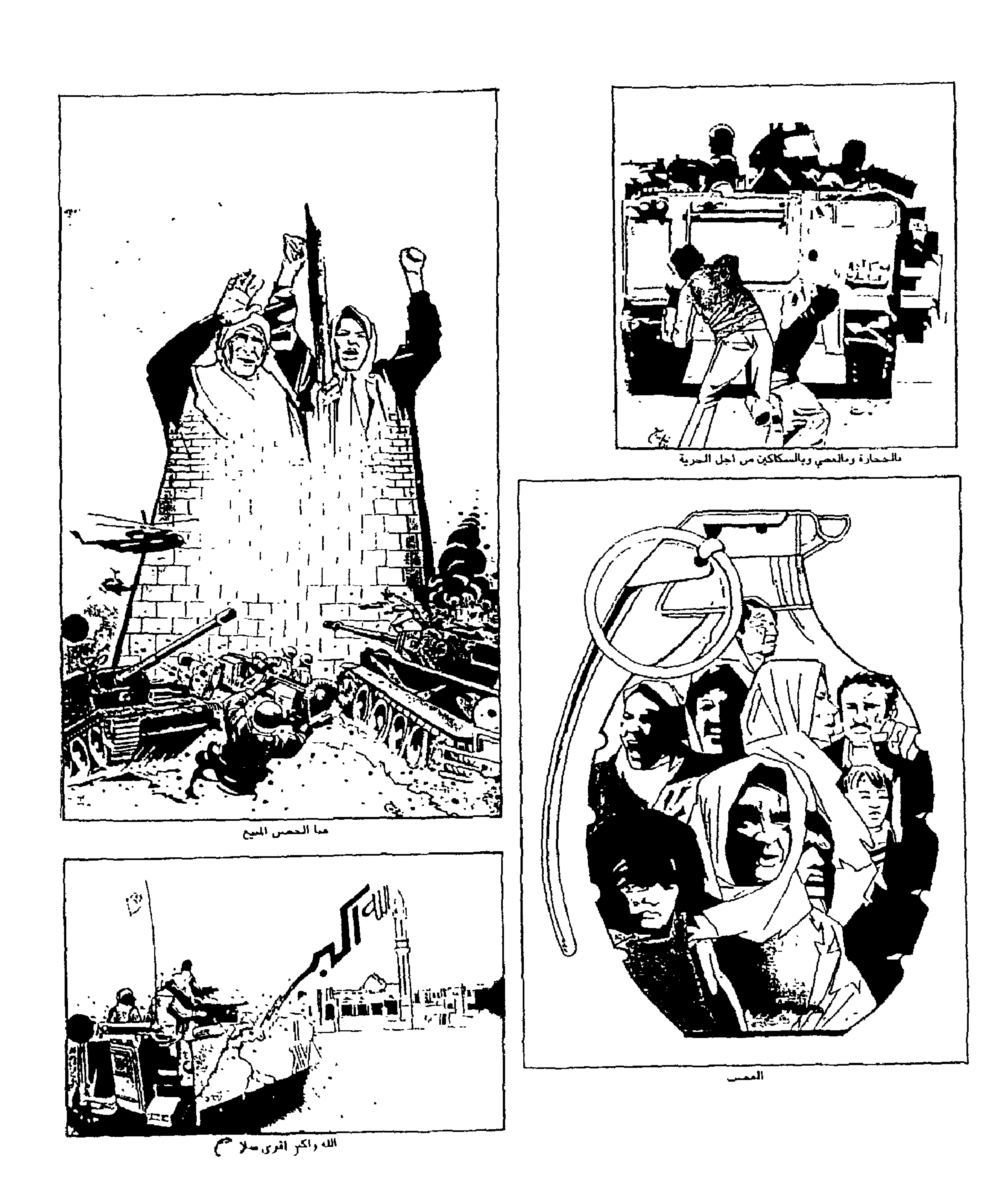
١ - توحي العبارة في أعلى الصورة ان العملية مدبّرة من العراق واننا نحن الأمريكيون ندخل الحرب مرغمين وهي كتعبير ملطف عن الحرب - مجرد حالة مسلحة.

٢ - الخطاب في كلمة «بوش» موجه لصدام شخصياً مع إغفال ذكر العراقيين بهدف إقناع المتُلقي للرسالة أن المشكلة هي «صدام» وليس العراقيين.

٣ - اغفل الخطاب من الذي سيركل صدام وتركه مبنياً للمجهول، للتخفيف من اللهجة العدائية.

٤ - قالت العبارة أن كل ما سنفعله هو ركل صدام على مؤخرته لتصوير العملية أمام المتلقي أنها مجرد (تأديب ولد متهور) وأن العراق لا يستأهل اكثر من ركلة مما سيلغي صور الحصار والتجويع والدمار التي ستظهر على خلفية عملية التأديب البسيطة !!

٥ - الرمز في الصورة هو المدن الأمريكية المزدهرة والبيت الابيض وأن دعم الرئيس يحافظ على أمريكا وهذا هو أمل الرئيس الذي يتطلع إليه.



الملصقات تحارب العدو وتعزز الصمود والمجابهة[1]

(١) عن التضامن اللبنانية ٨٥/٣/٣٠ العدد ١٠٣

ملصقات من الحرب العالمية الثانية (١)

النصر حليفنا !



هذا الملصق اصدرته وزارة الدعاية الالمانية في اعقاب الانتصارات العسكرية المبهرة الأولية التي احرزتها الجيوش المدرعة الالمانية في مستهل الحرب العالمية الثانية عامي ١٩٣٩م- ١٩٤٠م وذلك بعد نجاحها في ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا وغزو بولندة وفرنسا والنرويج وبلجيكا وما تبع ذلك من احكام الالمان قبضتهم على معظم القارة الأوربية.

روسيا تدعو الشعب إلى مساندة الجيش الاحمر



أصدرت ادراة الحرب النفسية الروسية هذا الملصق تظهر فيه روسيا تدعو الشعب لمساعدة ومؤازرة الجيش الأحمر في الدفاع حتى الرمق الأخير عن البلاد ضد الغزو النازي الذي بدأ اعتباراً من صيف ١٩٤١م، والذي وصلت فيه الجيوش المدرعة الالمانية إلى قرب موسكو العاصمة، وحوصرت فيه لينينجراد وستالينجراد وغيرهما من المدن الهامة في روسيا.

بريطانيا لن تحترق !



هذا الملصق اصدرته وزارة الحرب البريطانية ابان الحرب العالمية الثانية في المرحلة النهائية منها عندما اطلق هتلر صواريخه المدمرة من طراز «في ٢٠» على لندن لاخضاع بريطانيا ودفع الانجليز إلى القاء السلاح في مرحلة كانت الهزيمة تخيم فيها على الرايخ الالماني نتيجة للهزائم العسكرية التي توالت عليه.

مصير الفوهرر !





اشتملت حرب الملصقات والدعاية بين الأطراف المتحاربة على استخدام فن الكاريكاتير والرسوم الكاريكاتيرية الساخرة، والملصقان يوضحان ذلك: حيث نرى هتلر في الرسم الأول يدق طبول الحرب متباهيا بقوته العسكرية، بينما نراه في الرسم الثاني وقد انقلبت الآية وأطاحت به نفس الطبول الحربية التي راح يقرعها في بداية الحرب. الرسمان من انتاج ادارة الحرب النفسية في روسيا عام ١٩٤٣م.

---

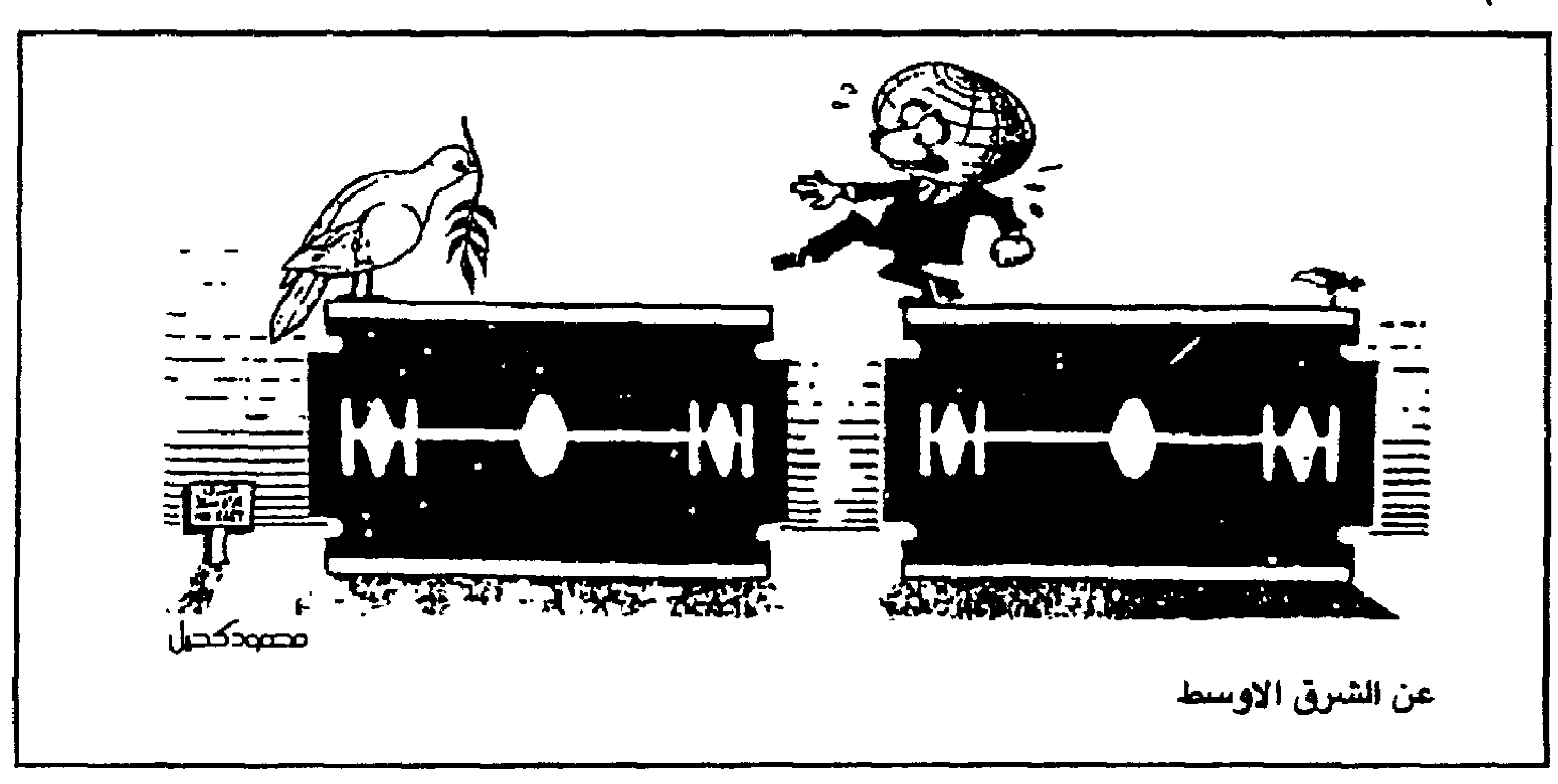
(١) عن الحرس الوطني السعودية / ديسمبر ١٩٩٢ .

ب ـ الصور الفوترغرافية :

وهذه ايضاً تستخدم للجبهة الداخلية وتعمد عادة إلى نشر صور المعارك التي خسر فيها العدو او لتصوير الخصم بهيئة المعتدي كالصور التي كان ينشرها الحلفاء عن أسراهم في معسكرات الاسرى الالمانية كما تستخدم مستقلة او للجرائد والصحف وللمعارض .

جـ ـ الكاريكاتير :

وهو اداة معبرة تستخدم في الجرائد والمجلات والكتب كما تستخدم منفصلة كملصق او بوستر كما تستخدم في معارض خاصة . والكاريكاتير يضخم العيوب المراد ابرازها ويترك اثرا في النفس لا ينسى بسرعة . وقد سبق وأشرنا اليه تفصيلياً في الأساليب وذلك مع الفكاهه (النكتة) .



الكاريكاتير : اداة معبرة تترك في النفس اثراً لا ينسى

د – الدعاية المرئية (النيون والرسوم الفسفورية) : تستخدم هذه الوسيلة في حالات التماس مع العدو وذلك اذا كانت وضعية الدفاع ثابتة لمدة طويلة كذلك في قتال الشوارع بالمدن الكبرى ،وهي عبارة عن لافتاتت وصور ورسوم تسلط عليها الانوار الكاشفة كما يمكن تصميمها وتنفيذها بالفسفور او بمصابيح النيون الكهربائية.

ه – الخرائط والاشكال البيانية والمخططات والمجسمات :

وهي تخدم الصحافة كما تفيد في المحاضرات والمعارض .

و – الوسائل الالكترونية الحديثة بما فيها الفضائيات والكمبيوتر وشبكات الانترنت والفاكس والهاتف المحمول (موبايل).

رابعاً : الاتصال المباشر

أ ـ الاتصال الشخصي :

وهو اكثر الاساليب اثرا وافضلها من حيث هو حوار يسهل معه الاقناع ويوفر الجو للسؤال ومعرفة النتيجة وردود الفعل مما يساعد في تغيير وتعديل الاسلوب للحصول على رد الفعل المطلوب وهذا الاسلوب يأخذ شكل الاتصال الشخصي ما بين شخصين او اجتماعات فئة قليلة من الاشخاص او التجمهرات والخطب والمحاضرات والندوات والاجتماعات والزيارات وغيرها من الاشكال كالجمعيات والنشاطات الاجتماعية وكل ما يتيح اللقاء والحوار ويجب على القائم بهذه المهمة ان يراعي ما يلي :

١ ـ ان يظهر الاقتناع التام بما يقوله دون ان يقطع براى محدد .

٢ ـ أن يؤكد ويحسن نقاط الاتفاق بينه وبين الجمهور .

٣ ـ ان يتجنب الاختلافات الصغيرة .

٤ ـ ان يتدرج منذ البداية لايصال جمهوره إلى نتيجة او خلاصة محددة مسبقاً .

٥ ـ ان يكون معتدلاً .

٦ ـ أن يراعي نواحي الجاذبية وإثارة الاهتمام .

ب ـ التمثيل المسرحي :

وهو اسلوب قديم واثره كبير في تكوين الافكار والاتجاهات وتمرير اهداف الحملة الاعلامية الدعائية ويستخدم للجبهة الداخلية .

جـ ـ الطابور الخامس :

ويقصد به كتلة الانصار ممن ينتظمون في المعسكرات المتصارعة ضد المعسكر الاخر [١] وظهر الاصطلاح اثناء الحرب الاهلية الاسبانية ٣٦ ـ ١٩٣٩ عندما كان الجنرال فرانكو يعد العدة للزحف على العاصمة فقال : (ان لدي اربعة طوابير جاهزة للتحرك باتجاه مدريد وهناك طابور خامس يقف على اهبة الاستعداد داخل العاصمة) .

ويعزى القول إلى قائد فرانكو الجنرال سولا بالمناسبة نفسها ، ويستخدم الطابور الخامس

---

(١) مجلة الفكر العسكري دمشق السنة ٩ العدد ٢ آذار ونيسان ١٩٨١ . مقال الجاسوسية والحرب بسام العسلي ـ ص ٥٣ .

للقيام بواجبات مختلفة خلف خطوط العدو كتخريب الاجهزة وقطع الاتصالات وطرق الامداد كما يستخدم في الحرب النفسية ببث الدعايات المحطمة للروح المعنوية وبنشر الشائعات والاراجيف لاثارة الفزع في صفوف المواطنين ولاثارة النعرات الطائفية والاقليمية والعرقية وغيرها .

د ـ الاسـرى

يستخدم الاسرى من خلال نشر صورهم وبث لقاءات معهم في الاذاعة والتلفزيون بحيث يعكسون الروح الانهزامية لدى رفاقهم المقاتلين في الجبهة ومما يرفع من الروح المعنوية في الجبهة الداخلية ، وفي الحرب العراقية الايرانية استخدم العراقيون هذا الاسلوب بفعالية قصوى .

هـ ـ المسافرون العاديون والسياح الاجانب والمهاجرون والطلاب والبعثات الدبلوماسية .



الاسـرى ... نشر صورهم من وسائل الحرب النفسية

الفصل الرابع

الحرب النفسية الغربية
في حرب الخليج الثانية

* الأهداف النفسية الاستراتيجية الغربية في حرب الخليج
* الأساليب الأعلامية النفسية الغربية في حرب الخليخ
* مراحل الحرب النفسية الغربية في حرب الخليج
* الأعلام العربي في حرب الخليج

الفصل الرابع

الحرب النفسية الغربية في حرب الخليج الثانية [1]

لبحث الأساليب النفسية الإعلامية التي اتبعها الإعلام الغربي في حرب الخليج لا بد أولاً من التعرف على الأهداف النفسية الإستراتيجية للحرب الإعلامية التي دارت رحاها قبل ومع وبعد حرب الخليج .

الأهداف النفسية الاستراتيجية في حرب الخليج

استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة دول التحالف كافة وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق أغراضها العسكرية ضمن خطة اعلامية مبرمجة ومنسقة منذ بداية التحضير للهجوم وما زالت مستمرة حتى الوقت الحاضر . وقد هدفت هذه الخطة الإعلامية إلى تحقيق الأمور التالية :

١ ـ اقناع الرأي العام الأمريكي بشكل خاص والرأي العالمي بشكل عام بشرعية اتخاذ قرار الحرب ضد العراق وذلك بإظهار العراق بمظهر الدولة القوية المنتهكة للشرعية الدولية والمعتدية على إحدى الدول الأعضاء في هيئة الأمم والطامعة في الإستيلاء على جميع الدول المجاورة لها عربيةً وإسلاميةً من خلال الهيمنة العسكرية في المنطقة واظهار جيشها بأنه رابع أقوى جيش في العالم .

٢ ـ تضليل الرأي العام العربي عن حقيقة الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة والتي يقف على رأسها هدف السيطرة على منابع النفط والتحكم بإمداداته وأسعاره . وإظهارها بمظهر الصديق الحليف المحافظ على أمن دول المنطقة ضد التهديد العراقي للدول العربية والإسلامية المجاورة وأطماع القيادة العراقية الذي ابتدأ بإجتياح وضم الكويت .

٣ ـ عمل كل ما من شأنه ـ في المجال الإعلامي النفسي ـ أن يخدم الأهداف الإستراتيجية

---

(١) للتعرف بشكل مفصل على معركة الإعلام في حرب الخليج يحسن الرجوع إلى كتاب المؤلف (الخداع في حرب الخليج) عمان ١٩٩٣ ـ صدر عن مكتبة الرسالة الحديثة – عمان .

للعمل الحربي عموماً كما سبق وفصلناها في الفصل الثاني [١] ، والحيلولة دون تدخل أي شيء قد يعيق أو يفسد تحقيق تلك الأهداف بما فيها الهدف المعلن كمظلة شرعية للعمل الحربي وهو تحرير الكويت واستتباب الأمن في المنطقة وإتخاذ كل ما يلزم من اجراءات تساعد على إيقاف وعدم تكرار عدوان العراق على أي من جيرانه .

٤ ـ بناء التحالف من خلال كسب تأييد وتعاون البلدان المحايدة ، ومن ثم الإبقاء والمحافظة على التحالف وتماسكه تحت مظلة الشرعية الدولية والأهداف الإنسانية المعُلنة . وبالمقابل تفكيك وإضعاف التحالف (المعُادي) إنْ وجد والحيلولة دون قيام أي تحالف أو شبه تحالف مع تطور الحرب .

٥ ـ ردع ودفع العراق إلى الإستسلام عن طريق تحطيم معنوياته وكسر إرادة القتال لديه وعزله وإبقائه وحيداً بلا نصراء ولا أصدقاء ومن ثم تدمير قدراته العسكرية وقوته المادية .

٦ ـ إظهار الحرب في جميع مراحلها حرباً نظيفةً من خلال الأسس النفسية التي سبق وشرحناها في الفصل الثالث [٢] والتي تفضي إلى ممارسة الأساليب الإعلامية التي سنعرض لها في هذا الفصل وعلى رأسها عمليات التعتيم والكذب والخداع ، وإظهار الحرب باعتبارها حرباً عادلة ، شرعية ، ـ فالولايات المتحدة الأمريكية تمارس حرباً عادلة تهدف إلى تحرير الكويت بتكليف من الأمم المتحدة ـ أما إظهارها حرباً نظيفة : أي أن لا يظهر الموت من خالا وسائل الإعلام وكأنما قد أُقصي عن الساحة تماماً ، فكان يُراد لهذه الحرب أن تكون حرباً (معقمة) لا يكون فيها حساب معلن لعدد الجثث تفادياً لما حدث في فيتنام من قبل . وقد كان شعار الحرب النظيفة من أكثر الشعارات بروزاً وتكراراً طوال فترة الحشد ثم العمليات ، وجاءت الوقائع العملية كلها لتثبت عكس ذلك تماماً .

٧ ـ التمهيد لقيام النظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة وتحسين صورته عالمياً وذلك من خلال ارتدائه لباس الشرعية الدولية وإظهاره بمظهر المحافظ على العدالة وإقرار السلام العالمي وعدم السماح لأيٍّ كان بالخروج عليه . ويفضح حقيقة هذا الهدف ما سبق وذكرناه على لسان «جون روس ونورمان سولومون» في الفصل السابق بالقول :

---

(١) من الكتاب المشار اليه أعلاه . (الخداع في حرب الخليج) للمؤلف .

(٢) المرجع السابق نفسه .

«وكان الرهان أكبر بكثير بالنسبة لواشنطن في صيف ١٩٩٠ فلقد دفع بنصف مليون جندي في النهاية إلى ميدان تلك الحرب للدفاع عن تدفق النفط إلى الشمال الصناعي وإذ أعلن بوش قيام نظام عالمي جديد كتعبير ملطف عن هيمنة الولايات المتحدة على الساحة الدولية في ضوء الإنهيار السوفياتي قام في وقت سابق بتجنيد وسائل الإعلام الرأسمالية في حملته التضليلية عملاً بالتقليد العريق في تلاعب البيت الأبيض بوسائل الإعلام في زمن الحرب . . .»[(١)] .

٨ ـ تطوير الحرب الإعلامية تصاعدياً على نحو متماسك مترابط للبلوغ إلى غاياتها القصوى بالتزامن مع الأعمال الحربية ، بما يستلزمه ذلك من تطوير الخطط والأساليب .

وبعد هذا الإستعراض السريع للأهداف النفسية الإستراتيجية لمعركة الإعلام الغربية في حرب الخليج يمكننا التعرض للأساليب الإعلامية النفسية التي أتُبعت في هذه الحرب .

الأساليب الإعلامية النفسية في حرب الخليج

لقد استعرضنا الأهداف النفسية الإستراتيجية في حرب الخليج ، وفي هذا الجزء من الفصل سوف نتعرّف على الأساليب التي اتبعها الإعلام الغربي عامةً والأمريكي خاصةً لتحقيق هذه الأهداف . ونجد أنفسنا مضطرين إلى تقسيم هذه الأساليب إلى قسمين ، أساليب عامة وأخرى خاصة . والعامة هي تلك الأساليب الشاملة التي كانت نهجاً انتهجته وسائل الإعلام الغربية رمى بظلاله ولّون بألوانه مختلف نشاطاته . وأما الأساليب الخاصة فهي الأساليب التي مارستها تلك الوسائل لتحقيق أهدافها النفسية في حرب الخليج جنباً إلى جنب وفي ظل تلك الأساليب الكبرى .

الأساليب العامة

وهي أسلوب الكذب وأسلوب الخداع وأسلوب التعتيم والتي تشكل الثالوث الأخطر والأبرز في معركة الإعلام في حرب الخليج . ولو رجعنا إلى الأسس النفسية التي تناولناها في الفصل الثالث لوجدنا أن أسلوب الكذب جاء من الهيمنة الإعلامية ومن أساس الفورية والشمول فهي التي هيأت لاستخدام الكذب مع غياب الجهات الإعلامية ووسائل الإعلام

---

(١) صوت الشعب ١٩٩١/١٠/٢ .

الأخرى . وأما أسلوب الخداع فهو نتاج الهيمنة الإعلامية وأحتكار وسائل الإعلام من جهة ونتاج السيطرة الإعلامية وممارسة الضبط والرقابة التامة على وسائل الإعلام . ويدخل في أسلوب الخداع كما سيأتي معنا الاعتماد على التحويل والتضليل كأسلوب وعلى ما يُعرف باسلوب أو نظرية التأثير النائم مما سيأتي تفصيله في حينه . وأما أسلوب التعتيم فهو المحصلة الأكيدة للأساس النفسي الثاني وهو السيطرة الإعلامية أو التحكم والتقييد والضبط والرقابة على وسائل الإعلام مما يصح أن تُسمى معه بالديكتاتورية الإعلامية . ومما تجدر الإشارة اليه قبل الخوض في التفاصيل أن هذه الأساليب التي هيّأت لممارستها تلك الأسس الصارمة التي ذكرناها ، سوف نجدها متداخلة تقوم بأدوارها بالتآزر مع بعضها البعض فهي عملية إعلامية واحدة أولاً وأخيراً فيها التنوع والإنقسام وبالوقت نفسه فيها الترابط والإنسجام .

أ ـ الكـــذب

برز الكذب كاسلوب رئيسي في مرحلة الحرب الجوية عندما نقلت في ليلة السابع عشر من كانون الثاني تفاصيل العدوان الجوي وكانت الصورة غير ما أريد لها بتصوير العراق وقد انتهى وكانت حملة الأكاذيب انما تهدف إلى إيجاد المبررات لتنفيذ خطة التدمير الشامل ضد العراق بهدف إخراجه كما صرحوا من القرن العشرين وإعادته إلى العصر الحجري . وكان الكذب وما رافقه من خداع وتضليل للرأي العام الأمريكي للحصول على الشرعية في العمليات اولا ولاستمرار التحالف ثانياً ولتبرير الإعتداءات والدمار الشامل الذي سيلحق بالعراق ثالثاً واخيراً . ومن الأمثلة على الكذب ما قيل في سبب اصابات المدنيين العالية في العراق أنه كان لانحراف القذائف بفعل الأحوال الجوية أو لعودة قذائف العراقيين المضادة ، وفي تقليل القدرة العراقية فقد قالوا أن اصابة القاذفة ب ٥٢ كان بسبب خلل فني ميكانيكي ، ومقتل الأحد عشر جندياً في الخفجي فقد كان لإصابة عربتهم بنيران صديقة عن طريق الخطأ .

ومن أبرز الأكاذيب ما روجه الإعلام الغربي من قصص خيالية مدسوسة عن وجود مؤامرة شيطانية كبرى لتقسيم الجزيرة العربية تشارك فيها دول عربية . يقول «جيمس أكنز» في مقالته عن مستقبل الشرق الأوسط في النظام العالمي الجديد [1] : «أن استخدام مثل

(١) الشعب ـ عمّان ١٩٩١/٩/٣٠ .

هذه الروايات الخرافية جرى بشكلٍ متعمد من أجل تجزئة المنطقة والتوقف عن مساعدة الدول العربية الفقيرة» .

يُجمع المحللون والدارسون للإعلام في حرب الخليج أن وسائل الإعلام التي سخرها الغرب لحملته على العراق كرسّت أقصى الطاقات والإمكانيات لتشويه الحقائق وإسباغ الشرعية والعدالة على حرب مدمرة ظالمة «كانت شعارات الإدارة الأميركية التي تسوق الأميركيين خلفها منذ البداية ، كلها كذب وخداع . . انطلق الشعار الأول الذي يقول . . ستدافع الولايات المتحدة عن الشرعية الدولية ضد دكتاتورية الرئيس صدام الذي قتل الديمقراطية في الكويت . وكان شعار الحملة العدوانية الثاني . . سنرسل قواتنا إلى السعودية للدفاع عنها . ثم تحول هذا الشعار بعد أن أصبح الحشد كافياً إلى أن الهدف هو إخراج صدام حسين من الكويت . ثم تحول هذا الشعار إلى تدمير البنية العسكرية والصناعية في العراق ثم تحول الهدف إلى تدمير العراق بكامله لاعادته للعصر الحجري . ثم أصبح الهدف ملاحقة الرئيس صدام حسين نفسه .

والحقيقة التي لا جدال فيها . . أن الهدف الأول والأخير هو ضرب القدرة العربية ، والارادة العربية من أجل حماية إسرائيل أولاً وثانياً وثالثاً وسلب الثروات العربية رابعاً .

هكذا تُوجِّه المطحنة الإعلامية في الولايات المتحدة والغرب : ينتقل الساسة من شعار إلى شعار يرسخون الشعار في نفسيات المواطن هناك ويدعمونه باستطلاعات تفصل علمياً لتناسب نتائجها الهدف النفسي ويدعمونه ايضاً بخبراء نفسيين من مكاتب الإستخبارات الأميريكية والغربية التي لا تؤمن الا بتصفية ارادة الشعوب وحكامها الرافضين للهيمنة الغربية ثم ينتقلون إلى الشعار الذي يليه وخلفهم تسير اوركسترا أعلامية ببرامج وتحليلات مركزة متكررة حتى ترسخ المفاهيم الجديدة وهكذا في عملية تصعيدية حتى تصبح الجريمة فضيلة لدي الرأي العام عندهم» [1] .

التشويه كاسلوب من أساليب الكذب المتعمد :

وأخيرا فإن عملية الكذب الإعلامية تقتضي التلاعب بالأخبار بقصد تشويهها لايصال المعلومات بالطريقة التي تخدم هدف الجهة التي تنشر وتذيع وتوجه الأنباء والمعلومات .

---

(١) محمد أمين . صدام حسين الإرادة العربية والإسلامية . عمّان ١٩٩١ .

وعملية التشويه بدأت بممارستها منذ اعلن العراق على لسان رئيسه بعد تهديد العراق وتصعيد لهجة الخطاب العدواني من المنابر المختلفة ، من أمريكا ، أوروبا ، وإسرائيل مما إضطر الرئيس العراقي لاعلان صموده وأنه سوف يرد على أي تهديد بحرق نصف إسرائيل إن هي إعتدت عليه أو على أية دولة عربية . وصار الإعلام الغربي يحذف الفقرة الإخيرة : «إن هي قامت بالاعتداء على العراق» . شيء آخر حدث في الإعلام الغربي وهو التشويه المتعمد فعلى سبيل المثال لجأ الإعلام البريطاني إلى أسلوب تشويه الحقائق وتزييفها وكانت أبرز حادثة من هذا القبيل تلك المتعلقة بتصريح الرئيس العراقي الذي ذكر أن أي هجوم سيؤدي إلى أن تصبح الكويت مقبرة للمعتدين وقد اقدمت وسائل الإعلام المختلفة على حذف الكلمة الأخيرة (المعتدين) الأمر الذي أدى إلى تحوير المعنى فأصبح التصريح يذاع على أساس أن الرئيس العراقي سيحول الكويت إلى مقبرة ـ بمعنى أن سكانها سيقتلون وشتان بين المعنى الأول الذي يحمل معاني التصميم للدفاع بصلابة ضد المعتدين والمعنى الثاني بما فيه من معاني القسوة والدمار وحب سفك الدماء وقد احدثت اذاعة هذا التصريح على هذا النحو بلبلة واسعة لدرجة أن العرب المقيمين في بريطانيا صاروا يستنكرونه .

ومن الأمثلة الأخرى على التشويه والكذب تباكي الرئيس الأمريكي على إدعاء أن العراقيين سرقوا حاضنات الأطفال من مستشفيات الكويت ، وهذا الموضوع فيه إثارة عواطف كل أم في كل بيت أمريكي ، كما أنه تشويه لا إنساني للعراقيين في مختلف انحاء العالم . وينطلي هذا الأسلوب على البسطاء فقط وما اكثرهم في أوساط الشعب الأمريكي [1] وهكذا فقد بدأت الحملة الإعلامية الغربية والأمريكية ضد العراق بالكذب واستمرت به وبمستلزماته وتوابعه من خداع وتضليل .

يقول السيد ياسين في مقال له نشر في الأهرام ١٩٩١/٤/١٢ مما يضيء الصورة أكثر حول مسألة الكذب والتشويه : «لقد شاهدنا جميعاً على شاشة التلفزيون صواريخ تطلق ولا ندري من أي مكان تحديداً ، وتذهب في الفضاء ولا نرى أين سقطت ، وأهم من ذلك لا

---

(١) محمد أمين . صدام حسين الإدارة العربية والإسلامية عمان ص (٧٣) .
وانظر في الفصل ٧ (كتاب الخداع في حرب الخليج) /الإعلام العربي وتحت عنوان الإعلام العربي المتحالف كيف انكشف كذب هذه القصة وتبين أنها تلفيق محض . صوت الشعب ١٩/١/٩٢ ، الدستور ٨/١/٩٢ ، الرأي ١٦/١/١٩٩٢ .

نعرف ما هو الدمار الذي أحدثته وهكذا استطاع الإعلام الأمريكي بحكم احتكاره للصورة وهيمنته على نظام الإعلام العالمي أن يُعطي للحرب صورة مشوهة هي أقرب للوهم منها إلى الحقيقة» (١) .

ب ـ الخـداع

ظهر كعامل رئيسي في المرحلة التي تلت الهجوم البري حيث ترافق الخداع والتضليل مع الكذب والتعتيم لتحقيق الأهداف النفسية والدعائية للحملة العسكرية ، مما يهيء إحكام الخطة التي بدأت بالحصار ثم بالهجوم الجوي والبري ثم بالمؤامرات وإثارة الفتن الشيعية والكردية وغيرها مما يحقق الهدف بالتدمير الشامل التام للعراق ثم تقطيع أوصاله وتمزيق ما يتبقى منه حتى لا تقوم له قائمة لعشرات السنين وحتى يكون عبرة لغيره عند التفكير ببناء قوة والمطالبة بحقوق تؤدي إلى تهديد المصلحة الغربية في النفط والثروة والسوق وتؤدي إلى تهديد الوجود الإسرائيلي أو تقليص أحلامه بالتوسع على حساب العرب .

وكما ذكرنا منذ البداية أن أسلوب الخداع إنما هو نتاج للهيمنة الإعلامية وإحتكار وسائل الإعلام من جهة ونتاج السيطرة الإعلامية وممارسة الضبط والرقابة الصارمة على وسائل الإعلام من جهة أخرى .

ويعتمد هذا الأسلوب على فرضيات ونظريات إعلامية ونفسية معروفة كالتحويل أو الدعاية التحويلية ونظرية التأثير النائم .

١ ـ أما التحويل فأساسه ما يُطلق عليه الدعاية التحويلة : diversionary propoganda والتي يقصد بها تحويل الإنتباه عن الموضوع الأصلي إلى موضوع ثانويٍّ بديل . ففي حرب الخليج كان الإعلام الغربي وعلى رأسه الإعلام الأمريكي يعمل على تحويل انتباه الرأي العام العالمي عامةً والرأي العام الأمريكي بشكل خاصٍ ومُتَعمد عن الجرائم المرتكبة ضد العراق وأهله وإعادة توجيهه مُجدداً عن طريق العمل على التركيز على بعض القضايا الثانوية مع تجاهل المعاناة التي يعيشها الشعب العراقي نتيجة ما لحق به من قتل ودمار للأنفس والممتلكات . يقول مارسيل تريلا / الإعلامي الفرنسي : «أن العقلية العسكرية ـ الأمريكية ـ فرضت على الرأي العام بأن الضربات توّجه إلى أهداف عسكرية ولكن الحقيقة أن المستهدف

---

(١) الحرس الوطني السعودي . مايو / أيار ١٩٩١ مقال الإعلام في زمن الحرب .

كان الأحياء السكنية والمدنية مما جعل «نورمان شوارتزكوف» يصبح رئيساً لتحرير جميع المطبوعات التي تتحدث عن الحرب» أما ورقة «جون ونورمان سولومون» فتصف أسلوب التحويل والتضليل الذي اعتمده الإعلام الأمريكي على هذا النحو : «المنطق الأعوج لمهمة الولايات المتحدة يقُدّم للأطفال الأميركان بهذه المعاني بين افلام الكارتون صباح يوم السبت على شبكتين من أكبر ثلاث شبكات تلفزيونية في الولايات المتحدة ولم يكرم جورج بوش تكريما أكثر مدعاة للسخرية من ذلك التكريم الذي استضافه نادي جريديرون في ٢٣ آذار حين صفق ٦٠ صحفياً من صحفيي واشنطن المرموقين لانتصار الرئيس على «صدام حسين الشرير» ولعل ما يكل ديفر طبيب رونالد ريغان الإعلامي المغضوب عليه ، هو الذي قدم خير وصف لنجاح البيت الأبيض في ادارة الأنباء الواردة من الخليج فلقد تحدث بعد يوم من المجزرة التي ارتكبتها القاذفات الأمريكية الشبحية بحق مئات من النساء والأطفال العراقيين في ملجأ بأحد أحياء بغداد مادحاً البنتاغون على تعامله الذكي مع وسائل الإعلام في حدث كان بالإمكان أن يشكل مصدراً للمتاعب . وصرّح خبير العلاقات الشهير في واشنطن لصحيفة نيويورك تايمز (١٥ شباط) قائلاً «بأنه لو استاجرت شركة للعلاقات العامة للإضطلاع بمهمة العلاقات الإعلامية حول حدث دولي لما تم ذلك بشكل أفضل مما يتم الان» [١] .

٢ ـ الإسقاط والتبرير والتفريغ الوجداني . فهي جملة من آليات الدفاع النفسية (ميكانزمات) عمد الإعلام الغربي إلى استغلالها في عملية الخداع والإسقاط في مفهومها الفني من مفهوم التحويل ، والمثال التالي يؤكد ويوضح هذا . فقد نشرت مجلة «ويكلي ووردنيوز» الكندية بتاريخ ١٩٩١/٣/٩ خبراً عن سلاح فضائي استخدمه الأمريكيون في حرب الخليج يقول كاتبه «بارت مالوني» [٢] : «قام الطيارون الأميركيون بمهمات استطلاعية ثم شلّوا الطائرات والمواقع الأرضية العراقية مستخدمين سلاحاً جاءهم من كوكب آخر» مسنداً الخبر إلى عالم الفيزياء الفلكية «نريك وولف» الذي أضاف : «ويمكن أن تساعد الولايات المتحدة في الحيلولة دون نشوب حروب مستقبلية وذلك بالتهديد باطلاق سفينة النجوم التي يبلغ طولها ١٥٠ قدماً ضد أي جيش يقوم بالعدوان ، قائلاً أن سرعتها تصل إلى

(١) صوت الشعب ١٩٩١/١٠/٢ .
(٢) صحيفة الرأي ١٩٩١/٣/١١ .

٩٠ الف ميل في الساعة ومزودة باسلحة لايزر قوية لا تشابه أي شيء على الكرة الأرضية!! . . الخ» ومثل هذا الخبر في سياق حديثنا عن أسلوب الخداع واستخدام مثل هذه الآليات النفسية انما عمد إلى تحقيق عدة أمور مرةً واحدةً هي :

١ ـ إقناع العقل العربي الذي يؤمن بالغيب استحالة هزيمة أمريكا لانها هي الأخرى حسب هذه الدعايات تعتمد على قوى فضائية خارجية ـ وليست أرضية ـ لا تقهر !!

٢ ـ اعطاء التبرير للعقل العربي الذي تعود على هذه الآلية في تبرير انكساراته العسكرية في حروبه السابقة لتبرير هذه الهزيمة في أنه لم يجابه قوة عادية وإنما هي قوة اكبر من قدرته على مجابهتها بل ربما يستحيل مجابهتها !!

٣ ـ من هذا (المُبرر) تتم عملية الإسقاط والتحويل فهو أي ـ العقل العربي ـ يقوم عندما يجد التبرير في مثل هذا الخبر بإزاحة وتحويل كراهيته عن أمريكا إلى قوى فضائية خارجية يمكن فصلها عن أمريكا ويصبح العدو هو القوى الفضائية وليس أمريكا .

٤ ـ ومن هذا ايضاً تتم عملية التفريغ الوجداني حيث يتم إفراغ الحقد والكراهية على اطراف اخرى فتمتص أمريكا بذلك النقمة العربية ضدها .

٥ ـ أخيراً فإنها عملية تيئيس للعرب فلا قدرة لهم على مجابهة امريكا ومعها قوة فضائية !!

٣ ـ التأثير النائم . قام الإعلام الغربي والأمريكي على وجه الخصوص ، وكما سبق وذكرنا ، باستخدام مجموعة من الأساليب النفسية العامة التي ينطلق من خلالها وبواسطتها في معاركه الإعلامية في حرب الخليج . ومن هذه الأساليب النفسية التي أعتمد عليها الإعلام الغربي ما يُعرف بنظرية التأثير النائم :(sleeping effect) «وملخصها أن الإنسان يختزن في ذاكرته مصدراً أو حدثاً معيناً يبقى نائماً في داخله إلى أن يوقظه مصدر أو حدث مشابه لذلك المخزون فليس غريباً مثلا السؤال الذي وجهه مندوب الـ (CNN) لعدة شخصيات عربية من أن الولايات المتحدة ستكون بديلة للإستعمار البريطاني والفرنسي الذي ساد المنطقة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وأسوق مثالا حياً آخر على هذه النظرية عندما كان مندوب التلفزيون الإسرائيلي يجوب المناطق العربية المحتلة ووجه سؤالاً يوم الخميس ١٩٩١/١/١٧ إلى أحد المواطنين من أن صدام لم يضرب إسرائيل كما وعدكم وها هي تل أبيب بخير اين هو وقد دمرت كل صواريخه ومنشأته العسكرية الآن ؟ الا تتعظون مما

حدث لكم في السابق وكان السائل وجه هذا الشخص إلى أن يجيب بشكل عفوي وعشوائي وقد بدا عليه احساس المغلوب على امره، والمضلل اعلامياً، لقد كذب علينا القادة العسكريون عام ١٩٦٧ (١) .

وباعتماد أسلوب الخداع على مثل هذه الفرضيات النفسية والنظريات الإعلامية يكون قد استغل كل المعطيات لشن معاركه الإعلامية المخادعة . وكانت بداية الخداع قد شُنَّت على الشعب الأمريكي نفسه الذي جاءت تأكيدات الرئيس الأمريكي بوش منذ البداية على أن التحالف الأمريكي الغربي يدخل في إطار قوة متعددة الجنسيات تساهم فيها الجيوش العربية «وهذا يجعل الجمهور (الرأي العام الأمريكي يشعر بالانفراج بعد أن كان يضيق من رؤية (فكرة) الجنود الأمريكيين يدافعون) لوحدهم عن النظام الملكي السعودي وسط لا مبالاة الدول العربية أو عدائيتها» (٢) ولجأت الصحف للخداع ـ لتحقيق هذا الغرض في بدايات الأزمة ـ عن طريق استطلاعات الرأي العام التي زعمت أن الأمريكيين مع الرئيس بقرار الحرب .



ابريل غلاسبي

ومن أساليب الخداع : «أن الصحفيين (المنتخبين بعناية) كانوا طوال فترة الحرب يتملقون قدرة الجيش الأمريكي التكنولوجية وكانت ـ كما تقول ورقة عمل جون روس ونورمان سولومون ـ التقارير الإخبارية الخاضعة للرقابة تهول نجاح الأسلحة الأمريكية وكان البنتاغون يعرض صوراً تُبين الإصابات وحدها وليس الضربات الطائشة، وكان الصحفيون الأمريكيون يكتبون تقاريرهم على هذا الأساس، وبعد الحرب كشفت سجلات الحكومة أن ٧٠٪ من كل الأطنان التي القيت على العراق والكويت لم تضرب الأهداف التي كان يراد ضربها» (١) وأما اكبر عمليات الخداع فهو تصعيد الولايات المتحدة من خلال المعلومات الكاذبة الموقف والخلاف بين العراق والكويت منذ البداية ودفع السعودية في مرحلة لاحقة للدخول في لعبة جر العراق إلى الفخ فقد تم بالكذب والوقيعة تعبئة

---

(١) مروان خير . الدستور ٢٦/١/١٩٩١ مصداقية الإعلام العراقي في المعركة .

(١) صحيفة الشام ، باريس ، ١٣/٨/١٩٩٠ .

الطرفين وتم شرح هذه العمليات بالتفصيل في مجموعة مقالات نشرتها صحيفة الرأي [٢] الأردنية وملخصها استخدام السفراء الأمريكان لدى العراق والكويت والرسائل المتبادلة والصور الجوية والوثائق المزيفة لايهام الكويت بأن مباحثات العراق وطلباته حول الديون وترسيم الحدود وحقه في نفط الرميلة انما هي طلبات ابتزازية تصاعدية مما يجب رفضها ورفض التفاوض عليها لان العراق يضع نصب عينيه احتلال الكويت . وبالوقت نفسه تمرير المعلومات للعراق عن الكويت وسرقته لنفط حقل الرميلة الحدودي وتطمينات للعراق عبر السفيرة الأمريكية «ابيريل جلا سبي» في اتخاذه لاي اجراء يضع حداً لممارسات الكويت علماً أن السفيرة المذكورة قد جرى استجوابها لاحقاً في أمريكا بحجة عدم نقلها معلومات صحيحة للعراقيين فكانت ضحية ذات دور محدود [٣]، [٤] .

جـ ـ التعتيم

ظهر التعتيم كعامل في الهجوم البري وما رافقه وما تبعه حيث كان التعتيم كاملا خاصة بعد ما حدث في نقل وقائع بداية الهجوم الجوي ، وكان الهدف من التعتيم تضليل العرب لايقاعهم بالاحباط واليأس وتضليل المشاهد الأمريكي للتاكيد على ما تهدف اليه الإدارة الأمريكية حيث كان التركيز على عدالة الشعارات التي يحاربون من أجلها تحت ستار من القيم والفضائل الإنسانية حشداً للدعم الجماهيري للحملة ولتحسين صورة العسكريين الذين ينفذون مهامهم بتفوق وبروح انسانية !! مما يُمَهِّد لتبرير عمليات القصف والتدمير ولاظهار قضايا العراق بانها غير انسانية لا بل هي بربرية وحشية (حجب الإعلام الأمريكي أخبار قتل الاف الأطفال بالعراق قصفاً وفقدان الدواء والغذاء بينما تباكى بوش شخصياً على أن العراقيين سرقوا حاضنات الأطفال من مستشفيات الكويت تلفيقاً) .

وكما سبق وذكرنا فإن هذا الأسلوب إنما استخدم بعد توفير أسبابه وهو التحكم بوسائل الإعلام حيث صار من الممكن أن يتم تمرير الأخبار الملائمة وحجب تلك التي لا تخدم

---

(١) الشعب ٣٠ ، ١٩٩١/٩ . ندوة التغطية الإخبارية في زمن الحرب . جون روس ونورمان سولومون .

(٢) زاوية بصراحة . سلطان حطاب من ٩١/٨/٢ ـ ١٩٩١/٨/١٠ .

(٣) الرأي ١٩٩١/٨/٤ المصدر نفسه .

(٤) الدستور ١٩٩١/١١/٣ . مقال غريس هالسيل : «اسرار جديدة حول علاقة إسرائيل المباشرة بالصراع العراقي الأمريكي» .

اهدافهم ، وإن كان لا بد من نشرها وبثها فيمكن عندئذ التلاعب بها في الزيادة والنقصان والتعليقات والتحليل والتحايل وغيرها حتى تصل إلى الجمهور كما يراد لها أن تصله بالضبط . يقول مروان دودين وزير الإعلام الأردني السابق يصف آلية التعتيم في حرب الخليج[1] : «أربعون يوما تلت قرار الحرب في ١٩٩١/١/١٧ غطيت بالإعلام العسكري المراقب واقتصر التوصيل فيها على البلاغات المقتضبة وصور مدارج المطارات والبوارج في معركة جوية لم يسبق لها مثيل في التاريخ . وبلغ التعتيم عليها حداً فاق توقعات عتاة الصحفيين في معسكر التحالف ذاته ، ومن المفارقات الإعلامية البارزة ان انقطع الإعلام العراقي عن الدنيا الا من خلال السيد بيتر ارنوت مراسل السي أن أن الشهير ، الذي تبين فيما بعد انه استغل هذه القناة الوحيدة الواصلة بين بغداد والعالم للتحدث إلى صديقته الإسرائيلية العاملة في التلفزيون الإسرائيلي في تل ابيب وقديما قالوا : شر البلية ما يضحك ولأن التغطية الإعلامية لفترة الحرب القصيرة هذه لا تزال ماثلة في الأذهان فلسنا بصدد الإفاضة في وصفها نكتفي بالقول انها كانت امتداداً كفؤاً وطاغيا لاداء الالة الإعلامية لدول التحالف الرئيسية وانها من منظور تقني صرف اثبتت ان الذين يقفون في جانب المتلقين لمكونات طعامهم الرئيسية كالقمح سواء كانوا من العراق او الاتحاد السوفياتي او معظم بلدان العالم الثالث فانهم هم انفسهم الذين يقفون في موقع المتلقين لنتاج هذه الالة الإعلامية الهائلة ، لا النوايا الطيبة ولا مثل الحق والخير المجردين تكفي للوصول إلى الناس بمجرد خروجها من أفواه الناس الطيبين او القادة الداعين للحق والخير ، وفي منطقتنا وبالذات ابان هذه الأزمة (الطاحنة) لم يعد صوتنا يصل إلى آذان أنفسنا بوضوح ، بل ولم يكن امامنا في معظم الساعات الحرجة الا قنوات اعلام دول التحالف تتفرج عليها ونتلقى منها بغير حساب» [2] .

أما لوعدنا لورقة «روس وسولومون» فنجد موضوع التعتيم قد أُتبع كاسلوب ومنذ بدايات الأزمة في الداخل الأمريكي بالاضافة للأساليب الاخرى من التضليل والخداع والكذب فكان حجب الحقائق والمعلومات اسلوباً هاماً وضرورياً لتمرير قرار الحرب ثم الإستمرار بها حيث صار الحديث في مرحلة لاحقة عن متى وكيف الذهاب للحرب وليس عن موضوع

---

(١) صحيفة اللواء . عمّان ١٩٩١/٧/٣١ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

الذهاب للحرب نفسه والذي جعله الإعلام الأمريكي أمام الجمهور المتلقي بمثابة مسألة انتهى أمرها والبت فيها . تقول الورقة عن : «الرقابة الذاتية في وسائل الإعلام السائدة أي الأمريكية الداخلية : «منذ أن بدأت أزمة الخليج كانت غالبية التقارير الصحفية مستقاة بصورة مباشرة مما يقوله مسؤولو الحكومة الأمريكية للصحفيين وقد أُنجز بناء الحشود العسكرية بصحبة طائفة من الآراء التي نقلتها وسائل الإعلام مستبعدة من الناحية العملية المواقف النقدية الأساسية وكان من شأن برامج العلاقات العامة ان تمنح للمسؤولين الأمريكيين ومؤيديهم سيطرة روتينية على موجات الهواء ففي آب / اغسطس ، على سبيل المثال كان المثال رئيس الأركان المشتركة السابق وليام كرو نجم ثلاث قنوات منفصلة في برنامج «نايتلان» ـ خط الليل ـ واسع النفوذ الذي تبثه شبكة اي بي سي وكان ظهوره يتبادل المواقع مع سيل لا نهاية له من المسؤولين السابقين والحاليين في وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي» (١) .

وبالسياق نفسه نجد أن التعتيم شمل في الداخل الأمريكي ما يمكن تسميته بعملية «تكميم الأفواه» فالإعلام الأمريكي عتّم على أخبار المعارضة للحرب وعلى نشاطات الهيئات الشعبية والإحتجاجات الجماهيرية وعلى فعاليات الجهات الرسمية وكذلك المؤسسات المختلفة . وعلى سبيل المثال فإن جهوداً كبيرة بدأتها احدى اقسام الجمعية الأمريكية النفسية التي تضم ما يقرب من ٢٢٠ الف عضو والتي كانت قد انشئت في العام ١٩٨٢ وهذا القسم يسمى قسم على النفس للسلام «Psychology of Peace» وتنصب نشاطاته وأبحاثه على تقديم الدراسات وطرح الأفكار العلمية على صُنّاع القرار والسياسات في الإدارة الأمريكية الرامية إلى إعادة رسم هذه السياسات بما يخدم السلم العالمي ، والتدخل المباشر عند نشوب أزمات تُهَدد السلام في العالم . وقد انبرى علماء هذه الجمعية منذ نشوب أزمة العراق في بداية آب ١٩٩٠ بطرح أفكارهم على جورج بوش لمنع نشوب الحرب وبذلوا جهوداً جبارة لترشيد بوش وادارته في رسم الطرق السيكولوجية ـ السياسية بالتعامل مع الأزمة بما يكفل عدم التورط بالحرب ولكن كل هذه الجهود ظَلت غائبة عن الجمهور وتم التعتيم التام عليها ولم يسمع صوتها أحد وأُجهضت جهودها المناهضة للحرب والرامية إلى الإستعاضة عن ذلك بالحلول السلمية والمباحثات بنية صادقة ودون شروط

---

(١) صوت الشعب ، ١٩٩١/١٠/٢ .

مسبقة . ويتابع التقرير الذي نُشر في صحيفة «مونيتور» التي تصدرها الجمعية النفسية الأمريكية : «ومثل هذا الإتجاه في التعامل مع الأزمة لا تكون اميركا اطلاقا قد تراجعت عن مبدئها الذي أعلنته بعدم مكافأة المعتدي على عدوانه . ان لم نقل أنه سيفقد صدام الكثير من مكانته في العالم العربي ، ومن خلال تراجع صدام وامتثاله لقرارات الأمم المتحدة بتشجيع صادق من الولايات المتحدة الأمريكية فإننا نكون تجنبنا توجيه ضربة نحن عملياً نحذر منها علنا ونطلب من العراق ان يتفاداها ، وربحنا السلام ، ورفعنا الحظر عن شعب العراق وابقينا صدام في السلطة ، وعاد من جديد إلى أسرة الأمم المتحدة» .

تلك هي جهود علماء النفس التي لم تبرزها الصحافة العالمية خلال مسيرة الأزمة ، ومواقفهم منها ، ونشاطاتهم الكبيرة التي بذلت لحل الأزمة حلاً سلمياً ، ثم قناعتهم ان السياسيين والعسكريين هم الذين يهيئون الرأي العام لقبول الحرب التي لا بديل لها» [(١)] .

والتقرير المذكور يؤكد ، كخلاصة لعملية التعتيم على جهود السلام ، على أن صرخات السلام كانت تخنقها سيطرة الإعلام على الرأي العام الأمريكي بإقناعه على أن الأزمة لا يمكن حلها إلا بعملية جراحية عسكرية وهو ما عبّر عنه السيكولوجيون صراحةً في هذا التقرير .

وقد أكدّ ذلك أيضاً على أن الرقابة على الصحافة لم تكن تهدف إلى حماية القوات الأمريكية في الخليج بقدر ما كانت تهدف إلى تقديم الصورة المطلوبة لكي يُقّدم الأمريكيون دعمهم للحرب .

ومما يعكس اسلوب التعتيم والرقابة الإعلامية الصارمة ما صدر عن بعض الجهات الأمريكية نفسها : «لقد نشرت مجلة التايم الأميريكية في عددها الصادر في ٩١/٢/٤ في صفحتها الثامنة عنواناً يقول : ضباب الحرب . . في الوقت الذي تحاول فيه قوات صدام إجبار الأسرى على الظهور على التلفزيون العراقي يستميت الحلفاء للسيطرة على تدفق الأنباء وترك العالم غير واثق مما يحدث بالفعل» .

---

(١) الدفاع العربي . تموز ١٩٩١ . مقال د . محمد حجار : «ماذا كان دور السيكولوجيين الأمريكيين خلال أزمة الخليج ؟» .

أما وكالة الأنباء الفرنسية فقد نُشر عنها يوم ٩١/٢/٧ خبر يقول . . انها رفعت قضية ضد الحكومة الأميريكية تتهمها فيها بوضع قيود على التغطية الإخبارية لحرب الخليج ، وجاء في الإتهام أن هذه القيود تنتهك حق الصحافة في الحرية ، وحق حرية التعبير .

وقد أوغلت الشبكات التلفزيونية الأمريكية في حجب الحقيقة عن الشعب الأميركي حتى وصل الأمر بالمتظاهرين أن اقتحموا استوديوهات شبكة التلفزيون الأميركي في الأيام الأولى للحرب . عندما كان يهم المذيع المشهور (دان راذر) ان يقدم الأخبار العالمية ، اقتحموا الإستوديو وهم يصرخون (لا تحجبوا الحقيقة) وكانوا يحملون يافطات كتب عليها حاربوا الإيدز وليس العرب . . دلالة على اولويات احتياجات مجتمعهم وغضباً من التعتيم الإعلامي الذي يمارس عليهم» [١] .

ومما يؤكد على مسألة التعتيم الإعلامي والقيود التي فرضتها امريكا على الأخبار ما أوردته الدستور الأردنية نقلاً عن احدى وكالات الأنباء العالمية من واشنطن . فتحت هذا العنوان «لطمس الحقائق وبث معلومات مشوهة : البنتاغون والبيت الأبيض تحكّما بالصحافيين خلال حروب أمريكا في بنما وغرينادا والخليج» ، أوردت وكالة الأنباء الفرنسية هذا الخبر من واشنطن : ـ «أفاد تقرير لجميعة مستقلة نشر أول أمس في واشنطن ان وزارة الدفاع الأميريكية والبيت الأبيض تحكما بالصحافيين خلال عمليات التدخل الأميركي في بنما وغرينادا والخليج وان هذا التحكم تم في الغالب بموافقة الصحافيين انفسهم .

فقد أكد المركز (من أجل النزاهة العامة) ان اطلاع الجمهور الأميركي على الصراعات المسلحة الأخيرة التي تورطت فيها الولايات المتحدة كان مشوهاً ويعتبر هذا المركز جمعية لمراقبة المبادىء الأخلاقية في وسائل الإعلام ويرأسه تشارلز لويس المسؤول السابق في شبكتي «سي بي اس» و «اي بي سي» وتناول التقرير الذي صدر تحت عنوان «القيود العسكرية المفروضة على وسائل الإعلام في قفص الإتهام» بصورة خاصة وزارة الدفاع الأمريكية التي حاولت طمس الطابع الحقيقي للحرب من خلال التحكم بصور الصراع بالتعاون مع وسائل الإعلام التي تحمل قسطها من المسؤولية لموافقتها على عمليات الإخلال بالمبادىء التي طلبت وزارة الدفاع الأميريكية القيام بها لتوجيه سياسات وسائل الإعلام

---

(١) محمد أمين . صدام حسين الإدارة العربية والإسلامية . عمّان ١٩٩١ .

القاضيه بعدم «ممارسة الدعاية» واعتبار نقل المعلومات «الغاية الوحيدة» .

وقال التقرير ان «معظم الصحافيين عرضوا في نهاية الأمر للجمهور الصور والبيانات التي رغب البيت الأبيض ووزارة الدفاع بعرضها» على الرغم من انتقادهم للقيود المفروضة على وسائل الإعلام خلال حرب الخليج .

وأكد تقرير المركز «من أجل النزاهة العامة» أن مؤسسات الإنتاج الخاصة التي كانت تعرض خلال حرب الخليج صورة جيدة عن آداء الجيش الأميركي كانت تحظى بتسهيلات أكثر من الصحافيين الآخرين على صعيد الوصول إلى الجبهات .

ويذكر أن وزارة الدفاع الأميركية كانت تمنح الصحافيين تصاريح التوجه إلى الجبهات .

من ناحية اخرى اختارت وزارة الدفاع بعناية فائقة الصور الأكثر اثارة عن حرب الخليج كتلك التي تظهر القنابل الأميركية الموجهة عن بعد وهي تصيب أهدافها . وأشار التقرير إلى أن القنابل الأمريكية الموجهة التي أطلقت على العراق لم تتعد في الواقع نسبة ١٠٪ في المئة واتهم التقرير البيت الأبيض الذي حظر على الصحافيين لاسباب سياسية الدخول إلى قاعدة دوفر الجوية في ولاية ديلاوير حيث كان ينقل القتلى من الجنود الأميركيين على الجبهة العراقية (١) .

٢ ـ الاساليب الخاصة

بعد أن استعرضنا الأساليب العامة الكبرى يمكننا الآن استعراض الأساليب الإعلامية النفسية الخاصة التي استخدمت في حرب الخليج . والتي يمكن عرضها حسب توجيهها وفقاً للأهداف المرسومة لها وذلك في أربع جوانب أو مجالات : المجال الأول تم استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي فيه دولياً ، المجال الثاني تم استخدام الأسلوب الإعلامي فيه عراقياً اي تجاه العراق ، والمجال الثالث استخدم فيه الإسلوب عربياً اي تجاه العرب والرابع استخدم داخلياً حيث كان موجهاً نحو الرأي العام الأمريكي . ونفصل ذلك كمايلي :

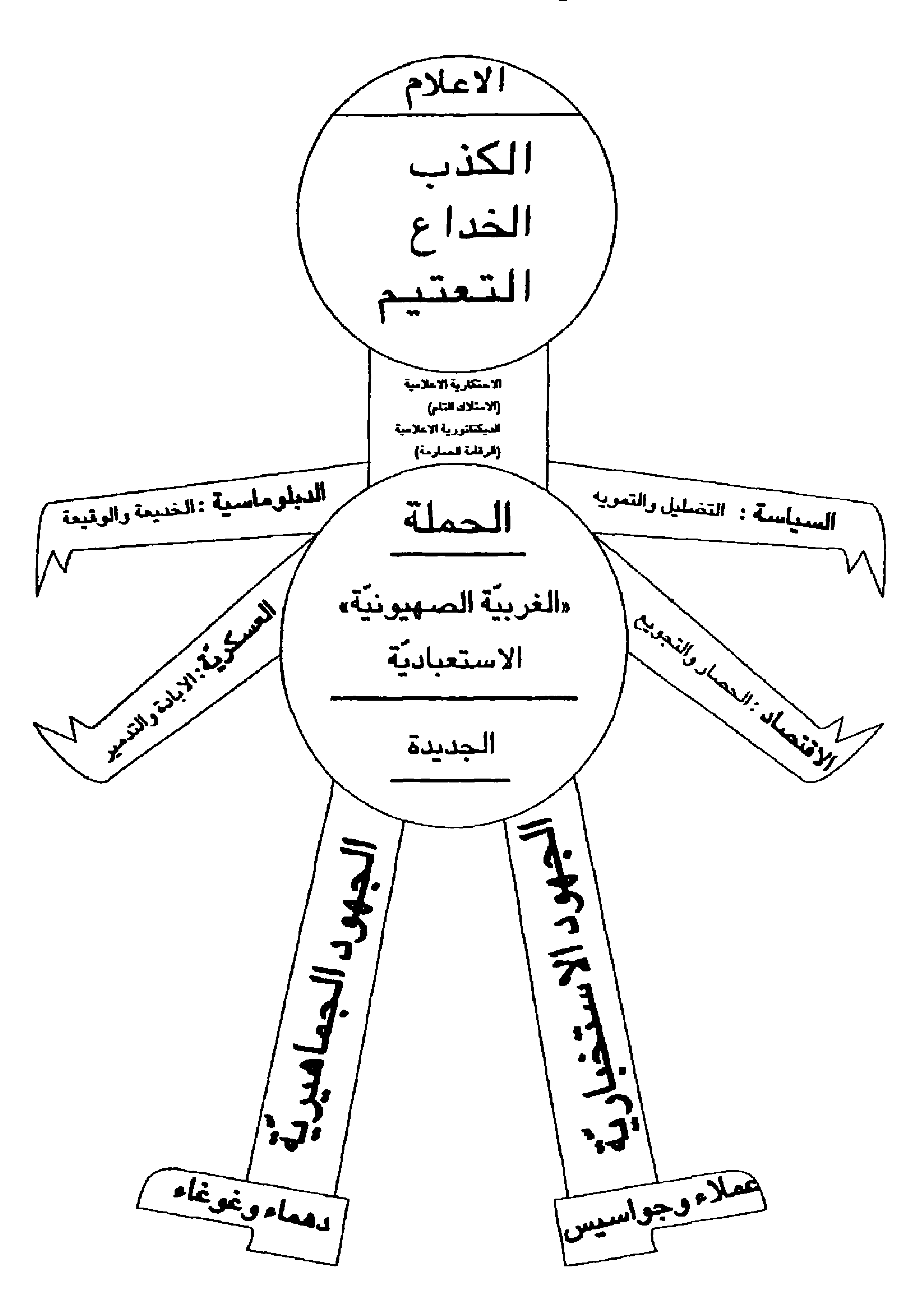
أ ـ المجال الأول / استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي دولياً

وأهم عناصر هذا المجال :

---

(١) الدستور ، عمّان ، ١٩٩٢/١/١٧ ؛

الشكل يبيّن جسم «الحملة الغربية»
وموقع الحملة الاعلامية منها



١ ـ الشرعية العربية

والذي تبّدى وظهـر في حـصـول الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة التي تقف على رأس التحالف الغربي على القرار العربي الصادر عن جامعة الدول العربية والذي يوافق ويقّر بشرعية التدخل الأجنبي في المنطقة ، بحجة حماية أمن دولها وشعوبها ومن خلال حل المشكلة ولو استدعى الأمر العمل على استقدام قوات أجنبية لحل المشكلة الناجمة عن دخول العراق إلى الكويت .

وتم استخدام الإعلام لهذا الغرض وعلى المستوى الدولي بهدف احتلال منابع النفط وضرب العراق تحت مظلة الشرعية العربية وهي المظلة الأولى .

٢ ـ الشرعية الإسلامية

والتي تعتبر المظلة الثانية التي جاءت قوى التحالف تحتها لاحتلال الخليج وتدمير القوة العربية الصاعدة في العراق . وتمثلت الشرعية الإسلامية بالحصول على فتوى شرعية من بعض كبار العلماء المسلمين تبيح الإستعانة بالأجنبي في حالة تعرض دولة عربية إسلامية للعدوان من قبل دولة عربية اسلامية اخرى .

٣ ـ الشرعية الدولية

وهي المظلة الثالثة حيث نرى أن قوى التحالف التي جاءت بحشد كبير من الجيوش قوامه حوالي مليون جندي وزجت بهم في الخليج لمواجهة القوات العراقية انما فعلت ذلك تحت مظلات ثلاث سمحت لها أن تدخل الجزيرة للمرة الأولى في التاريخ وأن تتمركز على أرضها لتنطلق بعدوانها ضد العراق فتدمر آلته العسكرية وبناه الإقتصادية كما سمحت هذه الشرعيات او المظلات الثلاث لقوى التحالف وعلى رأسها أمريكا أن تدعم التحالف وتقويه وأن يظل قائماً حتى انتهاء المهمة لا بل وان تحصل على الدعم المعنوي المستمر والدعم المادي متمثلاً بالإضافة للقوات المسلحة كغطاء للمشاركة بالأموال التي أسكتت وكممّت فيها أفواه حتى لا تعترض واشترت بها مواقف حسمتها إلى صالحها وحصلت بواسطتها على مباركة الجميع من دول التحالف التي إن لم تستفد من الحشد مادياً فقد كفاها ذلك مؤونة وكلفة المشاركة ، واخيراً فقد ساعدت على التغطية على الإزدواجية والتمييز في التعامل مع القضايا العربية والتي تجُيّر لحساب المصلحة الغربية الصهيونية اولاً وآخراً والتي تظهر بوضوح من

خلال تطبيق معايير مزدوجة في التعامل مع القرارات الدولية الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي .

ب ـ المجال الثاني : استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي تجاه العراق ، وأبرز عناصر هذا المجال :

١ ـ تضخيم حجم القوة العراقية .

ويعتبر هذا الموضوع من أهم المواضيع التي حاولت آلة الإعلام الغربية اختلاقها وتضخيمها وإذا رجعنا إلى السنوات التي أعقبت إنتهاء الحرب العراقية ـ الإيرانية سوف نجد ان الهجمة الإعلامية الغربية ـ الصهيونية كانت تشحن الأجواء بتصوير العراق بأنه بلد تجاوز حدوده كثيراً في التصنيع الحربي وفي التسليح واعداد الجيوش التي تفوق متطلباته كبلد نام صغير وما ان وقعت ازمة الخليج مجدداً حتى بدأوا «ينفخون البالون» إلى أقصى مدى وأكبر حجم ممكن حتى أصبح العراق في الإعلام الغربي هو رابع قوة في العالم !! كما بدأ الإعلام الغربي الصهيوني بالتخويف من القوة العراقية وذلك تبريراً لضربها وتسويغاً لحجم الدمار الذي قرروا إلحاقه بالعراق حيث ترافق هذا بتلفيق التقارير للدول العربية عن نوايا عراقية عدوانية وتوريطها في شن حرب اقتصادية استفزازية ضد العراق . ولا شك ان كل ذلك من مستلزمات توجيه الضربة العسكرية للعراق وذلك بإعداد الساحة الدولية إعلامياً لقبول هذا العمل ولدعمه وما جرى على هذه الساحة حتى قبل إعدام الجاسوس البريطاني بازوفت من حملات إعلامية وإفتراءات انما جاء في إطار السيناريو الموضوع لتبرير العملية الإجهاضية ، ومنطلقات الحملة تغطي جميع المحاور التي يمكن ان تخلق العداء للعراق عند الرأي العام العالمي دون تحديد لموضوع معين حيث شملت قضايا حقوق الإنسان والأكراد والأسلحة الكيماوية والأسلحة النووية وسرقة التكنولوجيا والتجسس قال تشيني وزير الدفاع الأمريكي أمام مجلس الشؤون العالمية ١٩٩٠/١١/٧ «من اهداف الحملة الأمريكية بناء العراق قدرة عسكرية هائلة وواحد من أضخم الجيوش في العالم وفي حيازة أسلحة متطورة للدمار الشامل كالصواريخ البعيدة المدى والأسلحة الكيماوية ومحاولته تطوير اسلحة بيولوجية وإبداء استعداده لاستخدام تلك القوة» وقال داني كويل نائب الرئيس «حتى لو انسحب العراق انسحاباً غير مشروط من الكويت فإننا يجب أن نذهب لا بعد من ذلك ، لانه لا يمكن السماح للعراق بالاحتفاظ بقوته العسكرية» وقال ليفي وزير خارجية العدو لصحيفة هاآرتس يوم الثلاثاء ١٩٩٠/١٠/٢٣ «ان اسرائيل تعارض اي اتفاق يسمح للرئيس صدام حسين

بالبقاء في السلطة والاحتفاظ بآلة الحرب لديه» في مرحلة لاحقة وتحت المظلة التضليلية نفسها كان يتم تدمير العراق بالكامل بحجة البحث وتدمير القوة الجبارة العدوانية للعراق والتي تُهَدد السلام العالمي ضاربة ، اي القوة العراقية ، بعرض الحائط الشرعية الدولية معُرضة الإنسان في العالم أينما كان لخطر الموت المحقق إذا لم يوقف عند حده .

٢ ـ التعريض بشخصية الرئيس العراقي وتشويه صورته

حيث يعتبر هذا الموضوع هو العنصر الرئيس الثاني في البعد العراقي لوسائل الإعلام الغربية في معركتها الإعلامية أثناء حرب الخليج ويهدف هذا الجانب إلى تحقيق عدة اهداف منها :

أ ـ تصعيد الأزمة وتبرير الحرب ضد العراق باعتبار رئيسه شخصية دموية عدوانية تقف في وجه السلام العالمي وتسعى لتدمير أسس الحضارة الغربية مما يهيء لاقامة التحالف ويمهّد للمحافظة على تماسكه .

ب ـ الإستمرار في حصار ومحاربة العراق حتى إسقاط رئيسه وتغيير حكومته بحجة هذه الأضاليل الخادعة لتحقيق الأهداف الأمريكية من الحرب باحتلال منابع النفط والتحكم بالمنطقة وحماية دولة العدوان الإسرائيلي .

جـ ـ تبرير طلب الحماية الذي أوحت به أمريكا لرؤساء دول المنطقة العربية وتبرير كافة الإجراءات فيما بعد بما فيها البقاء في المنطقة طالما الرئيس العراقي موجود لاستغلال ثرواتهم لأطول مدة ممكنة .

د ـ تبرير حجم الدمار الذي يزمعوا إنزاله بالعراق بحجة بقاء الرئيس بالسلطة وعدم تنحيه عنها .

هـ ـ فصل الشعب عن رئيسه وزرع إسفين بين القيادة والقاعدة لنسف اللحمة الوطنية والتماسك الداخلي لزعزعة استقرار البلد ومن ثم اختراقه بسهولة وتركه بعد ذلك ولمدة طويلة مجرد دولة ضعيفة بالكاد تحصل على معيشتها لا أن تستغل مواردها لتطوير امكاناتها الإقتصادية والتصنيعية والعسكرية حماية لحقوقها خاصة وحقوق العرب عامة .

و ـ تشويه صورة الرئيس العراقي في عيون العرب وأنه خطر عليهم جيمعاً لإفشال محاولاته في تصعيد العداء العربي في المنطقة ضد أمريكا والغرب ، مما يُهَيء لإدخال المواطن العربي في سراديب الحيرة والإحباط والهزيمة . . وعليه فقد تم إستغلال الإعلام الغربي لكافة القضايا التي يمكن أن تستخدم اهداف هذا الجانب فكان أن عمل هذا الإعلام

على تشويه صورة صدام حسين من خلال تصوير شخصيته وربطها بشخصية هتلر واظهار المسألة كلها بأن سببها جنون صدام هتلر العرب الجديد وأنه يقود المنطقة والعالم ـ إن هو لم يوقف عند حده ـ إلى كارثة محققة وأن أمريكا نفسها لن تسلم من الدمار المنتظر (تمثيلية سقوط قناع الغاز من حقيبة حارس بوش في المطار لاقناع الأمريكيين بحجم التهديد العراقي لواشنطن) . وربط الشخصيتين هو ربط لصورة الدمار الذي لحق بأوروبا على يدي هتلر والذي ينتظر العالم اليوم على يدي صدام حسين ، وهو ربط قصد به حشد العالم ضد العراق كما حُشد ضد هلتر وأن نتيجة الطغاة واحدة ! وظل الإعلام الغربي والأمريكي خاصة قد التزم شهراً كاملاً عملية التركيز على هذه المسألة بالذات حتى تأكد من ترسيخها في العقول [1] وتم شحن العواطف ضد العراق ورئيسه تمهيداً للحرب الجائزة (٤٠٪ من الأمريكيين ايدوا ضرب العراق نووياً رحمة به وبأنفسهم كما في استطلاعات الرأي !!) .

من جهة اخرى استغلت جميع القضايا التي تخدم هذا الهدف حيث ركز الإعلام الغربي على تشكيك الشعب العراقي في قيادته المتمثلة برئيسه والذي قاد شعبه في حرب طويلة مع جارته المسلمة ايران حيث عَرّض بلده وشعبه لخسائر مادية وبشرية كبيرة دون تحقيق هدف محدد ، ولم يكتف بذلك بل عرّض بلده لحصار اقتصادي ومواجهة عالمية ستكون نهايتها كارثة على العراق وشعبه . وسنجد ان اسرائيل في الفترة نفسها سوف تستغل هذه المقولة وتُركّز عليها لتصوير الرئيس صدام حسين بأنه قصير النظر ، عدواني ، طاغية يجب تقليم أظافره لا بل انهاء وجوده بعد تدمير بلاده .

مسألة اخرى سلط الإعلام الغربي الأضواء عليها ووجه اليها الأنظار وذلك بالتشكيك بصداقية القيادة العراقية والرئيس العراقي وإظهاره بمظهر الكاذب المخادع الذي لا يمكن الإطمئنان إلى التعامل الدولي معه وذلك من خلال لجان التفتيش على المنشآت النووية ـ فيما بعد الحرب ـ ودفع القيادة العراقية في كل مرة لاظهار قائمة جديدة بمنشآت نووية لم تُعلن في القائمة السابقة أو اعلانهم عن كشف مواقع جديدة وذلك بقصد تحقيق الهدف الذي ذكرناه آنفاً ثم بهدف التغطية على ما أعلن عنه العراق فيما بعد وهو خرق السيادة العراقية والقيام بأعمال التجسس .

---

(١) محمد أمين . صدام حسين الإرادة العربية والإسلامية ، عمان ١٩٩١ . يقول ص ٧٣ . ظل الإعلام طيلة ٢٤ ساعة ولمدة ٤ أسابيع في شهر أيلول ١٩٩٠ يكرر كلمة هتلر كوصف للرئيس العراقي .

ومن أجل تعميق هذا الجانب وتحقيق الأهداف التي ذكرناها آنفاً فقد تم تكبير الصورة الكاريكاتيرية للديكتاتور الدموي (الرئيس صدام) لتعكس مدى التعصب الغربي ضد المنطقة وشعبها وتوجهات هذه الأمة في النمو والسيادة فتم التأكيد على كل قول يخدم هذا الجانب حيث نُعِتَ صدام بصفات ارهابية فبالإضافة إلى وصفه بأنه هتلري دموي فقد تم تشبيهه بأنه نمرٌ طليق في المنطقة سيفترس كل من يصادفه وبأنه يلجأ إلى «البلطجة» العسكرية وأنه يسعى إلى التعامل مع الغرب بأسلوب الإبتزاز من خلال حاجتهم إلى الطاقة . كما وُصف بأنه متأثر بالأباطرة والزعماء العظام الذين صنعوا في العراق قديماً امبراطوريات مزدهرة مثل نبوخذ نصر ، وأنه يطمح في أن يصبح زعيماً للعرب جميعاً من خلال القوة التي بناها ويسخرها ـ بزعمهم ـ لهذا الهدف وليس كما يزعم من أجل العراق والعرب او حتى تحرير فلسطين . يقول عيزرا شيرازي من راديو تل أبيب ١٩٩٠/٨/٣ : «هنالك من يقول أن الرئيس العراقي صدام حسين لجأ إلى البطش والبلطجة العسكرية بعد أن رفض حكام الكويت الخضوع لابتزازه الإرهابي ورفضوا دفع ما طالبهم به من أموال الحماية وربما أغنى عن الإشارة هنا أن المشكلة الكامنة في هذا الصدد لا تنحصر فقط بين العراق والكويت وأنما المشكلة تكمن في جوهرها في معدن الرئيس صدام وأحلامه بالامبراطوريات» . وأضاف قائلاً «أن الرئيس صدام لا يخفي طموحه في أن يصبح زعيم المنطقة وهو يسعى إلى تحقيق ذلك بالقوة العسكرية وقد قام الرئيس باحتلال دولة عربية وليس هناك اي ضمان بأن لا يحاول في المستقبل القيام بخطوة ضد اسرائيل ويجب على إسرائيل ان تكون مستعدة للدفاع بوجه مثل هذه الخطوة» .

يصور البروفسور روبرت هيدلي الأستاذ بجامعة جورج تاون شخصية صدام بقوله : «أنه اذا اراد خلق اساطير من السيادة العراقية فإن لديه تراثاً ضخماً يمكنه أن يستقي منه ما يشاء ، إنه رجل دعاية ناجح ويعرف جمهوره جيداً ويُعطي حملة الدعاية التي يشنها وعوداً بالمال والسلطة وهو بالضبط ما يريده الجمهور» ، ويظهر من هذا الوصف أن لدى البروفسور تصوراً مسخاً عن مكنونات النفس العربية التي وقعت تحت الغبن الإستعماري الصهيوني منذ أكثر من قرن مما دعاه إلى تصوير مبادىء صدام بأنه أساطير دعائية . إلا أننا نراه يعّقب ملمحاً إلى الرغبة العربية بوحدة حقيقية بين العرب وأنها قد تكون السبب وراء انجذاب الشعوب العربية

خلف صدام من قوله : «ان الوحدة العربية بشكلها الحالي هّشة لذا أعتقد أن صدام سيبدأ في الحديث عن الوحدة العربية إبان مجد الحضارة الإسلامية» [1] يقول مؤرخ في جامعة برنستون يصف رغبة صدام بإحياء امبراطوريات قديمة «أن صدام يضع لنفسه صورة مستقاة من ثلاثة أشخاص لهم مكانة هم نبوخذ نصر ملك بابل ، وقاهر الصليبيين صلاح الدين ، والزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر» [1] .

وتبرز من هذا الجانب مسألتان الأولى تشويه مبادرة صدام السلمية التي أطلقها في ١٩٩٠/٨/١٢ والثانية تهديد الرئيس العراقي شخصياً والتصريح الخبيث بأن رأسه هو المطلوب من هذه الحملة . وأفضل تعبير عن هذه النقطة الأخيرة ما ظهر في اذاعة العدو الإسرائيلية يوم ١٩٩٠/٨/١٣ : «والسؤال هو كما تقول علهمشمار بأي شكل ستعبر الدول الكبرى بصورة حازمة عن مطلبها ـ تقصد انسحاب العراق ـ وتُجبر الزعيم المجنون الملطخة أيديه بالدماء على التراجع» ، وفي السياق نفسه نجد وزير خارجية العدو ديفيد ليفي يقول لصحيفة هاآرتس يوم ١٠/٢٣ : «أن اسرائيل تعارض أي اتفاق يسمح للرئيس صدام حسين بالبقاء في السلطة والإحتفاظ بآلة الحرب التي لديه» أما بصدد تشويه مبادرة صدام السلمية التي أعلن فيها العراق عن انسحابه من الكويت على شرط الإنسحابات المتزامنة لإسرائيل من القطاع والجولان ولبنان والضفة الغربية ، فقد قام ـ الإعلام الغربي ـ الصهيوني بتصوير المبادرة باعتبارها اسلوب خداعي تضليلي للرأي العام العالمي عمّا يبيته العراق له ، قالت صحيفة العدو دافار ان خطوة صدام «تستهدف دق إسفين بين الدول التي تفرض عليه الحصار باقتراحه بسحب قواته من الكويت مقابل انسحاب اسرائيل من المناطق» كما يقول مستشار رئيس وزراء العدو : «أن صدام يحاول بمبادرته الهاء الرأي العام العالمي عن حقيقة أن دولة كبيرة اقتلعت جارة صغيرة بخطوة عدوانية وبدون اي تحرج ، وأن صدام يحاول بكل طريقة ممكنة إبعاد الجيش الدولي الذي يفرض الحصار عليه» [2] .

٣ ـ تحطيم ارادة القتال وتدمير الروح المعنوية لدى العراقيين

وذلك من خلال استمرار الحصار الإقتصادي قبل ومع وبعد العمليات القتالية واظهار التعاطف مع قضية الأكراد والشيعة والتفريق قبل ذلك بين الحرس الجمهوري وبقية منتسبي

---

(١) صوت الشعب ، عمّان ١٩٩٠/٨/١٢ .

(٢) اذاعة إسرائيل ـ ١٩٩٠/٨/١٣ .

القوات المسلحة العراقية ، والعمل بالوقت نفسه على إضعاف الوحدة الوطنية وتماسك ابناء الشعب العراقي والتفافهم حول قيادتهم من خلال إثارة النعرات الطائفية والعرقية كما حدث في شمال العراق وجنوبه ، مع اظهار الرغبة من خلال الإعلام في حماية المدنيين تضليلاً للرأي العام العالمي . كذلك تم استهداف الإرادة والروح المعنوية من خلال التهديد والتآمر ضد العراق ورئيسه ، فقد لوحّت الحملة الإعلامية منذ البدايات الأولى للأزمة بإمكانية القيام بتدابير للإطاحة بنظام الرئيس العراقي حيث قال «لس إسبن» رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الأمريكي «أن بغداد وواشنطن تتجهان إلى حرب أعصاب ويبدو أن الرئيس الأمريكي بوش كان أول من فتح النار بتطرقه يوم السبت الماضي إلى احتمال حصول إنقلاب يطيح بالرئيس صدام» [1] أما إذاعة اسرائيل فقالت : «افادت صحيفة الواشنطن بوست صباح يوم ٨/٦ أن الرئيس بوش اصدر تعليماته لوكالة الإدارة الأمريكية بما فيها المخابرات لتخطيط عمليات سرية بهدف زعزعة نظام الرئيس صدام والإطاحة به . وذلك عندما انذرت المخابرات (سي . آي . إية) الرئيس بوش بأن صدام يُفَضل جعل العراق دولة عربية عظمى وأن مكانته تتيح له التلاعب بأسعار النفط بالأسواق الدولية ، وأن صدام بات يشكل تهديداً يتجاوز حدود الأزمة الكويتية للمصالح الأمريكية بعيدة المدى ، مما دفع بوش لهذا الإجراء وتخصيص جهود مكثفة لخنق الإقتصاد العراقي والتسبب في غليان الجيش العراقي المتمرد ودعم تنظيمات مقاومة سرية داخل العراق وخارجه» [2] .

واستكمالاً لمسألة تحطيم المعنويات وارادة الصمود والقتال لدى العراقيين فقد تم العمل على التاكيد على تضخيم النتائج الحربية للعمليات العسكرية الجوية والبرية بهدف تضخيم القدرة الأمريكية والتقليل من شأن المقاومة العراقية حتى لا يظهر العراق قادراً على إلحاق الأذى بعدوه الجبار الذي يملك اعتى آلات الحرب والدمار . كما حدث في قضية الصواريخ العراقية التي اصبحت بعد فتره تسقط ـ كما يزعمون ـ في البحر او في مناطق صحراوية أو مناطق خالية من السكان وانها لا تُحدث شيئا بعد ان كانت تدمر المصانع والبيوت وتلحق الخسائر الجسيمة بالأرواح .

---

(١) صحيفة الشام ـ ١٩٩٠/٨/١١ .

(٢) راديو إسرائيل ١٩٩٠/٨/٦ .

جـ ـ المجال الثالث استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي الغربي تجاه العرب .

وهنا يجدر بنا إعادة التذكير بواحد من الأهداف النفسية الإستراتيجية في معركة الإعلام الغربية في حرب الخليج وهو تضليل الرأي العام العربي عن حقيقة الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة واظهار نفسها أمام الدول العربية بمظهر الحليف المحافظ على أمن وسلام المنطقة ضد التهديد العراقي للدول العربية واطماع العراق التي ظهرت باجتياح الكويت اولاً . فركزت وسائل الإعلام على تجميل وتحسين صورة أمريكا حامية السلام وحارسة الأمن وأنها جاءت بجيوشها لحماية السعودية من احتلال عراقي وشيك ولاخراج العراق من الكويت فقط لا غير ، ثم ستحمل قواتها وترحل بعد انتهاء مهماتها واذا تطلب الأمر سوف تبقى بعض هذه القوات لإحلال سلام دائم . وعليه كان أول اهدافها أن تحصل وهي تحّرك القوات على الشرعية العربية بإشراك قوات وتمويل الحملة بالمال والسماح لها بالنزول على الأرض العربية في الجزيرة واستباحة المياه العربية في الخليج . وكان الهدف الثاني كما ذكرنا سابقاً الحصول على الشرعية الإسلامية باستصدار الفتاوي وكذلك اشراك قوات دول اسلامية واستخدام أراضيها واجوائها لضرب العراق وعلى اسوأ الإحتمالات شراء صمتها وحيادها المرحلي الذي تبين انه لم يكون حياداً على الإطلاق وانما انحيازاً لقوى التحالف ظهر على شكل مشاركة في الحصار ثم احتجاز الطائرات واخيراً دفع المتمردين لاثارة اعمال العنف والتخريب وتصعيدها . والتي تمثل طعن الرجل المنهك في ظهره حتى ينهار .

وكان من ابرز عناصر الحملة الموجهة للعرب :

١ ـ كما ذكرنا تخويف العرب من اطماع الرئيس العراقي العدوانية مما يجعلهم يشعرون بحاجة الحماية الغربية وذلك من خلال تضخيم القوة العراقية ، والتشكيك بنوايا القيادة العراقية .

٢ ـ ايجاد المبرر للحشود الغربية في المنطقة حتى لا تظهر حقيقتها كاستعمار جديد للأرض العربية مما يؤجج الأحقاد لدى العرب ضد الغرب ويدفعهم للتشكك في النوايا الغربية . والتي تتلخص بالآتي :

أ ـ بقاء العرب في حالة من التمزق والتبعية للأجنبي والتخلف العلمي والصناعي

والتكنولوجي والعسكري . . .

ب ـ بقاء اسرائيل في المنطقة كعنصر إعاقة لوحدة العرب وتخلصهم من حالة التخلف والتبعية وكعنصر إمتصاص لثرواتهم باضطرارهم لتوجيهها نحو التسليح بدل التنمية والرفاه والتقدم .

جـ ـ بقاء القوى الأجنبية الغربية وعلى رأسها أمريكا في حالة التسلط والقهر والسيطرة على دول المنطقة مما يهّيء لها نهب الثروات وعلى رأسها بترول العرب .

٣ ـ العمل على التأثير على الروح المعنوية وارادة القتال لدى الأمة من خلال مجمل الحملة الإعلامية الغربية التي كانت تهدف لاقناع العرب باستحالة الإعتماد على الذات (كما في بعض دول الخليج ولحماية نفسها) ونجحت الحملة في ابقاء الأنسان العربي في حالة من الحيرة والبلبلة ومن ثم الإحباط بسبب من اساليب الكذب والتعتيم والخداع والتضليل اولا وبسبب اعتماد العرب الحصول على المعلومات من الإعلام الغربي ثانياً .

٤ ـ العمل اعلامياً نفسياً على تشتيت الصف العربي والزيادة في تمزيقه من خلال طروحات : العرب المعتدلين والعرب المتطرفين وغيرها .

٥ ـ الحملة الموجهة للدول التي ساندت العراق شعبياً أو وقفت على الحياد رسمياً وتهديدها بالحصار والمقاطعة للضغط عليه بهدف تغيير موقفها الرسمي والشعبي .

٦ ـ تشويه الشخصية العربية وتجديد اجواء الشماته بالعرب من خلال اظهار الامة العربية بانها امة عدوانية دموية بربرية ما زالت متخلفة ، تنزع إلى الحرب في حل مشاكلها ولا تريد السلام لا لنفسها ولا لاسرائيل ولا للعالم كله ، ومن ثم خلق المبرر في تواجد الغرب وعلى رأسه امريكا في المنطقة وتواجد اسرائيل كما يتم تبرير اعتداءات الغرب الذي يمثل وجه الديمقراطية والسلام والتحضر وان هذه الإعتداءات انما هي اداة للسلام في المنطقة وذلك لتجنيب المنطقة والعالم كارثة يقوم بها العرب كما يتم ايجاد المبرر للإعتداءات الإسرائيلية باعتبارها دفاعا عن النفس . في مقابلة احدى شبكات التلفزيون الأمريكي لجلالة الملك الحسين في بداية الأزمة وفي معرض السؤال عن تطورات الأوضاع قال المذيع الأمريكي يصف الكويتيين وغيرهم من الخليجيين بقوله «هؤلاء العرب الذين بدّدوا الثروة على النساء والقمار والتبذير في الدول الأوروبية والغرب» . وقد جدّد الإعلام الغربي اجواء الشماتة

بالعرب من خلال عناوين الصحف والتي جاءت تمس صميم السمعة العربية كما سبق وحدث عقب كارثة ١٩٦٧ من اتهام العرب «بأنهم عنصر ان لم يكن مجنوناً فهو خطر على الإنسانية» مركزة الأبواق الصهيونية على ان الصراع هو عربي - عربي وليس عربي - صهيوني .

تقول صحيفةالإكسبرس «تشيني - وزير الدفاع الأمريكي يسحر الملك فهد وأزمة الخليج توصف بسباق الخيل رياضة الشيوخ المفضلة» العرب - ١٩٩٠/٩/٨ .

وقالت التلغراف صراحة «الأتراك الأشداء يقطعون شريان صدام - البترول - والكويتيون انفقوا ثرواتهم على الدعارة» العرب اللندنية ١٩٩٠/٩/٨ .

تقول صحيفة صن البريطانية «من هو الذي اكتشف النفط ؟ نحن الغرب الذين استخرجناه من جوف الأرض عندما كان العربي العادي يجعل البدائي متقدماً جداً عليه . لقد كان «إيدن» على حق عندما قال : «يجب أن لا تثق بعربي حتى ولو كان صديقاً ، انظروا ماذا حدث ، ان مختلي العقول وغريبي الأطوار يملكون النفط» .

وتم التركيز وما زال في الإعلام العالمي الغربي الصهيوني على أن العرب «متخلفون وارهابيون بالفطرة - أو بالجبِّلة» وفي القاموس الإعلامي الغربي العرب هم المسلمون والمسلمون هم العرب على حد سواء .

د - المجال الرابع / استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي الغربي داخلياً تجاه الأمريكيين أنفسهم .

كانت الحملة الموجهة للأمريكيين كبيرة ومعقدة بالوقت نفسه ، وكانت تحتوي على الكثير من الرسائل وتخدم مجموعة اهداف حسب المراحل كما سيمر معنا لاحقاً في هذا الفصل عند استعراض مراحل الحملة النفسية حسب مراحل الحرب ، ولكننا سنعرض الآن بشكل مفصل لأبرز عناصر هذا المجال والتي يجمعها خيط واحد هو (التبرير) فالحملة الإعلامية الأمريكية داخلياً (داخل البيت الأمريكي) نفسه اتصفت بالتصعيد مع تصاعد وتنامي المواقف منذ ١٩٩٠/٨/٢ وحتى ما بعد توقف القتال . فبدات الحملة بتبرير الحشد وعمليات التهليل للتصعيد العسكري ، ثم بدات عملية تبرير الذهاب إلى الحرب واقتضى الأمر في حينه إلى خنق كل صوت يدعو إلى الحل سلمياً على حساب الذهاب إلى الحرب ،

ثم كانت الرسالة تبرير رفض مبادرات السلام العراقية لاتمام العملية ، ومع شن الحرب وبدء العمليات القتالية بدأت عملية تبرير الحرب نفسها وهي أكبر عملية خداع للعقل الأمريكي حيث كان المواطن الأمريكي نفسه هو الهدف ، ثم بدأت وسائل الإعلام بتبرير التدمير الذي تم بحق العراق ثم تبرير مآل ونتائج الحرب وما تقتضيه العملية من تجميل لصورة «المحارب» الأمريكي وتزيين الشعارات والقيم والفضائل الإنسانية التي دفعت بأمريكا لركوب الصعب والذهاب إلى الحرب .

عناصر المجال الرابع / الأسلوب الإعلامي الموّجه داخلياً للأمريكيين :

١ ـ تبرير الحشد :

فقد عملت الآت الإعلام على تبرير الحشود المتعاظمة للقوى وبخاصة قوى الولايات المتحدة الأمريكية وليس قوات حفظ السلام المتعددة الجنسيات التابعة للأمم المتحدة . وارتكزت على جملة مبررات واستخدمت كما سنرى بعد قليل مجموعة كبيرة من الخدع والأضاليل لايهام المواطن الأمريكي بضرورة هذه الحشود ـ في هذه المرحلة المتقدمة من الحملة ـ لإجبار العراق على التراجع والإنسحاب من الكويت والقبول بالشروط الأمريكية لذلك . وعليه فإن هذا الجانب يأتي للحصول على الشرعية الأمريكية ـ موافقة وتأييد المواطن الأمريكي ـ في الغزو الأمريكي للمنطقة وأحتلال منابع النفط . حيث تأكيدات بوش منذ البداية على أن التحالف الأمريكي يدخل في إطار قوة متعددة الجنسيات تساهم فيها الجيوش العربية «وهذا يجعل الجمهور (الرأي العام) الأمريكي يشعر بالإنفراج بعد ان كان يضيق من رؤية الجنود الأمريكين يدافعون لوحدهم عن النظام السعودي وسط لا مبالاة الدول العربية أو عدائيتها» (١) كما تم خداع المواطن الأمريكي بأن أمريكا ملتزمة لدورها المتفرد الكبير وكذلك انسانياً تجاه دول المنطقة الذين يطلبون حمايتها ويجب ان لا تخذلهم ـ ملتزمة بالقيام بهذا الدور وهي لن تذهب للحرب وحدها بعد حصولها على الشرعية العربية والإسلامية والدولية وإنما العالم كله يقف معها ومن ورائها .

وترافق هذا الإسلوب بعمليات التهليل للتصعيد العسكري حيث كانت الإذاعات وشبكات التلفزيون والصحافة تبث بشكل دعائي في طول البلاد وعرضها ألوفاً من مشاهد

---

(١) صحيفة الشام ـ ١٩٩٠/٨/١٣ .

توديع أفراد القوات المسلحة رجالاً ونساءً إلى الجبهة . وانتشرت قصائد وصور المديح لهذه التعبئة [1] .

٢ ـ تبرير الحصار والتجويع :

حيث ضُرب الحصار على العراق بقرارات تصدرها الأمم المتحدة تباعاً منذ بداية الأزمة . وكان المبرر أن المقصود هو صدام حسين وليس الشعب . وسنجد أنه في مرحلة لاحقة سيتم تبرير استمرار حصار العراق وتجويع شعبه بحجة بقاء صدام في السُلطة ! حيث ركزت الحملة في مراحلها الأخيرة وحتى ما بعد الحرب على فصل القيادة عن الشعب العراقي في نظر الأمريكيين واقناعهم بأن أمريكا لا تقوم بتجويع شعب كامل (١٧ مليون عراقي) وأنما المقصود هو صدام شخصياً . وكان الإعلام الأمريكي بين الحين والأخر وعن طريق شبكة الكيبل نيوز (c.n.n السي . أن . أن) من بغداد يعرض صوراً وأفلاماً تبيّن حركة الناس العادية في بغداد بعد عمليات القصف الوحشية وتقصد إبراز بائعي الخضار على عرباتهم المتنقلة لتُعطي الإنطباع للأمريكيين بأن القصف يستهدف الوحدات العسكرية والمراكز الحربية ومراكز الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية فقط وأن كل شيء عادي ومتوفّر وهذا ما كذبه السيد رامزي كلارك ـ المدعي العام الأمريكي السابق ومن رجال القانون المرموقين ووزير العدل في واشنطن أثناء فضيحة ووترجيت الشهيرة ـ عندما استضافه بيتر آرنت مراسل الشبكة في بغداد حيث تحدث كشاهد عيان عن الدمار الذي لحق بالمنشآت المدنية في العراق وفي جميع المدن حيث لحق الدمار بالمدارس والمساجد والمستشفيات وحتى النوادي مؤكداً انه جاب البلاد طولاً وعرضاً ولم يجد مواقع أو معدات عسكرية قد ضُربت [2] من جهة اخرى فإن مثل هذه العروض والمشاهد اي مشاهد حركة المدنيين وإظهار الباعة والبضائع والمواد الغذائية كانت تخدم على الجانب العربي كذلك بأن تكبح جماح العواطف المتصاعدة من مشاعر الحزن والأسى لما تقوم به أمريكا ضد اخوانهم العراقيين .

٣ ـ تبرير الذهاب إلى الحرب :

وهذا الجانب في الأسلوب الإعلامي الموجه للإمريكيين سوف يظهر لنا من عدة جهات

---

(١) صحيفة الشعب عمّان ١٩٩١/١٠/٣ . جون روس ونورمان سولومون . ورقة عمل للندوة الدولية حول التغطية الإعلامية في زمن الحرب .

(٢) صدام حسين الإرادة العربية والإسلامية .محمد أمين . عمّان ١٩٩١ .

وعلى شكل مجموعة من الجزئيات التي تكمل بعضها بعضاً لتُعطي الشكل المتكامل لتبرير الذهاب إلى الحرب وهي :

أ ـ اعطاء الإنطباع أن الحرب أمر حتمي حيث كانت وسائل الإعلام في هذه المرحلة تُركز على كيف ومتى يكون الذهاب إلى الحرب وليس ضد الحرب أي أن الحرب صارت أمراً حتماً لا مفر منه والذهاب اليها من تحصيل الحاصل . «حيث كانت الأجواء ـ كما يقول روس وسولومون ـ في اواخر العام ـ اي ١٩٩٠ ـ مليئة بالجدالات والسجالات ولكنها كانت كلها تدور حول «كيف» «ومتى» الذهاب إلى الحرب ، ولم تعد تدور حول ما اذا كُنا سنذهب إلى الحرب أم لا ، وبدا أن صحافة الحقيقة التي تلاشت بلا تأخير كانت من اول ضحايا هذه الحرب بعد ان رفعت الراية وانطلقت القوات . وعلى حد تعبير شبكات التلفزيون فأنه مع اقتراب آب عام ١٩٩١ كانت القوات الأمريكية مستعدة وراغبة ومتلهفة للمعركة . . وهكذا مضت رقصات الحرب الإعلامية» (١) .

عزّز هذا الإتجاه استطلاعات الرأي العام واستبيانات رأي الجمهور الكاذبة التي عملت على اقناع المواطن الأمريكي من خلال ارقامها المُضّللة بأن غالبية الجماهير مع الذهاب إلى حرب عادلة تضع مصالح المواطن الأمريكي ـ والغربي ـ في المقام الأول «فقد زعمت الصحافة والإعلام الأمريكي أن استطلاعات الرأي العام الأمريكية تُظهر أن ٧٠٪ من الشعب الأمريكي يوافق على قرار بوش بإرسال مظليين وسلاح جو وبحرية إلى الخليج . الا أن هذه المزاعم لا يمكن في الواقع أن تُعبّر عن شعب هو في الحقيقة لا يعي ما يجري في المنطقة ، كما ان صدورها يأتي من جهات تحاول إقناع الرأي العام الأمريكي بصحة قرارات البيت الأبيض لتأييدها من قبل الغالبية (٢) . أيّد ٤٠٪ من الأمريكيين ضرب العراق نووياً رحمةً به وبأنفسهم فيما بعد وفي استطلاع للرأي .

ب ـ اعطاء الإنطباع بأن الحرب انما هي لمصلحة الأمريكيين خاصة وهي من أجل الطاقة . فقامت وسائل الإعلام بإيجاد التبرير النفسي لا قناع الأمريكيين الذين رفعوا شعار «لا للدم مقابل النفط» بأنه أمر طبيعي ومتوقع أن تحارب أمريكا من أجل مصادر «للطاقة» موجودة في أرضٍ غير أرضها ومسكونة من قبل أناس غيرها ، وأن هذه المصادر أصبحت

---

(١) صحيفة الشعب ـ ١٩٩١/١٠/٣ . المرجع نفسه .

(٢) صحيفة الشام ـ ١٩٩٠/٨/١٣ .

مهددة بالسيطرة عليها من قبل الرئيس العراقي المعادي للغرب ، فالرسالة الإعلامية التي عملت الوسائل المختلفة على ايصالها للمواطن الأمريكي واقناعه بها أن المصلحة الأمريكية اولاً وأخيراً ـ بالإضافة للشعارات الأنسانية والقيم الحضارية الأخرى ـ هي التي تدفع امريكا للذهاب إلى الحرب وهذه المصلحة الآن تكمن في النفط ومصادر الطاقة التي هي بمثابة ماء الحياة للعالم المتحضر ولا ستمرار الصناعة والتقدم والإزدهار والرفاه الأمريكي مما لا يجوز معه أن تتحكم به دولة منفردة واحدة فكيف اذا كانت هذه الدولة كالعراق دولة عدوانية شريرة بدأت باحتلال الكويت وستستكمل احتلال السعودية والخليج وجميع منابع النفط ثم تتحكم بامدادات وأسعار ما يساوي ثلثي الإحتياط العالمي [١] من «ماء الحياة العصرية» .

جـ ـ اعطاء الإنطباع من خلال وسائل الإعلام للمواطن الأمريكي تبريراً للذهاب إلى الحرب أن الحرب ستكون مجرد عملية جراحية (أي سريعة حاسمة وغير مؤذية للمدنيين) كما ان النتيجة ستكون انتصاراً سريعاً حاسماً ومؤكداً حتى أصبحت كلمة (العملية الجراحية) كالنقد المتداول وصار بمثابة مصطلح يستخدم في تلك المرحلة ـ بديلاً عن ما أسمي بعملية درع الصحراء ثم عاصفة الصحراء . وكان يرافق هذا الشعار شعار (الحرب النظيفة) كما سبق وأشرنا ، وشعار (الحرب العادلة) [٢] .

د ـ تخويف المواطن الأمريكي من صدام وإنه وان العراق خطر على السلام العالمي والأمن الدولي كما هو خطر على أمريكا والأمريكيين . حيث لم تكل او تتعب وسائل الإعلام المطبوعة والألكترونية عن التلويح بخطر الغازات السامة والرؤوس النووية التي كان صدام حسين على وشك انزالها على رأس البشرية وكانت الشعارات والعناوين البارزة التي تعدت امريكا لتصل إلى جميع انحاء العالم حول «الحرب التي ستنهي العالم» !!

إذن فقد حاولت وسائل الإعلام الغربية خداع وتضليل الرأي العام الأمريكي للحصول علي الدعم في الإتجاه نحو الحرب ضد العراق من خلال حملة ترويع لاقناع الأمريكيين والعالم اجمع وذلك من خلال تمثيلية سقوط قناع الغاز من حقيبة حرس بوش الشخصي عند

---

(١) احتياطي نفط الشرق الأوسط (٥٩٣) مليار برميل والإحتياطي العالمي مجموعة (٩٣٣) مليار برميل وفقاً لأرقام نشرة World Oil عدد آب ١٩٩٠ .

(٢) للمزيد كتاب حرب العالمين الأولى . تحرير وترجمة صبحي حديدي . الأرض للنشر ١٩٩١ . مقال «الكساندركوكبين» (الإعلام والحرب العادلة) .

نزوله من الطائرة وذلك لاقناعهم بحجم التهديد الذي سوف يتعرض له كل امريكي بما فيه الرئيس شخصياً مما يبرر شرعية الرئيس الأمريكي بالحرب ضد العراق .

هـ ـ تشويه شخصية صدام حسين وإقناع المواطن الأمريكي بأن صدام «شيطان» وأنه «هتلر» الجديد . فقد جرى الإستخدام النفسي التخريبي لتشويه صورة صدام حسين لدى الأمريكيين بتصوير تركيبته النفسية والشخصية التي تُولِّد الأفكار العدوانية كما هو هتلر بالضبط الذي الحق الدمار بأوروبا والعالم ومن ثم فلينتظر الأمريكيون الدمار القادم اليهم على يد صدام . وذلك التشويه بقصد تغذية الدوافع العدوانية لدى الأمريكيين والغرب عامة حتى يروا في الحرب الحل الأمثل لإزالة مثل هذا التهديد .

ومنذ بداية الأزمة ووسائل الإعلام الأمريكية تصور صدام بالإضافة إلى أنه «هتلر الجديد» باعتباره «الوحش الذي يقتل الأطفال» «فقد لاقت رواجاً واسعاً الرواية الوهمية عن حرمان ٣٠٠ رضيع من حاضناتهم في المستشفيات (الكويتية) ولم تعترف وسائل الإعلام الأمريكية السائدة بأن حكاية الحاضنات كانت اكذوبة إلا بعد نهاية الحرب أي بعد أن تم تناقلها فترة طويلة على أنها حقيقة واقعة . وقال المتحدثون الصحفيون الأمريكيون في تصريحات ليست للنشر أن تقديم صدام حسين في صورة «الشيطان» سيكون أمراً أساسياً لشن الحرب» [١] يقول روس وسولومون في ورقتهما آنفة الذكر في هذا السياق : «وإذْ ينظر المرء إلى الهستيريا التي انتابت المكسيك في عشية الحرب ، يتملكه احساس بالغثيان من التعمد بتهويل التهديد العسكري الذي يشكله صدام حسين على السلام العالمي لترقية العراق إلى منزلة المتحدي المطلوب لاستعراض التدمير التكنولوجي بقيادة الولايات المتحدة الذي سرعان ما اجتاح شاشات التلفزيون في أمريكا اللاتينية . ولولا تقديم صدام حسين بصورة الشيطان كهتلر جديد والخطأ المقصود في حساب قوة العراق العسكرية الذي نقلته الذراع الطويلة لشبكة سي إن إن وشبكة تيليفزا كوربوريشن ـ مركزها في المكسيك ـ لكانت الحرب بنظر أمريكا اللاتينية (والعالم أجمع) ـ مجرد عملية استيلاء وحشية يانكية اخرى على دولة ذات سيادة من دول الجنوب» [٢] .

و ـ اضافه إلى ما ذكرناه حول تبرير الذهاب إلى الحرب من خلال تشويه صورة الرئيس

---

(١) صحيفة الشعب المرجع السابق نفسه .

(٢) المرجع السابق نفسه .

صدام في عيون الأمريكيين ومن خلال تخويف المواطن الأمريكي من صدام باعتباره خطر ماحق فإنه قد تم استغلال قضية الرهائن وتشويهها هي الأخرى لتصب في القناة نفسها والإتجاه نفسه ففي برنامج العالم هذا الصباح عن اذاعة لندن يوم ١٩٩٠/٩/٢ قال مقدم البرنامج نقلاً عن تصريح لرئيسة الوزراء البريطانية «تاتشر» : «الحقيقة لو أنك سمحت لاحتجاز الرهائن على ما فيه من بشاعة أن يُحدّد ما تتخذه من اجراء ضد الدكتاتور ـ تقصد الرئيس العراقي ـ فإنه سينتصر وكل ما في وسعك أن تفعله أو أن يفعله غيرك من الناس مع أشخاص لهم طموح مماثل هو أن يحتجز رهائن وهو يعلم أن الآخرين لم يتخذوا أي إجراء لوقف هذا الدكتاتور عند حده ولذا فإنه يتعين علينا الآن ان نتخذ الإجراء اللازم والذي نشعر أنه حيوي لوقف الدكتاتور حتى لو ظل يحتجز الرهائن» .

٤ ـ خنق صوت السلام . وذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي :

أ ـ خنق صوت السلام داخلياً

فقد تم خنق صوت السلام لدى الشعب الأمريكي الذي كان يتحرك في قطاعات كبيرة بواسطة سيطرة الإعلام على الرأي العام واقناعه بأن الأزمة لا يمكن حلها بالسلام وانما بالحرب (جمعية الأمريكيين النفسية وتضم ٢٢٠ الف عضو كان لها جهود ظاهرة تم التعتيم عليها) (١) وتم ضمن عمليات التعتيم الإعلامي التغطية على جهود تخفيف حدة الإندفاع نحو الحرب وعدم السماح بإسماع صوت المطالبين بالحلول البديلة عن الحل العسكري .

ورافق هذا في أمريكا محاولة محطات الإذاعة والتلفزيون والصحافة اظهار الرأي المعارض للحرب بالمظهر الضعيف «فالأعضاء الليبراليون الذين أُعدوا للقيام بدور المتحدثين ضد الحرب كانوا عادة مصابين بفقر الدم والتخاذل ففي الوقت الذي أثاروا فيه اعتراضات على الطريقة الإجرائية وعلى العملية الجارية وتوقيتها تجنبوا القضية الأساسية المتمثلة بالحرب والسلام . واذا وجد بعض قادة الحزب الديمقراطي قطباً يفترض به ان يكون مضاداً لأنصار الحرب المتحمسين في البيت الأبيض ، فقد ساق هؤلاء القادة اعتراضات تكتيكية صورتها وسائل الإعلام وكانها جوهر المعارضة . عملت هذه المناورة على تضليل المواطنين

---

(١) مجلة الدفاع العربي . تموز ١٩٩١ مقال الدكتور محمد الحجار .

الذين لم يؤيدوا التدخل العسكري في أنحاء الولايات المتحدة ، فالذين لم يتجرعوا وصفة بوش قدم لهم دواء مغشوش بدهاء» [1] .

ب ـ خنق صوت السلام خارجياً

وكما تم التعتيم داخل امريكا من نقل صورة معارضي الحرب بالداخل كذلك ثم التعتيم داخل أمريكا وخارجها بحجب صور معارضي الحرب بالخارج بما فيها المظاهرات والمسيرات الشعبية حيث لم ينقل منها شيء في الصحافة الأمريكية [2] .

وتم خنق صوت السلام خارجياً من خلال تجاهل طروحات العراق السلمية فعلى الرغم من اعلان الرئيس صدام منذ بداية الأزمة إلى استعداده للأنسحاب من غالبية الكويت وبقائه فقط في حقول نفط الرميلة وجزيرتي بوبيان وربة فأن وسائل الإعلام الأمريكية سلّمت من حيث الأساس بوصف البيت الأبيض حول «تعنّت» العراق [3] .

كما تم تبرير الرفض الأمريكي مبادرات السلام العراقية والتستر خلف الشرعية الدولية والقانون الدولي بحجة ان العراق معتد ويجب اخراجه بالقوة وتقليم أظافره قبل الحديث عن السلام وبحجة ان العراق غير جاد مطلقاً في هذه الطروحات انما هو يقوم بالمناورة لكسب الوقت .

٥ ـ تبرير الحرب نفسها

وذلك عن طريق خداع المواطن الأمريكي لتمرير مشروع الحرب والعمليات القتالية الدائرة حيث تم خداعه بالرقابة الذاتية وبالمعيار المزدوج وبتجاهل تكاليف التدخل ثم بإخفاء حقيقة الضحايا والجرائم .

أ ـ فقد تم تضليل الأمريكيين عن طريق حجب الإعلام الأمريكي عنهم مقتل آلاف الأطفال بالعراق لفقدان الغذاء والدواء بالوقت الذي كان بوش يتباكى فيه على ان العراقيين حرموا الرضع في الكويت من حاضناتهم في المستشفيات (تم تكذيب هذه الرواية الوهمية من قبل الكسندر كوكبرن في ذي نيشن ٤ شباط ١٩٩١) [4] .

---

(١) روس وسولومون .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) المرجع نفسه .
(٤) روس وسولومون . المرجع السابق نفيه .

ب ـ كما تم تضليل المواطن الأمريكي عن طريق تجاهل تكاليف الحرب حيث لم ينل ما يمكن ان يكلفه التدخل العسكري الأمريكي في الخليج من ثمن باهظ إهتماماً يذكر في الإعلام الأمريكي ، من وخلال المساوامات الشاقة حول الميزانية في واشنطن أدّت وسائل الإعلام واجبها بالتعاون مع السياسيين في تجاهل العبء المالي وما يرتبط به من تخفيضات في الإعتمادات المخصصة للحاجات الإنسانية في الداخل . وتهربت التغطية الإعلامية من المعاناة الإنسانية المُمضّة والموت الذي كان محتوماً من جراء وقوع هجوم امريكي [١] .

جـ ـ الرقابة الذاتية : تم كذلك تضليل المواطن الأمريكي لتمرير مشروع الحرب نفسه حيث كانت ومنذ أن بدأت أزمة الخليج غالبية التقارير الصحفية مستقاة وبصورة مباشرة مما يقوله مسؤلو الحكومة الأمريكية للصحيفيين وقد أنجز بناء الحشود العسكرية بصحبة طائفة من الآراء التي نقلتها وسائل الإعلام مستبعدة من الناحية العملية المواقف النقدية الأساسية[٢] اي تم ابراز الأصوات والمواقف والدراسات التي تصب في قناة الذهاب للحرب ثم خوضها وكان يتم استبعاد كل ما من شانه ان يتناقض وهذا الإتجاه .

د ـ كما تم تبرير عملية الحرب نفسها لدى المواطن الأمريكي عن طريق أسلوب المعيار المزدوج حول حقوق الإنسان . فبحكم المعتاد أن بعض الأنظمة تمارس أساليب التعذيب والسجن بصورة روتينية ضد المواطنين لأسباب سياسية ولكنها تظل من الناحية العملية بمنأى عن انتقاد وسائل الإعلام للإنتهاكات الجماعية التي ترتكب ضد حقوق الإنسان في ظلها ، وأن حكومة بغداد التي أشارت اليها منظمة العفو الدولية مراراً بوصفها من منتهكي حقوق الإنسان على نحو صارخ لم تتعرض إلى نيران النقد في الصحافة الأمريكية إلا عندما فقدت نشاطات صدام حسين حظوتها لدى واشنطن [٣] وهذا يعني ببساطة أن انتهاك حقوق الإنسان يمكن السكوت عليها في زمن كما يمكن إثارتها وتضخيمها كما حدث بالنسبة للعراق في زمن آخر وعندما تقتضي الحاجة ذلك ، أي أن القضية ليست هي حقوق الإنسان نفسها وإنما استغلال ذلك وحفظ رصيد يمكن استخدامه في الإعلام لتشويه صورة الخصم عند الحاجة وهذا الأمر وهو أبشع ما يمكن ارتكابه بالنسبة لحقوق الإنسان لانها تكون قد انتهكت مرتين الأولى عند السكوت عنها لعدم الحاجة لإثارتها والثانية عندما

---

(١) (٢) روس وسولومون . المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق نفسه .

استخدمت لخداع وتضليل اناس آخرين ليقعوا بسببها فريسة عملية ـ مؤامرة ليس لها علاقة بحقوق الإنسان وربما ستكون كارثة بحق الإنسان .

٦ ـ تبرير التدمير ، وتبرير النتائج البشعة للحرب التدميرية .

العنصر السادس في المجال الرابع وهو استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي الغربي داخلياً تجاه الأمريكيين أنفسهم . حيث عملت آلات وأجهزة ووسائل الإعلام الجبارة على تبرير عمليات التدمير التي تمت في العراق بحجج مختلفة :

أ ـ تضخيم حجم القوة العراقية كرابع أقوى دولة في العالم والتخويف منها بقصد تبرير الحرب التدميرية المزمع شنها ضدها وتسويغاً لحجم الدمار الذي يمكن أن يلحق بالعراق . وكان قد سبق أزمة الخليج الحملة الإعلامية التي استهدفت العراق بعد انتهاء حربه مع ايران عندما كانوا يبالغون في حجم الترسانة العراقية وقد اثاروا قضايا القدرات والبرامج النووية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية . . . الخ .

وكان الهدف من مجمل الحملات الإعلامية في هذا السياق هو ترك الإنطباع والإعتقاد بأن العراق خطر عسكري كبير على السلام العالمي والأمن الدولي حتى أصبحت عبارة (أن الجيش العراقي هو رابع أكبر جيوش العالم) تثير الغبطة في نفوس من كانوا يتطلعون إلى معركة ضارية بحق [١] فقد نجح الإعلام في تضليل العالم وتضليل المواطن الأمريكي اولاً وبشكلٍ خاص في تضخيم حجم التهديد العسكري العراقي للعالم أجمع ومن ثم نجح هذا الأسلوب في ترقية العراق إلى منزلة المتحدي المطلوب لاستعراض التدمير التكنولوجي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية [١] .

ب ـ كما تم تبرير استمرار عمليات التدمير بحجة البحث عن منصات اطلاق الصواريخ وعن مراكز اسلحة الدمار الشامل . فتحت غطاء البحث عن منصات الصواريخ ومراكز الأسلحة الكيماوية والجرثومية والنووية ومقر قيادة النظام تم التبرير لعملية التدمير الشاملة . كذلك كان الإدعاء بالبحث عن الطائرات وعن المعدات والأسلحة التي أخفيت في المساجد والمدارس لتبرير ضرب هذه المراكز المدنية المحرم ضربها دولياً وانسانياً .

جـ ـ كما تم تبرير النتائج البشعة للحرب التدميرية التي شنت على العراق بادعاء ان

---

(١) المرجع السابق نفسه .

العراق كان قد تسبب في كارثة بيئية على المنطقة وتتسع دائرتها لتؤثر على ما هو أبعد جغرافياً من منطقة الشرق الوسط وأنه كان بإصراره على العدوان مؤهلاً ليصبح خطراً على البيئة العالمية برمتها كل ذلك لإضفاء المبرر الإنساني على الحملة العسكرية في أثناء مقارفتها وعلى النتائج البشعة التي انتهت اليها وتحملها شعب العراق نفسه .

د ـ ولتبرير نتائج حرب الدمار الشامل التي شنت على العراق كان لا بد في النهاية من إجراء ما تقتضيه العملية من تجميل لصورة «المحارب» الأمريكي وتلميع الشعارات والقيم والفضائل الإنسانية التي دفعت بأمريكا على حد زعمها لركوب المركب الصعب والذهاب إلى الحرب والتي حارب من أجلها الجندي الأمريكي ووقف المواطن الأمريكي وراءه دعماً وتأييداً .

وعليه فقد تم التركيز على عدالة الشعارات التي حارب الغرب تحتها وما زال في الخليج من أجلها كذلك وذلك تحت ستار من الفضائل والقيم الإنسانية بقصد استمرار حشد الدعم الجماهيري للحملة ولتحسين صورة العسكريين الذين نفذوا المهام بتفوق وروح انسانية مما يبرر كشف اي عملية تدمير كبرى او وقوع ضحايا بأعداد كبيرة بين المدنيين ولإظهار العراق بأنه لا يملك أي مبرر انساني . كل ذلك بهدف «اقناع الجبهة الداخلية بعدالة شعارات السياسيين والقضايا التي روجّوا لها في حرب الخليج وكذلك لتطمين المجتمع الأمريكي بأن العسكريين الذين أمرهم السياسيون بتنفيذ اهدافهم قاموا بعملهم خير قيام وحسب الخطة المرسومة وأنهم يتفوقون على الأعداء ، وأن قضايا الطرف الآخر (العراق) هي غير انسانية وليست عادلة» [١] .

وهكذا وبعد أن تعرفّنا في هذا الفصل على الأهداف النفسية الإستراتيجية للحملة الإعلامية في حرب الخليج ثم وقفنا بشكل تفصيلي على الأساليب العامة ثم الأساليب النفسية الخاصة في معركة الإعلام الغربية في هذه الحرب يمكننا الآن ان ننظر إلى هذه الأساليب من زاوية جديدة وهي زاوية مراحل الحملة العسكرية وكيف كانت تظهر الأساليب النفسية في كل مرحلة من هذه المراحل .

---

(١) محمد أمين . المرجع السابق نفسه .

مراحل الحرب النفسية في حرب الخليج

بلغ السلاح الإعلامي الأمريكي الذروة في حرب الخليج بقدرته على تجنيد وسائل الإعلام العالمية لخدمة حملته العسكرية والسياسية وكذلك بالضغط على معظم دول العالم للحصول على الموافقة على فصول الحملة العسكرية والحصول على الدعم المادي (النفقات والقوات) بالإضافة إلى التعبئة النفسية لقوى التحالف من خلال اقناعها بشرعية الحرب التي تخوضها . وقد كانت الأهداف الإستراتيجية تتضح بالسيطرة على النفط لتامين امداداته بأسعار مسيطر عليها وبالعمل على حماية اسرائيل وبالتحكم بأي قوة في المنطقة عن طريق الوسائل العسكرية والسياسية تخل بالهدفين الأوليين .

وحيث تعرضنا إلى الأهداف النفسية الإستراتيجية وللأساليب المستخدمة لتحقيق تلك الأهداف فسوف نستعرض هنا بالتفصيل تلك الأهداف والأساليب ويمكن تتبع الحرب النفسية في حرب الخليج من خلال مراحلها الثلاث حيث كانت المرحلة الأولى من ٢ آب ١٩٩٠ وحتى ١٧ كانون ٢/١٩٩١ وهو بداية القصف الجوي والمرحلة الثانية من ١٧ كانون ٢ وحتى شباط/١٩٩١ وهو نهاية الهجوم البري والثالثة منذ نهاية الهجوم البري وحتى الآن[١] وسوف نعرض لهذه المراحل لنحدد أهداف كل مرحلة ووسائلها .

١ ـ المرحلة الأولى من ٢ آب وحتى ١٧ كانون ٢ / ١٩٩١ .

أ ـ الأهداف . حاولت وسائل الإعلام الغربية الظهور بمظهر :-

١ ـ المدافعة عن الشرعية الدولية اي ان امريكا ستقوم بالأعمال اللازمة من خلال مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة دفاعاً عن السلام العالمي وعن الشرعية الدولية ضد دكتاتورية الرئيس صدام حسين الذي قام باحتلال بلد عضو في هيئة الأمم المتحدة والذي سوف يوسع عدوانه في حالة تركه دون اي اجراء يؤدي إلى اخراجه من الكويت .

٢ ـ اخراج العراق من الكويت .

٣ ـ الدفاع عن السعوية ودول الخليج .

ب ـ الأساليب . استخدمت الحملة الإعلامية في هذ المرحلة مجموعة أساليب منها :

---

(١) تاريخ اعداد لكتاب اذار ١٩٩٢ .

١ ـ الحملة الموجهة للأمريكيين :

أ ـ حاولت وسائل الإعلام الغربية خداع وتضليل الرأي العام الأمريكي للحصول على الدعم في الإتجاه نحو الحرب ضد العراق من خلال حملة ترويع لاقناع الأمريكيين والعالم اجمع وذلك من خلال تمثيلية سقوط قناع الغاز من حقيبة حرس بوش الشخصي عند نزوله من الطائرة وذلك لاقناعهم بحجم التهديد الذي سوف يتعرض له كل امريكي بما فيه الرئيس شخصياً مما يبرر شرعية الرئيس الأمريكي بالحرب ضد العراق حيث تبين في استطلاع للرأي ان ٤٠٪ من الأمريكيين ايدوا ضرب العراق نووياً رحمة به وبأنفسهم .

ب ـ تبرير تجويع الشعب العراقي وان المقصود هو صدام وليس الشعب .

جـ ـ تشويه شخصية صدام حسين بتصويره باعتباره «هتلر الجديد» و «الشيطان» وغيرها مما يهيء الأمريكيين لضرورة الذهاب إلى الحرب لإيقاف هذا «النمر الهائج» عند حدّه .

د ـ تبرير الحشود المتعاظمة للقوى وبخاصة قوى الولايات المتحدة وليس قوات حفظ السلام المتعددة الجنسيات التابعة للأمم المتحدة .

هـ ـ التبرير النفسي لاقناع الأميكيين الذين رفعوا شعار (لا للدم مقابل النفط) بأنه أمر طبيعي ومتوقع ان تحارب امريكا من أجل مصادر «للطاقة» موجودة في أرض غير أرضها ومسكونة من قبل اناس غيرها وأن هذه المصادر أصبحت مهددة بالسيطرة عليها من قبل الرئيس العراقي المعادي للغرب .

و ـ اقناع الشعب الأمريكي أن الضربة سوف تكون جراحية (أي غير مؤذية للمدنيين) وأن النصر سيكون سريعاً وحاسماً ومؤكداً .

ز ـ خنق صوت السلام لدي الشعب الأمريكي الذي كان يتحرك في قطاعات كبيرة بواسطة سيطرة الإعلام على الرأي العام واقناعه بأن الأزمة لا يمكن حلها بالسلام وإنما بالحرب (جمعية الأمريكيين النفسية وتضم ٢٣٠ الف عضو كان لها جهود ظاهرة تم التعتيم عليها) .

حـ ـ تضخيم حجم القوة العراقية كرابع أقوى دولة في العالم والتخويف منها بقصد تبرير الحرب التدميرية المزمع شنها ضدها وتسويغاً لحجم الدمار الذي يمكن ان يلحق بالعراق .

وكان قد سبق أزمة الخليج الحملة الإعلامية التي استهدفت العراق بعد انتهاء حربه مع إيران عندما كانوا يبالغون في حجم الترسانة العراقية وقد اثاروا قضايا القدرات والبرامج النووية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية والمدفع العملاق . . . الخ .

ط ـ اتباع اسلوب الحرب النفسية الهجومية استناداً إلى قاعدة أن العملية النفسية الدعائية التي تصدر عن موقف قوي لا تفرض هيمنتها وتأثيرها اذا إتخذت طابع الموقف الدفاعي ولذلك كانت الحرب النفسية الغربية هجومية منذ بدايتها .

ي ـ تبرير رفضه مبادرات السلام العراقية والتستر خلف الشرعية الدولية والقانون الدولي بحجة أن العراق معتد ويجب اخراجه بالقوة وتقليم اظافره قبل الحديث عن السلام وبحجة أن العراق غير جاد مطلقاً في هذه الطروحات انما هو يقوم بالمناورة لكسب الوقت .

٢ ـ الحملة الموجهة للعرب :

أ ـ تخويف العرب من اطماع الرئيس العراقي العدوانية مما يجعلهم بحاجة للحماية الغربية .

ب ـ ايجاد المبررات لحشود الغرب الكثيفة في المنطقة وهو الأمر الذي يؤجج الحقد في نفوس العرب ضدهم ويجعلهم يتشككون في النوايا الغربية .

٣ ـ الحملة الموجهة للشعب العراقي

ان الرئيس العراقي يجر العراق للدمار في حرب لايجني منها سوى الخراب بقصد فصل القيادة عن الشعب .

٤ ـ الحملة الموجهة للقيادة العراقية والجيش العراقي :

أ ـ خداع وتضليل القيادة العراقية والجيش ومنها :

١ ـ أن القوات الأمريكية متدنية في كفاءتها (أخبار سقوط الطائرات بالعواصف الرملية وأثناء التمارين قبل بدء العمليات) .

٢ ـ أن التحصينات العراقية قوية بحيث لن تتأثر بالضربات الجوية .

ب ـ احداث التأثير النفسي من خلال القاء المناشير على القوات العراقية مما دفع البعض لترك مواقعهم بالتزامن مع ظروف العمليات القاسية وقطع خطوط الإمداد وتأثير

الضربات الجوية المستمرة .

٥ ـ الحملة الموجهة للعالم

إن العرب ما زالوا ينزعون نحو الحرب في حل مشاكلهم وحتى المشاكل الداخلية منها مما يستوجب التواجد الغربي هناك حفظا للسلام العالمي وكبح جماح القادة المتهورين .

٢ ـ المرحلة الثانية : من ١٧ كانون ٢ / ١٩٩١ وحتى ٢٧ شباط / ١٩٩١

أ ـ الأهــــداف :

١ ـ تحطيم القدرات العسكرية العراقية وتدميرها بالكامل .

٢ ـ تدمير البنية العسكرية والصناعية والعلمية في العراق .

٣ ـ تدمير مجمل المرافق والمنشآت والمشاريع العراقية ومحاولة اعادة العراق إلى العصر الحجري (تصريح دوغان قائد القوات الجوية أُقيل في ١٩٩١/٩/١٥ بعد كشفه أهداف الهجوم الجوي الأمريكي) .

٤ ـ إسقاط النظام العراقي وإقصاء الرئيس صدام حسين عن السلطة .

ب ـ الأساليب :

١ ـ الحملة الموجهة للأمريكيين :

أ ـ الإستخدام النفسي التخريبي لتشويه صورة صدام حسين لدى الأمريكيين بتصوير تركيبته النفسية والشخصية التي تولد الأفكار العدوانية كما هو هتلر بالضبط الذي ألحق الدمار بأوروبا والعالم ومن ثم انتظار الأمريكيين للدمار القادم اليهم على يد صدام وذلك التشويه بقصد تغذية الدوافع العدوانية لدى الأمريكيين والغرب عامة حتى يروا في الحرب الحل الأمثل لازالة مثل هذا التهديد .

ب ـ تحت غطاء البحث عن منصات الصواريخ ومراكز الأسلحة الكيماوية والجرثومية والنووية ومقر قيادة النظام تم التبرير لعملية التدمير الشاملة . كذلك كان الإدعاء بالبحث عن الطائرات وعن المعدات والأسلحة التي أُخفيت في المساجد والمدارس لتبرير ضرب هذه المراكز المدنية المحرم ضربها دولياً وانسانياً .

٢ ـ الحملة الموجهة للشعب العراقي

تهديد الشعب العراقي بطريقة غير مباشرة بالجوع والدمار الشامل بقصد خلق الرعب والذعر لترك مدنهم وقراهم خلال سير العمليات القتالية (كما حدث في الطور النهائي للحرب) مما يثير المشاكل والقلاقل ويمهد لاستثمار العمليات وتطويرها واستثمار المواقف لما بعد الحرب .

٣ ـ الحملة الموجهة للقيادة العراقية والجيش العراقي

القيام بأعمال خداعية وتضليلية استخدم فيها الإعلام مع الإجراءات الاخرى لتحقيق المفاجأة الإستراتيجية قبل الحرب وذلك من خلال الجمع بين التدابير والإجراءات ذات الطابع السياسي والدبلوماسي والإعلامي والعسكري كما تم ذلك أثناء الحرب لتحويل انتباه العراق عن اتجاه وتوقيت الضربة الرئيسية للعملية . وقد تم ذلك باستخدام الطرق المختلفة ومنها :

أ ـ الطرق البصرية (حشود كاذبة . تمارين انزال قوات مشاة البحرية الوهمية) .

ب ـ الطرق الإلكترونية اللاسلكية (تشويش ايجابي وسلبي) .

جـ ـ الطرق الصوتية السمعية (تمثيل حشود وتحركات ونشاط طيران وذلك باستخدام الضجيج الإصطناعي) .

د ـ الطرق الكيماوية والجرثومية (في مناطق على نطاق ضيق للخداع) .

٣ ـ المرحلة الثالثة : من ٢٦ شباط وحتى الوقت الحاضر

أ ـ الأهداف

١ ـ اتمام ما لم يتم تنفيذه في المراحل السابقة واتخاذ كل ما من شأنه تبديل السلطة ، ومحاولة القضاء على القيادة العراقية وتدمير ارادة القتال والمقاومة لدي الشعب العراقي وتمزيق اللُحمة الشعبية إلى طوائف مذهبية وعرقية وذلك من خلال حرب أهلية دينية في الجنوب (الشيعة) وحرب عرّقية في الشمال (الأكراد) .

ب ـ الأساليب .

١ ـ الحملة الموجهة للأمريكيين :

أ ـ فصل القيادة عن الشعب العراقي في نظر الأمريكيين واقناعهم بأن امريكا لا تقوم

بتجويع شعب كامل (١٧ مليون) وانما المقصود هو صدام شخصياً وذلك تبريراً لاستمرار الحصار والتجويع .

ب ـ ان العراق قد تسبب في كارثة بيئية وأنه خطر على البيئة العالمية ، لإضفاء مبرر انساني على الحملة العسكرية .

جـ ـ التركيز على عدالة الشعارات التي حارب الغرب تحتها وما زال في الخليج من أجلها كذلك وذلك تحت ستار من الفضائل والقيم الإنسانية بقصد استمرار حشد الدعم الجماهيري للحملة ولتحسين صورة العسكريين الذين نفذوا المهمام بتفوق وروح انسانية مما يبرر كشف اي عملية تدمير كبرى أو وقوع ضحايا بأعداد كبيرة بين المدنيين ولاظهار العراق بأنه لايملك اي مبرر انساني .

٢ ـ الحملة الموجهة للعرب :

أ ـ اقناع العرب عامة بضرورة البحث عن سبل السلام والتعاون مع الغرب وان الحرب ليست البديل عن الحوار في حل مشاكل المنطقة .

ب ـ تضخيم قضية الكارثة البيئية التي تسبب بها العراق سواء بالنفط الذي تسرب إلى الخليج أو بحرائق الآبار في الكويت ومن ثم اضطلاع امريكا بدور المحافظ على البيئة مما يستدعي التواجد الغربي لهذا الغرض .

جـ ـ تضخيم النتائج الحربية للتقليل من شأن المقاومة العراقية المسلحة ومن ثم عدم جدوى التفكير بالحرب مستقبلاً حتى ضد اسرائيل التي تملك اعتى وسائل الدمار (كما حدث في قضية الصواريخ العراقية التي اصبحت في الإعلام الغربي تسقط إما في البحر أو الصحراء او مناطق غير مأهولة) .

د ـ التأكيد على وجود إضطرابات في العراق والرغبة في حماية المدنيين (الأكراد شمالا والشيعة جنوباً) .

هـ ـ العمل على التأثير على الروح المعنوية وارادة القتال لدي الأمة من خلال مجمل الحملة الإعلامية الغربية التي كانت تهدف لإقناع العرب باستحالة الإعتماد على الذات (كما

في دول الخليج والحماية نفسها) ونجحت الحملة في ابقاء الإنسان العربي في حالة من الحيرة والبلبلة ومن ثم الإحباط بسبب من آساليب الكذب والتعتيم والخداع والتضليل اولا وبسبب اعتماد العرب الحصول على المعلومات من الإعلام الغربي ثانياً .

٣ ـ الحملة الموجهة للعالم :

أ ـ طرح ما عرف بالنظام العالمي الجديد الذي يدور حول تحقيق السلام في جميع مناطق العالم تحت مظلة الولايات المتحدة وينهي جميع الصراعات القائمة بين الشعوب ومنها الصراع العربي ـ الإسرائيلي .

ب ـ اظهار قصر نظر القيادة العراقية وخطأ حساباتهم وتقديراتهم على كافة الأصعدة العسكرية منها والسياسية وانها كانت تضع نصب عينيها افتراضات خاطئة منها :

١ ـ فرضية استحالة نشوب الحرب في منطقة الخليج نظراً لحساسية المنطقة بوجود النفط وذلك بالنسبة للغرب وأمريكا .

٢ ـ فرضية نتائج اطلاق الصواريخ على اسرائيل في توسيع دائرة الحرب بجر اسرائيل اليها فالعرب لجانب العراق .

٣ ـ فرضية احداث الشقاق بين دول التحالف .

٤ ـ فرضية قيام الشعوب العربية بالحركة ضد المصالح الغربية في بلادها .

٥ ـ فرضية مؤازرة او حياد بعض الدول (السوفيات وايران) .

* * *

الإعلام العربي في حرب الخليج

يحسن بنا بعد استعراض الحملات الإعلامية الغربية في حرب الخليج الثانية ان نستعرض واقع الإعلام العربي . في ذلك الوقت للوقوف على مدي الفجوة ما بين الإعلام الغربي والإعلام العربي ان ما يتصف به الإعلام العربي بشكل عام ينعكس بالضرورة على إي أعلام عربي اخر مع او ضد العراق في حرب الخليج . وما يدرج أدناه «كمواصفات» عامة

لهذا الإعلام لا يعني عدم وجود الإيجابيات ولكن تظل هذه «المواصفات العامة» كمؤشرات ضعف لا بد لتطوير الإعلام العربي من تجاوزها ومعالجتها .

فالإعلام العربي بشكل عام يتصف بمايلي :

١ ـ التبعيـــة :

فبسقوط الحواجز أمام تكنولوجيا نقل الكلمة والصورة والصوت صارت السيادة الإعلامية للأقوياء وأضحى الإعلام في العالم العربي لا يملك إلا تأثيراً محدوداً ضمن حدود اقطاره المجزأة ولا يملك من ادوات التأثير خارج اقطاره سوى النذر اليسير ، لا بل ساعد ذلك على غزو العالم العربي في عقر داره بإعلام كاسح ومستحوذ يرتدي أردية المنطقية والواقعية والجاذبية فعندما يكون مصدر المعلومات والأخبار من وسائل الإعلام الغربية ووكالاته الإعلامية فإن مجال الإنتقاء كله يُصبح أشبه ما يكون ببحيرة ملوثة فإذا كنا عاجزين ، ونحن عاجزون بالفعل ، عن تنظيف هذه المياه فإن الأمر الوحيد الذي يتحتم علينا ان نفعله هو تحسين أجهزة تنفسنا [(١)] .

وفي حرب الخليج بالذات ظهر التوافق والإنسجام بين الأقوياء الكبار إلى أبعد الحدود ، وتم ذلك بقيادة الولايات المتحدة التي حرصت كدولة قائدة أن تؤمن المظلة الدولية للحرب من خلال قرارات مجلس الأمن وأن تؤمن المظلة العربية من خلال جامعة الدول العربية وقد انضم الإعلام السوفياتي والأوروبي والياباني والعربي المشارك في التحالف بإسلوب «اوركسترالي» إلى الآلة الإعلامية الأمريكية القائدة ، ونشط هذا الإعلام بمجموعه في التحضير لتنفيذ «الأجندة السرية» وأصبح الإعلام في بلادنا وبلدان العالم الثالث إعلاماً متلقياً لا يملك من المعلومات إلاّ ما طفحت به وسائل الإعلام المتحالفة . فعلى سبيل المثال فإن إعلام الدول العربية المتعاطفة مع العراق قد نشرت ما روجّت له ادوات الإعلام المتحالف من معلومات عن القوة العسكرية العراقية بما فيها من بيانات احصائية تفصيلية عن صنوف الأسلحة وطريقة بناء خطوط الدفاع العراقية وأنواع التجهيزات العسكرية غير التقليدية من أسلحة كيماوية وجرثومية وصواريخ وما اليها ، وقد جاءت كل تلك التفاصيل لإيهام العالم

---

(١) مجلة الأسبوع العربي، ٢٨/١٠/١٩٩١ .

بأن حشد التحالف ضروري وله ما يبّرره لأن القوة المنوي التعامل معها قوة رهيبة وغير عادية ولأنها في التصرف المطلق لفرد واحد هو الرئيس العراقي .

٢ ـ التناقض :

وذلك على مستوى المضامين الإعلامية ومردّ ذلك إلى أسباب كثيرة قديكون التخلف العربي العام واحداً منها ، وغياب الإستراتيجية الواحدة وتحديد الثوابت السياسية الواحدة التي تُحدد بدورها الصديق من العدو يعتبر أيضاً واحداً من هذه الأسباب . والأنظمة السياسية تساعد في ذلك عندما يكون هدف إعلام نظام معين هو رضا ذلك النظام وتلميع صورته وتبرير قصوره وخطاياه ويكون لذلك الهدف الأولوية على الحقائق وعلى أهداف الأمة نفسها . لهذه الأسباب وغيرها تقع صحافتنا وإعلامنا العربي في مطّبات التناقض لأن المواقف سريعاً ما تتغير والعدو سريعاً ما يصبح صديقاً والصديق سريعاً ما ينقلب إلى عدو ، والإعلام يلهث وراء ذلك لأنه غالباً ما يكون اعلاماً حكومياً ويفتقر إلى الحرية الحقيقية وإلى ممارسة دوره في تكوين الرأي الحر الحقيقي وتشكيله ، وفي نقل الحدث بموضوعية وبتقديم التحليل العلمي المنطقي السليم بغض النظر عمن يرضى عنه أو يغضب عليه ويساعد على ذلك كله إنحسار أجواء الديمقراطية في التعبير . وعليه فإن ضعف المواقف السياسية يؤدي إلى ضعف المواقف الإعلامية فالإعلام العربي هو انعكاس للأوضاع العربية المتردية وحالة التخلف والتفرق ، وبالإضافة إلى غياب المخططات الإستراتيجية العامة وتحديد الأعداء والأصدقاء ـ رغم حركة المصالح ـ يؤدي كل ذلك إلى غياب الخطاب الإعلامي الثابت الرصين ويفضي بالتالي إلى الإرتجالية والتجريب ويوقع بالتناقض .

٣ ـ غياب عناصر بناء المصداقية : السرعة ، الصدق والثقة ، الشمولية والثبات .

وغياب المصداقية يجعل المواطن العربي يقف أمام إعلامه الوطني موقف المتشكك من حيث أنه تنقصه الحقيقة ، مما يلجأ إلى البحث عن الحقيقة في مصادر الإعلام الأجنبية فيقع في الشرك ويصبح ضحيةً لعمليات غسل الدماغ وآثار الدعايات السوداء والإحباط وغيرها . وهنالك العديد من الدراسات التي تؤكد على نتائج الإستفتاءات التي أجريت على مواطنين عربٍ في أقطار مختلفة وأوقات مختلفة وينتمون إلى ثقافات وأعمار وأجناس مختلفة كذلك وكلها تؤكد على أن غالبية عيناتَ تلك الإستفتاءات تثق في مصادر الإعلام

الأجنبية وتلجأ اليها لمعرفة الحقيقة الفورية والشاملة الكاملة ، وأن الغالبية منها لا تجد في مصادر اعلامها الوطني ما يشفُي غليلها لبلوغ ومعرفة الحقيقة . ولا شك ان ما يساعد على ذلك هو عدم استغلال عناصر بناء المصداقية مثل :-

أ ـ السرعة ، أو «الفورية» :

حيث يعمد المواطن العربي إلى معرفة ما يحدث من إذاعات أجنبية كإذاعة لندن ومونت كارلو ، وحتى الإذاعات العدوة كإذاعة اسرائيل بحجة انها تذيع الأخبار «فوراً» .

ب ـ الصدق والثقة :

أو الإيهام بالصدق وإظهار ما يقدّم من أخبار أو تحليلات حولها بمظهر الصدق ولتحقيق ذلك ثمة أساليب كثيرة معروفة . منها تقديم مجموعة أخبار صحيحة حتى لو كانت في صالح الجهة المرسلة وعلى إثرها مباشرة يتم نقل الأخبار او المعلومات المطلوب إيصالها إلى المستمعين لإيهامهم بصدقها وصحتها . أو أن يتم إيراد الأخبار أو المعلومات من خلال شخصية تحظى بالثقة لدي الملتقي ، وغيرها من الأساليب .

جـ ـ الشمولية والثبات :

أو نشر كل شيء عن الحدث وهو ما يُعرف بقاعدة (التدفق الطبيعي للمعلومات) فالإعلام العربي يحاول باستمرار ان يُحددّ سير المعلومات وشكل تداولها حسب سياسة النظام ومصالحه مما يدفع بالمواطنين إلى محاولة تلقي هذه المعلومات والأخبار من المصادر الأجنبية التي تبثها فوراً وبشكل كامل ويحدث هذا أيضاً بسبب ما يعرف بنظرية (حارس البوابة) وهو المصطلح الإعلامي الذي يشير إلى من يقف ما بين المرسل والمتلقي في عملية الإتصال والذي يتم وبناءً على قراره تمرير الرسالة الإعلامية أو ايقافها او تشذيبها وإنقاصها ففي الدول العربية هنالك مغالاة ومبالغة في استخدام هذا الدور وهنالك وفرة في عدد حُرّاس البوابة مما يعطل أو يؤخر بلوغ الرسالة كاملة وشاملة كما هي بالأصل لأنها تمرُّ بمراحل من التشذيب والتعديل لتتوافق مع مصلحة النظام كما يفتقر الإعلام العربي ـ نظراً لتضارب مواقفه السياسية ـ إلى التأرجح وعدم الثبات مما يُفقده المصداقية المطلوبة .

٤ ـ الضعف :

وهو نوعين ، ضعف الأدوات وضعف الأساليب .

أ ـ ضعف الوسائل والأدوات :

فقد كشفت حرب الخليج عن مدى سطوة الإعلام الغربي وأقّرت بعض الحقائق منها ان حرب الخليج كانت أول حرب متلفزة في التاريخ ، وإن من يمتلك الإعلام بوسائله وأدواته يمتلك الحقيقة لأنه سيفرض الحقيقة التي يريدها على أرض الواقع وسوف يصدقه او يجبر على تصديقه الجميع عندما لا يستطيع عجز الآخرين في إعلامهم الضعيف عن دحض أكاذيبه وإقرار أو فرض حقائقه هو . كما كشفت حرب الخليج عن أمر آخر هو أن الإعلام العصري بكل ما تجمّع لديه من وسائل الإنتشار السريع كالأقمار الصناعية والهوائيات المحمولة المتنقلة «صار أخطر من أحدث أسلحة القتال بما فيه أسلحة الدمار الشامل حتى أن الحملة الإعلامية الدولية الغربية استطاعت في بضعة أشهر أن تخلق «نفسية الحرب» حتى استصدرت من مجلس الأمن قرار شن الحرب وحتى اكتسحت أو ركبت جميع وسائل الإعلام في الدول الكبيرة والصغيرة ، الغنية والفقيرة ، حتى لم يعد هنالك «رأي آخر» [(١)]» .

وقد ظهر ضعف الإعلام العربي انعكاساً لضعف الأنظمة وضعف السياسات والمواقف وضعف القدرة على التنسيق المشترك فلا يوجد هنالك وكالة أنباء صحفية عربية مستقلة موحدّة ، تعتمد أحدث وسائل الإتصال العصري كالأقمار الصناعية مثلاً . كما لا يوجد شبكات تلفزيون عربية عالمية مثلاً (على نسق «C.N.N») قادرة على إيصال برامجها إلى العالم . ولا يوجد حتى مركز معلومات أو مركز دراسات وابحاث استراتيجي موّحد قادر على رفد المراكز الإعلامية فوراً بكل ما تحتاجه لعملها .

ب ـ ضعف الإسلوب :

من صفات الإعلام العربي ضعف الأسلوب فالأسلوب الإعلامي ينطوي على مجموعة من العيوب منها :

---

(١) مجلة الدفاع العربي ـ عدد شهر يونيو حزيران ١٩٩١ .

١ ـ الخطاب العاطفي اللاعقلاني . فهو خطاب يعتمد على العاطفة الجامحة وينزلق في مزالق اللاعقلانية . والعاطفة جانب واحد يجب عدم اغفال جوانب اخرى معه لتمرير الرسالة الإعلامية والإقتناع بها عندما تكون الأخبار ذات هدف في تكوين الرأي وبناء الإتجاهات .

٢ ـ ويتبع هذا ما ينجرّ اليه الإعلام عندما يعتمد الخطاب العاطفي من اسلوب خطابي ونبرة حماسية ، تجُر بدورها إلى منزلق آخر هو المبالغة والتهويل والتضليل . ولا شك أن الخطاب الإعلامي عندما يكون عاطفياً لا عقلانياً ، وعندما يكون خطابياً حماسياً يتسم بالمبالغة والتهويل فإنه مرّة أخرى سوف ينزلق إلى منزلقات التبجح والإدعاء والكذب لتتكامل عندها فيه عيوب الإعلام المتخلف الذي يصبح أبعد ما يكون عن الإقناع والتقبّل .

٣ ـ اعتماد فرضية التسليم مقابل الحوار . فاسلوب الإعلام العربي في طرح قضاياه وأخباره يعتمد على فرضية تسليم المتلقي لها وتقبلها هكذا دون مناقشة ولا تفكير ، بينما الطرح السليم يعتمد اسلوب إجراء الحوار الديمقراطي العلمي والموضوعي بين المرسل والمتلقي دون أن يفرض عليه شيئاً مما يدفعه إلى تقبله والإقتناع به عن طواعية حيث يحترم فيه فكره وعلمه ومعرفته .

٤ ـ اعتماد الكلمة مقابل الصورة . فقد أثبتت حرب الخليج أن الصورة كان لها الأثر الأكبر في تشكيل الرأي العام والإتجاهات . وقد كان التنافس المحسوم منذ البداية بين الإعلام العربي والإعلام الغربي ليس فقط في سطوة الإعلام وإمتلاكه للوسائل والأدوات المتطورة فحسب وانما ظهر هذا التنافس بين الاسلوب التقليدي في اعتماد الكلمة لنقل الرسالة الإعلامية مقابل الأسلوب الحديث في اعتماد الصورة والصورة المتحركة بشكل خاص . وكما ذكرنا أنفاً فقد كانت حرب الخليج اول حرب متلفزة على مدى الأربع والعشرين ساعة يومياً تعتمد الصورة المتحركة الناطقة دون الكلمة المسموعة او المكتوبة لوحدها .

٥ ـ اعتماد الجاذبية والبساطة والوضوح وكذلك الثبات وعدم التناقض والفورية والشمول في الأسلوب كعناصر تساعد في تقبل الرسالة الإعلامية وفي عملية الجذب والاستحواذ ، هذا الإعتماد كان في الإعلام العربي ضعيفاً وقاصراً أحياناً .

٦ ـ ضعف الكفاءات وتدنيها وعدم الإختصاص بالنسبة للعاملين في الحقل الإعلامي .

٧ ـ تعميم أساليب نفسية تدفع إلى تبني أنماط سلوك خاطئة مثل اسلوب التبرير واسلوب التحويل . فيعمد الإعلام العربي عادة وبسرعة إلى تلقف ما يساعده على تبرير «الهزيمة العسكرية» مثلاً بعدم وجود (الغطاء الجوي) : اين ذهبتم بالطيران (مصر ١٩٦٧) ، أو تبرير نواحي الضعف وعدم التطور بسبب (مؤامرات وتخطيط الغرب) . وكذلك استخدام اسلوب التحويل فالتخلف الإقتصادي سببه (الإستعمار) مثلاً وهذا بدوره سيعمل على تحويل نقمة الجماهير الحقيقية عن المسبب الحقيقي (قصور المسؤولين) وتعليق أخطائهم على شمّاعات الآخرين او العكس بخلق المبررات لتحويل نقمة الجماهير عن العدو الحقيقي (امريكا والصهاينة) مثلاً وتحميلها على عاتق القادة المخلصين الشرفاء .

الفصل الخامس

الحرب النفسية الغربية ما بعد حرب الخليج الثانية

[١] الحرب النفسية الغربية ضد الإرهاب وفي حرب أفغانستان ٢٠٠١ وفي حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣

[٢] الدعاية السياسية المسلحة: النظرية الإعلامية الجديدة التي أطاحت بالنظريات التقليدية القديمة.

الفصل الخامس

[١] الحرب النفسية الغربية ضد الإرهاب وفي حرب أفغانستان ٢٠٠١ وفي حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣

الحرب النفسية في حرب أفغانستان ٢٠٠١

جاءت حرب أفغانستان باعتبارها الجولة الأولى من حرب الإرهاب بعد ضربات ١١ أيلول ٢٠٠١ والتي اتهمت فيها تنظيم القاعدة المقيم في أفغانستان كما اتهمت نظام طالبان بتوفير المأوى والملجأ وتوفير التسهيلات للقاعدة مما انعكس على مجريات ومضامين ومجالات الحرب النفسية والحملات الإعلامية المرافقة لها .

الأسس النفسية للحرب النفسية ضد الإرهاب وفي حرب أفغانستان

كما فعلت أمريكا في حرب الخليج الثانية فقد سعت مرة أخرى وبتركيز بعد مرور عشر سنوات شهدت تطوراً هائلاً في الاتصالات فانتشرت الفضائيات وكذلك في المعلومات وفي التكنولوجيا المتطورة سعت إلى تحقيق التميّز في توظيف الإعلام لخدمة أغراضها الحربية فحافظت على الأسس النفسية التي اعتمدتها لضمان نجاح حملاتها في حرب الخليج الثانية وهي الاحتكار الإعلامي والتسلط والهيمنة ، والدكتاتورية الإعلامية بالضبط والتحكم التام بتدفق المعلومات وتوجيهها وبالفورية والشمولية للبقاء في وضع السيطرة والتحكم وفي البقاء كمصدر لأي معلومات حول الجولات الحربية القادمة بدءاً بأفغانستان وأخيراً في الحفاظ على السرية المطلقة لضمان نجاح الحملات والحفاظ على التحالف الدولي .

الأهداف النفسية للحرب ضد الإرهاب وحرب أفغانستان

سعت أمريكا مرة أخرى وكما فعلت في حرب الخليج الثانية للقيام بحملات إعلامية وحرب نفسية استراتيجية شاملة لتحقيق الأهداف النفسية التالية :

أ- إقناع الرأي العام الأمريكي بأن الإرهاب الذي ضرب في عقر دارهم سيعود للضرب

مرة أخرى ، فلا مجال لانتظار تلقي الضربات والمبادرة لضربه في معاقله أينما كان مما يتطلب دعم الجهد الحربي وتوطين النفس على حرب طويلة مستمرة .

ب- ترويض العالم كذلك على أن هذه الحرب ستكون طويلة شاملة ومستمرة .

جـ- إقناع الرأي العام الدولي بضرورة دعم الحرب ضد الإرهاب بكل الوسائل والأساليب بما فيه المساعدات الاستراتيجية كالقواعد الأرضية واستخدام المياه الإقليمية والجزر وفتح الأجواء ، وكذلك المساعدات اللوجستية للقوات الحليفة المتعاونة بالسلاح والذخائر والتدريب كما فعلت روسيا بفتح الأجواء للقوات الأمريكية والسماح بفتح القواعد في جمهوريات آسيا الوسطى المحاذية وفي دعمها لقوات تحالف الشمال .

د- إقناع العالم بالوقوف إلى جانب أمريكا وعدم وجود مجال بعد اليوم لموقف محايد في الحرب ضد الإرهاب ورفعت لذلك شعارها على لسان بوش نفسه (من ليس معنا فهو ضدنا) .

هـ- توطين واقناع العالم بأن الحرب ضد الإرهاب ستطال دولاً عديدة من باب الوقاية والدفاع عن النفس ، وقد تم الإعلان عن الاستراتيجية الجديدة وهي (الضربات الاستباقية) حيث تم العمل عبر الحملات النفسية الإعلامية لتحويل الحرب ضد الإرهاب إلى مطلب عالمي حيث سيتم مطاردة الدول الراعية والآوية وملاحقة جيوب الإرهاب عبر العالم .

و- إظهار الحرب في جميع جولاتها الحالية والقادمة بأنها حرب دفاعية عادلة تسعى لتحقيق الأمن الأمريكي أولاً فالأمن والسلام والاستقرار الدولي ثانياً ، وكان الخطاب الإعلامي عالي النبرة يدافع عن قيم العدل والحرية والديمقراطية بمقابلة القوى الظلامية والإرهابية! .

ز- إقناع وترويض العالم على التقسيمات الحديثة للعالم حيث تم تصنيف بعض الدول باعتبارها (دولاً مارقة) شملت مجموعة كان منها كوريا الشمالية وأفغانستان (طالبان) وإيران والعراق وسوريا وليبيا وكوريا . . .) ثم تم اختزالها مرة أخرى إلى ثلاث دول هي كوريا الشمالية والعراق وإيران (محور الشر) .

ح- صبغ الحملة النفسية وخطابها الإعلامي بالصبغة الأيديولوجية (العقائدية) وربط الإرهاب بالاسلام عبر التمريرات الإعلامية والتصريحات المؤذية التي تطلقها جهات عديدة بما فيها كبار المسؤولين كما فعل رئيس الوزراء الإيطالي (برلسكوني) الذي تحدث عن انتصار الحضارة المسيحية على الحضارة الإسلامية!! والذي دفع اسرائيل لركوب الموجة والتحريض لمحاربة (الإرهاب الإسلامي) حيث وصفت مقاومة الاحتلال المشروعة وأذرعها بالإرهاب .

ط . أخيراً عملت الحرب النفسية عبر أساس حيوي في حرب أفغانستان وهو ردع ودفع طالبان وقوات تنظيم القاعدة للاستسلام عبر استخدام الأساليب المختلفة .

الأساليب الإعلامية النفسية في حرب الإرهاب وأفغانستان

وشملت هذه الأساليب عناوين هي السرية والتعتيم والتضليل الإعلامي ، تلميع صورة أمريكا في نظر العالم وأخيراً توظيف العبارات والشعارات الدعائية :

أ . السرية والتعتيم : بحيث لم يكن يظهر على السطح من أنباء القتال إلا ما تريد الجهة القائمة على إدارة الحرب أن يطلع الجمهور عليها وكان بوش قد أكد على مبدأ السرية لضمان نجاح الحرب ضد الإرهاب ، وهي خلاصة للتجربة الأمريكية في حروبها في كل من فيتنام وقبل ذلك في كوريا لضمان استمرار الحرب مهما كانت الخسائر وحجم (الضحايا) .

ب . التضليل الإعلامي : وهذا الأسلوب اضطلع به (مكتب التأثير الاستراتيجي) التابع لوزارة الدفاع الأمريكية والذي أسس في غمرة الإرهاب للقيام بنشر المعلومات الخاطئة في وسائل الإعلام الأجنبية ضمن الحملة الإعلامية للتأثير على الرأي العام حول حرب الإرهاب عبر العالم .

جـ- تلميع صورة أمريكا في نظر العالم : كان لا بد وقد تصدّت أمريكا لفتح جبهات حربية على امتداد الساحة العالمية وقد صنّفت العالم إما معها أو ضدها ، والعالم إلى دول خيرّة طائعة وأخرى شريرة مارقة ، وقد آذنت العالم بالحرب في أية لحظة بالضربات الاستباقية أن تسارع لتحسين وتجميل صورتها من جديد في مسعىً

منها كذلك لامتصاص الاستياء العربي الإسلامي المتصاعد ضدها وتنامي الشعور السلبي بسبب تزايد التصريحات المعادية للإسلام والمسلمين والتهديدات المتواصلة لإعادة تنظيم المنطقة العربية وإصلاحها . . الخ .

د . توظيف العبارات والشعارات الدعائية : حفل الخطاب الإعلامي ضد الإرهاب بالعبارات والتصرحات والشعارات المعادية للإسلام في توظيف لها بهدف حشد الرأي العام الغربي والعالمي وراء الحملة وتم إيقاظ نظريات قديمة كصراع الحضارات لصمويل هنتنغتون وكالإسلام فوبيا أو تشكيل عقدة الخوف من الإسلام ، وهي عبارات وشعارات لم تقتصر على مسؤولين أمريكيين بل كان يتم التقاطها كما تصدر من أي جهة عبر العالم .

مجالات الحرب النفسية في حرب الإرهاب وأفغانستان

أ . المجال الدولي : حيث تم توجيه الحملات الإعلامية للعالم وللحلفاء في الناتو حلف شمال الأطلسي لإضفاء الشرعية على الحملة ضد الإرهاب العالمي ولحشد الجهد الدولي إلى جانبها وتلقي الدعم للعمليات العسكرية والتعزيزات والتسهيلات بما فيها القواعد والقوات والمعدات وفتح الأجواء .

ب . الحملة ضد نظام طالبان وشبكة القاعدة في أفغانستان : انصبَّ الجهد الأكبر للحملة النفسية ضد شبكة القاعدة التي اتهمت بتدبير وتنفيذ هجمات أيلول عام ٢٠٠١ وعلى نظام طالبان الحاكم بتهمة إيواء شبكة القاعدة مما يعتبر شريكاً في الهجمات والتي تدور مضامينها على تحطيم الإرادة والمعنويات وتفكيك الصف وتشتيت التماسك بين الطرفين وما بين الشعب الأفغاني من جهة وبين طالبان والقاعدة من جهة أخرى والدعوة للعصيان والتمرد وتقديم المغريات المادية والمكافآت للإدلاء بمعلومات وللاستسلام وللانضمام لتحالف الشمال . . .

جـ . الحملة الموجهة للدول العربية والإسلامية : أو المجال العربي الإسلامي حيث تلقّت أشد وأدق الحملات حساسية لأسباب على رأسها أن منفذي الهجمات كانوا عرباً والدولة الحاضنة للقاعدة إسلامية ممّا أوقع القائمين على الحملة بشرك

أدلجة الخطاب الإعلامي وهيمنة قضية الإسلام والإرهاب عليه التي تم ربطها معاً بشكل متعسف ممّا اضطر المسؤولون هناك لتكرار الاعتذار لضمان كسب التأييد العربي والإسلامي كما كانت باكستان الهدف الأكثر تركيزاً للحملات لإنهاء دولة مجاورة ويمكن استغلال حدودها من قبل طالبان والقاعدة وبزعم أنها كانت تقدم الدعم لأفغانستان وكان الهدف تحويل موقفها وهو ما نجحت فيه الحملات .

د . **المجال الأمريكي الداخلي** : كانت الحملة الموجهة للداخل الأمريكي تتطور حسب تطور الأحداث ففي البداية حملت نبرة المواساة والتماسك ثم عادت وحملت أسلوب الدعوة للملاحقة والانتقام من الإرهابيين وكانت الأهداف أولاً لحشد الأمة خلف قيادتها في حربها ضد الإرهاب ثم لتهيئتها لحرب طويلة مستمرة ستحمل معها المعاناة والضحايا فهي حرب فرضت عليها وليس لها من خيار سوى التصدي والدفاع عن النفس!!

أدوات الحرب النفسية ضد الإرهاب وفي حرب أفغانستان

كانت أبرز وسائل الحرب النفسية المستخدمة في حرب الإرهاب والحرب ضد نظام طالبان وشبكة القاعدة حرب المناشير وحرب الفضائيات .

أ . حرب المناشير والإذاعات : استخدمت أمريكا المناشير في جميع حروبها في كوريا وفيتنام وفي الخليج الثانية وكذلك في حرب أفغانستان حيث كانت كما تلقي المعلبات تلقي المناشير ومنها ما هو بحجم وهيئة القطع النقدية الأمريكية (دولار) كما في حرب الخليج الثانية تماماً وتتضمن الصور والرسوم التي تحمل صورة للجندي الأمريكي يصافح أفغانياً وكتب عليها بالانجليزية والفارسية وبلغة الباشتو (إن تحالف الدول هنا لتقديم المساعدة) . ومناشير استسلامية تدعو لتسليم أو الإرشاد إلى مكان أسامة بن لادن زعيم القاعدة مقابل ٢٥ مليون دولار كمكافئة كما تم استخدام الرسائل الإذاعية فتسقط أجهزة الراديو لالتقاط بث إذاعتها التي دعتها (راديو أفغانستان الحرة) وإذاعة صوت أمريكا الموجهة .

ب . حرب الفضائيات : كانت أمريكا قد اضطرت عام ١٩٩٣ لسحب قواتها من الصومال بعد عرض تقرير مدته ثلاثين ثانية فقط يتضمن صور للجنود الأمريكيين

(سحلتهم) المليشيات عبر شوارع مقديشو مما أثار الفزع في الشارع الأمريكي واعترضت المعارضة: (القوات التي ذهبت لإطعام الأطفال غيّرت مهمتها!) واستطاع التقرير وضع حدّ لتدخل عسكري دام أكثر من عام فكسب السي إن إن المعركة الإعلامية وخسر البنتاغون! وهو ما دفع بوش لتحذير الشبكات التلفزيونية من بث رسائل ابن لادن وشنّت الإدارة الأمريكية الحرب ضد شبكة الجزيرة القطرية التي انفردت ببث رسائلها على مدار ٢٤ ساعة من أفغانستان وعبر مراسليها المنتشرين في عشرات المدن بأفغانستان وفي ١٢٧ مدينة عبر العالم وقد نجحت الجزيرة ببث لقطات (حية) من أفغانستان بالوقت الذي كان المراسلون الأجانب يراقبون الأحداث حتى إن السي إن إن التي احتكرت البث الحي من بغداد عام ١٩٩١ أصبحت تقتات على قناة الجزيرة! وأصبح تيسير علوني مراسلها يضاهي (بيتر آرنت) مراسل السي ان ان ورغم التكنولوجيا الأمريكية المتفوقة في فنون الاتصال والإعلام فقد وقفت عاجزة أمام أشرطة الفيديو التي كانت تطلقها القاعدة عبر الجزيرة فانتصر الفيديو وهزمت الدبابات! أما تيسير علوني فقد عوقب باعتقاله وبتوجيه التهمة إليه في اسبانيا بالتعاون مع القاعدة!!

الحرب النفسية في حرب العراق ٢٠٠٣ (حرب الخليج الثالثة)

ما أن توقفت العمليات العسكرية الرئيسية في أفغانستان حتى بدأت طبول الحرب تقرع باتجاه العراق، حيث كان قد تم تصنيفها ضمن الدول المارقة وهي إحدى دول محور الشر الثلاث كوريا الشمالية وإيران والعراق وعليه فحرب العراق هي الجولة الثانية من حرب الإرهاب والتي اتهمت العراق بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل وأنّ له اتصالات مع القاعدة وأنه يمتلك استراتيجية عدوانية يسعى من خلالها لاحتلال المنطقة وضرب المصالح الأمريكية بل وضرب أمريكا نفسها وهو ألقى بظلاله على مضامين ومجريات الحرب النفسية ضد العراق.

الأسس النفسية للحرب النفسية في حرب الخليج الثالثة

كما فعلت في حروبها السابقة منذ حرب الخليج الثانية ومروراً بحرب أفغانستان حاولت الولايات المتحدة المحافظة مرة أخرى على تميّزها في التفوق التكنولوجي والاتصالي والمعلوماتي مما يؤمّن لها تفوقاً كبيراً في السيطرة والهيمنة المطلقة على وسائل الإعلام

وفي الضبط والتحكم الصارم بتدفق المعلومات إلا أن الخرق الذي أحدثته فضائية الجزيرة في حرب أفغانستان ونافست عبره السي ان ان التي كانت اللاعب الوحيد في ملعب حرب العراق الأولى (الخليج الثانية ١٩٩١) اتسع كثيراً هذه المرة فدخلت الحلبة عشرات الفضائيات الأخرى مما قلّص كثيراً من الأسس التي كانت اعتمدتها في تلك الحروب ممّا شكّل لها احراجات كبيرة وعميقة في الأساليب التي كانت تعتمدها وما زالت وعلى رأسها الكذب بالتشويه والخداع والتعتيم فالفضائيات العربية وصلت إلى جميع المواقع ونجحت في نقل مجريات العمليات على مدار الساعة وفي كل مكان لا بل أصبحت مصدراً للمواد الإعلامية حتى للأمريكيين أنفسهم لأسباب كان أبرزها تقدم مراسلي تلك الشبكات لأكثر المواقع حساسية وخطورة ولشجاعتهم وموضوعيتهم ، ولأنها كانت منبراً للقاءات الصحفية اليومية التي ينقلها وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف أو الناطق الأمريكي فينسنت بروكس حول مجريات العمليات فكانت ميدان حرب أخرى بين الطرفين ولعبت أكبر دور في التأثير على المعنويات لدورها الذي تميّز بالابتكار والموضوعية في التغطية والنقل والتعليق .

الأهداف النفسية للحرب ضد العراق

شنّت أمريكا حربها النفسية الاستراتيجية وكثّفت حملاتها الإعلامية ضد العراق بشكل مركز منذ حرب أفغانستان وحتى مطلع عام ٢٠٠٣ وشن الحرب عليها في آذار وذلك لتحقيق الأهداف النفسية التالية والتي تؤكد جميعها بأن هذه الحرب وحملاتها النفسية المصاحبة لها ما هي غير امتداد لحرب الخليج الثانية وللحرب ضد أفغانستان وحرب الإرهاب برمتها :

أ . إقناع الرأي العام العالمي بشرعية حربها ضد العراق لأنه يمتلك أسلحة دمار شامل وله اتصالات مع تنظيم القاعدة وهو يؤثر باستراتيجيته العدوانية على السلام والأمن والاستقرار الدولي بدءاً من المنطقة الأشد خطورة وحساسية في العالم وهو ما يستدعي التعامل معه (بالضربة الاستباقية) لكبح جماحه وشل قدراته سلفاً .

ب . إظهار حربها ضد العراق بأنها حرب دفاع عن النفس وأنها حرب عادلة في أهدافها التي تدافع بها عن قيم الحرية والعدالة والديمقراطية مقابل قوى الشر والعدوان .

جـ . إقناع العراق والعالم بأن الهدف من الحرب هو (حرية العراق) الاسم الذي أطلق عليها وإن أمريكا لم تأت طمعاً بالنفط والاحتلال والتوسع وحماية إسرائيل أو أي هدف استعماري آخر بل لتحرير العراقيين من السلطة الديكتاتورية الغاشمة التي تحكمهم!

د . ربط الحملة ضد العراق (وإقامتها) في المنطقة بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تسعى لتحقيقه فيها والذي ظهر إلى العلن عبر الإعلان عن (البرنامج الأمريكي للإصلاحات في العالم العربي) كما صرّح به وزير الخارجية كولن باول في كانون الأول ٢٠٠٢ وعقب اندلاع الحرب .

هـ . ترسيخ القناعة لدى العالم بأهمية وصدق وضرورة تقسيم وتصنيف الدول إلى مارقة أو شريرة والتعامل بالضربات الاستباقية حفاظاً على أمن واستقرار العالم .

و . تهدئة العالم الذي وقف رسمياً وشعبياً ضد الحرب .

ز . أخيراً دفع العراق للاستسلام من خلال استخدام أساليب الحرب النفسية التي جعلت شعارها (الصدمة والترويع) .

الأساليب الإعلامية النفسية في الحرب ضد العراق

لا تبتعد الأساليب التي استخدمتها الولايات المتحدة في حربها ضد العراق عن تلك التي مارستها ضد أفغانستان كالسرية والتعتيم والتضليل الإعلامي ، لا بل كانت هذه الأساليب في حرب أفغانستان هي استنساخ لتلك التي استخدمتها قبل عشر سنوات في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وكان على رأسها الثالوث البشع (الكذب والخداع والتعتيم) والذي يمثل إرثاً لحربها النفسية منذ منتصف القرن الماضي .

أ . الكذب والخداع : وتم اعتماد الحملة للخداع بهدف تكبير وتضخيم خطر العراق لحيازته أسلحة الدمار الشامل وصلته بالقاعدة رغم أن فرق التفتيش الدولية قدمت قبل الحرب ثلاثة تقارير وآخرها في شهر الحرب (آذار) وكلها تشير إلى خلوّ البلاد من تلك الأسلحة . كما تم اعتماد هذه الأساليب في الهدف المعلن للحرب (حرية العراق) وتحرير العراقيين ممّا كذبته مجريات المعارك الدموية والخراب الشامل الذي خلفته :

ب . التعتيم : للتعتيم على ما يجري في الحرب فرض الجيش الأمريكي قيوداً صارمة على الإعلام وقام بطرد العديد من الصحفيين كما حدث مع فيليب شمكر وبيتر آرنت لا بل عمد إلى ضربهم بالصواريخ وقتلهم كما حدث في الثامن من نيسان عندما ضرب مكاتب الفضائيات في فندق فلسطين وقتل أحد عشر صحفياً منهم مراسل الجزيرة طارق أيوب كما رفضت أمريكا تصوير عمليات إعادة المصابين وجثث القتلى وقبل ذلك الاحتجاج على تصوير الأسرى وهو (الخطأ) الذي اعتبرته قاتلاً في فيتنام للدرجة التي اتهمت فيه الصحافيين آنذاك بأنهم تسببوا في خسارة الحرب! وكان للتعتيم كذلك دوره أثناء القتال في محاولة مستميتة لعدم نشر عمليات المقاومة المسلحة الضارية التي أبدتها القطاعات العراقية في الجنوب والوسط ولمدة ثلاثة أسابيع قبل دخولها بغداد . كما عتّمت على خسائرها وهو ما انسحب بعد الحرب على حجم المقاومة وحجم الخسائر الكبيرة في صفوفها .

أسباب فشل الأساليب الإعلامية الأمريكية

أ . تناقض الخطاب الإعلامي الأمريكي : وشعاراته المعلنة مع الممارسات العملية خلال الحرب وعلى أرض الواقع العملي . فالوقائع الكارثية التي صنعتها الحرب وجسدتها الأيام التي تلتها جذرت القناعة لدى العراق والعرب بأن الحرب لم تهدف لتحرير العراق ونزع أسلحة محظورة غير موجودة مما أثار الشكوك العميقة حول الأسباب الحقيقية للحرب!

ب . ازدواجية الخطاب الإعلامي الأمريكي : فبالوقت الذي تم تدمير العراق لمجرد الشبهة بوجود أسلحة دمار شامل يتم غض النظر عن إسرائيل كما يتم التعامل مع كوريا الشمالية رغم اعترافها بحيازة الأسلحة المحظورة بأسلوب دبلوماسي هادئ مما نسف مصداقية الخطاب الإعلامي .

جـ . تعميم الخطاب الإعلامي ومصطلحاته العدائية : كالحديث عن الدول المارقة ودول محور الشر وتعويم مصطلح الإرهاب واستراتيجية الضربة الاستباقية وحتى ربط المقاومة المشروعة للاحتلال كما في فلسطين باعتراف القرارات الدولية

والعالم كله بالإرهاب وأخيراً اللجوء إلى مصطلحات عدائية خارج منطق العصر والسلام وكصراع الحضارات والحروب الصليبية مما نال من مصداقية الخطاب الإعلامي الأمريكي وشحنه بالتساؤلات .

د . الاستهتار بالأصدقاء والحلفاء : وهو ما أضفى لاصطفافات دولية وبروز جبهة الرفض التي قادتها فرنسا ووقفت معها روسيا وألمانيا ودول أخرى عديدة وأحدثت انقسامات داخل مجلس الأمن والاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي مما جعل هذا الخطاب مرفوضاً في دائرة واسعة عالمياً .

مجالات الحرب النفسية في العراق

أ . المجال الدولي : كما في الحروب السابقة توجهت أمريكا للعالم لإثبات شرعية الحرب مما يؤمن لها الدعم المعنوي والمادي ويوفر لها استخدام الأراضي والمياه والأجواء ، كما تسكت به الأصوات المعارضة في الداخل والخارج ، إلا أنها لم تنجح هذه المرة كما في حربها الأولى ضد العراق عام ١٩٩١ ولا في حربها ضد طالبان والقاعدة عام ٢٠٠١ بل وقف العالم كله في وجهها وصورها كحرب خارجة على حدود القانون الدولي والشرعية الدولية مما دفعها لعمليات التفاف سياسي ودبلوماسي واسعة لإقناع العالم بالحرب وهو ما انعكس على حجم المشاركة الدولية على عكس حرب الخليج الثانية ثم على الدعم المالي لتغطية نفقات الحرب والدبلوماسي من هيئة الأمم المتحدة .

ب . المجال العراقي : وهو ما سعت فيه إلى إقناع العراقيين بأن الحرب هي حرب ضد النظام الدكتاتوري الدموي الغاشم وليست ضدهم لا بل هي لتحريرهم كما سعت لإقناعهم بأن الحرب ستكون مجرد عملية سريعة جداً ونظيفة كما دعت الحملة الإعلامية النفسية العراقيين للتمرد وأوحت لهم بالهجرة والنزوح وعدم المقاومة ودعت العسكريين للاستسلام وكان التهديد على رأس هذه الأساليب كما جاء في خطاب الحرب ، خطاب بوش الذي دعا فيه صدام وأبناؤه لمغادرة العراق والنظام للتسليم .

جـ . **المجال العربي** : سعت الحملة الإعلامية الأمريكية في حرب العراق لكسب دعم وتأييد الدول العربية والإسلامية ولكنها لم تنجح كما حدث في حرب الخليج الثانية حيث كانت بمعظمها تعلن رفضها للحرب ومطالبتها باستمرار عمليات التفتيش واتباع الطرق الدبلوماسية كما أعلنته في مؤتمر القمة العربية الطارئ في مطلع آذار قبل نشوب الحرب وإن حظيت بتقديم الدعم من بعضها بما فيه فتح القواعد الأرضية والموانئ والمعابر المائية والأجواء العربية وغيرها من الدعم اللوجستي، وعلى عكس ما فعل بوش الأب في الخليج الثانية فإن بوش الابن كشف حملته ضد السعودية ومصر وحمل الخطاب الأمريكي وعوداً بتغييرات في المنطقة بتصريحات رسمية موثقة كما قال باول في آذار وهو ما أخاف الدول العربية حيث كان مضمون الخطاب يحمل التهديد المشوب بالاستهتار والاستعلاء .

د . **المجال الأمريكي الداخلي** : ركز الخطاب الموجّه للأمريكيين على ضرورة دعم الرئيس في حربه الوقائية ضد العراق قبل أن يطالهم خطره كما حدث في ضربات أيلول ٢٠٠١ إياها!! فالعراق يصنع أسلحة دمار شامل ويتعاون مع القاعدة ويزود الإرهابيين بالسلاح ويدرب ويؤوي بعضهم! كما سعى الخطاب لإقناع الأمريكيين بأن الحرب ستكون – مرة أخرى – عملية جراحية سريعة ونظيفة وأن هدفها حرية العراق التي ستنعكس على الأمن القومي الأمريكي نفسه . وأكد الخطاب على قدرة الجيش الأمريكي الكاسحة على الحسم والانتصار السريع . وكان أسلوب الخطاب وما زال كما في الجولة الأولى للحرب ضد الإرهاب في أفغانستان يحمل في الجولة الثانية بالعراق نبرة الانتقام والثأر لضحايا كارثة ضربات أيلول!! أخيراً فقد تم تصوير الحرب بأنها حرب الأخيار ضد الأشرار والحرب من أجل قيم أمريكا السامية العدالة والحرية والديمقراطية .

أدوات الحرب النفسية ضد العراق

أ . **الفضائيات** : ازداد نطاق استخدام الفضائيات على نحو كبير ملحوظ ممّا جعل حرب تكنولوجيا الاتصالات الحديثة على أشدها وهي التي غطت حرب الخليج الثانية عبر السي ان ان التي لم يكن لها منافس والتي قامت بهذه الحرب مع محطة

(الفوكس نيوز) بالعمل نفسه إلا أنها وجدت منافساً قوياً جداً في الفضائيات العربية وعلى رأسها الجزيرة والعربية وأبوظبي والتي اكتسحت الميدان على نحو لافت ونقلت بالصوت والصورة وببث حيّ مباشر ومن كل مكان وقائع الحرب وكان لها دور في إبراز الانتهاكات الخطيرة بحق المدنيين وفي إعطاء صورة عن مدى صمود العراقيين وما بعد الحرب عن مدى المقاومة ضد الاحتلال وهو ما دفع بأمريكا لانتقادها ثم تهديدها وأخيراً ضربها وقتل مراسليها .

ب . المناشير والرسائل الإذاعية : كان لهذه الرسائل دورها الكبير على مستوى الحرب النفسية الميدانية (التكتيكية) حيث مهّد القائمون على الحملة لعمليات عسكرية بإمطار القطاعات العراقية والسكانية في القرى والمدن بملايين المنشورات التي تدعوهم للاستسلام وعدم المقاومة والتعاون مع قوات الاحتلال كما عمدت لبث الرسائل الإذاعية التي تبث عبر الهوائيات الأرضية وعبر المحمولة على طائرات (سي ١٣٠) تدعو القطاعات إلى الإستسلام وتذيع الأخبار حول تقدم قواتها ونجاح عمليات الاختراق وسقوط البلدان واستسلام القطاعات الأخرى والقادة الميدانيين وكما تتضمن المناشير شرحاً لطريقة الاستسلام .

جـ . الإشاعات : وكان يتم تسريبها بمختلف الوسائل بما فيها المناشير والإذاعة والتلفزيون وكانت تحمل كماً هائلاً من الإدعاءات الكاذبة والتشويه لإحداث شرخ بين القيادة والقاعدة لتسريع الاستسلام وكذلك لإثارة عمليات التمرد والعصيان لدى العسكريين والمدنيين ومنها تلك التي تحدّثت عن مقتل بعض القادة الكبار ثم عن انشقاق البعض عن صدّام وعن استسلام القوات والقادة الميدايين الفرقة (٥١ في البصرة في أول أيام الحرب!!) وكان هدف الإشاعات التخويف تحقيقاً لشعار العمليات القتالية كذلك (الصدمة والترويع) .

د . أسرى الحرب : لعب الأسرى دوراً كبيراً في إعلام الحرب بين الطرفين وكان مدار الاتهامات للدرجة التي طالب فيها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير وفعل الشيء نفسه بوش بأن عرض صور الأسرى على شاشات الفضائيات ضد القانون الدولي

والمعاهدات الخاصة بالأسرى كمعاهدة جنيف وطالب الفضائيات العربية بالتوقف عن نشر صور الأسرى تحت طائلة التهديد والذي بالفعل تم تنفيذه بقتل المراسلين واتهام بعضهم كتيسير علوني وإن كانت المظاهرات العارمة قد خرجت في بريطانيا وأمريكا في ٢٧ آذار تطالب بتوقف التعتيم على ما يجرى بما فيها أعداد الأسرى وحجم الخسائر .

هـ . خطابات الزعماء : كان لظهور وخطابات القادة دوره الكبير الذي استخدم من قبل الطرفين حيث كان لكلمات صدّام للجيش والشعب العراقي وظهوره العلني في بغداد كما نقلته وسائل الإعلام أثره وكذلك بوش الذي ألقى خطابه قبل الحرب بـ٤٨ ساعة يدعو صدام للتنحي والضباط والجنود للتمرد والاستسلام شارحاً بالتفصيل طريقة ذلك ممّا يذكر في البيان (قف وفكر) الذي استخدمته إسرائيل في جنوب لبنان عام ١٩٨٢ .

و . المؤتمرات الصحفية والإنجازات : لعبت هذه المؤتمرات أكبر دور في هذه الحرب وساعد على ذلك الفضائيات مرة أخرى وكان لمؤتمرات محمد سعيد الصحاف ضجة هائلة حتى ألفت حولها الكتب بعد انتهاء الحرب وكان أسلوبه الاستفزازي المتحدي قوة جاذبة للجماهير على امتداد العالم العربي والإسلامي لمتابعة مجريات المعارك كما كانت الإيجازات التي يقدمها الناطق العسكري الأمريكي (فينسنت بروكس) في قاعدة السيلية في قطر مصدراً مقابلاً للمعلومات حول مجريات العمليات وكانت هذه المؤتمرات والإيجازات على شاشات الفضائية تشكل ميدان حرب أخرى بين الطرفين ولكن بأسلحة إعلامية وذخائر كلامية وكان لها تأثيرها على المعنويات وعلى كشف الكثير على ما يجري على أرض المعركة .

وهكذا فإن الاستعراض السريع لنماذج من استخدامات الحرب النفسية الحديثة في الحروب الأخيرة تثري تصورنا ومعرفتنا لأبعادها وأساليب استخدامها حيث لم يعد ثمة أي شك حول أهميتها وللدرجة التي باتت الحرب الإعلامية هي التي تقود وتوجه المعارك وأحياناً تضع خاتمتها لما راكمته من آثار قبل وأثناء القتال .

[٢] الدعاية السياسية المسلحة

النظرية الإعلامية الجديدة التي أطاحت بالنظريات التقليدية القديمة

عام

شهد العرب منذ بداية العقد الأخير من القرن الماضي ومع بداية القرن الجديد تطورات جذرية عميقة حيث كان الحدث الأبرز الأول تفكك الاتحاد السوفياتي وانهيار الكتلة الشرقية بسقوط جدار برلين في التاسع من تشرين الأول عام ١٩٨٩ ، ولم يلبث أن وقع الحدث الثاني الذي شهده بزوغ فجر القرن الجديد وتمثل بتفجيرات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ وهذان الحدثان أسقطا بدورهما ظلالهما الكثيفة على مجريات الأحداث العالمية التالية التي شكّلت ملامح المناخ الدولي العام . وهو ما عاد وألقى بظلاله مرة أخرى على الإعلام الدولي وخاصة الغربي وعلى رأسه الأمريكي مشكلاً ملامح الإعلام الدولي الجديد الذي بدأ يفرز نظرية إعلامية جديدة احتلت مواقع النظريات القديمة السائدة .

المناخ الدولي

أما المناخ الدولي فقد بدت ملامحه الأولية تبرز بمجرد سقوط جدار برلين حيث بدأت الولايات المتحدة تسعى حثيثاً لاستكمال تفكيك الاتحاد السوفياتي المنهار وإخراجه من حلبة الصراع الدولي حيث بدأت تشعر وتتصرف بناءً على تفردها وحيازتها لقوة كاسحة وبالتالي التحرك كقطب أوحد وحتى كإمبراطورية تسعى لاكتساح العالم (عبر السيطرة على كافة مناطق القوة في العالم التي تمتلك الطاقة) (وليم بيكر ، الرأي ٢٠٠٢/١٠/٣١) وهو ما عبّر عنه روبرت كاغان صاحب المجلة ويكلي ستاندارد عندما قال (. . . نعم ، أمريكا امبراطورية ، ويجب أن تتصرف على هذا الأساس مستفيدة من نفوقها العسكري الكاسح!) (سعيد محيو ، الرأي ٢٠٠٢/١٢/١٢) ومنذ ذلك الحين ومع دخول القرن الجديد وظهور إدارة أمريكية جديدة بدأ يتسلل مصطلح (القرن الأمريكي الجديد) للتعبير عن الحالة الجديدة والانتقال من وضع الدولة العظمى إلى وضع الامبراطورية والذي كان

قد تم إشهاره عام ١٩٩٧ تحت اسم (مشروع القرن الأمريكي الجديد إن إي سي بي (New American Century Project) وسلّم إلى الرئيس كلينتون عام ١٩٩٨ حيث رسم سياسة أمريكا الخارجية وإن كان الأخير لم يحرك ساكناً فكما قال نورمان مايلر (. . . فلو لم يكن هناك كلينتون لكانت أمريكا اليوم تقود العالم بأسره . . . وفقاً لمشروع القرن الجديد الذي وضع كما يبدو قبل الأوان عام ١٩٩٢ بعد انهيار الاتحاد السوفياتي بعام فقط) (الرأي ، ٣/٤/٢٠٠٣) وتم مع بدء العمل بالمشروع إياه إسقاط استراتيجية الاحتواء والردع «القديمة» وتبني استراتيجية الحرب الوقائية التي تم إعلانها رسمياً في أيلول عام ٢٠٠٢ كما أبرزها دليل السياسة الدفاعية ٩٢ - ٩٤ الذي أعده بول وولفويتز والتي تدعو إلى (منع أي دولة معادية من السيطرة على مناطق يمكن أن ترفعها مواردها إلى مصاف القوة العظمى) (فيليب غولوب ، ملحق الرأي آذار ٢٠٠٣) ولم تلبث أن وقعت تفجيرات أيلول ٢٠٠١ التي أدخلت هذه الاستراتيجية ووضعتها موضع التنفيذ تحت شعار الحرب الوقائية و(الضربة الاستباقية) والتي عمدت لأجلها إلى تصنيف الدول إلى دول مارقة (إيران ، العراق ، ليبيا ، سوريا ، كوريا الشمالية ، كوبا) ثم ما لبثت واختارت منها ثلاث دول أطلقت عليها اسم محور الشرّ وهي (العراق ، إيران ، كوريا الشمالية) كأولوية قصوى في اتخاذ أسباب الحيطة والوقاية والحذر!! وجاءت حرب الإرهاب برمتها تحت شعار (من ليس معنا فهو ضدنا) والذي جعل العالم بشكل آلي فائق التباين بين من يفترض أنه خيّر أو أنه شرّير! وكما جاءت حرب الإرهاب التي فجرتها أحداث أيلول ٢٠٠١ (حدّية) تحمل طابع المغايرة والتباين فقد جاءت كذلك ممتدة عندما أطلق على جولتها الأولى في أفغانستان (حرب القرن الأولى) .

لم تكتف الولايات المتحدة بالتحرك تحت هذه (المظلة الكبيرة) من الشعارات بل أعلنت وعمدت إلى ما أطلقت عليه (سياسة التغيير) لضمان تطبيع وتهدئة وبالتالي أمن ووداعة الدول التي تخشى خطرها وذلك باستخدام (القوة اللينة) إلى جانب التهديد باستخدام أو مباشرة استخدام (القوة الصلبة) وهو ما عبّر عنه كولن باول في أواخر كانون الأول عام ٢٠٠٢ بمشروع (البرنامج الأمريكي للإصلاحات) واسمه (مبادرة من أجل شراكة أمريكية - شرق أوسطية) والذي يرسّخ التعاون الدولي من خلال التغيير تحت

لافتة الإصلاح كما أعلنتها مذكرة (الواقع الجديد في الشرق الأوسط) (الرأي ص٢٥ ، ٢٠٠٣/٥/١٢) وهذه التغييرات أو الإصلاحات تشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الأول (الإصلاح السياسي) يهدف إلى تمرير النظام الليبرالي بما فيه التعددية والديموقراطية ومناهضة الدكتاتورية ونظام حكم الفرد الواحد أما (الإصلاح الاقتصادي) فطرح مفهوم العولمة واقتصاد السوق المفتوحة والشراكة الدولية وغيرها ، أمّا (الإصلاح الاجتماعي) فيهدف لنشر العلمانية وآليات التغيير الاجتماعي والحداثة وإصلاح نظم التعليم السائدة ومشاركة المرأة وغيرها من القيم الليبرالية والتحررية والتي جمعتها مستشارة الأمن القومي الأمريكي كوندوليزا رايس تحت عنوان واحد عندما قالت في أيلول ٢٠٠٢ (إن أمريكا تريد أن تصبح قوة محررة ، ومكرسة للديمقراطية ومسيّرة للحرية في العالم الإسلامي) في معرض حديثها عن المبادئ الجيو - استراتيجية لما بعد الحرب الباردة للولايات المتحدة (الرأي ٢٠٠٣/٩/٢٣) .

وهكذا تضافرت هذه الأحداث ومخرجاتها وانعكاساتها لتبرز ملامح السياسة الدولية وتشكل صورة المناخ الدولي برمته والتي ستكون لها تأثيرها في تشكيل المناخ الإعلامي الدولي .

المناخ الإعلامي الدولي

لقراءة المناخ الإعلامي الدولي الجديد الذي أفرزته النظرية الإعلامية الجديدة التي نحّت جانباً واحتلّت مواقع النظريات القديمة السائدة لا بد من الوقوف بعدّة محطات ، أولها خلفية المناخ الإعلامي الدولي والتي تتمثل بالثورات الثلاث : التكنولوجية والإتصالية والمعلوماتية . الأولى أنتجت التلفزيون والكمبيوتر والكاميرات المتطورة ووسائل البث الفضائي وأقمار الاتصال الصناعية وهي بدورها أفرزت ثورة الاتصالات التي عكستها شبكات الاتصال الفضائية عبر الأقمار الصناعية (الفضائيات) وشبكات الانترنت والصحافة الالكترونية التي سمحت بانطلاق ثورة المعلومات من عقالها وما عرف بالتفجير المعرفي في كافة المجالات والحقول .

في ظل هذا التقدم الهائل برزت أمور أولها كميّ والآخر نوعي تمثّل الأول بما يمكن تسميته (بالإغراق الإعلامي) حيث سمحت هذه الثورات بالتدفق الإعلامي الكاسح المتواصل على

مدار الساعة من الجهات التي تمتلك أدوات هذه الثورات بما فيها وبمقدمتها تكنولوجيا الاتصالات الحديثة والتي سمحت بالسبق في الانتاج الإعلامي الكثيف الهائل للدرجة التي أصبحت دول العالم الثالث معرضة للتلقي الإعلامي الكاسح بالوقت الذي تفتقر فيه إلى الوقوف بموازاة أو مواجهة هذا الإغراق اللا محدود .

أما الثاني وهو النوعي فقد تمثل بأمرين الاختلال والقصدية وربما تشرح (القصدية) وتفسر لنا مسألة الاختلال ، فعمليات البث الفوري الشامل ذو الصفة الإغراقية الجائحة لم تعد مع نهايات القرن الماضي وبداية القرن الجديد تحصر نفسها بالنقل الموضوعي المحايد للأخبار وتبليغ التقارير الإعلامية فحسب بل أصبح الإعلام يحمل المواد ذات المحتوى الدعائي والسياسي والتربوي والاجتماعي ... ممّا جعل مثل هذه المواد المبرمجة تتسم بالقصدية وتحمل هدفاً موجهاً يسعى من خلال التحكم بالشكل والمضمون إلى إحداث التأثير المطلوب لتغيير الأفكار والآراء ممّا جعل وسائل ومضامين الإعلام الغربي أقوى في إعادة التربية والتثقيف من الوسائل المحلية في دول العالم الثالث التي تلهث وراء الأولى مجاراة منها للتسارع الرهيب في مجال المعلومات التي ما زالت تلعب دور المتلقي فيه وليس دور المنتج ، وهذه القصدية ولدت بالضرورة اختلالات برزت باستغلال الدول المتقدمة لما تمتلكه من أدوات الاتصال المتطورة ومن قدرتها على انتاج كم هائل غير مسبوق في مجال المعرفة والمعلوماتية (إلى إشاعة قيم عالمية موحدة بذريعة عولمة الإعلام) (عاهد مشاقبة ، الأبعاد السياسية للتدفق الإعلامي ص٤ ، عمّان ٢٠٠٢) ممّا يسر لها تحقيق مصالحها المختلفة وعلى رأسها المصالح الاقتصادية وهو ما يتضح جلياً بشبكة (الانترنت) بعد أن منحها ميزة إقناع الآخرين (بعدالة) قضاياها وأن ذلك على حساب انتماءاتها الخاصة .

أخيراً فإن المناخ الإعلامي الدولي تميّز بسيادة النظريات الإعلامية التقليدية حتى سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ والذي سمح مع ما تلاه من أحداث وخاصة هجمات أيلول ٢٠٠١ بانهيار هذه النظريات وانبثاق نظرية جديدة طغت على كل ما سبقها وقلبت المفاهيم الإعلامية رأساً على عقب ، فحتى ذلك التاريخ كان الإعلام يمثل (عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة ، وحقائق واضحة ، وأخبار صادقة ، وموضوعات دقيقة ، ووقائع محددة ،

وأفكار منطقية ، وآراء راجحة ، للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام ، ويقوم على مخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية ويقوم على المناقشة والحوار والإقناع بأمانة وموضوعية) (د . حامد عبد السلام زهران ، القاهرة ١٩٧٧ ط ٤ ص ٢٩٧) .

هذه الصورة المثالية للإعلام بدأت تذوي وتذبل بمجرد وقوع الأحداث الخطيرة السابقة التي جعلت أمريكا - كما رأينا - وهي التي تملك القوة الإعلامية الأولى في العالم كما هي سائر القوى الأخرى تبدأ بقرع طبول الحرب وتصنع كل شيء وتجند الإعلام - إعلامها والإعلام الدولي ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً - لصالح المجهود الحربي ممّا جعل النظريات الإعلامية التقليدية تتراجع وتتنحى لتحل محلها نظرياتها الجديدة .

كيف سقطت النظريات الإعلامية التقليدية؟

سادت نظرية (السلطة) الإعلامية لحقبة طويلة من الزمن ، والتي كانت تعبيراً صادقاً عن ما بات يعرف (بإعلام الدولة) أو الإعلام الرسمي فهي تهدف بالإضافة إلى الأغراض الأصلية للإعلام لدعم سياسة الحكومة التي تشرف عليها وبموازاتها جاءت بعد ردح من الزمن النظرية السوفياتية التي استخدمت نظرية السلطة بصورة أشد عمقاً وكثافة وأكثر تركيزاً وهي التي سادت في الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي عموماً وانتقلت إلى الدول التي تبنت الشيوعية آلياً كالصين وكوبا وكوريا الشمالية . . . كما تبنتها الأنظمة النازية والفاشية والدكتاتورية حيث تعتبر الإعلام مجرد أداة لتطبيق سياسة الحزب الحاكم واستمرار النظام .

ما لبثت أن ظهرت نظرية الحرية في كل من انجلترا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لتعكس الروح السائدة بما فيها الديمقراطية والحرية والتعددية والتي جعلت هدفها إلى جانب الأغراض الأساسية كالأعلام والترفيه : الربح ومراقبة الدولة واشباع احتياجات المجتمع حيث الدولة لا تملك الإعلام والحقيقة لم تعد حكراً على السلطة ومن هنا أصبح الإعلام وهو بحق السلطة الرابعة التي تراقب أعمال الدولة عبر سلطاتها الثلاث فتحد من سطوتها وتمنع تغولها ، ثم لم تلبث أمريكا من جانبها أن طوّرت نظرية الحرية ولكن ليس إلى مزيد من الحرية بل بالعكس النكوص إلى الوراء باتجاه نظرية

السلطة ونحو مزيد من التقييد بدعوى وضع المزيد من القوة للحد من زيادة قوتها ونفوذها على حساب قيامها بواجبها تجاه الجمهور عندما انحنت أمام ضغوط الشركات الكبرى وسمحت للمعلنين أن يتحكموا في سياساتها فكانت عقبة أمام التغيير الاجتماعي الطبيعي بتركيزها على أهداف الإثارة والربح مما أدى لاحتكار الحقيقة وأصبح يتطلب تحمّل الإعلام المسؤولية الاجتماعية بحيث تلتزم بالصدق والعدالة والكفاية في تقديم المعلومات ليتمكن الجمهور من فهم الواقع واتخاذ القرار الصائب، فوضعت مجموعة من المبادئ بحيث أصبحت موضع المُساءَلة من الحكومة والشعب في حال تجاوزها أو الانحراف عنها (د. عصام موسى - المدخل في الاتصال الجماهيري. عمّان ١٩٨٦ ص٧٥-٨٥).

وإذا كانت هذه هي الروايات الأمريكية للانقلاب على نظرية الحرية والنكوص إلى تخوم نظرية السلطة البائدة فإن السبب الذي دفعها لذلك يكمن في قضية (الحروب) التي خاضتها أمريكا فالتغيير بدأ بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة وهي التي قادتها لخوض الحرب الكورية ١٩٥١ - ١٩٥٣ وانتهت بالهزيمة وفضيحة الأسرى والذين تعرضوا لعمليات غسيل الدماغ كما زعمت وأصبحوا دعاة ضد النزعة الأمريكية للتمدد، والسيطرة والاستعمار وكان للإعلام الحر دوره في كشف هذه الفضائح (صلاح نصر. الحرب النفسية. القاهرة ١٩٦٧ ص٢٩ - ٤٠) ممّا تزامن مع وضع المزيد من القيود والتدخل في حرية الصحافة والتي لم تلبث أن تفاقمت مع الحرب الفيتنامية في الستينات والتي وجدت فيها ذريعة قوية لوضع المزيد من القيود بعد أن اتهم الإعلام بالوقوف وراء الهزيمة وللحقيقة والتاريخ فإن (العمليات النفسية) برمتها تم تطويرها بشكل جذري بعد تلك الحرب التي فاق عدد الضحايا فيها ما حصدته جميع حروبها السابقة وكان الإعلام فيها ينقل أرقام القتلى والجرحى والأسرى!!! وهكذا كانت الولايات المتحدة كلما خاضت حرباً جديدة تعمد إلى المزيد من تقييد حرية الإعلام كما رأينا ذلك في حرب الخليج الثانية بشكل صارخ عام ١٩٩١ والتي اتسمت إعلامياً (بالتعتيم) وبما وصف بالاحتكار لا بل بالدكتاتورية الإعلامية (الكاتب. الخداع في حرب الخليج. عمّان ١٩٩٢) وكان اللاعب الأوحد على مسرح العمليات العسكرية هو بيتر آرنت عبر فضائية (الـ CNN سي ان ان) وهو ما عاد واتضح بصورة أكبر في حرب أفغانستان لتجنب ما حدث في الحرب الفيتنامية

ثم سعت إليه في حرب العراق إلا أن الفضائيات العربية فوتت هذه المرة فرصة التفرد الأمريكي بالإعلام هناك .

أما في حرب أفغانستان وحرب العراق فكانت أمريكا تزيد من وضع القيود ما أمكنها بالوقت الذي بدأت فيه بتحويل أسلوب الإعلام برمته حتى أمكن وصف ما حدث (بالانقلاب الإعلامي الشامل) وهو الذي طال نظرية المسؤولية الاجتماعية التي استمرت منذ منتصف القرن الماضي وحتى مطلع التسعينات تاريخ انهيار الاتحاد السوفياتي والذي أعقبه بروز مجموعة (القرن الأمريكي الجديد) التي وضعت استراتيجية الامبراطورية الجديدة والقطب الأوحد في عالم فقد تعدديته القطبية فجأة مع سقوط جدار برلين . . . وما أن وقعت أحداث أيلول ٢٠٠١ حتى بدأ الانقلاب الإعلامي الذي دفن تحت أنقاض هجمات أيلول النظريات الإعلامية التقليدية جميعها وإلى الأبد لصالح النظرية الجديدة!! .

أحدث نظرية إعلامية في التاريخ : الدعاية السياسية المسلحة!

استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية (العمليات العسكرية) على نحو موسّع كثيف في جميع حروبها منذ الحرب العالمية الثانية فالحرب الكورية في مطلع الخمسينات ثم في حرب فيتنام في الستينات ، وتوسعّت في الاستخدام بعد ذلك للدرجة التي عمدت معها لمحاولة وضع الإعلام الأمريكي برمته بما فيه القطاع الخاص تحت تصرف المجهود الحربي كما في حرب الخليج الثانية التي لعبت السي ان ان (C. N. N) فيها دوراً حربياً عندما قامت بمهمة توجيه القصف على بغداد فهي لم تقم بدور الطابور الخامس داخل بغداد خلال الحرب وتفردها في نقل ما يجري هناك فحسب بل قامت بدور (ضابط الاستطلاع) في الخطوط الأولى للجبهة وهو ما اعترف به (جون هوليمان) أحد مراسلي الشبكة في بغداد عندما سأله لاري كنج في أتلانتا مقر الشبكة (- هناك اتهامات بأنك كنت تقدم المعلومات لطائرات الحلفاء من خلال تقاريرك . . كان جوابه - إذا كان التفسير كذلك ، نعم كنت أساعدهم وأقدم المعلومات لهم) (الكاتب . الخداع في حرب الخليج ص١١٢) وكانت مكافأته أن عيّن بمجرد عودته إلى بلاده مراسلاً في البنتاغون .

أما في حرب الإرهاب بعد عشر سنوات من حرب الخليج الثانية ، والتي بدأت حملتها الأولى في أفغانستان على خلفية ضربات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ فقد عمدت

الولايات المتحدة إلى بناء تحالف دولي لمكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه حيث وجدت فشرعت إلى جانب القوة المسلحة الضاربة بشن حملاتها الإعلامية النفسية التي تركز على خطر الإرهاب وجهودها للتصدي له ولم تعمد هذه المرة إلى (تسييس الإعلام) ولكن إلى (عسكرته) وعندما شنت حربها ضد العراق بعد الانتهاء من أفغانستان كانت قد اصطنعت أسساً وقواعد لفرض المزيد من القيود على الإعلام لا بل وتسخيره في حفظ الأمن بالداخل من خطر هجمات جديدة كما زعمت وفي ميادين القتال وساحات معاركها في الخارج وقد أصدرت قانون الدفاع رقم واحد (باتريوت) الذي يسمح باعتقال المشتبه بممارساتهم حتى (المطالعة) وهي الفترة التي عملت فيها بتركيز شديد على تحويل الإعلام إلى (دعاية سياسية مسلحة) من خلال مجموعة من الخطوات أولها احتكار الإعلام الذي يمكنها من خلال الاستحواذ على الوسائل والمواد من الهيمنة الاتصالية المطلقة ، وثانيها التحيز الذي جعلها تروج لكل ما هو غربي مقابل ما هو شرقي حيث البيئة العالمية للدول المارقة ومحور الشر وهو ما أفقد الإعلام سمة الحرية ، وبرز ذلك بوضوح عندما بدأت تتسرب التصريحات الأمريكية حول ربط الإسلام بالإرهاب والإعلان عن برامج الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والترويج للثقافة والقيم والنظم الأمريكية ، وهو ما أفضى إلى الخطوة الثالثة وهي تشويه كل ما ليس بغربي وهو ما سلب الإعلام سمة الحيادية عندما تحول إلى دعاية تقف مع أو ضد وهو ما جعله يتحول عن وظائفه الأصلية أي النقل المحايد الموضوعي للمعلومات والحقائق أو الترفيه والترويح إلى أساليب التضليل والترويج وبالتالي العمل على التأثير على الجمهور وليس إقناعه فقربه أكثر من عمليات غسيل الدماغ الجماهيري التي تهدف إلى الإقناع القسري المقنن كما تحول الإعلام من أسلوب الانسياب الحر العفوي للأخبار والمعلومات إلى أسلوب التدفق الكاسح وأسلوب الإغراق عندما استعار من عالم التجارة أساليبه وأهدافه كالاحتكار والإغراق مما أصبح مرة أخرى أقرب إلى (الغزو الإعلامي) الذي يفقد الآخرين القدرة على المحاكمة والتمحيص والتنقية والتنقيح ويعمل على (فرض) المعلومة كحقيقة ثابتة ومحققاً أهداف هذا الغزو الساحق! بعيد هجمات أيلول ومع بداية العد العكسي لحرب أفغانستان أطلق

الرئيس الأميركي شعار الإعلام للمرحلة التالية وهو التعتيم والسرية عندما صرَّح (أن ما سيعلن للجمهور ويشاهده هو بعض العمليات فقط ولكن معظم العمليات كانت ناجحة سيظل طي الكتمان لأن (السرية) هي العنصر الأهم والأخطر في الحرب ضد الإرهاب) وهو ما تلاه استخدام أمريكا لكافة وسائل التقييد والتحكم والضبط والرقابة والمركزية المطلقة (اللواء١١/٩/٢٠٠٢ ص٢٠) وكانت الذريعة الأقوى لذلك ما حدث في الصومال عام ١٩٩٣ عندما تم عرض تقرير تلفزيوني يتضمن صورة الجنود الأمريكيين وهم يسحلون عبر شوارع مقديشو من قبل المليشيات مما أثار الرعب والفزع في الأوساط الأمريكية وقالوا للمسؤولين : القوات التي ذهبت لإطعام الأطفال غيّرت مهمتها! واستطاع التقرير ومدته ثلاثون ثانية فقط أن يضع حداً للتدخل العسكري الذي دام أكثر من عام (الرأي ٢٦/١/٢٠٠٢) .

في حرب العراق أصبح التعتيم والمركزية أشد قوة وصرامة للدرجة التي عمدت معها الإدارة الأمريكية إلى تفعيل مكتب الإعلام الدولي في البيت الأبيض ليتولى نشر ما يتعلق بالحرب ولإلزام الإعلام برسالته الرسمية التي كانت تعلن عبر مؤتمرات كبار المسؤولين المتواصلة في البيت الأبيض ووزارات الدفاع والخارجية بموازاة مؤتمر الجنرال (فينسنت بروكس) اليومي في مركز السيلية بقطر ، وهو ما انعكس على العاملين في الميدان حيث كان انتقاء الأخبار والتعليقات تعكس (آراء مطابقة لوجهة النظر الرسمية عن الحرب) (وليام رو ، واشنطن بوست ، الرأي ٢٦/٤/٢٠٠٣) وكان الالتزام مبالغاً فيه لدرجة جعل الإعلام الأمريكي يظهر كإعلام دول العالم الثالث يمجد الأشخاص (وتحول إلى دعاية مباشرة مركزاً على الإيجابيات ومتجاهلاً السلبيات مقدماً صورة من جانب واحد وأصبح بوقاً للسلطة) (الرأي ٣٠/٥/٢٠٠٣) رؤوس أقلام) لا بل مارست الإدارة ضغوطاً كبيرة على وسائل الإعلام والتي وصفتها الصحافية كريستيان أمانبور – وهي الأبرز في شبكات الأخبار في العالم وتعمل في السي ان ان – بأنها ترهيب وتكميم ، (الرأي ١٨/٩/٢٠٠٣) ، ثم وفي خطوة أبعد من هذه تحول رامسفيلد وزير الدفاع إلى مسؤول من العالم الثالث عندما طالب الجميع بالصمت وعدم معارضة الرئيس – بوش الذي لا يخطئ أبداً – لأن انتقاده في

مرحلة ما بعد الحرب في العراق والخسائر التي تتكبدها أمريكا يومياً هناك (يشجع أعداء واشنطن وتعرقل حربه على الإرهاب) (الرأي ٢٠٠٣/٩/٩) أما على مستوى الإعلام الخارجي (الأجنبي) فقد ظلت الإدارة الأمريكية تتهم الجزيرة وفضائية العربية في مطلع كل يوم جديد بأنها تحرض على الإرهاب ضدها لا بل تجاوزت الاتهام بالتصفيات الجسدية عندما ضربت موقع تجمع الصحافيين في فندق فلسطين ببغداد في الثامن من نيسان فقتلت مراسل الجزيرة (طارق أيوب) ومصور رويترز وأصيب آخرون ثم ما لبث أن تم تدبير احتجاز مراسل الجزيرة الذي كان في أفغانستان (تيسير علوني) واتهامه من قبل السلطات الاسبانية بأنه ضليع بالتواطؤ مع شبكة القاعدة استناداً إلى معلومات استخبارية زودتها بها أمريكا واسرائيل (الرأي ، رؤوس أقلام ، ٢٠٠٣/٩/٢٢) .

وهكذا ومع تقدم العمليات الحربية في مسلسل حرب الإرهاب فإن الإدارة الأمريكية بدأت تنزلق شيئاً فشيئاً بالإعلام إلى المحطة الأخيرة التي انتقلت معه من أسلوب (تسييس) الإعلام إلى (عسكرته) وذلك عندما تم ربطه برسالة الإدارة الرسمية - أي بسياساتها - ربطاً محكماً تحول معه إلى (دعاية سياسية) ثم ما لبثت أن تم ربط الدعاية السياسية أحادية الجانب بأنشطة وفعاليات الحرب النفسية مما حوّل الإعلام مرة أخرى إلى دعاية سياسية حربية أو (دعاية سياسية مسلحة) أي إلى حرب نفسية والتي تمثّل واحدة من مجموعة حروب تمارسها عبر العمليات النفسية Psychological Operations التي يضطلع البنتاغون بمهامها عبر التشكيلات العسكرية بما فيها الحرب الاستخباراتية والحرب الخداعية Strategem Warefare والحرب الجماهيرية Mass War والحرب الفكرية Idiological War وباختصار فإن الإعلام تحول إلى حرب نفسية عندما تم تجنيده لخدمة العمليات العسكرية المسلحة وليقوم بأعمال التضليل الإعلامي ونشر الدعايات وترويج الإشاعات والمشاركة في عمليات الخداع الاستراتيجي وحتى في غسيل الدماغ الجماهيري والتي تمثل وسائل الحرب النفسية وليست أساليب إعلامية محايدة وهي التي أنشئ لها ما أطلق عليه (مكتب التأثير الاستراتيجي) الذي تم تأسيسه بعد ضربات أيلول بحيث يتبع للبنتاغون ويديره الجنرال سيمون ووردن ليقوم بالحملات الموجهة للرأي العام

الدولي والتي تتضمن نشر معلومات مضللة في وسائل الإعلام الأجنبية ممّا يصنّف رسمياً تحت مسمى (الدعاية السوداء Black Propaganda)!! .

وهكذا فإن الولايات المتحدة إن لم تكن أخرجت نظرية إعلامية جديدة تحمل خصائص الدعاية السياسية المسلحة فإنها عملياً ومن خلال كل ما قامت به منذ أيلول ٢٠٠١ وعبر حربين شنتهما حتى الآن فإنها تقوم بصياغة هذه النظرية وتكريسها شيئاً فشيئاً .

الفصل السادس

الحرب النفسية الاسرائيلية

لمحة تاريخية

مراحل الحرب النفسية الاسرائيلية

استراتيجية الحرب النفسية الاسرائيلية

اساليب الحرب النفسية الاسرئيلية

خصائص الحرب النفسية الاسرائيلية

مقولات (منطلقات) الحرب النفسية الاسرائيلية

مجالات الحرب النفسية الاسرائيلية

تشويه الصورة العربية الاسلامية (من ابرز اساليب الحرب النفسية الاسرائيلية)

الفصل السادس

الحرب النفسية الاسرائيلية

لمحـة تاريخية

ترجع استخدامات الحرب النفسية والاعلام الدعائي النفسي من قبل العدو الصهيوني الى بدايات الحركة الصهيونية نفسها التي ادركت اهمية الدعاية ودورها في تحقيق اهداف الصهيونية فاعتمدت الدعاية بشتى الوسائل والاساليب جنباً الى جنب مع انشاء المؤسسات الارهابية التي اعتمدت على القوة واتخذت من الارهاب والقتل والتدمير منهجاً لها . وقد استخدمت الحركة الصهيونية جميع الاساليب الاعلامية والدعائية من صحف وكتب وجمعيات ومراكز لجمع التبرعات والاموال وقد استطاع الصهاينة باساليبهم الاعلامية المختلفة وبالوسائل المتاحة لديهم تحقيق اكبر عملية غسل للدماغ لصالح مخططات تهويد فلسطين وتغيير معالمها العربية . وترتبط الحرب النفسية الاسرائيلية بالحركة الصهيونية نفسها حيث نظرت تلك الحركة منذ بداياتها الاولى الى الدعاية او العمل الاعلامي النفسي باعتبارها الوجه الاخر للنشاط السياسي فكان الربط بين جوهر الحركة ومنطلقاتها النفسية هو احد ملامح الحركة الصهيونية في جميع مراحلها التاريخية .

واذا كان الهدف الاساسي للصهيونية والدعاية الاسرائيلية وسائر اساليب الحرب النفسية الاستراتيجية منها والتعبوية هو جمع الشتات اليهودي وتوطينهم في فلسطين ثم انشاء الكيان ثم استمرار الكيان بالعدوان والاستيطان والتوسع حيث ان طبيعة الكيان الصهيوني هي طبيعة عنصرية عدوانية استيطانية توسعية استعمارية . اذا كانت هذه هي الاهداف للحركة وحربها النفسية منذ البداية فقد استغلت واستفادت الحركة الصهيونية في عملهاالاعلامي الدعائي النفسي من كافة المدارس النفسية الدعائية في التاريخين القديم والحديث ومن التجارب المعاصرة كالتجربة النازية[1] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع الى كتاب المؤلف (الحرب النفسية الاسرائيلية) الصادر عن مكتبة المنار طبعة اولى ١٩٨٦ ، وعن مديرية التوجيه المعنوي طبعة ثانية عام ١٩٩٦ .

مراحل الحرب النفسية الاسرائيلية :

١ . المرحلة الاولى : وتمتد منذ الثورة الفرنسية ١٧٨٩ حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في عام ١٨٩٧وكانت الدعاية اليهودية في هذه المرحلة عبارة عن حملات ثقافية تدعو الى الصهيونية حيث استخدمت الادب واعادة كتابة التاريخ للدفاع عن الشخصية اليهودية فهي مرحلة تميزت بالتمهيد للدعوة الصهيونية .

٢ . المرحلة الثانية : وتبدأ منذ المؤتمر الصهيوني الاول في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وتستمر حتى بداية الحرب العالمية الثانية في ١٩٣٩ . وسعت الدعاية الصهيونية في هذه المرحلة الى ابراز المبررات للتواجد السياسي اي تهيئة الرأي العام العالمي للدعوة الى جمع الشتات وانشاء الكيان الصهيوني .

٣ . المرحلة الثالثة : تمتد منذ عام ١٩٣٩ وحتى انشاء الكيان الصهيوني في فلسطين ١٩٤٨ وكان تركيز الدعاية الصهيونية في هذه المرحلة على خلق تيار قوي من الرأي العام الامريكي يقود إلى تبني السياسة الامريكية مهمة الدفاع عن شرعية اقامة دولة يهودية وكذلك خلق تيار من الرأي العام العالمي ليحصل الكيان الصهيوني على الشرعية الدولية .

٤ . المرحلة الرابعة : وتمتد هذه المرحلة منذ تاريخ اعلان الكيان الصهيوني وحتى حرب ١٩٦٧كان تركيز الدعاية في هذه المرحلة على كسب المزيد من تأكيد الشرعية والاعتراف القانوني بالكيان الصهيوني بالاضافة الى استمرار الدعاية لكسب التأييد والدعم العالمي مما يخدم استمرار الكيان ونموه .

٥ . المرحلة الخامسة : وتمتد من عام ١٩٦٧ وحتى حرب رمضان ١٩٧٣ وتركز الدعايةفي هذه المرحلة على ابراز عنصر التفوق للكيان الصهيوني وقدرته على حماية الشرعية في المنطقة مما يحتم اعتبار ارادته في صنع سياسة المنطقة مع الاستمرار في كسب الدعم والتأييد العالمي .

٦ . المرحلة السادسة : وتمتد منذ عام ١٩٧٣ وحتى الحرب العراقية ـ الإيرانية وهي تركز على الدعوة الى السلام في الوقت الذي تظهر فيه القوة والسيطرة والهيمنة ووجوب اعتبار القرار الاسرائيلي في صنع سياسة المنطقة .

٧ ـ المرحلة السابعة : مرحلة ما بعد الحرب العراقية ـ الإيرانية .

استراتيجية الحرب النفسية الاسرائيلية :

١ . خلق الاحساس لدى الرأي العام العالمي بأن سلام العالم وامنه ورخاءه مرتبط بقوة اسرائيل وبقائها والمحافظة عليها . وتحاول اقناع يهود العالم بضرورة الهجرة الى فلسطين تلبية لوعود دينية على حد زعمها ورغبة في الهروب من الاضطهاد الذي يعاني منه اليهود في شتى بقاع الارض .

٢ . اقناع العرب بأنها دولة باقية لا تقهر ولا تزول وتعمل على تحطيم معنوياتهم كي يستسلموا لليأس ويضطروا للصلح معها وفق شروطها .

٣ . توجيه اليهود في الداخل لكي يركزوا على الناحية العسكرية قبل غيرها وذلك لتبقى معنوياتهم عالية وليحققوا الاطماع الصهيونية .

٤ . سياسة اعلامية نفسية تعزز وتتماشى مع سياسة الاضطهاد حتى يضطر من بقي في فلسطين من العرب الى الهجرة منها .

٥ . تقوم سياسة كسب الانصار للصهيونية واسرائيل على العلاقات الانسانية عبر شبكة واسعة من الاساليب الدبلوماسية وتستهدف العالم كله لا فرق في ذلك حكومة صديقة لاسرائيل او صديقة لاعدائها العرب .

٦ . تتميز الاستراتيجية الاعلامية الاسرائيلية ايضاً بقيامها على اساس الدراسة الشاملة للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد الموجهة اليها والدراسة لطبيعة العلاقات ما بين الدول العربية بالدول الاخرى .

اساليب الحرب النفسية الاسرائيلية :

١ . التركيز على هدف واحد في وقت واحد كما فعلت في قضية تهجير اليهود السوفيات الى اسرائيل في الثمانينات من هذاالقرن وكما فعلت في حرب رمضان حيث ركزت على اخبار المعارك متجاهلة تماما اخبار قطع الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل لتختار بعد ذلك وقتا اكثر ملائمة لعرضها .

٢ . اسلوب خلق مصادر مختلفة للاخبار واضفاء بعد اخر لها او نسبتها إلى مصدر آخر إضافي تأكيداً لصحتها ثم إعتمادها كأساس باعتبارها مصادر خارجية محايدة .

٣ . اخفاء الاخبار الملائمة للخصم وتضليله عنها .

٤ ـ اسلوب التحوبل السريع للاخبار .

٥ . اشاعة عدم الثقة بالنفس وايقاع المستهدف بالتخبط الفكري .

خصائص الحرب النفسية الاسرائيلية :

١ . المركزية : وتعني الاستقلالية والعمل من خلال جهاز يضم خبراء لوضع المخطط الشامل للعمل الدعائي النفسي ثم رسم الخطط المرحلية مع البدائل .

٢ . التخصص : ان تعدد مجالات الحرب النفسية الاسرائيلية يتطلب منها استخدام خبراء متخصصين في جميع تلك المجالات لتحقيق مبدأ الشمولية في استراتيجيتها .

٣ . التركيز : بما يساعد في نجاح الحملات وإنجاز المهمات النفسية .

٤ . التوقيت : اعتبار عامل التوقيت .

٥ . المصداقية : وهي مصداقية نسبية تسعى وراء كسب ثقة المتلقي .

٦ . الهجوم : فالمحتوى الدعائي للعدو محتوى تحريضي استفزازي هجومي .

٧ . التكامل : منطلقات عمل العدو الدعائي الاعلامي النفسي متكاملة بحيث يعمل على جميع الجهات الاعلامية بمنطلقات ايجابية (لصالحه) وسلبية (ضد الجهات الاخرى) بتكامل تام .

مقولات (منطلقات) الحرب النفسية الاسرائيلية :

مرت الحرب النفسية الاسرائيلية كما لاحظنا بمراحل عديدة وكان لكل مرحلة طابعها كما كان لكل مرحلة منطلقاتها او مقولاتها الاعلامية الدعائية ويمكن تلخيص منطلقات المراحل الخمس الاولى بما يلي :(١)

(١) مقولة الحق التاريخي او ارض الميعاد (اي ان لليهود حقاً تاريخياً في فلسطين) .

(٢) مقولة العداء للسامية (الهولوكوست او المحرقة) اي ان اليهود تعرضوا او ما زالوا يتعرضون للاضطهاد بسبب عنصرهم السامي كما حدث معهم في المانيا على يد النازية وعليه فلهم الحق في دولة تحميهم من اضطهاد العالم لهم .

---

(١) للمزيد من التفاصيل انظر الحرب النفسية الاسرائيلية . المرجع السابق نفسه

(٣) مقولة الجنس اليهودي (شعب الله المختار) وهي تعني بأنهم عنصر متميز عن غيرهم من العناصر البشرية .

(٤) مقولة الامة اليهودية او وحدة الدين والقومية اي انهم شعب ذو دين واحد هو الدين اليهودي وقومية واحدة هي القومية اليهودية .

(٥) مقولة الصحراء القاحلة والارض الخالية من السكان وهذه المقولة لخصها احد زعماء االصهيونية بقوله يصف فلسطين (ارض بلا شعب لشعب بلا ارض) .

(٦) مقولة الجيل الجديد (الصابرا) او حق الولادة والاجيال . وهذه الذريعة تستند الى أن للجيل الجديد الذي ولد في فلسطين حق البقاء والحياة .

(٧) مقولة اسرائيل الصغيرة .

(٨) مقولة اسرائيل المكافحة من اجل البقاء والعيش .

(٩) مقولة اسرائيل دولة حضارية في محيط متخلف .

(١٠) مقولة اسرائيل اداة متقدمة لحماية الغرب .

اذا كانت هذه المقولات قد طرحت كمنطلقات للحرب النفسية الاسرائيلية في المراحل الخمس الاولى فان هذه المقولات كانت تتجدد ويعاد طرحها بقوالب اخرى واحيانا يستعاض عنها بغيرها خدمة للأهداف المرحلية ويمكن تلخيص منطلقات الحرب النفسية الاسرائيلية في المرحلة السادسة بما يلي :ـ

(١) مقولة خطر الاسلام الزاحف .

(٢) مقولة خطر العربي الثري الذي يملك مصادر الطاقة ويهدد الغرب بمنعها عنه .

(٣) تشويه الشخصية العربية الاسلامية .

(٤) تصوير الشخصية اليهودية باعتبارها شخصية متفوقة على غيرها .

(٥) مقولة ان اسرائيل هي حامية الشرعية في المنطقة ومقاومة الارهاب .

(٦) توثيق ربط اليهودية بالمسيحية ويظهر ذلك من خلال الدعاية الصهيونية التي تطالب المسيحية التي تؤمن بعودة المسيح مرة ثانية ان تساعد على تجميع اليهود وبناء الهيكل الثالث فعلى حد زعم الدعاية ان النبؤة التوراتية تقول هي الاخرى بظهور المسيح حيث لا يتم ذلك الا بعد عودة اليهود الى فلسطين وبناء الهيكل الثالث .

(٧) مقولة العداء للسامية (الهولوكوست : المحرقة) .

(٨) تشويه صورة منظمة التحرير الفلسطينية وانها لا تمثل الشعب الفلسطيني قدر ما تمثل الارهاب الدولي .

(٩) ان الاعمال الحربية الاسرائيلية هي من اجل السلام العالمي .

أبعاد الحرب النفسية الاسرائيلية في المرحلة السابعة :

١ ـ إسرائيل الكبرى : –

أ ـ تهجير يهود الاتحاد السوفيتي .

ب ـ تهجير الفلسطينيين (الترانسفير) والقضاء على الانتفاضة .

جـ ـ الوطن البديل / الخيار الأردني .

د ـ الحدود الآمنة .

هـ ـ استمرار سياسة فرض الأمر الواقع .

٢ ـ وأد القوة العربية المتنامية : –

أ ـ السعي لإيجاد الدول العربية الفسيفسائية .

ب ـ شق الصف العربي وإجهاض التوجه العربي نحو الوحدة .

جـ ـ محاربة التكتلات الأقتصادية والسياسية المتنامية في الوطن العربي .

د ـ التلويح بالتعاون العسكري العربي كتهديد لأمن اسرائيل .

هـ ـ التلويح بتنامي القوة العسكرية العربية كتهديد لأمن اسرائيل .

٣ ـ استمرار المماطلة بإعادة الأراضي المحتلة .

٤ ـ استمرار تعزيز موقعها باستغلال الظروف المستجدة .

٥ ـ الاستمرار في استجرار الدعم الغربي والأمريكي .

مجالات الحرب النفسية الاسرائيلية :

تعمل الحرب النفسية الاسرائيلية في كافة المجالات الدولية والعربية والفلسطينية والاسرائيلية .

[١] **المجال العربي** : تهدف الحرب النفسية الاسرائيلية في هذا المجال الى ما يلي :

(١) زرع بذور التفرقة بين الاقطار العربية والتصدي لاي خطوة ايجابية وحدوية .

(٢) زرع روح الاستسلام والرضوخ لمقولات الهيمنة والقدرة التي لا ترد او تقهر .

(٣) عزل المواطن العربي عن قيادته بالتشكيك بتلك القيادات عن طريق الاكاذيب والشائعات وغيرها .

(٤) بث اليأس والشك بين افراد الشعب لتمزيقهم فرقا وأحزاباً ، وتركز على الجيوش لتحطيم معنوياتها وتزرع في نفوس افرادها القناعة باستحالة الانتصار عليها .

(٥) التشكيك في مواقف العرب واصدقائهم بهدف النيل من وحدة الصف العربي .

(٦) التشكيك في مقومات الامة العربية والتأكيد على الروابط الطائفية والعرقية والاقليمية بهدف ايجاد الارضية الفكرية والنفسية لبناء الدويلات الطائفية على حساب الجسم العربي الواحد .

(٧) ابراز اوجه التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتركز في هذا المجال على امور منها :

(أ) الخلافات العقائدية في الانظمة .

(ب) استغلال الخلافات بين الزعماء العرب .

(جـ) التفوق العسكري : وهو ينفذ بهذا من خلال النكسات التي اصابت العرب كحرب ١٩٦٧ ثم يُصعد الحملة بالتخويف بالسلاح النووي لزرع اليأس والقنوط .

[٢] **المجال الفلسطيني** : تهدف الحملة النفسية ضد الاهل في المحتل من الارض الى زعزعة صمودهم وتجهيزهم لتفريغ الارض من اهلها مركزة على امور منها :

(١) التعايش السلمي . وهي تمارس في الواقع عكس ما تدعو اليه دعايتها .

(٢) تشكيك شعبنا في فلسطين بقدرة الجيوش العربية على اداء واجب التحرير ، وبكفاءة المقاتل العربي ، بل وبالقيادات العربية والشعب العربي عموماً .

(٣) مقولة الحكم الذاتي .

(٤) طرح فكرة التخلي : اي ان العرب قد تخلوا عن الفلسطينيين وتركوهم لكي يجابهوا مصيرهم وحدهم .

[٣] المجال الاسرائيل :

(١) انها في حالة حرب دائمة مع العرب وذلك لكي تحقق اهدافها في التوسع من الفرات الى النيل والسيطرة على مقدرات المنطقة .

(٢) ان فلسطين هي نقطة الارتكاز ليهود العالم ، وان قيام الدولة هو تحقيق للنبوءة التي وعد بها الرب«اسرائيل» .

(٣) ان بقاء الدولة هو مسؤولية كل يهودي في فلسطين او خارجها وان ولاءه الاول يجب ان يكون لاسرائيل .



الحرب النفسية الاسرائيلية : مجالات عديدة منها المجال الاسرائيلي الداخلي والخارجي

(٤) ان استقرار وازدهار الدولة هو الخطوة الاولى لعودة ملكوت اسرائيل طبقاً للوعد الالهي .

[٤] المجال العالمي : تهدف اسرائيل عالميا الى الحصول على المساندة المادية والمعنوية تلجأ من اجل ذلك الى الاعتماد على الجاليات اليهودية بالعمل السري والعلني لمساندة الحركة الصهيونية ، وتحاول تحقيق السيطرة المطلقة على الصحافة وعلى رؤوس الاموال في الغرب ، وتركز في عملها في هذا المجال على امور منها :

(١) الحق التاريخي : استناداً الى اقامتهم العابرة قبل الفي عام .

(٢) استغلال الدين : بأنهم يقومون بتجميع اليهود في ارض الميعاد بارادة الهية!

(٣) الحق الانساني : استثارة عطف العالم باستغلال ما تزعم من مجازر النازية[١] ضدهم وذلك لتأييدهم في العيش بسلام على قطعة من الارض!

(٤) الديمقراطية : الادعاء بأنها وجه الديمقراطية الغربية في الشرق .

(٥) خطر الحرب العالمية الثالثة : يلمحون الى ان العرب يصعدون التوتر في المنطقة بهدف جر العالم الى حرب عالمية ثالثة وتقويض الحضارة .

تشوية الصورة العربية الاسلامية

من ابرز اساليب الحرب النفسية الاسرائيلية[٢] ومن اخطر الحملات الاعلامية الغربية المعادية

ان من ابرز اساليب العدو الصهيونية التي يستخدمها ضدنا اسلوب الحرب النفسية حيث يشنها علينا لتسير في خط مواز للعمليات القتالية بقصد تحطيم ارادة امتنا في صراعها المصيري المرير معه .

وان من جملة الاساليب التي يستخدمها العدو في حربه النفسية ضد الامة العربية والاسلامية الاسلوب الدعائي الاستراتيجي : (تشويه الصورة العربية الاسلامية) اي تشويه

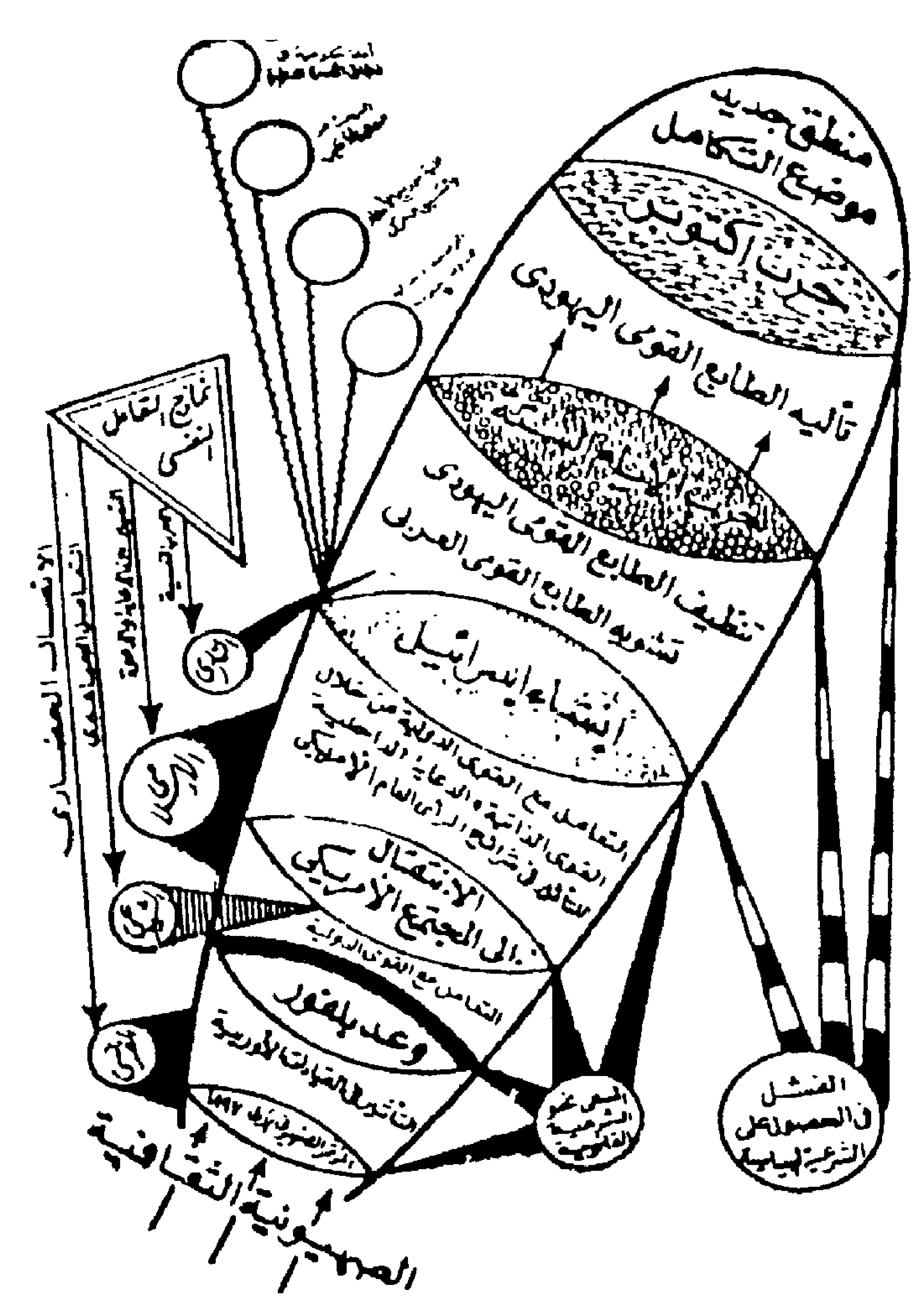
---

(١) أصدر الفاتيكان وثيقة عام ١٩٦٥ يُبرّىءُ اليهود فيها من دم المسيح . واصدر في منتصف آذار عام ١٩٩٨ وثيقة يعتذر فيها عن التقصير في حماية اليهود من بطش النازيين في تلك الفترة (١٩٣٣ - ١٩٤٥) .

(٢) تم استعراض هذا الموضوع بشكل مفصل في كتابنا (الاسلام فوبيا : عقدة الخوف من الاسلام) . وذلك كما تقوم به ماكينات الاعلام الغربية والصهيونية معاً وعلى نحو سافر واسع

الملامح المشرقة التي عرف بها العربي من شجاعة وكرم وذكاء وشهامة وحلم ونخوة وغيرها وذلك بقصد القضاء على تلك النواحي الايجابية في شخصية العربي الحضارية والتي قد تسمح للعالم ان يتعاطف معهم في صراعهم معه ولو على ادنى المستويات من التعاطف والتفهم .

وهذا الاسلوب الدعائي الصهيوني يهدف ـ كما المحنا ـ الى تشويه ملامح شخصية الانسان العربي المسلم ، والتي هي جملة الصفات والخصائص والسجايا والطبائع (الثابتة نسبياً) والتي تمثل القاسم المشترك بين جميع العرب فتشير الى نمطهم الاجتماعي المتميز ونموذجهم البشري المغاير لسواهم من الشعوب والاقوام . فاسلوب التشويه هو تنميط العربي او نمذجته ـ اي ربطه بنمط معين ونموذج محدد ـ وصياغته بحيث تثير تلك الصفات والخصائص او هذا النمط البشري والنموذج الاجتماعي الكراهية والبغضاء عند الاخرين لمجرد استحضار هذه الصورة المنفرة عن العربي المسلم .



موقع اسلوب التشويه في الحرب النفسية الاسرائيلية :

المتفحص لهذا الاسلوب الذي عرفته الدعاية الاسرائيلية ومارسته منذ البداية تقوده الذاكرة الى سجل اليهود الحافل ومنذ نشأتهم الاولى ومنه ما سطره القرآن الكريم من آيات تتلى الى يوم الدين . كما تحيل الذاكرة الى طرائقهم في دس الاحاديث المفتراة على رسول الله محمد ﷺ والذي كان دأبهم مع انبياء الله من قبل حيث عمدوا الى الدسّ عليهم والكذب والافتراء .

تطور الدعاية الصهيونية

وفي استعراض حامد ربيع لتطور الدعاية الصهيونية [١] نجده يؤكد على ان هذا الاسلوب من التعامل النفسي بدأ يأخذ نمطاً مركزاً في الدعاية الاسرائيلية في المرحلة التي تلت انشاء الكيان الصهيوني على ارض فلسطين كما يتضح في الشكل المرفق .

وكما يتضح في هذا الشكل فإن اسلوب التشويه الدعائي كان يعمل على محورين : تنظيف الطابع القومي اليهودي[٢] وبالمقابل تشوية الطابع القومي العربي كما اتضح معنى هذا التشويه لدينا آنفاً .

صورة العربي في عيون الغرب ـ العرب والاستعمار :

ترك الاسلام صورة مشرقة فذّة عن هذا العربي صاحب الرسالة الاسلامية العالميةلينعكس الإعجاب بهذه الصورة في كتابات الغرب وليستمر لدى فئات منهم حتى اليوم (شمس العرب تسطع على الغرب : للمستشرقة الالمانية زيغريد هونكة) . وكما ترك الاسلام ذلك الانطباع الاصيل فقد آثر قوم آخرون النظر الى العربي من زاوية اخرى حيث عمد بعض متعصبي الغرب ومستشرقيهم الى تبني واستلهام نظرة العداء التي اشربت في قلوبهم منذ ان دك الاسلام عروش قياصرتهم في مطلع البعث الاسلامي ولتترجم الى حملات دعائية تتلوها حملات استعمارية مسلحة كما تجلى في مواعظ بطرس الناسك التي اشعلت نيران الحروب الصليبية وبما دفع الجنرال اللنبّي ـ الى ان يقول عند قبة الصخرة المشرفة في منتصف القرن العشرين : (الآن انتهت الحروب الصليبية)! ونشط الاستعمار في تشويه وترسيخ الصورة القبيحة التي رسمها للعربي ليظهر الاخير في نظر العالم كفرد من امم بدوية متخلفة تحتاج الى من يدير شؤونها ويرتقي بها من الارتكاس في وهدة الهمجية (!!)

اعادة رسم ملامح صورة العربي بريشة الدعاية الصهيونية :

لم يعط العرب مهلة ليلتقطوا انفاسهم بعد اذ بدأ الغرب يرحل عن ديارهم حيث زرع في

---

(١) د . حامد عبدالله ربيع . الدعاية الصهيونية . المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم ، القاهرة ، ١٩٧٥

(٢) في اسرائيل اليوم معهد (Harrem Karren) ويهدف بعمله الى اعطاء الصورة المشرقة عن اسرائيل والى ابعاد خطر الدعاية المشوهة ضدها ، وكل زائر لهذا المعهد من غير اليهود يخرج بفكرة ايجابية عنهم :
الجوردان تايمز (jordan Times) عدد ١٩٨٤/١٠/١٠ مقال موسى الكيلاني :
Can We Counter Anti-Arab Propaganda?

القلب منها بذرة الشر التي نما نبتها الشيطاني فكان هذا [الجيتو اليهودي العنصري الاستعماري الاستيطاني التوسعي] .

وما ان اطل رأس هذا الاخطبوط الصهيوني ووجد صورة العربي المسلم الى ما آلت اليه على يد الغرب الطامع الحاقد حتى اعمل إزميله في التمثال الفذ تشويهاً . وقد توسلت الصهيونية وتوسل اليهود الى هذا الغرض بوسائل كثيرة منها : الروايات ، الافلام السينمائية والتلفزيونية . الاذاعة ـ مسلسلات وبرامج وتعليقات ـ والاعلان التجاري ، والكتب والدراسات الملفقة ، وحتى الكرتون (رسوم الاطفال المتحركة : فكل شخصية شريرة ترتدي الكوفية والعقال ، واسماء تلك الشخصيات عربية اسلامية كعلي ومحمد) ، والكاريكاتور وغيرها من الوسائل التي مرت عبر الاجهزة المتخصصة في داخل الكيان الصهيوني وعبر العديد من الاجهزة الاعلامية الصهيونية (كالوكالة اليهودية ، واجهزة المنظمة الصهيونية العالمية وغيرها) ، وكذلك عبر الأجهزة الاعلامية الغربية قاطبة مما سيطر عليه الأخطبوط اليهودي بشكل مباشر او غير مباشر حيث يوحي للاشخاص أو الهيئات لاخراج تلك الافكار المطلوبة في هذا الاتجاه حتى تظهر في نظر العالم باعتبارها (مصادر اخرى محايدة لا غرض لها) مما يسبغ عليها شيئاً من الثقة والمصداقية .

وننوه منذ البداية الى ان هذا الاسلوب الصهيوني قد اتسم بالمكر والدهاء كما انه لم يفتقر الى المرونة حيث كان يساير التطورات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ويتمشى مع معطيات الظروف المستجدة . وقد مر هذا الاسلوب في مرحلتين : ما قبل عام ١٩٧٣ وما بعد عام ١٩٧٣ وهو عام حرب رمضان المجيدة وعام استخدام العرب لسلاح البترول كأداة للضغط ضد تحيز الغرب السافر لاسرائيل على حساب مصالح العرب البينة وحقوقهم المشروعة .

صورة العربي ما قبل عام ١٩٧٣ :

لو شئنا رصد الصفات التي اسبغها اليهود على صورة العربي في الفترة ما بين انشاء الكيان الصهيوني ١٩٤٨ لوجدناها :(العربي عدواني ، جبان ، وحاقد) ولو فعلنا الشيء نفسه لوجدنا صفات العربي في الفترة ما بين ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣ تتلخص بما يلي (العربي ارهابي ، وغدار) ولتلحق بها كما سنرى بعد ١٩٧٣ صفات (الوحشية ، والابتزاز) .

وهذه الصفات ـ وغيرها كثير ـ كانت مستمرة بمعنى انها في بعض الفترات ما كانت

لتغيب ولكن كان التركيز عليها يصبح اقل ولينصب على صفة اخرى مسايرة للظروف والاحداث واهتبال الفرص .

ومن هذا التصور والفهم يمكن رصد صفات العربي وابراز اهم القسمات والملامح في شخصيته كما رسمتها ريشة الدعاية الصهيونية ما قبل عام ١٩٧٣ بالتالي :

١ـ العربي غبي متخلف متخاذل حاقد ويسعى الى دمار اسرائيل لمجرد انها تمثل شعلة الحرية والهداية وطليعة الحضارة الغربية المتقدمة على مشارف الصحراء المترامية .

٢ـ العربي وريث تركة الاسلام الداعي الى مزيد من البداوة والهمجية والمؤجج لروح الغاب في نفوس معتنقيه مما يدفع بهم الى الرغبة في تقويض الحضارة الغربية واسرائيل هي الرائد المتطوع لاداء دور حماية الغرب الانساني نيابة عن البشرية المتخوفة قاطبة .

٣ـ العربي ارهابي شرير تحركه غرائزه البدائية التي لم يشذبها العلم ولم تطوعها الحضارة فهو ـ رغم مظاهر المدنية الزائفةـ يقاوم عملية التمدن والتحضر كما يقاوم عملية بناء الطليعة الحضارية المتمثلة في اسرائيل (!!) ولا بد من التنويه الى ان تصاعد المقاومة ضد الاحتلال ما بعد ١٩٦٧ قد اسهم وعجل في تضخيم هذه الصورة متمادياً العدو في استغلال هذا الحق العربي المشروع حتى الصقت دعايته الواسعة بالعرب كافة اعمال الارهاب على الساحة الدولية (كاقتحام السفارات ، وخطف الطائرات ، وتفخيخ السيارات ، وخطف الشخصيات . . .) لُتحَمل العربي كل هذه التركة على كاهله ويصبح اسمه مرادفاً لكلمة (ارهابي) ، بتعميمها على النحو الذي ذكرناه بفضل جهود الدعاية الصهيونية والجوقات المرافقة على امتداد الساحة العالمية ممن يطربهم العزف الصهيوني .

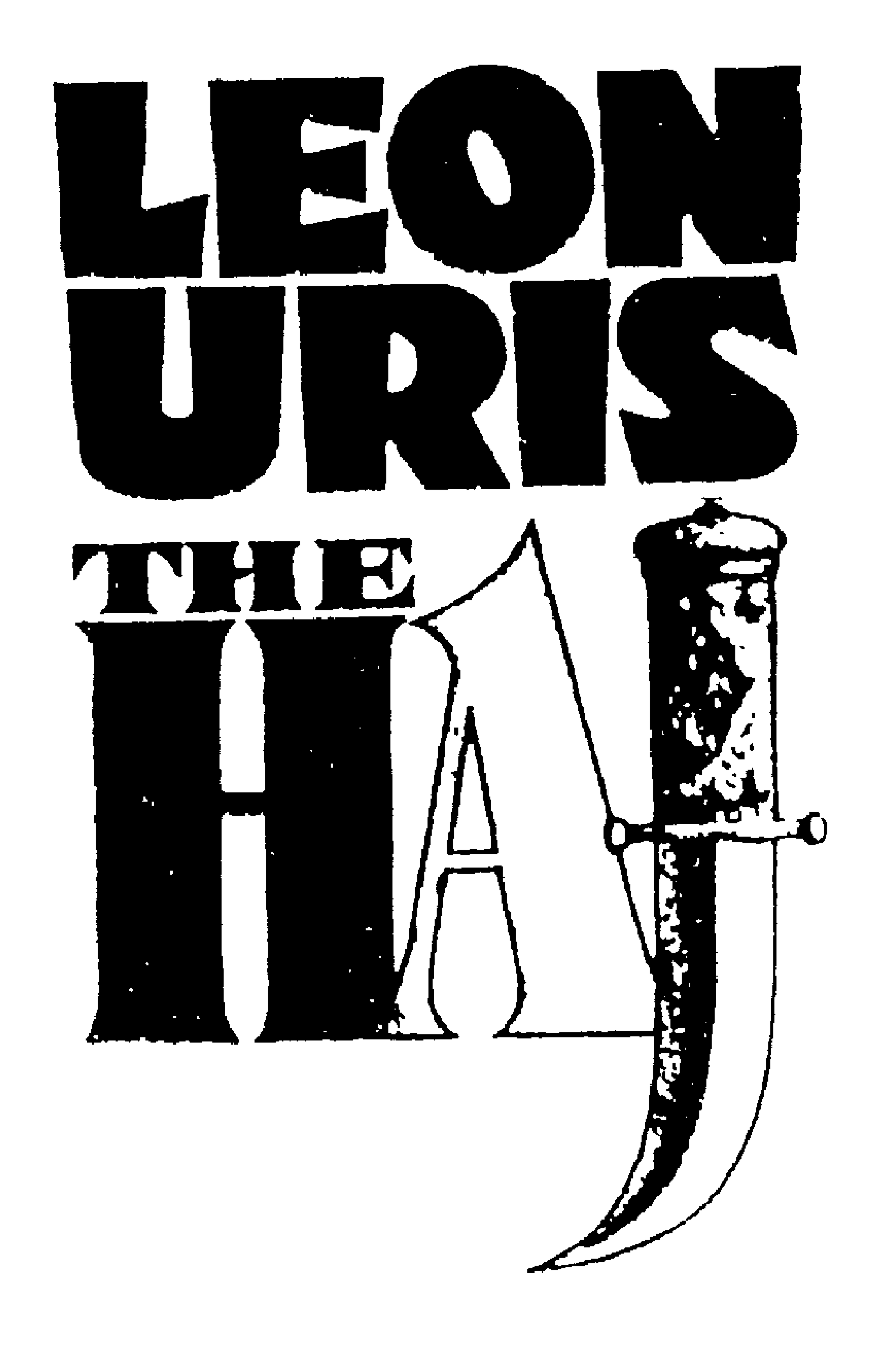
٤ـ العربي غدار خائن ومنافق ، حتى تُشيع الدعاية الصهيونية عبر اجهزتها (كالموساد : الاستخبارات الاسرائيلية) ومن خلال الروايات وغيرها ان العربي الغدار هو الذي اخترع (الخنجر) اداة للغدر الذي قلب موازين وقواعد لعبة الحرب التي ظلت تلتزم بسجايا القتال الموروثة عن فرسان القرون الوسطى ، كما يتضح لدينا ذلك في رسمة غلاف كتاب ليون يوريس (الحاج The Haj) حيث جعل الخنجر جزءاً من الصورة في محاولة للربط الوثيق بين العربي المسلم (الحاج) والخنجر الذي هو رمز الغدر والطعن في الظهر[١]

---

(١) مجلة المجلة ،لعدد ٢٣٤ ، ١٠ آب ١٩٨٤ . نديم ناصر في تحليله لرواية الحاج .

في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ نشرت صحيفة (الصنداي تايمز) مقالاً لمحمد حسنين هيكل قدمت له بحكاية مقتبسة عن الف ليلة وليلة مفادها ان عقرباً ارادت عبور احد الانهار فطلبت الى ضفدع على ضفة النهر ان تحملها الى الضفة الاخرى غير ان العقرب عندما رأت تردد الضفدع اكدت لها بأنها لن تستجيب لاغراء اللسع لان ذلك لا بد وان يؤدي الى هلاكهما معاً ، وهكذا امتطت العقرب ظهر الضفدع ولكن ما ان اقتربت الضفدع من الضفة بعد اجتياز النهر حتى شعرت بلسعة العقرب وسرعان ما بدأت الضفدع والعقرب بالغرق ، فشرعت الضفدع بالنقيق وهي تتساءل :ـ لماذا فعلت ذلك؟ لماذا؟ فأجابت العقرب وهي تصيء (والصيء هو صوت العقرب) :ـ ولماذا تتعجبين يا صديقتي؟ اليس كلانا عربا؟![1]

ويقتبس (وليم سارجنت) باحث الحرب النفسية البريطاني هذه الحكاية في كتاب معركة الاستحواذ على العقل كمثال لنمذجة العدو ، اي ربطه بنموذج يثير الكراهية فيجعل الغدر أحد طبائع العربي الثابتة التي تسيطر على تعامل العرب فيما بينهم . فانظر لليهود وابواق الدعاية الحاقدة المتعاطفة معهم ضد هذا العربي المسلم كيف ينتزعون من صفاتهم ليسقطونها على العرب!!



صورة العربي ما بعد عام ١٩٧٣ :

يمكن رصد صفات وملامح الشخصية العربية كما رسمتها ريشة الدعاية الصهيونية ما بعد عام ١٩٧٣ وكما انتجته القريحة اليهودية الحاقدة بمايلي :

١ ـ استغل العدو ممارسة العرب لحقهم المشروع في ثرواتهم عندما لجأوا

---

(١) مجلة الدستور ، العدد ٣٧٦ ، ١٩٨٥/٥/٢٠ . من مقال خلدون الشمعة : (الصافر والاوركسترا) .

إلى محاولة الضغط على الغرب لعله يصحو من انغماسه في (المشروع الصهيوني) ومساندته باطل اليهود ضد حق العرب العادل ، فجعل المنطق الدعائي الاسرائيلي هذا الحق في الدفاع عن النفس (اي حظر النفط) اسلوب ابتزاز رخيص واستغلال للمواقف دون تقدير للعواقب ، ويضرب ـ المنطق الدعائي الاسرائيلي ـ على وتر الحرص على سمعة الغرب فالشركات الاجنبية عبر الجهود الاوروبية والتقدم التكنولوجي الغربي هي التي فجرت ينابيع الثروة العربية وآبار النفط للعرب الذين اداروا ظهورهم للغرب وبدأوا عملية الابتزاز عن طريق حظر النفط !! .

وغني عن البيان ان هذا الاسلوب ما كان بدعاً ولكنه استمرار لما كانت دعاية العدو قد بدأته في المراحل السابقة .

٢ ـ ان العرب ملوك النفط هم الاثرياء المبذرون الذين يبددون هذه الثروات على نزواتهم الفردية ضد تقدم بلادهم ورفاه العالم بشكل عام ، وهم كالسفيه الذي يجب ان يحجر على ماله! وتأكيداً لهذه الصفات شرعت الحملة الدعائية الصهيونية المسعورة في بث العديد من الافلام ونشر الكتب وعبر الدعايات التجارية والاعلانات في السينما والتلفزيون والصحافة والتي تصور جميعها العربي بأنه ذلك المتخلف الذي تفجرت ين يديه ينابيع البترول فسال الذهب انهاراً من تحته فأخذ يبدده كما تشاء له شهواته وغرائزه الفجة ورغبته في الانتقام من الغرب صاحب الفضل عليه في كشف هذه الثروة . ومن هذه العقلية (الفجة !!) بدأ يشتري القصور والعمارات والمؤسسات ويطمع في ان يشتري حتى واشنطن نفسها : ففي فلم (شبكة التلفزيون) الذي يعتبر نموذجاً لاستخدام الصهيونية للسينما في تشويه صورة العربي ، تصعد عقدة الاحداث حتى تصل إلى النهاية المطلوبة من اتمام ترتيب صفقة بيع شبكة التلفزيون الامريكية إلى العرب : اي التفريط في اعز ما تملك امريكا لتُسلم إلى الغرباء ، برغبة من المخرج والكاتب ـ اليهوديين ـ لتحريض الرأي العام الامريكي من خطر وهمي هو خطر استيلاء العرب بأموال نفطهم على مقدرات امريكا التي يجب ان تظل في ايدي الامناء [1] !! .

أما مكتب بيع العقارات المشهور في واشنطن (ميريل لينج رياليتي) فلم يجد كإعلان تجاري يعكس الدعاية لكفاءة الشركة وقدرتها خيراً من صورة العربي الثري الملتحي الذي تعكس ملامحه المكر والخبث والدهاء كما يعكس زجاج نظارته صورة الدولارات التي لا

---

(١) مجلة الهلال . ابريل ١٩٨٥ ، من مقال مصطفى درويش : الصهيونية في السينما .

يرى الا بها ومن خلالها ، وهذا الاعلان كان قد نشر في مجلة مشتري البيوت في واشنطن في ١٩٨٥/٢/٩ والذي يقول : «هل واشنطن للبيع؟ اسألوا اوليفر كاوان فهو يعرف» واوليفر كاوان هو وكيل مكتب بيع العقارات المذكور [١] .

٣ ـ ان العربي متوحش وهو متحدر من جنس متدن (Subhuman) وتهدف الدعاية الصهيونية من هذا الطرح إلى الخلوص لعقد مقارنة بين عقلية العربي المسلم المتدنية وعقلية اليهودي الغربية المتطورة ، ثم تعميق الفرق بين العقليتين ومن ثم بين الحضارتين !!



(١) مجلة التضامن ، العدد ١٠٦ ، ١٩٨٥/٤/٢٠ . من مقال تحت عنوان : (امتداداً لنفوذ اللوبي الصهيوني : حملة تشنيع كاريكاتورية ضد العرب) .

والديانتين!! مما يجعل التعايش بينهما مستحيلاً بل وسيمهد ذلك إلى تقبل الاعمال الوحشية والقتل الجماعي والابادة ضدهم كما فعل الغرب مع الهنود الحمر والاستراليين الوطنيين ، فالعرب ليسوا (ارقى) من اولئك ! كما يظهر ذلك بيناً في رواية (الحاج) المذكورة آنفاً ، وكما في رواية بيتر ديكنسون (The Poison Oracle) والعربي فيها انسان متوحش ، وكما في رواية E. Ajar بعنوان (Momo) ١٩٧٨ ، والذي سيعرف القارىء انه اختصار ودلالة على اسم رسولنا الكريم محمد ﷺ حيث تدور احداث الرواية حول امرأة يهودية تشرف على حضانة للاطفال غير الشرعيين ومن بينهم العربي محمد الذي ينشأ ليكبر ويعشق حاضنته وليعرف والده امير النفط العربي فلا يكترث (فالعربي متوحش لا يعرف عاطفة الابوة ولا القيم والاعراف !!) (فمومو) هو نتاج الاسلام الذي يعتبره هذا الحاقد دين الجنس والحريم كما هو دين البربرية والوحشية مما يتضح كذلك في فلمي (الهدية) و (موت اميرة) من بعد تأكيداً لهذا الطرح البغيض للإسلام والعرب المسلمين . والاخير مليء بالتهجم على الاسلام من خلال التشهير بعقوبة (حد) الزنا والذي يعتبره ممارسة بربرية [(١)] .

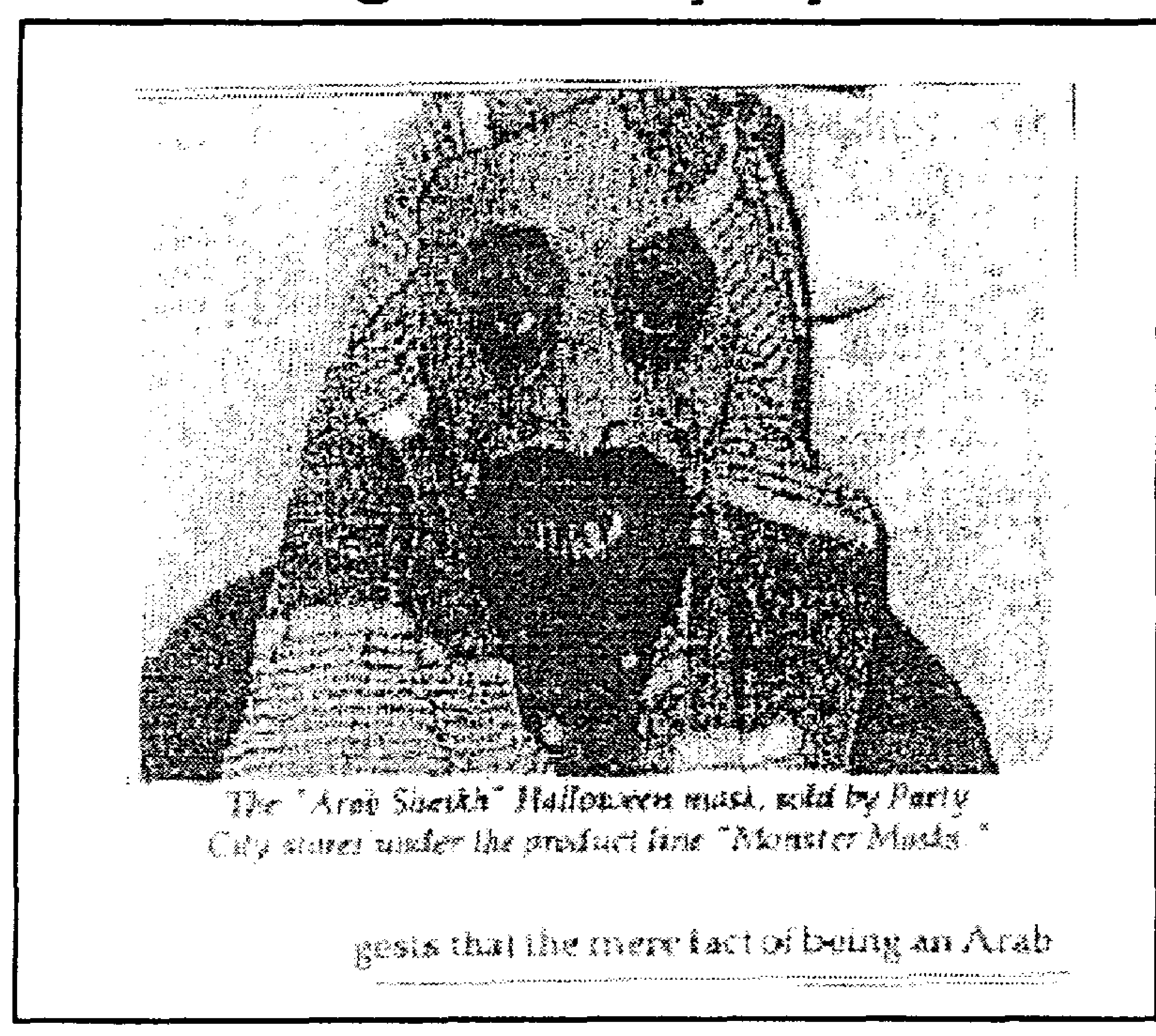
وهذا الاسلوب اليهودي القديم في تشويه الاسلام ورموزه ، يعتبر جديداً فقط من خلال ربط العربي والمسلم في اطار صورة واحدة تعكس البربرية والفجاجة ومن خلال تعميم ذلك بالروايات ، والافلام ، بل وفي المطبوعات المدرسية كما في كتاب (قضايا في تاريخ الشعب والدولة خلال العهود الاخيرة) المقرر للمدارس الثانوية الاسرائيلية في فلسطين المحتلة لمؤلفه (أمنون حافير) مدعياً هذا الحاقد ان العرب اختلقوا قصة المعراج (صعود الرسول ﷺ إلى السماء) من أجل تزييف التاريخ [(٢)] وهذا الكتاب صدر عن منشورات الهستدروت (نقابة العمال الاسرائيلية العامة) .

وفي خضم حملات التشويه المحمومة استغلت فيه مجموعة «بارتي سيتي» مناسبة «عيد الهالووين» لتشارك في هذه الحملات فبمناسبة هذا العيد «عيد القديسين» الذي اعتاد الامريكيون فيه على ارتداء الملابس التنكرية والأقنعة المختلفة طرحت سلسلة مخازن «بارتي سيتي Party City» التي تملك اكثر من ١٥٠ مخزناً كبيراً (سوبر ماركت) في كافة الولايات المتحدة قناعاً يمثل بزعمهم شيخاً عربياً ليس فيه أي شيء او ملامح توحي بالود وقد ارتدى

---

(١) زياد ابو غنيمة . السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية . دار عمار ، عمان (الاردن) ١٩٨٤ .
(٢) مجلة الدستور ، العدد ٣٥٣ تاريخ ١٩٨٤/١٢/١٧ .

الكوفية والعقال فوق وجه يحمل ملامح شريرة وأسنان وحش بارزة متسخة وحواجب معقوفة كحواجب الشياطين وذقن غير منتظم ولحية غير مشذبة وبشرة الوجنتين متجعدة وأنف ضخم . ولم تكتف المخازن بذلك بل أنها وضعت هذا القناع الذي يرمز إلى شيخ عربي مع عدة أقنعة أخرى شيطانية ورهيبة في مجموعة أطلقت عليها إسم (أقنعة الوحوش : Monster Masks) والترجمة الحرفية لما وضع تحت الصورة : (قناع عيد الهالووين «الشيخ العربي» بيع من قبل مخازن «بارتي سيتي» تحت خط الإنتاج «أقنعة الوحوش»)[١] .



ومن آخر أشكال الدعاية المعادية للإسلام والمسلمين فقد كانت تلك الصورة التي نشرتها مجلة لايف الامريكية في عدد حزيران ١٩٩٦ والتي تمثل حاجاً مسلماً من «الكاميرون» كما تقول في شرح الصورة وهو يصلي وأمامة «ثلاجة كوكا كولا» مما دفع المجلس الوطني للشؤون الإسلامية في امريكا إلى الاحتجاج على شركة كوكا كولا للظن بأنها وضعت الصورة كإعلان عن منتجاتها ودعاية لها إلا أن الشركة بدورها نشرت ردها بأنه ليس لها اية علاقة بالصورة أو المقال (أي شرح الصورة) وأنهما من مجلة «لايف» نفسها وأنها قدمت إحتجاجاً للمجلة مما دفع المجلة في النهاية إلى تقديم اعتذارٍ مكتوب للشركة كما تعتذر فيه عن أية إساءة للإسلام غير مقصودة منها .

---

(١) الدستور الاردنية ، ١٩٩٥/١١/٢٨ .

يقول الشرح الذي نشرته المجلة تحت عنوان (الوقفة التي تنعش) : ـ «إنه شيء طبيعي فقط بالنسبة لرجل دين يحاول ان يبحث عما يطفيء ظمأه الروحي . هذا المسلم من الكاميرون لم يكن استثناءاً : ففي بحثه عن الحقيقة ، إتجه إلى مكة ـ وفوراً حدث ان وجد الشيء الحقيقي [1] اي ضالته المنشودة» .

فأنظر كم تحمل من إيحاءات خبيثة هذه الكلمات القليلة وعندما تعلم ان الصورة والشرح ليسا دعاية للشركة يتبين لك كم هي مقصودة وكم هي شريرة !



حتى لا نكون بوقاً في جوقتهم :

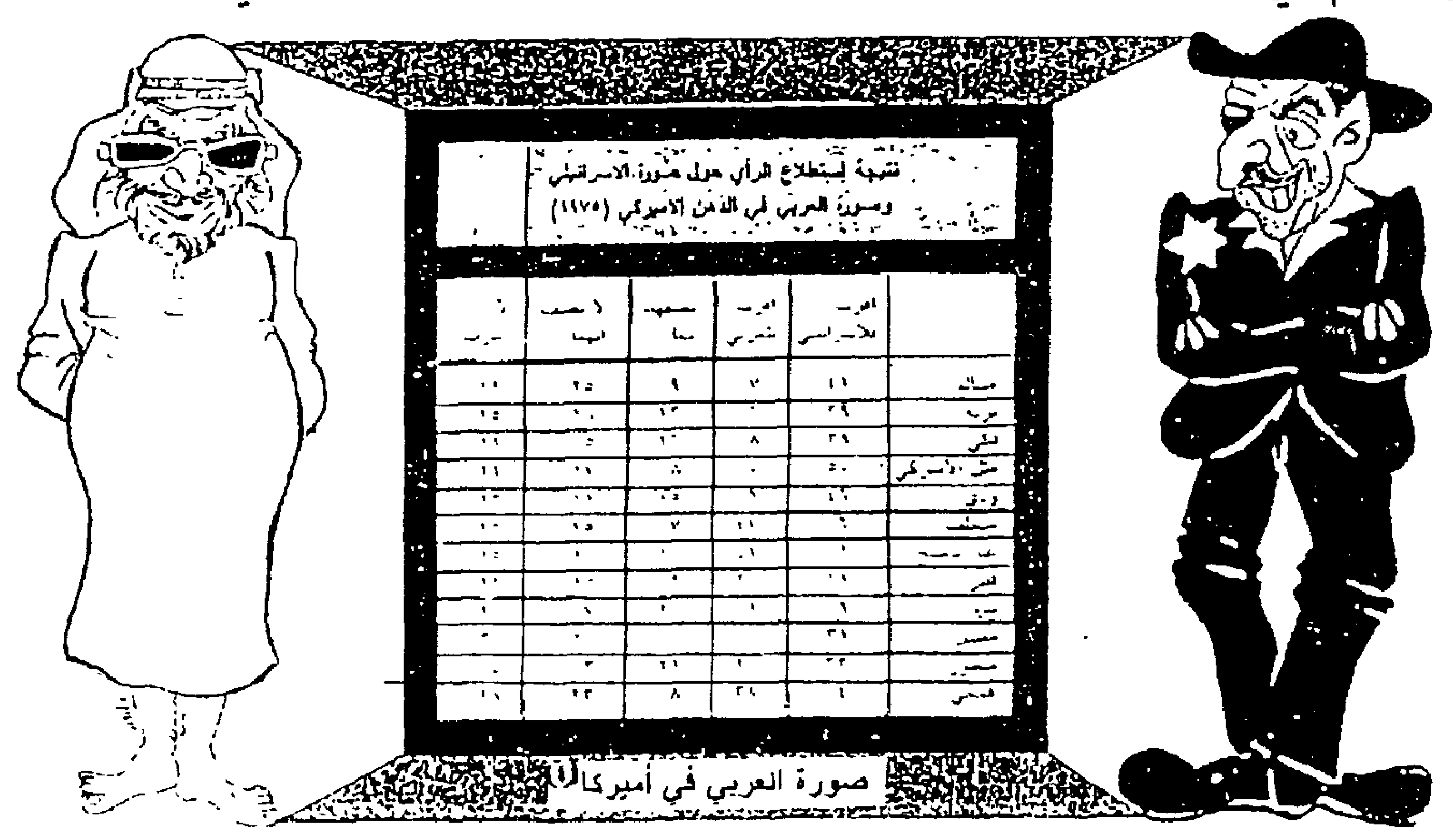
نقع نحن العرب في شرك ابواق الدعاية الصهيونية ـ خاصة في موضوع تشويه صورة العربي المسلم ـ فنكررها على علاتها كما تردنا من مطابخهم تحت شعارات خادعة (كالنقد الذاتي والرغبة في اصلاح النفس وتنظيف البيت العربي) وغيرها من التبريرات الخادعة والتي تحيلنا بغفلةٍ منا إلى ابواق مجانية تعمل في خدمة الجوقة الدعائية اليهودية . احدى

(١) مجلة لايف الامريكية . العدد حزيران ١٩٩٦ ، ص ٩٨ .

الصحف العربية عقب عدوان ١٩٦٧ قالت تتهم العقل العربي بالقصور [١] : -

(هنا مصافي البترول قائمة في وسط الصحراء ، وهناك الخطب ! هنا مصانع الصلب المتعالية إلى السحاب ، وهناك اغاني ام كلثوم !) وتعني (هنا) : في اسرائيل ، و(هناك) : في بلاد العرب ، ولا شك ان مثل هذا الكلام ليس من باب النقد الذاتي بل يصب في قناة الدعاية السافرة لاسرائيل : (جسر الثقافة ومعبر الحضارة وطليعة التقدم الغربي في مجاهل أدغال الجهل العربي المزمن) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فإن ما يقوم به كثير من العرب من ممارسات تعتبر مادة دسمة تمنحه التبريرات لكل ما يلفقه ضدنا ، وهذه الممارسات كثيرة لا يتسع المقال لعرضها ولا يحتاج القارىء للتعرف عليها الا ان يرجع لصحف ومجلات الغرب وما تنقله عنها صحافة العرب فيقرأ العجب العجاب ، كما قد يجدها في كتب مثل كتاب الاخطبوط الصهيوني رأي العين [٢] حيث يعرض العديد من الشواهد ويعكس صورة حسنة عن جهد العربي المسلم في مجابهته للشباك الصهيونية ومصاولته لما يحشده اليهود في كل ركن من



حتى استطلاعات الراي العام تم تسخيرها لأغراض الحملات الاعلامية المعادية بهدف ترسيخ صورة نمطية معينة عن شعب او امة بذاتها وبهدف تشويه تلك الصورة . الشكل اعلاه يمثل هذا النوع من الاستطلاعات.

المعمورة لتشويه صورتنا .

---

(١)زكي الجابر ، مبحث في الراديو الاسرائيلي ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٠ .

(٢) محمد علي ابو حمده . الاخطبوط الصهيوني رأى العين . مكتبة الرسالة ، عمان (الاردن) ، ١٩٨٣ .

التصدي والتصويب :

بعد ان تعرفنا على ذلك الاسلوب الجهنمي الذي تستخدمه الدعاية الصهيونية في تشويه صورتنا في نظر العالم فلنحاول رصد بعض المؤشرات في التصدي له وتصويب آثاره :

١ ـ تنسيق الجهود الحكومية الرسمية في مجالات :

أ ـ التوعية والتعليم لتحاشي الوقوع بالاخطاء (فردياً وجماعياً) مما يعطي المبررات (والحقائق) احياناً للعدو وينطلق منها في رسم كاريكاتير بشع يشوه به حاضرنا وماضينا المشرق النبيل ومستقبلنا المؤمل خيراً .

ب ـ دعم المجموعات العاملة في التصدي لهذا الاسلوب وتصويب آثاره النكدة (كاللجنة الامريكية العربية ضد التمييز) في الولايات المتحدة الامريكية والتي تتتبع كل ما يفعله الصهاينة عبر وسائل الاعلام المختلفة [١] .

جـ ـ المسعى الجاد لدى الغرب ليتخذ على مستوى الحكومات وخاصة امريكا قرارات سياسية رسمية للتصدي وكف هذه الحملة المشبوهة وللتصويب كما تم في معالجة موضوع (الهنود الحمر) مما يوقف على الاقل جزءاً كبيراً من الحملة ان لم يوقفها كلياً .

د ـ حث وتوجيه وتمكين الدبلوماسية العربية من ممارسة دورها (في الميدان) حيث دورها رباعي الاتجاهات :

١ ـ استكمال دور الحكومات في التوعية للمواطن والسائح ورجل الاعمال والطالب العربي هناك سعياً لضبط السلوكيات وتقنين الممارسات .

٢ ـ ملاحقة ما ينشر ويذاع تصدياً وتصويباً .

٣ ـ استكمال الدور الاعلامي الدعائي النفسي الذي تضطلع به الحكومات رسمياً .

٤ ـ الاضطلاع بالدور الدبلوماسي الاعلامي النشط الهادف ضمن خطة مبرمجة مدروسة . واعادة نشر وتشجيع كل عمل عربي ايجابي يتصدى للحملة ويصوب النظرة .

٢ ـ تبني استراتيجية اعلامية دعائية نفسية عربية موحدة تنطلق من عمل شمولي مخطط مبرمج يتصدى لهذا الاسلوب تفنيداً ويصوب النظرة بابراز الصفات والملامح الحقيقة للشخصية العربية الإسلامية ، ويفضح الآلة الإعلامية الغربية المتصهينة ويُعَرّي أساليبها أمام نظر العالم [٢] .

---

(١) مجلة التضامن . العدد ١٠٦ تاريخ ١٩٨٥/٤/٢٠ .

(٢) للمزيد من أساليب التصدي والتصويب يمكن الرجوع إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب .

الفصل السابع

الحرب النفسية في الاسلام

[١] مدخل :

الجهاد

الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

علم النفس وجهود المسلمين

[٢] الحرب النفسية في الاسلام

الاسلام والمعنويات

[٣] اساليب الحرب النفسية الاسلامية

١. الحرب خدعة

٢. الرعــب

٣. عرض القوة

٤. التكبير عند الحرب

٥. الشعار

٦. نداءات الاستسلام

٧. استهداف القادة

٨. الاســرى

٩. الدعاء والخطبـة

١٠. تحويل المعتقد وتغيير الاتجاهات

الفصل السابع

الحرب النفسية في الاسلام

[١] مدخل [(١)]

ان المتطرق لمثل هذا الموضوع يقف امام نقاط يجد لزاما عليه ان يوضحها قبل الخوض بتفاصيل موضوعه وبحثه . وعليه فقد مهدت للبحث بنقاط الجهاد في الاسلام ثم الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ثم جهود المسلمين الاوائل في مجال علم النفس والاتجاهات الحديثة لدى علماء النفس المسلمين للخروج بما يمكن تسميته علم النفس الاسلامي تبتنى أسسه على الكتاب والسنة وما بحثه السلف الصالح وعلماء الاسلام ثم ما لا يخالف الشرع في علم النفس الحديث .

ثم تطرقت للبحث في الحرب النفسية في الاسلام اي ما كان يمارسه المسلمون مما يمكن ان يسمى اليوم حرباً نفسية ولو انهم لم يصنفوه تحت مثل هذا العنوان وكانت تتبع اساليبه على السجية في ضوء ما شرع الشارع الاسلامي .

ولا اقول الا ان بحثاً كهذا يحتاج الى مزيد من الجهد والعناية والعودة الى بطون الكتب الاسلامية لاستلهامها واستخراج كنوزها في مجالات الحرب النفسية في الاسلام ، ثم المقارنة ما بين الاسلام والنظم الاخرى في الاخذ بأساليب الحرب النفسية والادوات التي تحقق هذه الاساليب من خلالها الاهداف والاغراض العليا .

وكما اوضحت خلال البحث فان الفارق ما بين الحرب النفسية في الاسلام والحرب النفسية الاسلامية هو فارق بين الموجود او ما كان موجوداً وما هو غير موجود او يؤمل في تحققه وايجاده بمعنى آخر ان ما يطرح في هذا البحث هو ما كان موجوداً من اساليب استخدمها المسلمون يمكن رصدها تحت عنوان الحرب النفسية .

ولكن لا يوجد حتى اليوم ما يسمى بالحرب النفسية الاسلامية ولتحقيق وايجاد حرب

---

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى كتاب المؤلف (الحرب النفسية في الاسلام) عمان ١٩٩٨ .

نفسية اسلامية يجب ان تبنى على دعائم منها :ـ

١ ـ الكتاب والسنة وما خلفه السلف في هذا المجال .

٢ ـ علم نفس اسلامي مبني على الكتاب والسنة وما خلفه السلف اي ينبع من منظور اسلامي متكامل للكون والحياة والانسان وما في علم النفس الحديث مما لا يتعارض والشرع(١) .

٣ ـ استراتيجية عسكرية اسلامية تتبع اصول العقيدة الاسلامية وقواعد الجهاد المشروعة والعسكرية الاسلامية بمعطياتها كما امر الله والرسول وطبقه المسلمون في حروبهم .

٤ ـ ما لا يتعارض من الحرب النفسية الحديثة مع معطيات الاسلام وفي ضوء الاسس السابقة .

الجهـــــاد :

إذا كانت الحرب في القانون الدولي هي الصراع المسلح بين دولتين او بين فريقين من الدول والذي يكون الغرض منه الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المتحاربة فان الحرب في الاسلام هي الجهاد والمأخوذ لغة من بذل الجهد اي الوسع والطاقة فهو استفراغ الوسع في مدافعة العدو .

ويتضح من هذا ان الحرب كما في رأي رجال القانون يلجأ اليها لاغراض مادية تدعو اليها مصلحة الدولة التي تشهرها على غيرها بمحض تقديرها بينما الجهاد في الاسلام يلجأ اليه عند وجود مقاتلة من عدو فباعثه رد العدوان والمحافظة على جماع المسلمين ومُبادأة العدو بالقتال لاعلاء كلمة الله بإزاحة من يقفون عقبة كأداء في سبيل الدعوة الاسلامية والصد عنها ليُقضى على الفتنة في الدين وتعلو كلمة الله والحق وتسود مبادئ الاسلام من عدل وخير وفضيلة وكل هذا نابع من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة فقد بين الرسول ﷺ ان الجهاد ماض الى يوم القيامة وهو القائل (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

---

(١) من اكبر مآخذ العصر على علم النفس الحديث ما يتعارض وحقائق الاشياء كنظرية فرويد التهويمية الافتراضية ، وما يختلق ويزور الحقائق كما فعل عالم النفس البريطاني سيرل بيرت الذي انكشف امره اخيراً حتى اعتبرته صحيفة بريطانية (اكبر افاق علمي انجبه المجتمع البريطاني) فمن احصائياته المزورة في الذكاء وضعت بريطانيا على اساسها مناهجها التربوية وهي الان في ورطة بسبب هذا المدعي الذي اسقط من سجل علماء النفس . انظر الرأي /صحيفة اردنية تاريخ ١٩٨٥/٦/٥ .

فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم) وعليه يكون الجهاد شاملاً انواع الحروب جميعاً من حروب هجومية ودفاعية ووقائية وغيرها .[١]

الاستراتيجية العسكرية الاسلامية :ـ

ان الاستراتيجية العسكرية الاسلامية بشمولها للمستويين الاستراتيجيين : الاستراتيجية العليا ، والاستراتيجية العسكرية ، انما تنطلق من فلسفة الدولة المترتبة عن التصور الاسلامي العام للكون والحياة والانسان والتي تزود العقيدة به المسلمين .

وكانت الاستراتيجية العسكرية الاسلامية عامة متكاملة المحتوى من حيث الاسس والاساليب والوسائل ، ذات اهداف واضحة ومبادىء تتقيد بها وتصدر عنها ، ووسائل تتبع ، وذات مميزات وخصائص تميزها عن غيرها .

ولا شك ان ما تتبعه الجيوش العربية الان انما هو نابع عن استراتيجيات اما شرقية او غربية وقد بدأ الباحثون في العلوم العسكرية في الدول العربية يتنادون ويكتبون في ضرورة رسم وتبني استراتيجية عسكرية تنبع من الاصول الراسخة وتصدر عن العقيدة الاسلامية ، ولدينا المقدار الهائل مما خلفه لنا قادتنا المسلمون الاوائل ، ولاتُغفِل بالوقت نفسه ما يمكن ان تستفيد منه في هذا المجال من معطيات العسكرية الحديثة مما لا يتعارض والتصور الاسلامي .[٢]

علم النفس وجهود المسلمين :ـ

ان المسلمين الاوائل وانطلاقا من دعوة القرآن الكريم وتوجيه الله عز وجل للبحث والدرس والنظر فقد درسوا وبحثوا ونقبوا في كل المجالات ومختلف الميادين فكان من ضمن ما تطرقوا اليه مواضيع يمكن رصدها تحت عنوان النفس . وقد تناولوا فروعاً مختلفة في هذا المجال كالسلوك ، والدوافع ، والميول ، والعادة ، والارادة ، والحياة الوجدانية او ما يسمى بالانفعالات والعواطف ، والادراك الحسي ، والادراك العقلي ، والتخيل ، والتفكير ،

---

(١) د . وهبة الزحيلي . آثار الحرب في الفقه الاسلامي . المكتبة الحديثة ، ١٩٦٥ .

د . محمد على الحسن . العلاقات الدولية في القرآن والسنة . مكتبة النهضة الاسلامية . عمان ، ١٩٨٢ .

(٢) ارجع الى مجلة الحرس الوطني السعودية الصادرة في رمضان ١٤٠٥ يونيو ١٩٨٥ وفي العدد ندوة عسكرية بعنوان (نحو عقيدة عسكرية اسلامية) وهي تطرح افكاراً جيدة في التوجه لوضع استراتيجية عسكرية اسلامية انطلاقاً من عقيدة الامة ودينها .

والاحلام . وهي بمجموعها ، مواضيع نفسيه بحته .

وقد برزت اسماء لامعة كابن سيناء في مجال العلاج والطب النفسي ، والغزالي في النفس والسلوك والدوافع . وكذلك الفارابي واخوان الصفا رغم اختلاط ما بحثوه مع الفلسفة اليونانية التي اثرت على بعض الموضوعات ومناهج البحث واساليب الدرس . كما كتبوا في التربية فصولاً مطولة حتى تميزت التربية الاسلامية عن غيرها تميزاً ظاهراً فتجد اسسها اكثر وضوحاً واعظم اثراً في ما يكتبه المحدثون الى اليوم ، كما كانت لهم في علم النفس الاجتماعي آراء وابحاث وان لم تأت تحت العناوين العصرية المعروفة اليوم فنجد العلامة ابن خلدون يؤسس علم الاجتماع وابن سيرين في مجال الاحلام ثم الغزالي والمحاسبي في دراسات الشخصية .[١]

بدأ المسلمون مع ترجمة كتاب النفس لارسطو يحذون حذوه في تصنيف ابحاثهم في هذا الموضوع كابن سيناء في كتاب النفس الذي هو جزء من «الشفاء» وكانوا يلحقون هذه البحوث في علم الطبيعة .

وظهرت ابحاث في هذا المجال لعلماء الكلام والمعتزلة ثم المتصوفة الى ان جاء الغزالي الذي نهج خلافاً لعلماء عصره نهجاً متميزاً غير متأثر بالاتجاه اليوناني قائما على النظر في النفس الانسانية وتحليلها وتحديد دوافعها وغرائزها والبحث في السلوك ودوافعه النظرية واضعاً قدمه على اول طريق البحث الحديث الذي لا ينقصه سوى المنهج الاحصائي والقياس النفسي والتجارب العلمية .

وتوقف علماء المسلمين بعد القرن الخامس الهجري عند هذا المنهج ومدارات البحث في النفس الى ان كان القرن العشرون قرن تفجر المعرفة وارساء الاساس والدعائم لعلم النفس الحديث وإلى ان كان العقد السابع من هذا القرن .

فلما كان الباحثون المسلمون يؤمنون بمنهاج الله الذي هو احكم الحاكمين ومنهاجه لخلقه بالغ الكمال لايدانيه نظام ذلك «ان هدى الله هو الهدى . .» ، ولما كان هؤلاء الباحثون ينطلقون من التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان ، فكما صدروا عن هذا التصور في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية وغيرها بدأ مشتغلوهم في علم النفس الى الدعوة لاخراج ابحاثهم في السنوات العشر الاخيرة لتصدر عن الاصول الاسلامية نفسها ،

---

(١) عبد الكريم عثمان . الدراسات النفسية عند المسلمين "الغزالي بوجه خاص" . القاهرة مكتبة وهبة ،ط١، ١٩٦٣

فقد نظروا في علم النفس - وهو فرع من العلوم الانسانية - فوجدوه محكوما بتصور شرقي اشتراكي مادي للحياة والكون والانسان ، او محكوماً بتصور غربي مادي كذلك ، مما جعلهم يتداعون للخروج بعلم يبحث في مجالات النفس الانسانية يتميز بارتكازه على دعامتين الأولى هي العقيدة الاسلامية التي تزود الباحث بتصور متكامل للكون والحياة والانسان ، والثانية اسلوب بحث متميز مطبوع بالطابع الاسلامي ، فكانت الدعوة لعلم نفس اسلامي[1] وبدأت مع بواكير العقد الثامن تصدر دراسات في الصحف والمجلات والكتب تتناول موضوعات وجوانب شتى في مجال النفس من تصور اسلامي معتمدة اسساً غير مدونة منها :-

١- الاغتراف من كنوز القرآن الكريم والسنة المطهرة والسلف الصالح وما ألفّه العلماء المسلمون الاوائل في هذا المجال .

٢- ابتكار نظرية اسلامية نفسية شاملة تصدر عنها اساليب العلاج وتكنيكاته ثم تصدر عنها سائر المعطيات النفسية الاسلامية النافعة في شتى الميادين .

٣- الاخذ من علم النفس الغربي كل نافع مفيد علمي يقوم على القياس والتجريب محايدٍ لا يعتمد النظريات التأملية المتعارضة مع الدين ويبتكر في هذا المجال ويطور ما يلزم في اطار العقيدة .

[٢] الحرب النفسية في الاسلام : [٢]

ان الحرب النفسية الاسلامية ليست اصولاً محددة كانت تتبع لان اي حرب نفسية تخضع لاسس ومفاهيم خاصة ذات اهداف محددة لها وسائلها وادواتها المتميزة وهي تتبع

---

(١) بدأت موجة من الكتب والدراسات في «اسلمة العلوم» فتجد في الاقتصاد : الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومرتكزات للدكتور محمد صقر ، وكتاب الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية للدكتور محي الدين عبد الحليم ونحو علم الاجتماع الاسلامي للدكتور زكي محمد اسماعيل وكتاب مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة لعابد توفيق الهاشمي وكثير غيرها في سائر مجالات المعرفة .

(٢) ان الآية الكريمة «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم» تعتبر المؤشر العام الواضح في ضرورة الاعداد المادي والعنوي . ومن الكتاب والسنة يخرج المعني بنظرية متكاملة في هذا المجال ، وقد ألفت في الموضوع الكتب ، وكان المسلمون هم اول من دون في الحرب النفسية ، فلو رجعنا الى الكتاب الموسوعي عيون الاخبار نجد مؤلفة ابن قتيبة الدينوري يفرد كتاباً في الحرب يخصص منه فصولاً بعنوان (مكايد الحروب وحيلها) لاتخرج عن كونها اساليب نفسية ومعنوية بحته وقد دون فيه تجارب المسلمين في هذا المجال وتجارب الامم السابقة والمعاصرة كالهند والعجم .

من الاستراتيجية العسكرية للدولة التي تتبناها ، والمهتم بالحرب النفسية الاسلامية يستطيع بقراءة التاريخ الاسلامي والحروب الاسلامية ان يضع قواعد لهذه الحرب النفسية واسساً واساليب خاصة بها تكون نبراساً على ضوئه وعلى ضوء علم النفس الاسلامي وعلى ضوء استراتيجية عسكرية اسلامية حديثة وما هو مفيد ولا يتعارض مع التصور الاسلامي من المعطيات الحديثة في مجال الحرب النفسية يمكن بهذا كله ان نهتدي الى التوصل لوضع الخطوط العريضة لحرب نفسية اسلامية .

وعليه فان ما نتناوله هنا انما هو حرب نفسية لها اسس واساليب تختلف جوهريا عما تتعارف عليه اليوم الانظمة العالمية مما يتعارض ومعطيات الاسلام .

ويمكن التدليل على هذا بمثال الاسرى ، حيث يُستغلون ابشع استغلال لاخذ المعلومات منهم بوسائل منها غسل الدماغ وغيرها من التأثيرات وان الاسلام يحرم هذا ، قال الامام مالك رحمه الله عندما سُئل : أيُعذب الاسير ان رُجي ان يدل على عورة العدو؟ فقال : ما سمعت بذلك . وهذا ما اقره فيما بعد القانون الدولي كما في اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩[(١)] .

والحرب النفسية الاسلامية تدخل في نطاق الجهاد باللسان ، والجهاد يكون بالنفس والمال قال تعالى : ﴿وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله﴾ وقد قال الرسول ﷺ «قاتلو الكفار بأموالكم وانفسكم والسنتكم» .

الاسلام والمعنويات : ـ

لقد اجمع الخبراء العسكريون على اهمية المعنويات باعتبارها العنصر الفعال في كسب الحرب الذي هو الهدف الاخير لاي جيش ، يقول مونتجمري : (اهم عامل في الحرب هو المعنويات . وعندما تتدهور المعنويات تصبح الهزيمة حتمية) .

وتتضافر مجموعة كبيرة من العوامل لتشكل هيكل المعنويات العام منها : القيم المادية ـ وهي آلة الحرب من جند ومعدات واسلحة والقيم النفسية ـ كالاحساس بالشرف والهدف الواحد والشجاعة وقوة الاعصاب ، والمعرفة العسكرية ، والثقة بالانتصار والروح الجماعية ، وعلى رأس ذلك كله يقف عامل العقيدة كأهم عامل من عوامل المعنويات ، وسنجد مرة اخرى اجماع الخبراء العسكريين على اعتبار العقيدة اهم عوامل المعنويات على الاطلاق ، وها

---

(١) د . وهبة الزحيلي المرجع السابق نفسه

هو مونتجمري عندما يتحدث عن الجيوش الاسلامية ودواعي انتصاراتها عبر التاريخ يقول في اثر العقيدة في المعنويات : لم تكن اهم مميزات الجيوش الاسلامية في تجهيزاتها وتنظيمها ولكن في معنوياتها وكانت معنوياتها وليدة دينها ، ومنتجمري في كتابه القائد يركز على العقيدة في الحرب ويعتبرها مقياساً لنجاح القائد فالحروب والمجتمعات المحاربة القوية هي عقائدية بالدرجة الاولى ونحن نجد امثلة لا حصر لها من التاريخ الحربي قديمه وحديثه فالدعاية في برامج الحرب النفسية السوفياتية تشمل على محتوى عقائدي عالي الدرجة . وان اسرائيل وما شنته من حروب كلها مبنية على ركائز عقائدية وهم في دعايتهم وحربهم النفسية يصدرون عن اسس توارتية تلمودية ، ومن الجدير بالملاحظة ان جميع أيديولوجيات المهاجرين اليهود تذوب في المجتمع الاسرائيلي عند وصول اليهودي الى ارض الميعاد فيخلع كل عقيدة وكل فكرة ويتبنى ايديولوجية واحدة هي ارض اسرائيل ودين اسرائيل!!

واذا كانت العقيدة ذات اثر عظيم على المجتمع ككل من حيث انها عنصر متانة وقوة الجبهة الداخلية وتماسكها وبالتالي فهي محور الاستقلال الحقيقي ، ومن حيث انها تصهر مختلف الفئات والعناصر لينتظمها فكر واحد وهدف واحد فتعمل لتحقيق امال موحدة وبالتالي تصبح جسداً واحداً قوياً ، ومن حيث انها تشكل المقياس والمحك والمعيار للمجتمع فيميز الغث من السمين والصحيح من الخطأ والذي بدونه تضطرب الاحكام على الامور فاذا كان للعقيدة هذا الاثر على المجتمع ككل فلا شك ان لها اثراً عظيماً على الفرد ومعنوياته باعتباره لبنة في المجتمع وعضواً من جسد كبير وكذلك في القوات المسلحة تُعتبر مسألة المعنويات هامة خاصة اذا تذكرنا ان هزيمة الجيش انما تبدأ بالداخل وعند انهيار المعنويات والتي لا غنى عنها لاحراز النصر في الحروب ، وضمن هذا الفهم سنتعرض **لاثر العقيدة على الفرد والمعنويات** : ـ

١ـ العقيدة عامل قوي فعال في رص الصف ودعمه ـ انما المؤمنون اخوة [١]ـ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص [٢] . ولانه ـ لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (حديث شريف) فالجندي المؤمن يشعر بأنه يحمي نفسه واخوانه وهو يجاهد لاعلاء كلمة الله ويشعر بانه يجب عليه ان لايتخلى عن القتال ابداً

(١) ١٠/ الحجرات
(٢) ٤/ الصف

فهو مرهون لاحدى الحسنيين النصر او الشهادة لايمانه بقوله تعالى ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله﴾ ١١/التوبة . وبالتالي فهو لن يتولى يوم الزحف ابداً ليقينه بقوله تعالى ﴿يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ، فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ ١٦،١٥/ الانفال .

٢ - كما ان العقيدة تبنى داخل الجندي المحارب السياج المانع ضد العدو وإشاعاته واضاليله . وكون العقيدة هي محك ومقياس صادق فهو بالتالي سيعرض عليها كل ما يجابهه من أقوال وافعال فيميز الخبيث من الطيب ويبعد ما لا يتفق ومعطياتها كما انه لصلابة تماسك مقومات الفكر والوجدان لديه لن تمر عليه اباطيل العدو .

٣ - والعقيدة تشكل لدى الفرد الضمير الحي والرقيب الذاتي الداخلي : لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به - حديث شريف . فهي عنصر هام للنقد والنقد الذاتي ومحاسبة النفس على اي تقصير مما يساعد في مراجعة الاخطاء فوراً وتلقائياً وتصحيح المسار وانتظامه وادامته .

٤ - ولايغيب عن البال ما للدين وللعقيدة من اثر عظيم في تماسك الشخصية وقوتها فالمؤمن شخص يعرف السبب من وجوده ومن حياته ويعرف دوره في الحياة والغرض منها وعلى صعيد المعركة فانه يعرف سبب الحرب والهدف منها فيجاهد في سبيل الله ويعمل بشخصية قوية متماسكة تسعى لهدف واضح تعمل من اجله وتضحي وتستشهد وان وضوح الهدف من اعظم اسباب المعنويات العالية والانتصار بالحروب .

٥ - العقيدة اساس الشجاعة وعنصرها القوي . باعتبار ان الشجاعة ليست ضد الخوف ولكنها الشعور الطبيعي بالخوف ووضعه في حجمه الطبيعي بلا تهويل او مبالغة . فالعقيدة . اساس القوة - المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير - حديث شريف . كما ان المسلم يدعو صباح مساء كما علمه رسوله الكريم ﷺ «اللهم اني اعوذ بك من الجبن والبخل . .» حديث شريف .

٦- واذا كانت القعيدة تمنح الفرد تصورا متكاملاً لنظام حياته وتزوده باسلوب التعامل الصحيح مع نفسه والاخرين فانها كذلك تعطيه المعيار الصحيح الحقيقي الذي يقيس عليه الامور مما ينتفي معه الاضطراب في احكامه عل القضايا التي تعترضه فهو يتمثل ابداً قول

الرسول ﷺ : ـ «تركت فيكم شيئين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي كتاب الله وسنتي» حديث شريف .

ومن خلال ماترسخه العقيدة لدى الفرد من الاقدام فانها بالتالي تبني في ذاته القدرة على الفعل الايجابي المؤثر والمثمر على كافة المستويات حرباً وسلماً لَتَمَثله باستمرار اوامر الدين المؤكدة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ من راى منكم منكراً فليغيره بيده . . حديث شريف . فهو بالتالي عنصر فعال في التغيير نحو الاحسن والافضل مما تُعلمه اياه العقيدة من الجرأة والصدق والصراحة وجميع القيم الايجابية التي تصب كلها في قناة العمل المسؤول الايجابي . كما ان العقيدة تمنح الفرد كقائد او كجندي القدرة على رسم الخطط المستقبلية على اسس سليمة لانه يتعرف عل« اصدق المقدمات واصحها ولانه تعلم استقراء المستقبل وفقاً لمعيار سليم كل ذلك ضمن اهداف واضحة ومعروفة .

العقيدة كما رأينا عامل من عوامل المعنويات وان كانت اعظمها اثراً وإذا نحن ارسينا دعائم العقيدة الراسخة في نفس الجندي وعقله وفكره نكون قد أقمنا في اعماق ذاته اعظم بناء معنوي وامتن سلاح ضد الباطل واضاليله واعظم الحصون مناعة على العدو مهما كانت قوته المادية والمعنوية . والعقيدة لاتكون بالقول ولكنها تقوم بالقدوة فالقدوة ابلغ اثراً ، وهذه هي الطريقة التي ارشدنا اليها الرسول ﷺ ودلنا عليها الله عز وجل ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ ٢١/ الاحزاب .

عوامل بناء المعنويات في الاسلام : ـ

١ ـ القدوة : فقد كان رسول الله ﷺ قدوة لسائر المسلمين في الجهاد والشجاعة . عن البراء رضي الله عنه قال «رايت رسول الله ﷺ يوم الاحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول : «لولا انت ما اهتدينا» .

٢ ـ الشجاعة والحض عليها : فقد كان النبي ﷺ «احسن الناس واشجع الناس واجود الناس» وفي حنين كما في احد ثبت الرسول فكان باعثاً لاجتماع المسلمين وثباتهم معه . وتمثلت شجاعة القائد بقول علي بن ابي طالب «انا كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو اقربنا الى العدو»

٣ ـ الصبر : قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطو واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ ٢٠٠ / آل عمران وقال الرسول ﷺ «اذا لقيتموهم فاصبروا» .

٤ ـ الثبات : وهو يلحق بالصبر قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ ١٥ ـ ١٦ /الانفال وقال ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ ٤٥/ الانفال

٥ ـ الحذر واليقظة : قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ ٧١ النساء .

٦ ـ الطاعة : قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾ ٥٩ / النساء وقال تعالى ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ ٨٠/ النساء

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «السمع والطاعة حق مالم يؤمر بمعصية فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» . وعنه «ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وانما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به» . ومن اركان الطاعة عدم التنازع والاختلاف فقد حرم الله ذلك بقوله ﴿ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ ٤٦/الانفال .

٧ ـ البيعة في الحرب : بأن لا يفروا وقال البعض البيعة على الموت كما بويع النبي ﷺ تحت الشجرة ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ ١٨/ الفتح .

٨ ـ الدعاء : من اسباب رفع المعنويات ومن اساليب القتال الدعاء لنصرة المسلمين وهزيمة عدوهم وقد أُثر عن الرسول ﷺ انه كان يدعو في القنوت « . . اللهم انج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم سنين كسني يوسف» البخاري . وفي الاحزاب دعا الرسول «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اللهم اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم» . ومع الدعاء الخطبة قبل المعركة : وكان مما قاله الرسول ﷺ قبل غزوة بدر «وانما انا وانتم بالله الحي القيوم ، اليه ألجأنا ظهورنا وبه اعتصمنا وعليه توكلنا واليه المصير» .

٩ ـ التدريب ـ قال الرسول ﷺ «ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا ، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا ، وفي رواية «فهي نعمة جحدها» .

١٠ـ تطهير الجيش من عناصر الخذلان والفتنة : قال تعالى ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلو الا قليلا﴾ ٢٠ / الاحزاب وقال ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم﴾ ٤٥ ، ٤٦ / التوبة .

١١ـ عدم افشاء الاسرار والتوثق من الانباء : فالاسلام يحذر من اذاعة الاسرار فاذاعتها من شأن المنافقين ويطالب المؤمنين بالرجوع الى القائد والتثبت من الانباء قبل الركون اليها والعمل بها . قال تعالى ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرّينك بهم﴾ ٦٠ الاحزاب وقال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة﴾ ٦/الحجرات

١٢ـ المصلحة العليا للمسلمين لها الاسبقية على ما عداها وهي فوق اي اعتبار : ﴿قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٢٤ / التوبة .

١٣ـ الايمان بالله والقضاء والقدر : فالعقيدة تبنى هذا الايمان العظيم قال تعالى ﴿قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا﴾ ٥١ / التوبة فالموت حتم في المعركة وغيرها .

١٤ـ الشهادة هي الهدف والمقام الاعلى : قال تعالى ﴿فاؤلئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ ٦٩ / النساء .

فانتصاب الشهادة امام عيني الجندي ترسخ في اعماقه الشعور بالشجاعة فلا خوف مع الايمان لان الشهادة ليست موتاً بل هي الحياة الخالدة ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون﴾ ١٦٩/ آل عمران .

[٣] اساليب الحرب النفسية الاسلامية (١)

١ ـ الحرب خدعة :ـ

عن ابي هريرة ﵁ قال سمى النبي ﷺ الحرب خدعة . حدثنا صدقة بن الفضل ،

---

(١) كما سبق وذكرنا يمكن للمعني الرجوع الى كتب المسلمين الاوائل كعيون الاخبار لابن قتيبة الدينوري وكتب الفتوحات وغيرها من المصادر الاسلامية فيخرج بجملة من وسائل واساليب الحرب النفسية الاسلامية ولا ندعي ان ما ادرجناه هنا تحت هذا العنوان هو حاصر جامع لتلك الوسائل والاساليب .

اخبرنا ابن عينة عن عمرو سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ «الحرب خدعة» .

والخداع في الحروب ان يظهر انه لا يقصد الحرب وهو يعد لها العدة وان يظهر بأنه يقصد الى الهجوم من ناحية وهو يتجه الى غيرها وان يعمل على ايقاع الفرقة بين اجزاء الجيش الذي يحاربه وان يظهر سلاحاً ويخفي افتك الاسلحة ، وان يكذب على خصمة فيوقعه في مكيدة المعركة في مدة يسيرة لصالحه .

واذا كان الكذب محرما فقد استثنى من تحريمه اشياء ثلاثة : حالة الحرب ،ولارضاء الأهل ، وفي اصلاح ذات البين لقول الرسول ﷺ :(لا يصلح الكذب الا في ثلاث : في الصلح بين اثنين ، وفي القتال ، وفي ارضاء الرجل اهله)

ومن الخدعة في الحرب استدراج العدو لقتله كما في حديث قتيبه بن سعيد . . . عن جابر بن عبدالله ﷺ ان النبي ﷺ قال من لكعب بن الاشرف فانه آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله يا رسول الله قال نعم قال فأتاه فقال ان هذا (يعني النبي ﷺ) قد عنانا وسألنا الصدقة ... قال فانا قد اتبعناه فنكره ان ندعه حتى ننظر الى ما يصير امره . قال فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله .

وفي غزوة الاحزاب (الخندق) وعندما تحالفت قريش وقبائل العرب واليهود سعى الرسول ﷺ ليفرق جمعهم ويفضّ تحالفهم وسنحت الفرصة عندما اتاه نعيم بن مسعود وكان قد اسلم دون ان يعرف احد باسلامه ، وكانت له مودة سابقة مع بني قريظة ، فأتى مسعود الرسول وقال : «يا رسول الله اني قد اسلمت ، ولم يعلم قومي باسلامي ، فمرني بما شئت» فقال له الرسول «انما انت رجل واحد من غطفان فلو خرجت فخذلت عنا ـ ان استطعت ـ كان احب إلينا من بقائك معنا فاخرج فان الحرب خدعة» .

واستجاب نعيم وخدع بني قريظة من جهة وقريش وحليفتها غطفان من جهة اخرى والقصة معروفة حيث شك كل فريق بصاحبه فانعدمت الثقة وفقد التحالف قوته ، وتفرقت جماعتهم وانهزم الاحزاب .(١)

وبما ان الحرب خدعة والرسول ﷺ وجه بعض جنده للتخذيل عن جيش المسلمين

---

(١) محمد فرج . العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧ . ط٣ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٦

لاضعاف العدو وزرع اسفين الفرقة في صفوفهم فيمكن استخدام بعض الوسائل الحديثة كنشر الاشاعة بين الاعداء او التضليل الاعلامي بقصد بعثرة الصف وتشتيت جمع العدو .

وتحت عنوان الحرب خدعة وكما سيأتي في الفقرة التالية تحت عنوان الرعب وبتوجيه الله عز وجل للمسلمين والرسول بالجهاد بالنفس والمال واللسان تقع الحرب النفسية الاسلامية برمتها على وجه التقريب .

٢ ـ الرعـــب :

قال تعالى ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله﴾ ١٥١ / آل عمران قال النبي ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر» عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب . . .»

ونجد في فتح مكة ان خطة الرسول ﷺ اعتمدت على تحطيم معنويات قريش في هذه المرحلة وزلزلة نفسية مقاتليها بحيث تخدم الهدف الرئيسي لرسول الله وهو دخول مكة دون اراقة دماء مؤجلاً العمليات الحربية حتى يضمن انحلال قوى العدو المعنوية وجعل قريش تهزم نفسها بنفسها .

فبعد ان وصل الرسول ﷺ بجيشه البالغ حوالي عشرة الاف الى مر الظهران وقريش لا تدري شيئا من امر تحركه السري ، امر رجاله ان يوقدوا جميعاً النار حيث نزلوا فاوقدوا عشرة الاف شعلة نار فظهر ضؤها في ظلام الصحراء ساطعاً ينير فضاءها الواسع حتى اصبح ليلها نهاراً . وفي تلك الاثناء ارسلت قريش ابا سفيان واثنين معه يستطلعون أمر المسلمين وقالوا له : «ان لقيت محمداً فخذ لنا منه اماناً» فاتفق ان وصل وفد قريش الى حيث شاهد النيران التي اوقدها المسلمون فتعجب ابو سفيان لكثرة النار وتوهجها واتساع رقعتها فقال : «ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً» فقال بديل ـ احد اصحاب ابي سفيان :ـ هذه والله خزاعة حمشتها الحرب فقال له ابي سفيان «خزاعة أقل واذل من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها» . وكانت النتيجة ان لقي العباس عم الرسول ﷺ ابا سفيان وصاحبيه فذهب معه الى حيث الرسول فكان ان اسلم وباسلامه سقط اقوى حصون المشركين وأمنعها ولاح باسلامه نصر المسلمين في الافق .

٣ ـ عـرض القـوة : ـ

وعرض القوة او استعراضها امام العدو يعمل على زعزعة معنوياته . وفي فتح مكة وبعد

ن اعلن ابو سفيان اسلامه اراد ان يعود لمكة يحمل ﷺ لها الامان كما اوضحه رسول الله
يدعوا قريش للاستلام وعدم المقاومة ولكن خطة الرسول ﷺ لم تكن قد اكتملت بعد ،
نقد امر عليه السلام عمه العباس : «يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله
نيراها» وذلك لينقل صورة القوة التي لا قبل لقريش بها فترضخ دون قتال : وخرج به العباس
لى مضيق الوادي ومرت القبائل من امامه على راياتها وكلما مرت قبيلة سأل «يا عباس من
هذه؟» والعباس يسمي القبائل له حتى مرت الكتيبة الخضراء وهي كتيبة الرسول يحيط به
عليه السلام المهاجرون والانصار وقال ابن هشام إنما سميت الخضراء لكثرة الحديد وظهوره
فيها ولا يرى من المهاجرين والانصار منها الا الحدق من الحديد فلما رآها أحس بالرهبة وقال
«يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به . . .» وبذلك تحققت خطة الرسول
وتداعت معنويات قريش ففقدوا القدرة على المواجهة والقتال .

٤ ـ التكبير عند الحرب والرجز : ـ

عن انس ﷺ قال صبح النبي ﷺ خيبر فرفع ﷺ يديه وقال : «الله اكبر ، خربت خيبر . . . انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» . فكان التكبير عند بدء القتال وعلو صيحات (الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر) من قبل المسلمين قبل حلول ساعة الصفر للمعركة من اساليبهم النفسية لبث الرعب والذعر في صفوف الاعداء . وها هو سعد بن ابي وقاص يقول للجيش في القادسية : «الزموا مواقفكم ولا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر فاني مكبر فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله» .

كما استخدموا الرجز ورفع الصوت به كما في حفر الخندق :

عن البراء رضي الله عنه قال رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعره وكان رجلاً كثير الشعر وهو يرتجز برجز عبدالله بن رواحة يرفع بها صوته :

اللهم لولا انت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الاعداء قد بغوا علينا ... اذا ارادوا فتنة ابينا

وكان جعفر بن ابي طالب ﷺ يقول وهو يقاتل :

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة انسابها
علي اذ لاقيتها ضرابها

٥ ـ الشـــعار : ـ

وهو من الانظمة التي شرعها الاسلام كذلك لتقوية معنويات الجند والعمل على انهيار معنويات العدو وادخال الخوف والرعب في قلوبهم وإرباك آذانهم كما في التكبير والرجز .

الشـعـار[١] هو كلمة معلومة لدى الجيش يتعارفون عليها يرفعون بها اصواتهم لدى الالتحام . فعن سلمة بن الاكوع قال : غزونا مع ابي بكر زمن رسول الله ﷺ فكان شعارنا أَمِتْ أَمِتْ رواه احمد وابو داوود . عن سمرة ﷺ قال كان شعار المهاجرين (عبد الله) وشعار الانصار (عبد الرحمن)رواه ابو داوود . فكانت كلمةعبد الله يراد بها كل مهاجر وكلمة عبد الرحمن يراد بها كل انصاري . فكان الشعار يستخدم كصيحات الحرب لتثبيط همم الاعداء وادخال الرعب في نفوسهم ، كما استخدم كنداء للتعرف على القوات وعلى بعضهم البعض في المعركة وخلال اوقات الظلام وتشجيع ورفع معنويات المسلمين .

٦ ـ نداءات الاستسلام : ـ

فدعوة جيش العدو للاستسلام والقاء السلاح تكون اليوم عبر مكبرات الصوت والاذاعة والمنشورات بالطائرات وقذائف المدفعية الا ان الرسول ﷺ استعمل كما في فتح مكة ابا سفيان نفسه ليطلب الى قريش الاستسلام عندما دعاهم لدخول المسجد او بيته طلباً للأمان . فالعرض والاسلوب واحد لم يتغير رغم اختلاف الوسيلة المستخدمة . وكما حدث في حصار الطائف عندما اعلم رسول الله انه سيمنح كل عبد يفر اليه من الحصن حريته فخرج اليه بضعة عشر (قيل ثلاثة وعشرون رجلاً) فاعتقهم ودفع كل رجل إلى رجلٍ من المسلمين يُعلّمه .

٧ ـ استهداف القادة : ـ

لقد شاع عن المسلمين استخدام هذه الوسيلة لتحطيم معنويات الجيش المعادي عن طريق استهداف قادته والبحث عنهم في اللحظات الاولى للمعركة وقتلهم لان ذلك له تأثير نفسي عكسي على جنود العدو ومعنوياتهم .

---

(١) ارجع الى كتاب معركة اليرموك ، للدكتور يوسف الغوانمة ، وهو من منشورات جامعة اليرموك الاردنية ١٩٨٥ فيه نبذة عن شعار (صيحات) المسلمين في اليرموك ص٧٧ ومن شعاراتهم : الله اكبر ، الفتح الفتح ، الصبر الصبر ، يانصر الله انزل ، يا انصار الله ، يا حزب الله ، يا محمد يا منصور امتك امتك ، وشعار أمِت أمِتْ

٨ ـ الاسـرى : ـ

كما ذكرنا من قبل فان الاسلام يحض على معاملة الاسير معاملة انسانية ويُحرّم استغلالهم لاخذ المعلومات كما في بعض وسائل الحرب النفسية الحديثة شرقاً وغرباً كغسل الدماغ وانواع التأثيرات الاخرى التي تمارس ضد الاسير بحيث يعترف بما لديه من المعلومات . بل أن الاسلام على عكس ذلك لا يحرم هذا فحسب بل يحرص على ضرورة معاملة الاسير بالرفق والرحمة وتوفير حاجياته من ملبس ومأكل ولا يجوز تعذيبه بالجوع والعطش وغيرها واذا حبس فبمكان ملائم ولا يكره على افشاء اسرار دولته .

ففي بدر عندما دفع سبعون اسيراً في يد المسلمين فقد امر الرسول بهم الى المدينة وعندما وصلوا فرقهم بين اصحابه قائلا لهم : ـ «استوصوا بهم خيراً» فكان المسلمون يكرمونهم ويؤثرونهم على انفسهم بطيبات الطعام .

وشاور الرسول ﷺ ـ كدأبه ـ اصحابه بالاسرى فمنهم من قال بالقتل ومنهم من قال بالحريق ومنهم من قال بالفداء على ان يُعلم عشرة من غلمان المسلمين اذا كان يحسن القراءة والكتابة وذلك فداؤه .

فكانت لمعاملة الاسرى وعدم استغلالهم اعظم الاثر في نفوسهم يؤتي اكله بطريقة غير مباشرة . وهو يستخدم ما بين الدول الان من عرض للاساليب الانسانية التي تمارسها الدولة مع الاسرى وتفضح بالوقت نفسه وسائل عدوها في استغلال الاسرى وممارسة الاساليب الوحشية معهم كما تفعل اسرائيل مع اسرى العرب وكما فعلت مع أسرى الفلسطينين واللبنانيين في معسكر انصار على اثر حرب لبنان ١٩٨٢ .

٩ ـ الدعاء والخطبة :

كما هو في رفع المعنويات فهو وسيلة فعالة مع بداية المعركة فيجمع القائد جنده ويدعو وهم معه الله بالنصر والغلبة وقهر الاعداء .

وكذلك خطبة القائد وكم من الخطب التي أُثِرت عن قادة المسلمين على امتداد التاريخ بين ايدي المعركة مما كان له عظيم الاثر في رفع معنوياتهم وازدياد حماستهم ونصرهم فهم يستحضرون جلال الله في انفسهم ووعده للشهيد بالجنة فترخص النفوس . من خطبة لخالد ابن الوليد في اليرموك قوله للجند : (ان هذا يوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ،

واخلصوا جهادكم ، واريدوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا) .

وخطبة طارق بن زياد لا تنسى بعد اذ احرق المراكب خطب في الجند قائلا : (وإني لم احذركم امرأً انا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس الا أبدأ بنفسي . واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالاوفر الابدي طويلا . . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأدنى من حظي) .

ويلحق بهذا الالتجاء إلى الله عز وجل . فبحنين وبعد ما لحق بالمسلمين من هزيمة أول اللقاء وبعد ثبات رسول الله ﷺ الذي شَدّ من عزم المسلمين فجمعهم بعد هرب واثار فيهم القوة بعد خوف فقد التجأ رسول الله ﷺ الى ربه يدعوه ويسأله النصر وها هو ذا ابو سفيان بن الحارث يعبر عن مشاعر الجندي المسلم وقت القتال ويعطي صورة واضحة المعالم لمشاعره واحاسيسه تدفعه الى القتال بحماس وقوة فيقول : (لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتاً والله يعلم اني اريد الموت دونه وهو ينظر الي) وكان الرسول ﷺ يناشد الله عز وجل مباشرة يلتمس منه العون والنصر (اللهم انشدك بما وعدتني ، اللهم لا ينبغي لهم ان يظهرواعلينا) واستجاب الله عز وجل لدعوة الرسول ﷺ .

١٠ـ تحويل المعتقد وتغيير الاتجاهات :

اذا كانت الحرب النفسية الحديثة تستخدم وسائل ممنوعة لتحقيق هذا الغرض تتراوح ما بين غسل الدماغ والتنويم المغناطيسي الى استخدام التحليل النفسي والعقاقير والمخدرات وكل هذا يقع تحت شعار «الغاية تبرر الوسيلة» فان الاسلام ينزع الى تحقيق هذا الغرض نفسه ولكن بوسائله الشريفة الانسانية المشروعة التي تقع تحت شعار التوجيه الالهي : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فاذا شرع الله الجهاد وحض عليه دوماً فانما ذلك لتكون كلمة الله هي العليا والحاكمية في الارض لله عز وجل ومنهاج الله هو المسيطر الذي يعلو ولا يعلى عليه ، ولكن (لا اكراه في الدين) .

كما لا يقر الاسلام الاساليب الحديثة الاخرى كافتعال الازمات والتخريب النفسي عن طريق تهريب المخدرات ونشرها لانها محرمة اصلاً ولا يجوز اللجوء اليها حتى في هذا الباب والاسلام لا يسعى لتدمير الشعوب وقتل روحها بل احياؤها وابتعاثها .

الفصل الثامن

الحرب النفسية المضادة

المستوى الرسمي قريب المدى (التصدي للحملات) : دور الحكومات

المستوى الرسمي الشعبي متوسط المدى (تصويب الاوضاع): دور القيادات وموجهي الرأي العام

الفصل الثامن

الحرب النفسية المضادة

لمّا كانت الأمة العربية والإسلامية تتعرض لأبشع أساليب الحرب النفسية وأشدّها ضراوة ألا وهي الغزو الفكري وتشويه الصورة والتاريخ العربي والإسلامي كان لا بد من الحديث عن أساليب المقاومة لهذه الحملات والتي تصلح في الوقت نفسه لمقاومة سائر أساليب الحرب النفسية الأخرى مما يحسن معه قراءة هذا الفصل على ضوء هذه الملاحظة .

(١) المستوى الرسمي قريب المدى (التصدي للحملات) :

دور الحكومات

ان الاعلام العصري بكل ما تجمع لديه من وسائل الانتشار السريع والشمولية التامة صار اخطر من احدث اسلحة الدمار الشامل . ولم يسبق حتى في ايام الحرب العالمية الثانية ان بلغت الحملات الاعلامية ما تبلغه هذه الحملات الدولية اليوم التي تستطيع وتنجح خلال بضعة اشهر في ان توجد «نفسية الحرب»[١] والامثلة ما زالت حية في الأذهان . لا بل ان هذا السلاح الاعلامي الهائل القوة يستخدم بكثير من المقدرة والذكاء في ادارة اخبار الحروب اثناء القتال وبعد انتهاء القتال .

كما اثبتت الاحداث الاخيرة في المنطقة العربية ان هذا السلاح الاعلامي الذي تحارب به امتنا هو واحد من اخطر الاسلحة واشدها فتكاً فهو غالباً ما يرتدي رداء المنطقية والواقعية ولكنه يزرع خلاياه السرطانية لاغياً من الذاكرة العربية الاسلامية الكثير من المسلمات ومثبطاً الكثير من الاندفاعات كل ذلك على خلفية استحواذ اعلامي غربي يمتلك الآلة الاعلامية في العالم كله وقد بلغت الهجمة الاعلامية ضد امتنا الذروة تشويهاً وتخويفاً وتحريضاً وساعد في النجاح غياب القدرة الاعلامية العربية الاسلامية بالاجهزة والكفاءات البشرية وكما ساعدها في التأثير على معنويات الامة وارادتها واقناعها باستحالة النهوض والوحدة والتحرر والاعتماد على الذات وابقاء انسان المنطقة في حالة التبعية والحيرة والبلبلة ، ساعد على ذلك اساليبها في الكذب والتعتيم والخداع والتضليل اولاً ثم اعتمادنا على

---

(١) مجلة الدفاع العربي افتتاحية ـ عدد حزيران ١٩٩١ .

الاعلام المعادي ـ مصادر اخبار ، وكالات انباء ، رسائل صحفية . . . وغيرها ـ والذي يهدف بالاصل لايقاعنا في الحيرة والبلبلة والاحباط ، كما ساعد في نجاح هذه الحملات الغربية المعادية غياب المخططات العربية الشاملة للمجابهة على النحو المطلوب فما يمارس بفتقر الى التناسق والتكامل والشمولية . واخيراً فإن ما ساهم في انجاح الاعلام المعادي غياب عنصر العقيدة وهو عنصر التحصين والوعي والقوة والمنعة ومصدر المعنويات وخزان الارادة لدى الامة .

تاسيساً على ذلك كله فإن المطلوب العاجل ما يلي :

١ ـ وضع استراتيجية اعلامية عربية اسلامية واحدة . ان من اولويات التصدي لهذه الحملات العدائية تفنيداً وتقديماً للصورة الحقيقية للشخصية العربية الاسلامية وللتصور المتكامل الحقيقي للاسلام مما يساعد على فهمه الفهم الصحيح ، ضرورة وضع استراتيجية اعلامية عربية اسلامية واحدة تفرز عملاً شمولياً مخططاً مبرمجاً للتصدي . ومع غياب مثل هذه الاستراتيجية ستغيب السياسات الاعلامية التنفيذية الفاعلة على امتداد العلم العربي والاسلامي . ويمكن بعد تفعيل والاستفادة من اللقاءات الدورية لوزراء الاعلام العرب وضع مسودات استراتيجية اعلامية عربية ثم تعمم التجربة لتشمل الدول الاسلامية . ولا يخفي ان مثل هذه الاستراتيجية الواحدة ستفعل الدور الاعلامي العربي الاسلامي المشترك وستساعد على بلورة الخطاب الاعلامي الموحد للعالم الخارجي ، وبقدرات الجميع يتم تضييق الفجوة بين التطور الاعلامي الخارجي والتطور العربي الاسلامي مما يساعد على ايصال الصوت العربي الاسلامي للعالم الخارجي بمصداقية تفرض نفسها على العالم . وقد ساعد على عدم وضع استراتيجية اعلامية واحدة واقع الاعلام العربي والاسلامي الذي يعاني من مشاكل مزمنة منها عدم الاتفاق لان المنطلقات الاعلامية متناقضة من قطر لآخر بسبب من تناقض الايديولوجيات (وهذا يستتبع الاختلاف في الاهداف والاستراتيجيات العليا فالسياسات العليا ، فالاستراتيجيات الدنيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وما يتبع ذلك الى ادنى مستويات التنفيذ بالدولة) اي ان الانظمة السياسية ـ هي في الاعم والاغلب ـ متناقضه متخاصمة ، فالاعلام ـ بالتالي ـ متخاصم ومتناقض .

---

١١١ مجلة الدفاع العربي . من الفتتاحية لعدد حزيران ١٩٩١

٢ - انشاء هيئة اعلامية عربية اسلامية موحدة يكون من اولويات واجباتها التصدي للحملات المعادية ووضع الخطط وفقاً للاستراتيجية الاعلامية الموحدة ، على ان تكون قرارات هذه الهيئة العامة ملزمة للمؤسسات الاعلامية العربية والاسلامية جميعها .

٣ - تشكيل اجهزة تنفيذية اعلامية مستقلة تتبع للهيئة الاعلامية العليا وذلك للقيام باعمال المتابعة والملاحقة ووضع الخطط العامة والتفصيلية موضع التنفيذ . وهذا يقتضي «اولا ان تكون هناك وكالة انباء صحفية عربية اسلامية مستقلة على مستوى دولي تعتمد على احدث وسائل الاتصال العصرية بما فيها اقمار الاتصالات الاصطناعية ورفد الوكالة بوكالات فرعية موزعة على كافة الدول . كما يقتضي ثانياً ايجاد محطة تلفزيونية عربية اسلامية على مستوى عالمي وعلى نسق شبكة الـ (C.N.N) قادرة على ايصال برامجها وتغطياتها الى كل موقع في العالم كما يقتضي ثالثاً ايجاد محطة اذاعة عربية اسلامية في مثل قوة المحطة التلفزيونية»[١] .

٤ - يتم وضع الخطط الاعلامية العربية الاسلامية الشاملة للمجابهة اعتماداً على دراسات معمقة للاساليب المتبعة بالحملات الغربية واعتماداً على الأصول الاعلامية العلمية المدروسة كتحليل المضمون وغيرها مما يساعد في الكشف عن خط سير الاهداف وتحديد نقاط الضعف لاستغلالها وتخطيط الحملة المطلوبة وتحديد الجمهور المستهدف والتوقيتات المناسبة واستخدام وسائل الاتصال والادوات الاعلامية الاكثر جدوى وفعالية لهذه الحملة .

٥ - يكون من اولويات الخطط الاعلامية الشاملة للمجابهة ما يوضع لتغيير اتجاهات الرأي العام الغربي حيال مضامين الحملات الغربية العدائية وعلى رأسها ما يتمحور حول الشخصية العربية الاسلامية واعادة تقديم الاسلام بالشكل الواقعي الصحيح .

٦ - لا يخفي علينا الدور الهام للقادة والزعماء وكبار الساسة في الواقع الراهن ومع غياب كل ما سبق ذكره . ويحسن بنا هنا ذكر نموذج من الاردن وهو سمو الامير الحسن بن طلال ولي العهد الذي ما انفك يستغل المحافل الدولية على مختلف المستويات والمؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والمناسبات المختلفة للتصدي لما يوجه للاسلام ومن ثم المسلمين على امتداد اصقاع الدنيا من تهم بشعة تصمه بالارهاب وتعتبرهم ارهابيين

---

(١) مجلة الدفاع العربي . افتتاحية حزيران ١٩٩١ .

ويقول في حديث لتلفزيون ابو ظبي حول ذلك : (. . . عندما نتحدث عن الاسلام والتطرف الاسلامي او التطرف بإسم الاسلام اعتقد اننا مخطئون عندما نقبل هذه المفردات في الدفاع عن صورة المسلم في العالم ، اعتقد انني متطرف في ذلك عندما اخاطب العالم كما فعلت في الامم المتحدة مدافعاً عن صورة الاسلام . . لنُظهر للعالم ان من يتهم بالتطرف (فإن) ٨٠٪ من لاجئي العالم مسلمون وهم المستهدفون من قبل القوي في هذا العالم)[١] . واشار سموه في حديث آخر : (الى ان هنالك تناقضاً اخلاقياً بين التهم الموجهة للمسلمين من حيث التطرف والعنف وبين الواقع لان المآسي والضحايا تقع في ساحة ديار الاسلام)[٢] اي ان الاسلام والمسلمين هم الضحية والآخرون الذين يشنون حروب الإبادة على المسلمين هم المتطرفون . ثم يطالب في موقع آخر الى اننا مدعوون للحيلولة دون تعميم مصطلح «اسلاموفوبيا» ليصبح وكأنه صفة من صفات الاسلام و (. . . ان التطرف ليس مقتصراً على الدين ولا هو تعبير عن مذهب وليس هو صفة جنس واحد ولا هو ابن قارّة بذاتها وانما يمتد ويشمل كل العالم بدءاً من أوكلاهوما مرورا بالجزائر وتل ابيب وانتهاءاً بطوكيو)[٣] . واخيراً فإن مصطلح (اغتيال الشخصية العربية والاسلامية) انما يعود لسمو الامير الحسن الذي استخدمه لوصف نتائج الحملات المحمومة التي (شوهت صورة العرب والمسلمين على نطاق واسع وجعلتهم هدفاً سهلاً للتهكم والسخرية والتتفيه ، وقرنت بين الهوية العربية الاسلامية والتعطش لسفك الدماء والقتل بدون حساب)[٤] .

٥ - تشكيل هيئات مساعدة اخرى (محلية وعالمية) ترفد الهيئات الاعلامية المختلفة في عمليات التصدي للهجمات المعادية . ونذكر هنا بما دعا اليه الامير الحسن ولي العهد الى تشكيل مجلس برلماني دولي يكون من واجباته التصدي لهذه الحملات المغرضة التي تنال الاسلام والمسلمين بالتشويه ووصفهم بالإرهابيين . حيث طرح مشروع نبذ التمييز في المؤتمر البرلماني الدولي في بكين بالصين في ايلول ١٩٩٦ ودعا الحكومات البرلمانية الصديقة لتبني مشروع (نبذ الخوف من الاسلام او الكراهية للاسلام) [٥] . ثم

---

(١) الرأي الأردنية ١٩٩٣/١٢/٢٧ .

(٢) الاسواق الاردنية ١٩٩٦/٩/١٥. ، عربياودوليات ، صفحة ١٨

(٣) الاسواق الاردنية ، ١٩٩٦/١١/٢٤ ، محليات - صفحة ٥ .

(٤) الدستور الاردنية ، ١٢/ ١٩٩٦/٣ ، د .نبيل الشريف ، مقال بعنوان "ابشع انواع الارهاب"

(٥) الاسواق الاردنية ، ١٩٩٦/٩/١٥ ، ص١٨

نجح سموه في طرح مبادرة لانشاء المجلس البرلماني الدولي لمكافحة عقدة الخوف من الاسلام وذلك في اللقاء البرلماني العالمي لدراسة ظاهرة الخوف من الاسلام وبحث السبل الكفيلة لمواجهة هذه الظاهرة والحد من تأثيرها المدمر والذي عقد في التاسع والعاشر من شهر حزيران هذا العام .(١)

٨ ـ والى حين انشاء هيئة اعلامية عربية اسلامية موحدة وادواتها وكالة انباء وتلفزيون واذاعة على مستوى عالمي لا بد من تشكيل لجان عليا او هيئات على مستوى الدول منفردة للتصدي لهذه الحملات واستغلال تصريحات القادة والسياسيين وكبار المسؤولين في العالم . كما لا بد ان يكون هناك ـ الى ان يتم عمل عربي اسلامي متكامل ـ (توعيه لدى العاملين بحيث لا يقع الصحافيون فريسة عدم تمحيص الأخبار واستخدام المصطلحات الغربية فالإعلام الغربي يستخدم مصطلحات مثل معارك الصرب والمسلمين والكروات والمسلمين بشكل متعمد والصحيح ان نقول «البوسنيون والصرب» او المسلمون والمسيحيون . فاستخدام كلمة مسلمين قد تكون جزءا من محاولات اظهار ان الاسلام هو المشكلة)(٢) والهدف هو الطعن بالاسلام .

٩ ـ استخدام الضغوط العربية الاسلامية لاستصدار القرارات في الغرب لايقاف الحملات . كما يحتاج جهد التصدي والتصويب الى مسعى عربي لدى الغرب ليتخذ ـ على مستوى الحكومات وخاصة امريكا ـ قراراً سياسا للتصدي لهذه الحملة المشبوهة والتصويب في تحسين صوة العرب او على القل الرجوع فيها الى ملامحها الحقيقية كما تم في معالجة موضوع (صورة الهندي الاحمر) ، وبدون مثل هذا القرار في وقف الحملة المسعورة ستستمر الروايات بالصدور والافلام والدعاية بالنشر وحتى افلام الكرتون ستظل تغذي الطفل الغربي منذ نعومة اظفاره وبصورة كريهة حاقدة لهذا العربي المسلم كما ستستمر كل تلك الدعايات المحمومة التي تصور العرب في نهاية الامر بانهم برابرة يهددون الحضارة الغربية بالدمار ولذلك يجب ابادتهم !!!

١٠ـ الجهود الفاعلة على الساحات الدولية في محاولات التصدي والتفهم والتفاهم . كما لا يكون هذا العمل الا بالجهود الجماعية والحكومية التي يجب ان تعمل بالعمق للتصدي

---

(١) الاسواق الاردنية ، ١٩٧/٦/١١ ، صفحة ١٠ .

(٢) مجلة الافق ، عمان ـ عدد (٧٦) ، ١٩٩٣/١٠/٢٧ ، صفحة ٢٦ مقال (نحن مستعمرين اعلاميا . . .)

والتصويب كما في (اللجنة الامريكية العربية ضد التمييز) في الولايات المتحدة الامريكية ومديرها التنفيذي : عمر قادر والتي تسعى ضد تشويه صورة العربي متتبعة كل ما يفعله الصهاينة عبر وسائل الاعلام المختلفة[1] وكما يحاول بعض المفكرين العرب (مثل ميشال سليمان ، ادوار سعيد ، ود .جاك شاهين) وذلك بعمل دراسات تهدف الى تغيير تلك الصورة المشوهة عن العرب والتصدي لكل من ينشر عنهم وتفنيده في عقر دارهم مع محاولة تنظيم الجاليات العربية في امريكا لصنع لوبي (مجموعات ضاغطة) ذات اثر فعال على القرار الامريكي . كما يجب العمل على تعميم مثل هذه النماذج الفاعلة في الدول الاوربية الاخرى . كما يضاف الى ذلك تشجيع النشاطات والجهود الغربية التي تساعد على الفهم الصحيح للاسلام والتفاهم مع المسلمين هنالك مما يحد من مثل هذه النشاطات السلبية . كتشجيع تدريس الاسلام في الغرب فقد تم مؤخراً السماح بتدريس الصفوف الدينية الاسلامية في بعض الاقطار الغربية مثل المانيا وكندا وغيرها .[2] وتشجيع الجهود الرامية الى دعوة لفهم الاسلام وتصحيح المفاهيم الخاطئة والشائعة لدى الغرب كما في مواضيع مثل احترام الجنس البشري وكرامة الانسان ، والنظرة الى المرأة وحماية الاسلام للحقوق المدنية والحريات الاساسية ، وتشجيعه للمعرفة والبحث والتفكير ، والعلاقة ما بين الإيمان والعلم في الاسلام ، وموضوع الجهاد ، والدعوة الى العدل والتسامح . . . الخ .

١١- دور الدبلوماسية العربية في الغرب .

الدبلوماسية العربية عليها دور هام يجب ان تضطلع به - وهي المتهمة دوماً بالتقصير اعلامياً - ضد هذا الاسلوب الذي يأخذ شكل حملة مركزة شرسة مستمرة ، هذا الدور رباعي الاتجاهات :

أ) استكمال ما تبدأه الحكومات في توعية المواطن والسائح العربي ورجل الاعمال وطلبة العلم وغيرها من الفئات هناك في دول الغرب سعياً لضبط سلوكياتهم وتقنين ممارساتهم .

---

(١) مجلة التضامن العدد ١٠٦ تاريخ ١٩٨٥/٤/٢٠م ويرأس اللجنة العربية الامريكية لمكافحة التمييز في الولايات المتحدة السناتور جميس ابو رزوق كما تضم عددا من وجهاء الجاليات العربية الاصل (الدستور - لندن ،٣٨١ في ١٩٨٥/٦/٢٤م) . هذا وقد نقلت الصحافة خبراً مفاده ان رابطة الدفاع اليهودية قامت يوم السبت ١٩٨٥/١٠/١٣ بتفجير مكتب (اليكس عودة) منسق اللجنة في لوس انجلوس/ كاليفورنيا مما ادى الى مقتله وجرح خمسة من موظفي المكتب .

(٢) الدستور الاردنية ، ١٩٩٧/٨/١١ . كامل الشريف : (عقدة الخوف من الاسلام) .

ب) ملاحقة ما ينشر ويذاع ضد مرب لدحضه والرد عليه وتصويب النظرة الغربية للعرب
بجهود ايجابية منوعة .

ج) استكمال الدور الاعلامي ثي النفسي في شتى المجالات وفي مجال التصدي لهذا
الاسلوب التشويهي بالذات .

د) الاضطلاع بالدور الدبلوماسي لاعلامي النشط الهادف في هذا المجال وتجنيد ما يلزم
ضمن خطة مبرمجة مدروسة ، و مادة نشر وتشجيع كل عمل غربي ايجابي يوضح الصورة
ويصحح الواقع .

(٢) المستوى الرسمي/ متوسط المدى :

تصويب الاوضاع : دور القيادا ومواجهي الرأي العام

كان حديثنا على المستوى الرسمي ، قريب المدى ينصب على الجهود الحكومية
للتصدي للحملة الاعلامية التي استهدفت تشويه الشخصية العربية الاسلامية .
بينما سيكون حديثنا هنا على الثاني (الرسمي/ الشعبي متوسط المدى) منصباً على
تصويب الاوضاع التي ادت اليها حملة التشويه فقط وانما كامل الحملة الغربية المعادية
بشقيها الغزو الفكري والتشويه لان معالجة الفرع لا تكون الا بمعالجة الاصل وإن التشويه
هو فرعٌ من حملة الغرب التي الى تخريب الداخل العربي والاسلامي في الغزو
الفكري وتخريب الخارج بالتشويه .

ويمكن تلخيص آثار كل ذلك قاله مدير ابحاث السياسة الخارجية في فيلادلفيا
«دانييل بايبس» في مقالته قادمون) : (. . ان العديد من المسلمين ينجذبون الى
الغرب . انهم يحبونه كثيراً ، الى الرغبة في التحول الى جزء منه . وكما يلاحظ «دافيد
برايس ـ جونز» ، فان ملايين لا يطلبون لانفسهم اكثر من هجرة مجتمعاتهم الى
مجتمع اوروبي) [١] ومعنى هذا اصبنا بالجاذبية الغربية فتركت فينا قابلية الاستعمار
وقابلية الهزيمة التي قذفت بنا في ه هات الهزيمة الحضارية عندما تخلينا عن قيمنا ومعتقداتنا
وكامل رموز حضارتنا العظيمة انبهارنا الارعن بحضارة الغرب ومن ثم تشبثنا بها مع
غياب جهد فاعل من لدنا يكشف عورات تلك الحضارة وما تحمله من جراثيم قاتلة كالايدز
والمخدرات والجريمة المنظمة والتفكك الاسري والانحلال الخلقي والشذوذ وغيرها . . مما

---

(١) صبحي حديدي ، حرب العالمين ، شركة النشر ودار قرطبة ، قبرص ، ط ١ ، ١٩٩١ .

احالنا الى مجرد تابعين متخلفين بعد اذ تسلل اليأس من اللحاق بالركب الهائج الى انفسنا يزرع فيها الاكتئاب والاحباط .

وعلى ضوء هذا كله فإن التصويب لا يكون ناجحاً الا بخلع رداء الحضارة الغربية الزائف بكل عيوبه وآثامه ومآسيه والعودة الى رداء الحضارة الاسلامية السابغ الطاهر المطهر ، وهنا يكمن دور القيادات وموجهي الرأي العام كمرحلة تالية ومتممة ومرافقة للمرحلة الاولى وممهدة لما بعدها .

فما هو دور القيادات وموجهي الرأي العام في عملية التصويب؟(١)

دور القيادات وموجهي الرأي العام في عملية التصويب

لوضع تصور سليم لدور القيادات وموجهي الرأي العام في عملية المجابهة لا بد من التذكير اولاً بأن هذه الفئات اي القيادات بما فيهم القادة والزعماء والساسة ومن يتبعهم في التسلسل القيادي الهرمي ، وموجهي الرأي العام من مختلف المواقع كالإعلاميين بما فيهم الكتاب والصحافيين والمراسلين والمحررين وكالعلماء والباحثين والدارسين ، وكالادباء والمثقفين والمفكرين والفنانين ، وعلماء الشرع والائمة والخطباء والوعاظ ، وكالتربويين ومن يتبعهم من العمداء والاساتذة والمدرسين والمدراء والمعلمين والموجهين التربويين . . . وغيرهم . نقول ان هذه الفئات جميعها ـ والتي تشكل الرأي العام القائد والمستنير في المجتمع والتي تعمل على بلورة الرأي العام وتشكيل الشخصية الاجتماعية للامة برمتها ـ ستتجه كواجب اولي للمجابهة الى تصويب الاوضاع التي ترتبت على الغزو الفكري كالتفريغ الوجداني (فك ارتباط الامة بقيمها الأصلية وربطها بقيم الغرب) وقابلية الهزيمة (سيكولوجية الانهزام أو الهزيمة النفسية) ثم ملاحقة نتائج الاخيرة هذه فيما شرحناه حول الهزيمة الحضارية التي منيت بها امتنا (٢) . ثم على هذه الفئات ـ نظراً لموقعها الهام الحساس في المجتمع والمسؤولية التي رتبهاهذا الموقع عليها ـ ان تتجه كواجب ثان الى معالجة آثار التشويه وما نجم عنه وما ينجم في المستقبل ، كاغتيال هوية الامة ، والاسلام فوبيا ، وتكريس الامة كعدو للغرب ، وعمليات التحريض ضد امتنا ومن ثم شن الحروب ضدها (٢) .

---

(١) للتعرف على الحملة الغربية المعادية بشقيها : الغزو الفكري وتشويه الصورة العربية الإسلامية ارجع لكتابنا (الإسلام فوبيا : عقدة الخوف من الإسلام) ، ومنه اقتبسنا مادة هذا الفصل لأن مجابهة هذه الحملات يمكن استخدامه في مجابهة الحرب النفسية وأساليبها الأخرى .

(٢) يحسن الرجوع إلى كتاب المؤلف : (الاسلام فوبيا : عقدة الخوف من الإسلام) .

وبإختصار لأننا سقطنا مهزومين معنوياً ولأننا نشاهد التصعيد المستمر والمتعمد لا بد من التصدي لإعادة قدرة الأمة على متابعة السير باتجاه حماية وجودها . مما يستدعي ان تهب الدول وأن تتضافر جهود القيادات وموجهي الرأي العام لتبني استراتيجية العمل لصد هذه الحملات المحمومة ولأن العمل كان يمتد زماناً ومكاناً فأن العمل المضاد يجب ان يضع هو الآخر في حسابه العمل على امتداد الزمان والمكان .

ويجب ان تنصب الجهود في هذه المجالات على اعادة التعبئة الوجدانية للأمة حيث يتم العمل على محورين :-

١ - تحصين الامة : والمقصود بتحصين الامة العمل الدفاعي المضاد لاعادة الوعي للامة من خلال كشف أساليب الغرب في غزوه الثقافي وفي التضليل الاعلامي وفي دعاياته واشاعاته وترويجه للمفاهيم والانماط السلوكية الغربية وغيرها وفضح مضامين تلك الأساليب وإسقاطها وتعرية الأدوات التي تمرر عبرها . ويتم العمل نفسه بالنسبة لتشويه الشخصية العربية الاسلامية حيث يتم الكشف عن اساليبها واهدافها وتتضح مضامين تلك الاساليب وتعريتها مما يساعد على فهمها (الغزو والتشويه معاً) ونبذها وتجنب التعرض لتياراتها والتحصن ضد آثارها في جميع الاحوال ومحاربتها في جميع المواقف والمواقع .

٢ - بناء الامة : - وهو العمل البنائي الايجابي في اعادة التعبئة الوجدانية والذي يسعى الى ازالة آثار العدوان الثقافي في شقيه الغزو الفكري وتشويه الشخصية العربية الاسلامية كما يسعى لتهيئة الامة لاخذ موقعها الحقيقي ولعب دورها الحضاري الفاعل . وما اجمل ما سطره يراع المفكر الجزائري «مالك بن نبي» معبراً عن هذا الهدف العظيم : «ان اي مجتمع يتأهب لدخول التاريخ لا بد له الا ان يوظف طاقاته الروحية والفكرية والمادية معاً ، وهذا التوظيف يستمد فاعليته من الإرادة الحضارية التي تتصل بلحظة الاقلاع في كل مجتمع حينما تندفع الروح نحو مثلها الاعلى لتغيير واقعها وتغير معها التاريخ ، فالدين هو الذي يلعب هذا الدور دائما حيثما تتهيأ مرحلة الاقلاع النفسي المشعل بالارادة فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».[1] وفي مسعى اخراج الامة الصالحة من شرنقة الاستعمار الثقافي الذي كبل قدراتها ودمر ارادتها لابد من عمليات البناء على محورين :

---

(١) الآية ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ،١١/ الرعد

١ ـ بلورة شخصية الامة الحقيقية : يتم ذلك من خلال مدارات الانتماء المكرم للامة الانسانية الواحدة ﴿ولقد كرمنا بني آدم . . .﴾٧٠/ الاسراء ، والانتماء الخير للامة الاسلامية الواحدة :﴿كنتم خير امة اخرجت للناس . .﴾١١٠/ آل عمران ، والانتماء المبارك لدائرة الارض المباركة :﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . .﴾١/ الاسراء .

٢ ـ بلورة وظيفة الامة ودورها الحضاري : وفي بلورة وظيفةالامة ودورها الحضاري الموعود الذي تبرزه دوائر الانتماء اعلاه كواجب لها نحو الانسانية الواحدة ليكون الاسهام الحضاري باتجاه صلاحها ورفاهها ، ونحو الامة الاسلامية الواحدة باتجاه تفعيل قواها المادية والمعنوية تأهيلاً يمكنها من القيام بدورها الاصلاحي العالمي ، وباتجاه صلاح ابنائها وتتضح الوظيفة الحقة في العبادة وفق الشرع الصحيح وعمارة الارض وفق المنهج الرباني الصحيح وفي الاصلاح في الارض وتحقيق الاستخلاف الحق باستئناف الدورالحضاري الخير على مستوى العالم اجمع . كما ان عملية الاستنهاض لاخراج الامة الصالحة التي تهدف الى اعادة صياغة الامة بتحديد ملامح شخصيتها وتحديد وظيفتها الحياتية انما تتم من خلال :

أ ـ تفريغ عقولنا مما حملته من اوهام العظمة الغربية (اي فك ارتباطنا بقيم الغرب)

ب ـ اعادة تعبئة العقول بحقائق العظمة الاسلامية(اعادة ارتباطنا بقيمنا)

فكما سعى الغرب الى ايصال فكره وترويج رسالته عبر دوائر الفكر والوجدان والسلوك كما شرحناه في الفصل الثاني في الغزو الفكري انفاً وذلك من خلال اساليب ذلك الغزو المختلفة حيث نجح في ربط مواطننا بقيمة ومفاهيمه وكامل رسالته الغربية الى درجة الانصهار الروحي معها مما لم يعد مفيداً لامته اصبح واجبنا الفوري تخليصه من هذه التبعية الروحية بفك ارتباطه اي تفريغ عقله وتحرير وجدانه من عوامل الانبهار الحضاري والعمل على اعادة تعبئة العقل والوجدان بحقائق العظمة الاسلامية واعادة ارتباط الفرد والامة معاً برسالتها الحضارية مما يطلق السلوك الايجابي بفاعليه كبيرة وبأقصى الطاقات وللاجابة على السؤال :

ما الذي نعبئة في العقول وما الذي نفرغه منها لتنجح عملية فك الارتباط بقيم الغرب

واعادة ربط الامة بحضارتها الاسلامية ، فإن الإجابة تكمن في عمل ذي شقين : اجراء مقابلة حضارية بيننا وبين الغرب واجراء مقارنة في القدرات المادية والمعنوية بيننا وبين الغرب من جهة اخرى . ويجب ان تكون هذه العملية شاملة ، واسعة ، مستمرة ، افقياً وعمودياً بمعنى :

انها عمل متكامل لا يتوقف يشمل المجتمع العربي والاسلامي برمته يمتد في الزمان والمكان معاً ويستخدم كافة الوسائل والاساليب لإيصال وتكرار رسالة تعتمد المقابلة الحضارية ومقارنة القدرات مما سنضطر معه استخدام كم هائل من المعلومات والبيانات في شتّى المناحي الحضارية ولابراز المضامين الحقيقية لهذين المجالين :

أ . المقابلة الحضارية ، حيث نسعى بها الى التمييز ما بين حضارتنا العظيمة الواعدة وحضارة الغرب الهابطة والآيلة الى السقوط لفراغها الخلقي والروحي والوجداني وهنا تتم المقابلة ما بين دورنا الاصلاحي للمجتمع العالمي ومدى مزايا وعظمة قيم ومثل ومبادئ رسالتنا الاصلاحية الانسانية العادلة الخيرة من خلال ثوابت الانسانية الشمولية : ﴿ولقد كرمنا بني آدم . . .﴾٧٠/ الاسراء «والعدالة المطلقة ، «لا فرق بين ابيض ولا اسود» ، والحرية الحقيقية «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا» ، والاخلاقية الراسخة المتمثلة بالقيم الثابتة (على نقيض البراجماتية المتغيرة وفقاً للمصلحة) .

وتعمل المقابلة الحضارية على اظهار دور الغرب الافسادي ومدى تردي رسالته الحضارية التي تتسم بالمادية المفرطة التي الغت الروح والوجدان ، وبالانانية الجائرة ، واللا أخلاقية واللاانسانية والذي ينعكس على العالم بجملة الحروب وعمليات الحصار والتجويع والتشريد مباشرة وبواسطة الغير ، وبجملة الاوبئة الاجتماعية التي تعاني منها كالايدز والمخدرات والجريمة المنظمة والتفكك الاسري والشذوذ والارهاب وغيره من الافات الاجتماعية القاتلة . مما تحصل معه القناعة لدى الامة بأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وان استيراد العلم البحت والتكنولوجيا المتقدمة لا يتطلب استيراد الثقافة والآداب والفنون الغربية .

وتتم المقابلة الحضارية بعرض لما قدمناه للعالم(ارجع الى زيغرد هونكة الالمانية في شمس العرب تسطع على الغرب)[1] والى حكيم محمد سعيد الذي يقول : «تحتوي

---

(١) زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب . المكتب التجاري ، بيروت - ١٩٦٤ .

مكتبات العالم الان على ما لا يقل عن ثلاثة ملايين مخطوطة تعود الى الوقت الذي كانت فيه الحضارة الاسامية في اوجها»[1] فهي حضارة ناجزة نجحت في ردم الفجوة الحضارية ما بين اليونان عبر الرومان وحتى الثورة الصناعية عبر الحركة العلمية والكشوف الجغرافية الغربية من خلال الاسهام الحضاري الاسلامي الهائل مما نقله وطوره ووضعه العرب والمسلمون من علوم متقدمة في شتى المجالات .

ب ـ مقارنة القدرات المادية والمعنوية ما بيننا وبين الغرب ، بإظهار مدى قوانا وقدراتنا الحقيقية مقابل اظهار الحجم الحقيقي لقوى الغرب وقدراته مما يخرج معها المتلقي بالاقتناع بقدرة امتنا مادياً ومعنوياً على النهوض والمنافسة . وهنا تتم الاشارة الى القدرات المادية بالرقعة الجغرافية والتنوع البيئي والمناخي وبما تحمله من ثروات معدنية (على رأسها اعلى احتياطات عالمية في النفط واليورانيوم) وثروات غذائية ومائية وموقع استراتيجي حيوي وقوة ديموغرافية بشرية هائلة . كما تتم الاشارة الى القدرات المعنوية المتمثلة بإظهار مدى قوانا المعنوية الحقيقية مقابل اظهار مدى التردي المعنوي لدى الغرب ، مما ذكرنا طرفاً منه في مقابلة رسالتنا الحضارية ودورنا الاصلاحي ورسالة الغرب ودوره الافسادي .

وهكذا يتبلور لدينا دور الحكومات وعمل القيادات وموجهي الرأي العام في عملية التصويب لآثار الحملات المعادية من حرب ثقافية وغزو فكري وتشويه حضاري وغيرها من أساليب الحرب النفسية .

---

(١) الدستور الاردنية . ١٩٧٥/٧/٢١ ، حكيم محمد سعيد ، مقال «الحضارة الغربية ووجهة النظر الاسلامية» .

المراجــع

مصادر

القران الكريم :

١ ـ ابن قتيبة الدنيوري . **عيون الاخبار** . المجلد١ . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣ .

٢ ـ ابن كثير . **السيرة البنوية** . بيروت : دار الفكر ، ١٩٨١ .

٣ ـ ابن هشام . **السيرة النبوية** . بيروت :دار الخير . ١٩٩٠ .

٤ ـ الواقدي ، ابو عبدالله محمد بن عمر . **فتوح الشام** . بيروت : دار الجليل ، ب ت .

مراجــع

١ - أ . اكرم ، (جنرال) . ترجمة صبحي الجابي . **سيف الله خالد بن الوليد** . دمشق :١٩٧٦

٢ ـ د . ابراهيم ابو عرقوب . **الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي** .عمان : دار مجدلاوي ، ١٩٩٣ .

٣ ـ د . ابراهيم ابو عرقوب . **سيكولوجية الاشاعة** . عمان : مؤسسة وائل ،١٩٩٤ .

٤ ـ د . ابراهيم ابو عرقوب . **معجم مصطلحات الحرب النفسية** . عمان : دار مجدلاوي ، ١٩٩٢

٥ ـ د . ابراهيم امام . **الاعلام الاذاعي والتفلزيوني** . القاهرة : دار الفكر العربي ،١٩٧٩ .

٦ـ د . احسان محمد الحسن . **علم الاجتماع العسكري** . بيروت : دار الطليعة ،١٩٩٠ .

٧ ـ د . احمد ابراهيم خضر . **علم الاجتماع العسكري** .

٨ ـ د . احمد بدر . **الاعلام الدولي** . القاهرة : ١٩٦٧ .

٩ ـ د . احمد بدر . **الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية** . الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٨٢

١٠ـ د . احمد عبدالحميد السائح . **في الغزو الفكري** . الدوحة : كتاب الامة ،١٩٩٣

١١ـ د . احمد نوفل . **الاشاعة** . عمان :دار الفرقان ،١٩٨٣ .

١٢ـ د . احمد نوفل . **الحرب النفسية** . عمان : دار الفرقان ،١٩٨٥

١٣ـ د . احمد نوفل . **الحرب النفسية بيننا وبين العدو الاسرائيلي** . عمان : دار الفرقان ،١٩٨٦

١٤ـ د . احمد نوفل . الحرب النفسية من منظور اسلامي . عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٦
١٥ـ د . اسحق الفرحان . نحو صياغة اسلامية لمناهج التربية .عمان :١٩٨٠
١٦ـ د .اسعد رزوق . موسوعة علم النفس . بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨ .
١٧ـ د .اسماعيل على سعد . الاتصال والرأي العام . الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٩
١٨ـ اكرم ديري . آراء في الحرب والاستراتيجية وطريقة القيادة . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٨١ .
١٩ـ بهاء الدين محمد اسعد . العسكرية الاسلامية وقادتها العظام . الزرقاء : مكتبة المنار ، ١٩٨١ .
٢٠ـ جان بيريه . ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي .الذكاء والقيم المعنوية في الحرب . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ .
٢١ـ د . جمال حمدان . اليهود انثروبولوجياً . القاهرة : دار الكاتب العربي ،١٩٦٧ .
٢٢ـ حافظ محمود . الاعلام العربي والاعلام الصهيوني .
٢٣ـ د . حامد عبد السلام زهران . علم النفس الاجتماعي . القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧ .
٢٤ـ د . حامد عبد الله ربيع . الحرب النفسية في المنطقة العربية . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٧٥
٢٥ـ د . حامد عبد الله الربيع . الدعاية الصهيونية . القاهرة : المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ١٩٧٥ .
٢٦ـ د . حامد عبدالله ربيع . من يحكم في تل ابيب؟ بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٥ .
٢٧ـ حبيب نوفل قهوجي . الصحافة الاسرائيلية والمجتمع . دمشق : مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٤ .
٢٨ـ حمد محمد الشرقاوي . نحو علم نفس اسلامي .
٢٩ـ دار الجليل . اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية) . عمان : دار الجليل ، ١٩٨٦ .

٣٠- د . رشاد عبدالله الشامي . الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية . الكويت : عالم المعرفة . حزيران ،١٩٨٦ .
٣١- زكي الجابر . مبحث في الراديو الاسرائيلي . بغداد : وزارة الاعلام ،١٩٧٠
٣٢- د . زكي محمد اسماعيل . نحو علم الاجتماع الاسلامي .
٣٣- زياد ابو غنيمة . السيطرة الصهونية على وسائل الاعلام العالمية . عمان : دار عمار ،١٩٨٤ .
٣٤- زيغريد هونكة . شمس العرب تسطع على الغرب . بيروت : المكتب التجاري ،١٩٦٤ .
٣٥- سامي مهدي . الصحافة الاسرائيلية . بغداد : وزارة الاعلام ،١٩٧١ .
٣٦- د . سعد جلال . المرجع في علم النفس . القاهرة : دار المعارف ،١٩٦٢ .
٣٧- السيد ياسين . الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الاخر . بيروت : دار التنوير ،١٩٨١ .
٣٨- شارل شانديسي . ترجمة محمد ياسز الايوبي . علم النفس في القوات المسلحة . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٨٣ .
٣٩- صابر طعيمة . التاريخ اليهودي العام . بيروت : دار الجليل ،١٩٧٥ .
٤٠- صبحي حديدي . حرب العالمين الاولى . قبرص : الارض للنشر ،١٩٩١ .
٤١- د . صلاح مخيمر . سيكولوجية الاشاعة . القاهرة : دار المعارف ،١٩٦٤ .
٤٢- صلاح نصر . الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد . القاهرة : ط٤ ،١٩٦٧ .
٤٣- صلاح نصر . حرب العقل والمعرفة . بيروت : الوطن العربي للنشر والتوزيع ط٢ ، ١٩٨٢ .
٤٤- عابد توفيق الهاشمي . مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة . عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٢ .
٤٥ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . مكايد اليهود عبر التاريخ . دمشق : دار القلم ، ١٩٧٨ .
٤٦- د . عبد الرحمن عدس و د . محي الدين توق . علم النفس العام . عمان : مكتبة الاقصى ،١٩٧٨ .
٤٧- عبد الرحمن غنيم . مدفعية اسرائيل النفسية وحرب حزيران . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ .

٤٨ـ عبد الرحمن محمد عيسوي . علم النفس والإنسان . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٠ .
٤٩ـ عبد القادر طاش . صورة الاسلام في الاعلام الغربي . القاهرة : الزهراء للاعلام ، ١٩٩٣ .
٥٠ـ عبد الكريم عثمان . الدراسات النفسية عند المسلمين . القاهرة : مكتبة وهبة .ط٣ ، ١٩٩٣ .
٥١ـ عبد الوهاب الكيالي . الموسوعة السياسية . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ .
٥٢ـ غسان يعقوب . سيكولوجيا الاتصال والعلاقات الانسانية . بيروت : دار النهار للنشر ، ١٩٧٩ .
٥٣ـ د . غي دورندان . الدعاية والدعاية السياسية . بيروت : ١٩٨٣ .
٥٤ـ فارس جلوب . نجمة داود والصليب المعقوف ـ الصهيونية على خطى النازية . نيقوسيا : دار شرق برس ، ١٩٨٩ .
٥٥ـ د . فاضل زكي محمد . الدعاية العربية امام التحديات الصهيونية . بغداد : وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٦٨ .
٥٦ـ د ، فايز محمدعلي الحاج . بحوث في علم النفس العام . الرياض : المكتب الاسلامي ، ١٩٧٨ .
٥٧ـ د . فخري الدباغ . الحرب النفسية . الموصل : جامعة الموصل .
٥٨ـ د . فخري الدباغ . غسل الدماغ . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٨٢ .
٥٩ـ د . فخري الدباغ . مقدمة في علم النفس . الموصل : جامعة الموصل ، ١٩٨٢ .
٦٠ـ كامل احمد . الاستخبارات الاسرائيلية ومكافحتها . بيروت : ١٩٨٢ .
٦١ـ كامل الشريف . المغامرة الاسرائيلية في افريقيا . بيروت : منشورات العصر الحديث ، ١٩٧٤ .
٦٢ـ كامل علوان الزبيدي . علم النفس العسكري . بغداد : جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .
٦٣ـ كرم سبتي . حرب الكلمات . : سلسلة كتاب الاذاعة والتلفزيون ، ١٩٧٥ .
٦٤ـ لؤي احمد مصفى خضر . فصول في علم الاجتماع العسكري . عمان ، ١٩٩٨ .
٦٥ـ د . مجدي عمر . التغيرات في النظام الدولي . عمان : دار البشير ، ١٩٩٥ .

٦٦ـ محمد امين . **الارادة العربية والاسلامية** . عمان :   ،١٩٩١

٦٧ـ محمد علي ابو حمدة . **الاخطبوط الصهيوني رأي العين** . عمان : مكتبة الرسالة ، ١٩٨٣ .

٦٨ـ محمد سليمان مغنم خليفات . **الخدعة في الحرب** . عمان : مطابع القوات المسلحة ، ١٩٩٣ .

٦٩ـ محمد الغزالي . **الغزو الثقافي يمتد في فراغنا** . عمان : مؤسسة الشرق ، ١٩٨٥ .

٧٠ـ د . محمد صقر . **الاقتصاد الاسلامي مفاهيم ومرتكزات** . عمان :   ، ١٩٨٠ .

٧١ـ محمد عاطف السعيد . **فصول في علم النفس العسكري** . القاهرة :الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ .

٧٢ـ محمد عبد القادر حاتم . **الاعلام والدعاية** . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .

٧٣ـ د . محمد عبد القادر حاتم . **الرأي العام** . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .

٧٤ـ محمد عثمان نجاتي . **علم النفس في حياتنا** . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ .

٧٥ـ د . محمد علي الحسن . **العلاقات الدولية في القرآن والسنة** . عمان : مكتبة النهضة الاسلامية ، ١٩٨٢ .

٧٦ـ د . محمد علي جريشة . **اساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي** . السعودية : دار الاعتصام ، ١٩٨٧ .

٧٧ـ محمد فتحي امين (فريق ركن) . **قاموس المصطلحات العسكرية** . بغداد : ١٩٨٢ .

٧٨ـ محمد فرج . **العبقرية العسكرية في غزوات الرسول** . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٧ .

٧٩ـ محمد مختار ضرار المفتي . **فلسفة وأهداف تربية الطفل اليهودي في فلسطين** . عمان : دار الابداع للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢ .

٨٠ـ د . محمد مصالحة . **الاعلام العربي والصوت الاخر** . عمان : دار البيرق ، ١٩٨٨ .

٨١ـ محمد يوسف الكاندهلوي . **حياة الصحابة** ٤ج . بيروت : دار المعرفة ، ١٩٩٤ .

٨٢ـ محمود اللبدي . **المنطلقات الاساسية في الفكر الاعلامي الصهيوني** . فلسطين المحتلة : مطابع الكرمل ، ١٩٨٢ .

٨٣ـ محمود شيت خطاب . **بين العقيدة والقيادة** . بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٢ .

٨٤ـ محمود شيت خطاب . **الرسول القائد** . بغداد : دار مكتبة الحياة ،١٩٦٠ .

٨٥ـ محمود شيت خطاب . **العسكرية العربية الاسلامية** . قطر : كتاب الامة ،١٤٠٣هـ .

٨٦ـ محمود عوض . **ممنوع من التداول** ، بيروت : دار الشروق ، .
٨٧ـ د . محمود كامل المحامي . **الاعلام والرأي العام** . القاهرة : دار النهضة ، ١٩٨٢ .
٨٨ـ د . محي الدين عبد الحليم . **الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية** . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠ .
٨٩ـ مصطفى الدباغ . **الاسلام فوبيا : عقدة الخوف من الاسلام** ، الفرقان ١٩٩٨ .
٩٠ـ مصطفى الدباغ . **الاقناع فنٌ ام حرب؟** عمان : دار الاسراء ، ١٩٩٧ .
٩١ـ مصطفى الدباغ . **الحرب النفسية الاسرائيلية** . عمان : مديرية التوجيه المعنوي ، ط٢ ، ١٩٩٥ .
٩٢ـ مصطفى الدباغ . **الحرب النفسية في الاسلام** . عمان :وزارة الاوقاف ، ١٩٩٨ .
٩٣ـ مصطفى الدباغ . **الخداع في حرب الخليج** . عمان مكتبة الرسالة ،١٩٩٣ .
٩٤ـ مصطفى الدباغ . **ماذا وراء الهجمة الاعلامية الصهيونية** . عمان : مكتبة الرسالة ، ١٩٩٠ .
٩٥ـ مصطفى الدباغ . **الاشاعة** . عمان : مديرية التوجيه المعنوي ،١٩٨٥ .
٩٦ـ د .مصطفى سويف . **مقدمةلعلم النفس الاجتماعي** . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٨٣ .
٩٧ ـ مكسيم كوروبينيكوف . ترجمة د . نزارعيون السود . **علم النفس المعركة الحديثة** . نيقوسيا : سومر للدراسات والنشر ،١٩٨٧ .
٩٨ـ د . منذر عنبتاوي . **اضواء على الاعلام الاسرائيلي** . بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ،١٩٨٦ .
٩٩ـ د . منصور فهمي . **الاعلان** . القاهرة : دار النهضة العربية للنشر ،١٩٧٩ .
١٠٠ـ منصور محمد عويس . **الرسول ﷺ والحرب النفسية** . طرابلس : مكتبة النجاح ،١٩٧٥ .
١٠١ـ منير البعلبكي . **قاموس المورد** . بيروت : دار العلم للملايين ،١٩٨٤ .
١٠٢ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر . **الموسوعة العسكرية** . بيروت : ،١٩٧٧ . ط٢ ، ١٩٨١ .
١٠٣ـ موسى زناد . **الحرب النفسية** . بغداد : ،١٩٨٠ .
١٠٤ـ د . مهنا حداد . **مداخل الى العلوم الاجتماعية** . عمان : دار مجدلاوي ،١٩٩٢ .
١٠٥ـ نزار عمار . **الاستخبارات الاسرائيلية** . بيروت : ،١٩٧٦ .

١٠٦- نصار غلمية . سيطرة اسرائيل على الولايات المتحدة الامريكية . بيروت : المؤسسة الجامعية للداسات والنشر والتوزيع ،١٩٨١ .

١٠٧- هادي نعمان الهيتي . الاعلام العربي والدعاية الصهيونية . بغداد : وزارة الثقافة ،١٩٦٩ .

١٠٨- هيثم الكيلاني . المذهب العسكري الاسرائيلي . دمشق : وزارة الدفاع ،١٩٦٩ .

١٠٩- وليد الكيلاني . الحرب النفسية بين الكلمة والطلقة . عمان : مطبعة الجيش ،١٩٧٥ .

١١٠- د . وهبة الزحيلي . آثار الحرب في الفقة الاسلامي . دمشق : المكتبة الحديثة ،١٩٦٥ .

١١١- وليد محمد جرادات . استراتيجية الفتوحات الاسلامية . عمان مطابع القوات المسلحة ، ١٩٨٢ .

١١٢- يشعيا هوبين وآخرون . التقصير . بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٤ .

١١٣- د . يوسف غوانمة .معركة اليرموك . اربد : جامعة اليرموك ، ١٩٨٥ .

١١٤- Brown, J.A.C. *Techniqus of Persuaion,* Pelican,1963.

١١٥- Cline,Ray.S.*Perceived Power Trends and U.S.Strategy for 1980's*.U.S.A,1981.

١١٦- Hunter,Edward.*Brain Washing*.New york,1956.

١١٧- Headquarter's Departement of the Army. *Psychogical Operation*.FM33-1 Washing, D.C.1979

١١٨- Christopher Mayhew Mivhael Adams. *Publish it Not, The Middle East Cover up 1975.*

١١٩- Qualter, Terence H. *Propaganda and Psychologicl Warfare,* 1982.

١٢٠- Rotter,C.*Psychological Warfare*.1974.

١٢١- The FuHsing Kang College. *AStudy on Six Types of Political Worfare*. Taiwan, 1981.

١٢٢- Wang sheng.*The Theory and Practice of Political Warefare.Taiwan*, 1980.

الكتب المطبوعة للمؤلف

١ـ وجوه من الاعجاز القرآني ط١/١٩٨٢ المنار- الزرقاء
ط٢/١٩٨٥ مكتبة المنار- الزرقاء

٢ـ الاطفال والحرب ـ مسرحية ١٩٨٥ مكتبة المنار- الزرقاء

٣ـ الاشاعة ١٩٨٥ مديرية التوجيه المعنوي ـ عمان

٤ـ مقالات في الحرب النفسية ١٩٨٦ مديرية التوجيه المعنوي ـ عمان

٥ـ الحرب النفسية الاسرائيلية ١٩٨٦ مكتبة المنار- الزرقاء
ط٢/١٩٩٤ مديرية التوجيه المعنوي ـ عمان

٦ـ الحرب النفسية ١٩٨٨ مديرية التوجيه المعنوي ـ عمان
ط٢/ ١٩٩٨ دار الاسراء ـ عمان

٧ـ الجيش العربي ١٩٨٩ وزارة الشباب ـ عمان

٨ـ العرس ـ قصص قصيرة ١٩٩٠ وزارة الثقافة ـ عمان

٩ـ الهجمة الاعلامية الصهيونية ١٩٩٠ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان

١٠ـ الخداع في حرب الخليج ١٩٩٣ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان

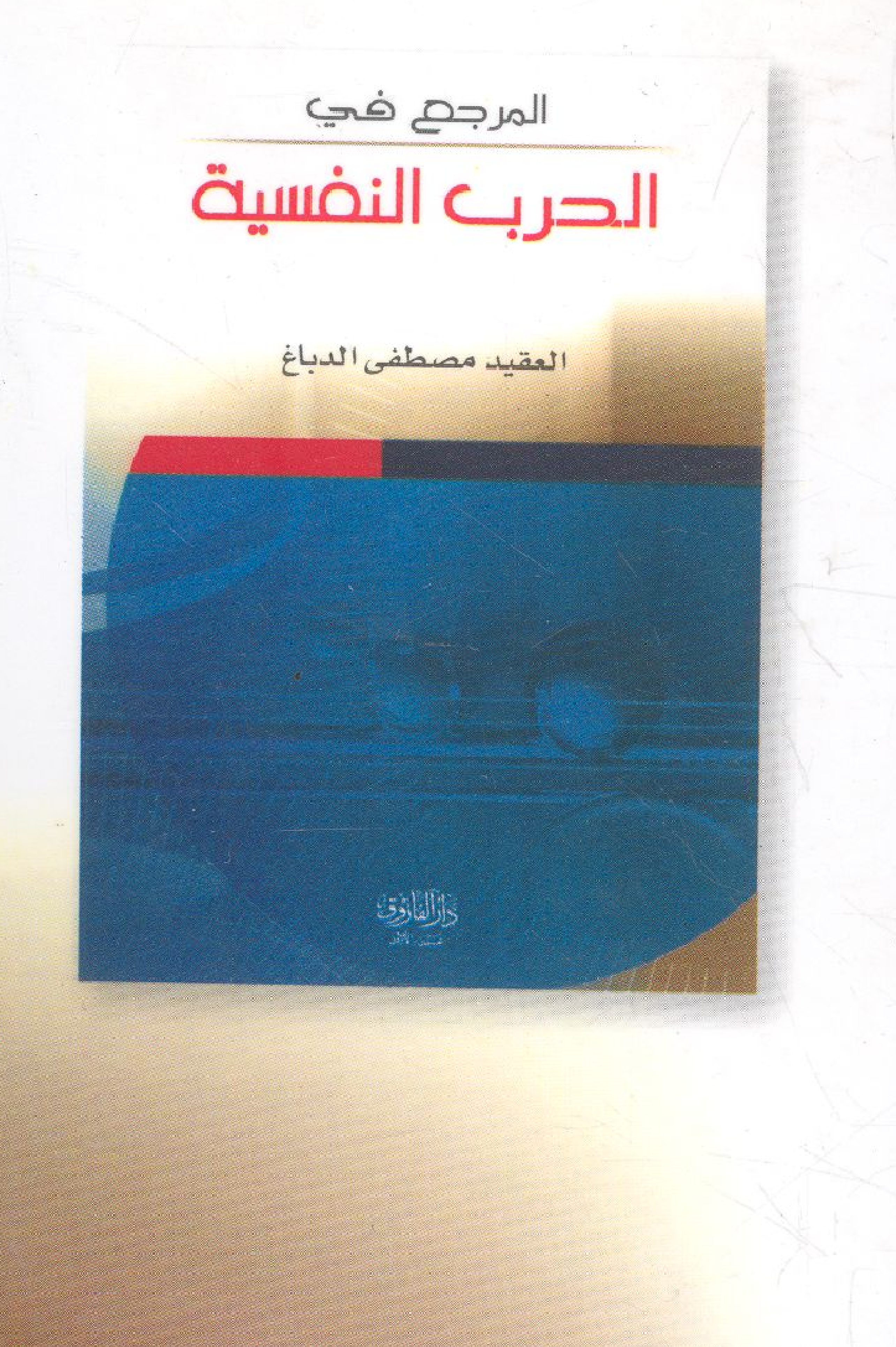
١١ـ الإقناع فن ام حرب؟ ١٩٩٧ دار الاسراء ـ عمان

١٢ـ المرجع في الحرب النفسية ١٩٩٨ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ عمان .

١٣ـ الاسلام فوبيا : ـ
عقدة الخوف من الاسلام ١٩٩٨ دار الفرقان

١٤ـ الحرب النفسية في الاسلام ١٩٩٨ وزارة الاوقاف ، عمان .

١٥- المرجع في الحرب النفسية ٢٠٠٧ دار الفاروق للنشر والتوزيع – عمان .



المرجع في الحرب النفسية

لمّا كانت الحرب ضرورة لابدّ منها، و لما كانت بالنسبة لنا - نحن العرب - في هذا الوقت وتحت ظلّ الظروف الراهنة بالذات ضرورة أكيدة كان لابدّ من عرض مادّة تُعتبر هامة للغاية في هذا المجال، مجال الصراع، حيث تعتبر الحرب النفسية، آخر الأمر، مكمّلة للقتال المسّلح، وهي شطر الحرب عامة، فإذا ما تمثلت القوة المادية المُستخدمة في المعارك بالرجال والسلاح فإن الحرب النفسية تُمثّل تسخير سائر القوى غير المادية، أو لنَقُلْ القوى المعنويّة، في الصراع الموجّه نحو الأعداء. وأن العلم العسكري والعلوم الحديثة - كما هي خبرة الحروب كذلك - تُجمع على أن الحرب النفسية هي سلاح فعّال وشديد التأثير في المعركة، وهي تساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات.



دار الفاروق للنشر والتوزيع
عمان - العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٠٠٦٤
E-mail: daralfarouq@yahoo.com